حاشية فتح الجليل

ببيان

خفي أنوار التنزيل

حاشية الشيخ زكريا الأنصاري على تفسير البيضاوي

لشيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصاري الشافعي

رحمه الله تعالى

(٨٢٦-٩٢٦ هـ)

تحقيق

السيد الشريف

أ. د. محمد فاضل جيلاني الحسني الحسيني التيلاني

الجزء الخامس

مركز جيلاني للبحوث العلمية والطبع والنشر

إسطنبول

حاشية فتح الجليل

ببيان

خفي أنوار التنزيل

الجزء الخامس

مركز جيلاني للبحوث العلمية والطبع والنشر

المركز الرئيسي إسطنبول

Algeylani Center Of Scientific Research

00902125117340_00905334866610

مدير التوزيع:

السيد فائق جيلاني: 00905379603434

حلب ـ سورية

مكتبة إسطنبولي: 00963933316794

القاهرة ـ مصر

هاتف: 00201111087778

Markaz al-Jilani Asia Tenggara
(Zawiyah Arraudhah)
- Jl. Tebet Barat VIII No.50, RT.9/RW.4, Tebet Bar., Kec. Tebet, Kota Jakarta Selatan, Daerah Khusus Ibukota Jakarta 12810
Tel: 006287788058845

أندونيسيا

Markaz al-Jilani Indonesia
- Pondok Pesantren Al-Falak Pagentongan-Bogor
KH Hakim Agus 00628128424608
Fachry 006282123580111

Markaz al-Jilani Indonesia
- Pondok Pesantren manbaus sholihin 61151
- Suci manyar Gresik Jatim Indonesia Post Code
Tel: 0062313958575
Handphone: 006285330046338

بيروت ـ لبنان

مركز الجيلاني ـ روضة الكتاب العربي

هاتف: 0096181932019

ISBN: 978-605-2058-12-1(tk)
978-605-2058-17-6(5.c)

من ذخائر التراث الإسلامي يطبع لأول مرة

الطبعة الأولى

1441هـ ـ 2020م

حاشية فتح الجليل

بِبَيانِ

خفيّ أنوار التنزيل

حَاشِيَةُ ٱلشَّيْخِ زَكَرِيَّا ٱلْأَنْصَارِيِّ عَلَى تَفْسِيرِ ٱلْبَيْضَاوِيِّ

لشيخ الإسلام الشيخ زكريّا الأنصاريّ الشافعيّ

رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى

(٨٢٦-٩٢٦هـ)

تحقيق

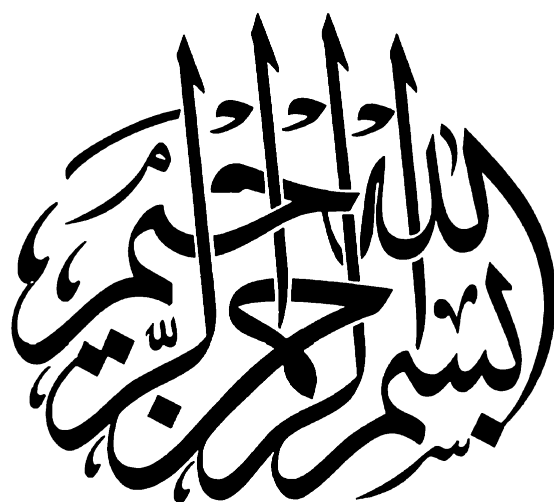
السيّد الشريف

أ. د. محمّد فاضل جيلاني الحسني الحسيني الجيلاني

الجزء الخامس

مَرْكَزُ جِيلَانِي لِلْبُحُوثِ ٱلْعِلْمِيَّةِ وَٱلطَّبْعِ وَٱلنَّشْرِ

إسْطَنْبُول



سُورَةُ الزُّمَرِ

(٣٩) مكية، إلا قوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ﴾ [الزمر: ٥٣]،
وآيها خمس وسبعون أو اثنتان وسبعون آية

۞ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

۝١ ـ ۝٢ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ خبر محذوف مثل: هذا، أو مبتدأ خبره: ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ وهو على الأول صلة (التَنْزيلُ)، أو خبر ثانٍ، أو حال عمل فيها معنى الإشارة أو (التَنْزيلُ)، والظاهر أن (الْكِتابِ) على الأول (السورة) وعلى الثاني (القرآن)، وقرئ: (تَنزِيلَ) بالنصب على إضمار فعل نحو: (اقرأ) أو (الزم). ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ ملتبساً بالحق، أو بسبب إثبات الحق وإظهاره وتفصيله. ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ ممحضاً له الدين من الشرك والرياء، وقرئ برفع (الدين) على الاستئناف لتعليل الأمر وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص المستفاد من (اللام) كما صرح به مؤكداً، وإجراؤه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال:

۝٣ ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾؛ أي: ألا هو الذي وجب اختصاصه بأن

قوله: [والظاهر أن الكتاب على الأول]؛ أي: وهو أن تنزيل خبر محذوف [السورة وعلى الثاني]؛ أي: وهو أن «تنزيل» مبتدأ خبره «من الله» [القرآن] بل أن الظاهر أن المراد القرآن على كل منهما [من اللام]؛ أي: في الدين

۞ ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٥﴾﴾.

يخلص له الطاعة، فإنه المتفرد بصفات الألوهية والاطلاع على الأسرار والضمائر. ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يحتمل المُتَّخِذِين من الكفرة، والمُتَّخَذِين من الملائكة وعيسى والأصنام؛ على حذف الراجع وإضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم، وهو مبتدأ خبره على الأول. ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ بإضمار القول. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ وهو متعين على الثاني، وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه حالاً أو بدلاً من الصلة، و(زُلْفى) مصدر أو حال، وقرئ: (قالوا ما نعبدهم) و(ما نعبدكم إلا لتقربونا إلى الله) حكاية لما خاطبوا به آلهتهم و(نُعْبُدُهُمْ) بضم النون إتباعاً. ﴿فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين بإدخال المُحِقِّ الجنة والمُبْطِلِ النار، والضمير للكفرة ومقابليهم، وقيل: لهم ولمعبوديهم فإنهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونها. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ لا يوفق للاهتداء إلى الحق. ﴿مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ فإنهما عادما البصيرة.

﴿٤﴾ ـ ﴿٥﴾ ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما زعموا. ﴿لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا

[﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الزمر: ٣] **يحتمل المتخذين من الكفرة..**] إلى آخره، المتخذ الأول: بكسر الخاء، والثاني بفتحها، ويوضحه قول «الكشاف»(١): يحتمل «المتخذين» وهم الكفرة، و«المتخَذُون» وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى، فالضمير في ﴿ٱلَّذِينَ﴾ على الأول: راجع إلى «الذين»(٢)، وعلى الثاني: إلى «المشركين»، ولم يجر(٣) ذكرهم لكونه مفهوماً، والراجع

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١١٣/٤].
(٢) في نسخة [ج]: (إلى المتخذين).
(٣) في نسخة [ج ـ ب]: (يجز) وفي نسخة [ز]: (يجد).

﴿٦﴾ ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾.

يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ إذ لا موجود سواه إلا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب إليه، ومن البين؛ أن المخلوق لا يماثل الخالق؛ فيقوم مقام الوالد له، ثم قرر ذلك بقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ فإن الألوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية، وهي تنافي المماثلة فضلاً عن التوالد؛ لأن كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة. والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج إلى الولد، ثم استدل على ذلك بقوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ يغشى كل واحد منهما الآخر؛ كأنه يلف عليه لف اللباس باللابس، أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة، أو يجعله كاراً عليه كروراً متتابعاً تتابع أكوار العمامة. ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو منتهى دوره أو منقطع حركته. ﴿إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القادر على كل ممكن الغالب على كل شيء. ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة.

﴿٦﴾ ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ نوع استدلال آخر بما أوجده في العالم السفلي مبدواً به من خلق الإنسان؛ لأنه أقرب وأكثر دلالة وأعجب، وفيه على ما ذكره ثلاث دلالات: خلق آدم عليه السلام أولاً من غير أب وأم، ثم خلق حوّاء من قصيراه، ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما. و(ثُمَّ)

إلى «الذين» محذوف، والمعنى: والذين اتخذهم المشركون أولياء.

[أو يغيبه به] هو مع ما بعده عطف على «يغشى» [من قصيراه] قال الجوهري:

۞ ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾.

للعطف على محذوف هو صفة (نَفْسٍ) مثل خلقها، أو على معنى واحدة؛ أي: من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها، أو على (خَلَقَكُمْ) لتفاوت ما بين الآيتين، فإن الأولى عادة مستمرة دون الثانية. وقيل: أخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منها حوّاء. ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾ وقضى أو قسم لكم؛ فإن قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتبت في اللوح المحفوظ، أو أحدث لكم بأسباب نازلة كأشعة الكواكب والأمطار. ﴿مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ ذكراً وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز. ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ بيان لكيفية ما ذكر من الأناسي والأنعام إظهاراً لما فيها من عجائب القدرة، غير أنه غلب أولي العقل أو خصهم بالخطاب لأنهم المقصودون. ﴿خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ حيواناً سوياً من بعد عظام مكسوة لحماً، من يعد عظام عارية، من بعد مضغ، من بعد علق، من بعد نطف. ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ ظلمة البطن والرحم والمشيمة، أو الصلب والرحم والبطن. ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الذي هذه أفعاله. ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ هو المستحق لعبادتكم والمالك. ﴿لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إذ لا يشاركه في الخلق غيره. ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ يعدل بكم عن عبادته إلى الإشراك.

﴿٧﴾ ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾ عن إيمانكم. ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ

«القُصْرى»(١): الضلع التي تلي الشاكلة، وهي الواهنة في أسفل الأضلاع(٢) [بين الآيتين] هما: خلقنا، وخلق حواء [ثم خلق منها]؛ أي: من الذرية، وفي نسخة: «منه»؛ أي: من الذر [أو أحد](٣) عطف على «قضى».

---

(١) في نسخة [ز ـ ب]: (القصيرى).
(٢) الصحاح، الجوهري [٢/ ٨٠].
(٣) وفي نسخة [ج ـ ب]: (أحدث).

۞ ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾.

﴿ٱلْكُفْرَ﴾ لاستضرارهم به رحمة عليهم. ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ لأنه سبب فلاحكم، وقرأ ابن كثير ونافع في رواية وأبو عمرو والكسائي بإشباع ضمة الهاء؛ لأنها صارت بحذف الألف موصولة بمتحرك، وعن أبي عمرو ويعقوب إسكانها وهو لغة فيها. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالمحاسبة والمجازاة. ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فلا تخفى عليه خافية من أعمالكم.

﴿٨﴾ ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا﴾ لزوال ما ينازع العقل في الدلالة على أن مبدأ الكل منه. ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ﴾ أعطاه من الخول وهو التعهد، أو الخول وهو الافتخار. ﴿نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ من الله. ﴿نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾؛ أي: الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه، أو ربه الذي كان يتضرع إليه وما مثله

[**وقرأ ابن كثير ونافع في رواية**]؛ أي: عن نافع وهي شاذة عنه [**وأبو عمرو**]؛ أي: في رواية؛ [**لأنها صارت بحذف الألف**]؛ أي: بحذف قدرها، وإلا فالمحذوف واو لا ألف، وتحريره بزيادة: أن ابن كثير، والكسائي وخلفاً قرأوا بالمد، وكذا الدوري، وابن ذكوان، وابن جماز، وابن وردان في أحد وجهيهم، وأن نافعاً، وحمزة، ويعقوب، وحفصاً قرؤوا بالقصر، وكذا هشام، وشعبة في أحد وجهيهما، وابن ذكوان، وابن وردان في وجهيهما الثاني، وأن السوسي قرأ بإسكان الهاء، وكذا الدوري، وهشام، وشعبة، وابن جماز في[1] وجههم الثاني[2].

[**وما مثله..**] إلى آخره، على الوجه الثاني، والمعنى: أن ما بمعنى مَنْ كما في

---

(١) إبراز المعاني، أبو شامة [١/١٥٦].

(٢) عبارة (في وجهيهما الثاني، وأن السوسي قرأ بإسكان الهاء، وكذا الدوري، وهشام، وشعبة، وابن جماز في وجههم الثاني) من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾.

الذي في قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [النبأ: ٣] ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل النعمة. ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بفتح الياء، والضلال والإضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وإن لم يكونا غرضين. ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ﴾ أمر تهديد فيه إشعار بأن الكفر نوع تَشَهٍّ لا سند له، وإقناط للكافرين من التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله: ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ على سبيل الاستئناف للمبالغة.

﴿٩﴾ ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ قائم بوظائف الطاعات. ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ ساعاته و(أم) متصلة بمحذوف تقديره: الكافر خير أَمْ مَنْ هو قانت؟ أو منقطعة والمعنى: بل أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ كمن هو بضده؟ وقرأ الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى: أَمَنْ هو قانت لله كمن جعل له أنداداً؟ ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ حالان من ضمير (قانِتٌ)، وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر، والواو للجمع بين الصفتين ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ﴾ في موضع الحال أو الاستئناف للتعليل. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية؛ على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم. وقيل: تقرير للأول على سبيل التشبيه؛ أي: كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ بأمثال هذه البيانات، وقرئ: (يَذَّكَّر) بالإدغام.

﴿١٠﴾ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ﴾ بلزوم طاعته. ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: للذين أحسنوا بالطاعات في الدنيا مثوبة حسنة في الآخرة. وقيل معناه: للذين أحسنوا حسنة في الدنيا هي الصحة والعافية،

۞ ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ⑪ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ⑫﴾.

وفي هذه بيان لمكان (حَسَنَةٌ). ﴿وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ﴾ فمن تعسر عليه التوفر على الإحسان في وطنه فليهاجر إلى حيث يتمكن منه. ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على مشاق الطاعات من احتمال البلاء ومهاجرة الأوطان لها. ﴿أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ أجراً لا يهتدي إليه حساب الحساب، وفي الحديث أنه: «**تنصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج؛ فَيُوَفَّون بها أجورهم، ولا تنصب لأهل البلاء بل يصب عليهم الأجر صباً؛ حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل**».

⑪ - ⑫ ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ موحداً له. ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ وأمرت بذلك لأجل أن أكون مقدمهم في الدنيا والآخرة؛ لأن قصب السبق في الدين بالإخلاص، أو لأنه أول من أخلص وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم، والعطف لمغايرة الثاني الأول بتقييده بالعلة، والإشعار بأن العبادة المقرونة بالإخلاص وإن اقتضت لذاتها أن يؤمر بها فهي أيضاً تقتضيه لما يلزمها من السبق

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ٣] [**وفي هذه بيان لمكان حسنة**]؛ أي: على الوجه الثاني؛ لأنه أشار بذلك إلى قول «الكشاف»(١): فإن قلت: إذا تعلق الظرف بـ«أحسنوا» فإعرابه ظاهر، فما معنى: تعليقه بـ«حسنة»، ولا يصح أن يقع صفة لها لتقدمه؟ قلت: هو صفة لها إذا تأخر، وإذا تقدم كان بياناً لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق، وإن لم يكن التعلق وصفاً [**وفي الحديث..**] إلى آخره، رواه الثعلبي، وابن مردويه بإسناد ضعيف(٢).

[**بالعلة**]؛ أي: وهي قوله: ﴿لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الزمر: ١٢].

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ١١٩].
(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم [٣/ ٩١].

۞ ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾.

في الدين. ويجوز أن تجعل اللام مزيدة كما في: أردت لأن أفعل، فيكون أمر بالتقدم في الإخلاص والبدء بنفسه في الدعاء إليه بعد الأمر به.

﴿١٣﴾ ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بترك الإخلاص، والميل إلى ما أنتم عليه من الشرك والرياء. ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ لعظمة ما فيه.

﴿١٤﴾ - ﴿١٦﴾ ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ أمرٌ بالإخبار عن إخلاصه، وأن يكون مخلصاً له دينه بعد الأمر بالإخبار عن كونه مأموراً بالعبادة والإخلاص، خائفاً عن المخالفة من العقاب قطعاً لأطماعهم، ولذلك رتب عليه قوله: ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ تهديداً وخذلاناً لهم. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ الكاملين في الخسران. ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالضلال. ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾ بالإضلال. ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ حين يدخلون النار بدل الجنة؛ لأنهم جمعوا وجوه الخسران. وقيل: وخسروا أهليهم لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم، وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهاباً لا رجوع بعده. ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ مبالغة في خسرانهم لما فيه من الاستئناف والتصدير بـ(ألا)، وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بـ(الْمُبِينُ). ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ شرح لخسرانهم. ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ أطباق من النار هي ظلل للآخرين. ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ ذلك العذاب هو الذي يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه. ﴿يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي.

۞ ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ
يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ
مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿١٧﴾ ـ ﴿١٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ البالغ غاية الطغيان (فعلوت) منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كـ(الرحموت)، ثم وصف به للمبالغة في النعت؛ ولذلك اختص بالشيطان. ﴿أَن يَعْبُدُوهَا﴾ بدل اشتمال منه. ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ وأقبلوا إليه بشراشرهم عما سواه. ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾ بالثواب على ألسنة الرسل، أو الملائكة؛ عند حضور الموت. ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ وضع فيه الظاهر موضع ضمير (الَّذِينَ اجْتَنَبُوا) للدلالة على مبدأ اجتنابهم، وأنهم نقّاد في الدين يميزون بين الحق والباطل، ويؤثرون الأفضل فالأفضل. ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾ لدينه. ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة، وفي ذلك دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها.

﴿١٩﴾ ـ ﴿٢٠﴾ ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾ جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره: أأنت مالك أمرهم، فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه؟ فكررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الإنكار والاستبعاد، ووضع (مَنْ فِي النَّارِ) موضع الضمير لذلك، وللدلالة على أن من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه، وأن اجتهاد الرسول ﷺ في دعائهم إلى الإيمان سعي في إنقاذهم من النار، ويجوز أن

[فعلوت منه]؛ أي: من الطغيان كما عبر به «الكشاف»[1] [بتقديم اللام على العين]، إذ أصله: «طغيوت» قدمت الياء على الغين، ثم قلبت ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ١٢٢].

۞ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾.

يكون (أَفَأَنْتَ تنقذ) جملة مستأنفة للدلالة على ذلك والإشعار بالجزاء المحذوف. ﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ علالي بعضها فوق بعض. ﴿مَّبْنِيَّةٌ﴾ بنيت بناء النازل على الأرض. ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾؛ أي: من تحت تلك الغرف. ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد؛ لأن قوله: (لَهُمْ غُرَفٌ) في معنى الوعد. ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ ولأن الخُلْفَ نَقْصٌ؛ وهو على الله محال.

﴿٢١﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ هو المطر. ﴿فَسَلَكَهُ﴾ فأدخله. ﴿يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ هي عيون ومجاري كائنة فيها، أو مياهاً نابعات فيها؛ إذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع؛ فنصبها على الظرف أو الحال. ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أصنافه من بُرٍّ وشعير وغيرهما، أو كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما. ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ يتم جفافه؛ لأنه إذا تم جفافه حان له أن يثور عن منبته. ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ من يبسه. ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ فتاتاً. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ لتذاكيراً بأنه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه، أو بأنه مثل الحياة الدنيا فلا تغتر بها. ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ إِذْ لَا يَتَذكر به غيرهم.

﴿٢٢﴾ ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ حتى تمكن فيه بيسر؛ عبّر به عمن خُلِقَ نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبية عنه؛ من حيث أن الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق للنفس القابلة للإسلام. ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾؛ يعني: المعرفة والاهتداء إلى الحق. وعنه عليه الصلاة والسلام:

[عبر عنه]؛ أي: عن المصدر، والأولى به [عمن خلق]؛ أي: عن شخص خلق الله [نفسه..]

۞ ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾.

«إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح، فقيل: فما علامة ذلك! قال: الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والتأهب للموت قبل نزوله».

وخبر (مِنْ) محذوف دل عليه ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ من أجل ذكره وهو أبلغ من أن يكون عن مكان (من) لأن القاسي من أجل الشيء أشد تأبياً عن قبوله من القاسي عنه لسبب آخر، وللمبالغة في وصف أولئك بالقبول وهؤلاء بامتناع ذكر شرح الصدر، وأسنده إلى الله وقابله بقساوة القلب وأسنده إليه. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ يظهر للناظر بأدنى نظر، والآية نزلت في حمزة وعلي وأبي لهب وولده.

٢٣ ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾؛ يعني: القرآن، روي أن أصحاب رسول الله ﷺ مَلُّوا مَلَّة فقالوا له: حدثنا، فنزلت. وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تأكيد للإسناد إليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه. ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ بدل من (أَحْسَنَ) أو حال منه، وتشابهه تشابه أبعاضه في الإعجاز، وتجاوب النظم، وصحة المعنى، والدلالة على المنافع العامة. ﴿مَّثَانِيَ﴾ جمع: (مَثْنى) أو (مُثْنى) على ما مرَّ في (الحِجْر)، وصف به كتاباً باعتبار تفاصيله كقولك: القرآن سور وآيات، والإنسان: عظام وعروق وأعصاب. أو جعل تمييزاً من (مُتَشابِهاً) كقولك: (رأيت رجلاً حسناً

إلى آخره [**«إذ دخل النور القلب انشرح..»**] إلى آخره، رواه الحاكم[1]، وغيره [**وخبر من محذوف**] تقديره: كمن قسا قلبه عن الإسلام.

[**وهو أبلغ من أن يكون عن مكان من**]؛ أي: من أن يؤتى بـ«عن» مكان «من»

---

(١) مستدرك الحاكم [٤/٣٤٦/ برقم: ٧٨٦٣].

۞ ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

شمائله). ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ تشمئز خوفاً مما فيه من الوعيد؛ وهو مثل في شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف: (القشع): وهو الأديم اليابس؛ بزيادة الراء ليصير رباعياً كتركيب: (أقمطر) من: (القمط) وهو: الشدّ. ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾ بالرحمة وعموم المغفرة، والإطلاق للإشعار بأن أصل أمره الرحمة وأن رحمته سبقت غضبه، والتعدية بـ(إلى) لتضمين معنى السكون والاطمئنان، وذكر القلوب لتقدّم الخشية التي هي من عوارضها. ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الكتاب، أو الكائن من الخشية والرجاء. ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ هدايته. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ ومن يخذله. ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ يخرجهم من الضلالة.

﴿٢٤﴾ ـ ﴿٢٦﴾ ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ﴾ يجعله درقة يقي به نفسه لأنه يكون مغلولة يداه إلى عنقه فلا يقدر أن يتقي إلا بِوَجْهِهِ. ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ كمن هو آمن منه؛ فحذف الخبر كما حذف في نظائره. ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلاً عليهم بالظلم، وإشعاراً بالموجب لما يقال لهم وهو: ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾؛ أي: وباله؛ والواو للحال، و(قد) مقدّرة. ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من الجهة التي لا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها. ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾ الذل. ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ كالمسخ، والخسف، والقتل، والسبي، والإجلاء. ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ المعدّ لهم ﴿أَكْبَرُۚ﴾ لشدته ودوامه. ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ لو كانوا من أهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به.

۞ ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩)﴾.

---

(٢٧) ـ (٢٨) ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ﴾ يحتاج إليه الناظر في أمر دينه. ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون به. ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ حال من (هذا) والاعتماد فيها على الصفة كقولك: (جاءني زيد رجلاً صالحاً)، أو مدح له. ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ لا اختلال فيه بوجه ما، وهو أبلغ من المستقيم وأخص بالمعاني. وقيل: بالشك استشهاداً بقوله:

وَقَدْ أَتَاكَ يَقِينٌ غَيْرُ ذِي عِوَجٍ ... مِنَ الإِلَهِ وَقَوْلٌ غَيْرُ مَكْذُوبِ

وهو تخصيص له ببعض مدلوله. ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ علّة أُخرَى مرتبة على الأولى.

(٢٩) ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ للمشرك والموحد. ﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من أن يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته، ويتنازعون فيه بعبد يتشارك فيه جمع، يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه، والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل و(رَجُلاً) بدل من (مثل) وفيه صلة (شُرَكاءُ)، والتشاكس والتشاخص: الاختلاف. وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون (سَلَماً) بفتحتين، وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون العين؛ وثلاثتها مصادر (سَلِمَ) نعت بها، أو حذف منها (ذا) و(رجل سالم)؛ أي: وهناك رجل

[﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ حال من هذا..] إلى آخره، أخذه من أبي البقاء حيث قال: «قرأنا» حال موطئة، والحال في المعنى: «عربياً»، ويجوز كما قال غيره: أن يكون «قرآناً» حالاً، و«عربيّاً» صفته؛ لأن «القرآن» مصدر فيمكن أن يقع حالاً؛ أي: مقروءاً عربياً

[وقيل: بالشك] عطف على «بوجهِ ما».

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

سالم، وتخصيص الرجل لأنه أفطن للضر والنفع. ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ صفة وحالاً، ونصبه على التمييز ولذلك وَحَّدَه، وقرئ: (مثلين) للإشعار باختلاف النوع، أو لأن المراد: هل يَسْتَوِيانِ في الوصفين؛ على أن الضمير للمثلين فإن التقدير: مثل رجل ومثل رجل. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه؛ لأنه المنعم بالذات والمالك على الإطلاق. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيشركون به غيره من فرط جهلهم.

﴿٣٠﴾ - ﴿٣٢﴾ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ فإن الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى، وقرئ: (مائت) و(مائتون) لأنه مما سيحدث. ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ على تغليب المخاطب على الغيب. ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ فتحتج عليهم بأنك كنت على الحق في التوحيد، وكانوا على الباطل في التشريك، واجتهدت في الإرشاد والتبليغ ولجّوا في التكذيب والعناد، ويعتذرون بالأباطيل مثل: ﴿أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ [الأحزاب: ٦٧] و﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾

[صفة وحالاً] بياناً لـ«مثلاً»؛ أي: هل يستوي صفتاهما وحالاهما كما عبر به «الكشاف»(١).

[في الوصفية] في نسخة: في الوصفين [كل الحمد] لله في نسخة: كل الحمد له؛ [لأنه مما سيحدث]؛ أي: فكأنه حادث الآن. قال الزمخشري: والفرق بين الميت والمائت: أن «الميت» صفة لازمة كـ«السيد»، وأما «المائت» فصفة حادثة تقول: «زيد مائت غداً» كما تقول: «سائد غداً»؛ أي: «سيموت» و«سيسود»، وإذا قلت: «زيد ميت»، فكما تقول: حي في نقيضه فيما يرجع إلى اللزوم والثبوت(٢)

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ١٨٩].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٤/ ١٢٩].

۞ ﴿وَالَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِينَ ۝٣٤ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٣٥﴾.

[الأنبياء: ٥٣]. وقيل: المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضاً فيما دار بينهم في الدنيا. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ بإضافة الولد والشريك إليه. ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾ وهو ما جاء به محمد ﷺ. ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ من غير توقف وتفكر في أمره. ﴿إِلَّا مَن شَآءَ اللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ وذلك يكفيهم مجازاة لأعمالهم، و(اللام) تحتمل العهد والجنس، واستدل به على تكفير المبتدعة؛ فإنهم يكذبون بما علم صدقه، وهو ضعيف؛ لأنه مخصوص بمن فاجأ ما علم مجيء الرسول به بالتكذيب.

۝٣٣ ـ ۝٣٥ ﴿وَالَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ وقيل: هو النبي ﷺ، والمراد هو ومن تبعه كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَـٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٩]. وقيل: الجائي هو الرسول ﷺ والمصدق أبو بكر ﵁، وذلك يقتضي إضمار (الذي) وهو غير جائز. وقرئ: (وَصَدَقَ بِهِ) بالتخفيف؛ أي: صدق به الناس فأدّاه إليهم كما نزل، أو صار صادقاً بسببه؛ لأنه معجز يدل على صدقه (وَصُدِّقَ بِهِ) على البناء للمفعول. ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ﴾ في الجنة. ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ على إحسانهم. ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى عَمِلُواْ﴾ خص الأسوأ للمبالغة؛ فإنه إذا كُفِّر كان غيره أولى بذلك؛ للإشعار بأنهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون أنهم مقصرون مذنبون، وأن ما يفرط منهم من الصغائر أسوأ ذنوبهم، ويجوز أن يكون بمعنى السيئ كقولهم: الناقص والأشج أعدلا بني مروان،

[الناقص] هو محمد الخليفة سمي به؛ لأنه نقص أعطية القوم [والأشج] هو عمر بن عبد العزيز سمي به؛ لشجة أصابت رأسه [أعدلا بني مروان]؛ أي: عَادِلَاهم إذ ليس المراد به التفضيل إذ كلهم جائرون.

۞ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

وقرئ: (أسواء) جمع سوء. ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم﴾ ويعطيهم ثوابهم. ﴿بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فيعد لهم محاسن أعمالهم بأحسنها في زيادة الأجر، وعظمه لفرط إخلاصهم فيها.

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ استفهام إنكار للنفي مبالغة في الإثبات، والعبد رسول الله ﷺ، ويحتمل الجنس، ويؤيده قراءة حمزة والكسائي (عباده)، وفُسِّرَ بالأنبياء. ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾؛ يعني: قريشاً؛ فإنهم قالوا له: إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا بعيبك إياها. وقيل: إنه ﷺ بعث خالداً رضي الله عنه ليكسر العزّى! فقال له سادنها: أُحَذِّرُكَهَا فإن لها شدة، فعمد إليها خالد فهشم أنفها، فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه عليه الصلاة والسلام؛ لأنه الآمر له بما خوف عليه. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر. ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ يهديهم إلى الرشاد. ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ إذ لا راد لفعله كما قال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ غالب منيع. ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ ينتقم من أعدائه.

﴿٣٨﴾ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية. ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾؛ أي: أرأيتم بعد ما تحققتم أن خالق العالم هو الله، وأن آلهتكم إن أراد الله أن يصيبني بضرّ هل يكشفنه. ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾ بنفع. ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ فيمسكنها عني، وقرأ أبو

۞ ﴿قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾.

عمرو: (كاشفاتٌ ضره) (ممسكاتٌ رحمته) بالتنوين فيهما ونصب ضرّه ورحمته ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ﴾ كافياً في إصابة الخير ودفع الضر؛ إذ تقرر بهذا التقرير: أنه القادر الذي لا مانع لما يريده من خير أو شر. روي أن النبي عليه الصلاة والسلام سألهم، فسكتوا! فنزل ذلك. وإنما قال: (كاشِفاتُ) و(مُمْسِكاتُ) على ما يصفونها به من الأنوثة تنبيهاً على كمال ضعفها. ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ لعلمهم بأن الكل منه تعالى.

﴿٣٩﴾ ـ ﴿٤١﴾ ﴿قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالكم، اسم للمكان استعير للحال كما استعير (هنا) و(حيث) من المكان للزمان، وقرئ: (مكاناتكم). ﴿إِنِّى عَـٰمِلٌ ۖ﴾؛ أي: على مكانتي؛ فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد، والإشعار بأن حاله لا يقف فإنه تعالى يزيده على مرّ الأيام قوة ونصرة؛ ولذلك توعدهم بكونه منصوراً عليهم في الدارين فقال: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ فإن خزي أعدائه دليل غلبته، وقد أخزاهم الله يوم بدر. ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم وهو عذاب النار. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ﴾ لأجلهم فإنه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم. ﴿بِٱلْحَقِّ ۖ﴾ متلبساً به. ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ إذ نفع به نفسه. ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ﴾ فإن وباله لا يتخطاها. ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وإنما أمرت بالبلاغ وقد بلغت.

[كما استعير «هنا»]؛ أي: لفظة «هنا» [وقرئ: «مكاناتكم»] قرأ به أبو بكر كما في نسخة [إذ نفع] في نسخة: أي: «نفع».

۞ ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿٤٢﴾ ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾؛ أي: يقبضها عن الأبدان بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها؛ إما ظاهراً وباطناً وذلك عند الموت، أو ظاهراً لا باطناً وهو في النوم. ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ ولا يردها إلى البدن، وقرأ حمزة والكسائي: (قُضِيَ) بِضَمِّ القاف وكسر الضاد، و(الموتُ) بالرفع. ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾؛ أي: النائمة إلى بدنها عند اليقظة. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الإرسال. وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن في ابن آدم نفساً وروحاً بينهما مثل شعاع الشمس، فالنفس التي بها العقل والتمييز، والروح التي بها النفس والحياة، فيتوفيان عند الموت، وتتوفى النفس وحدها عند النوم؛ قريب مما ذكرناه. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ من التوفي، والإمساك، والإرسال. ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دالة على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته. ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في كيفية تعلقها بالأبدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت، وإمساكها باقية لا تفنى بفنائها، وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة في توفيها عن ظواهرها، وإرسالها حيناً بعد حين إلى توفي آجالها.

﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟﴾ بل اتخذ قريش. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ تشفع لهم عند الله. ﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم؟! ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ لعله ردّ لما عسى يجيبون به؛ وهو أن الشفعاء أشخاص مقربون هي تماثيلهم، والمعنى: أنه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع أحد

۞ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

شفاعة إلا بإذنه ورضاه، ولا يستقل بها، ثم قرر ذلك فقال: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فإنه مالك الملك كله، لا يملك أحد أن يتكلم في أمره دون إذنه ورضاه. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة فيكون الملك له أيضاً حينئذ.

﴿٤٥﴾ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾ دون آلهتهم. ﴿ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ انقبضت ونفرت. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾؛ يعني: الأوثان. ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله، ولقد بالغ في الأمرين حتى بلغ الغاية فيهما، فإن الاستبشار أن يمتلئ قلبه سروراً حتى تنبسط له بشرة وجهه، والاشمئزاز أن يمتلئ غماً حتى ينقبض أديم وجهه، والعامل في (إذا ذكر) العامل في (إذا) المفاجأة.

﴿٤٦﴾ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ التجئ إلى الله بالدعاء لما تحيرت في أمرهم، وضجرت من عنادهم وشدة شكيمتهم، فإنه القادر على الأشياء والعالم بالأحوال كلها. ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فأنت وحدك تقدر أن تحكم بيني وبينهم.

[والعامل في إذا]؛ أي: من ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ﴾ [الزمر: ٤٥] و﴿إِذَا هُمْ﴾ [المفاجأة] تحريره بزيادة ليوافق ما عليه الأكثر من أن «إذا» الأولى شرط لما يستقبل خافض لشرطه منصوب بجوابه، أن العامل في «إذا» في الموضعين معنى: المفاجأة المفاد بالثانية، إذ الأولى: شرطية ظرفية، والثانية: فجائية مفعول به، والمعنى: فاجأووا في وقت الذكر(١).

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٥/٢٥١].

۞ ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿٤٧﴾ - ﴿٤٨﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ﴾ وعيد شديد، وإقناط كلي لهم من الخلاص. ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ زيادة مبالغة فيه، وهو نظير قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم﴾ [السجدة: ١٧] في الوعد. ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ سيئات أعمالهم أو كسبهم حين تعرض صحائفهم. ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وأحاط بهم جزاؤه.

﴿٤٩﴾ - ﴿٥٠﴾ ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾ إخبار عن الجنس بما يغلب فيه، والعطف على قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾ [الزمر: ٤٥] بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب بمعنى: أنهم يشمئزون عن ذكر الله وحده، ويستبشرون بذكر الآلهة، فإذا مسهم ضرّ دَعَوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره. وما بينهما اعتراض مؤكد لإنكار ذلك عليهم. ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا﴾ أعطيناه إياه تفضلاً؛ فإن التخويل مختص به. ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ﴾ مني بوجوه كسبه، أو بأني سأعطاه لما لي من استحقاقه، أو من الله بي واستحقاقي، والهاء فيه لما إن جعلت موصولة، وإلا فللنعمة والتذكير لأن المراد شيء منها. ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ امتحان له أيشكر أم يكفر، وهو رد لما قاله، وتأنيث الضمير باعتبار الخبر أو لفظ (النِعْمَةُ)، وقرئ بالتذكير. ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، وهو دليل على أن (الإِنسان) للجنس. ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ

[وهو دليل على أن الإنسان للجنس]؛ أي: على أن اللام فيه للجنس

۞ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوٓاْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

مِن قَبْلِهِمْ﴾ الهاء لقوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۚ﴾ لأنها كلمة أو جملة، وقرئ بالتذكير ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ قارون وقومه فإنه قال ورضي به قومه. ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ من متاع الدنيا.

﴿٥١﴾ ـ ﴿٥٢﴾ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوٓاْۚ﴾ جزاء سيئات أعمالهم أو جزاء أعمالهم، وسماه سيئة لأنه في مقابلة أعمالهم السيئة رمزاً إلى أن جميع أعمالهم كذلك. ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بالعتو. ﴿مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المشركين و(مِنْ) للبيان أو للتبعيض. ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ كما أصاب أولئك، وقد أصابهم؛ فإنهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم. ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين. ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ﴾ حيث حبس عنهم الرزق سبعاً ثم بسط لهم سبعاً. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بأن الحوادث كلها من الله بوسط أو غيره.

﴿٥٣﴾ ـ ﴿٥٤﴾ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي، وإضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن. ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ لا تيأسوا من مغفرته أولاً وتفضله ثانياً. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ عفواً ولو بَعْد بُعْدٍ، وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر،

[وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر] رُدَّ به على الزمخشري[1] حيث قيد بذلك

(١) الكشاف، الزمخشري [١٣٨/٤].

ويدل على إطلاقه فيما عدا الشرك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] الآية، والتعليل بقوله: ﴿هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ على المبالغة وإفادة الحصر، والوعد بالرحمة بعد المغفرة، وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في (عِبادِيَ) من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم، وتخصيص ضرر الإسراف بأنفسهم، والنهي عن القنوط مطلقاً عن الرحمة؛ فضلاً عن المغفرة وإطلاقها، وتعليله بأن الله يغفر الذنوب جميعاً. ووضع الاسم الظاهر موضع الضمير؛ لدلالته على أنه المستغني والمنعم على الإطلاق والتأكيد بالجميع.

وما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**ما أحب أن تكون لي الدنيا وما فيها بها! فقال رجل: يا رسول الله! ومن أشرك؟ فسكت ساعة ثم قال: ألا ومن أشرك ـ ثلاث مرات ـ**». وما روي: أن أهل مكة قالوا: يزعم محمد أن من عبد الوثن، وقتل النفس بغير حق لم يغفر له؛ فكيف ولم نهاجر، وقد عبدنا الأوثان، وقتلنا النفس؟! فنزلت. وقيل: في عياش والوليد بن الوليد في جماعة فتنوا فافتتنوا، أو في الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ فإنها لا تدل على حصول المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق

[**والتعليل**] بالرفع عطفاً على فاعل «يدل» [**وإفادة الحصر، والوعد بالرحمة**] بالجر فيهما عطفاً على «المبالغة» [**وتقديم**] بالرفع عطفاً، على فاعل «يدل» [**وتخصيص ضرر الإسراف**] بالجر عطفاً على «الترحم» [**والنهي عن القنوط**] مع تالياته عطف على فاعل «يدل» [«**ما أحب أن تكون لي الدنيا وما فيها بها..**»] إلى آخره، رواه الطبراني[1]، والبيهقي[2]، وقوله: «بها»؛ أي: بهذه الآية [**لا ينفي عمومها**] خبر ما روي [**فإنها**]؛ أي: الآية: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ﴾ [الزمر: ٥٣].

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني [٩/ ١٣٢/ برقم: ٨٦٥٨].

(٢) شعب الإيمان، البيهقي [٥/ ٤٢٣/ برقم: ٧١٣٧].

۞ ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

تعذيب لتغني عن التوبة والإخلاص في العمل، وتنافي الوعيد بالتعذيب.

﴿٥٥﴾ - ﴿٥٦﴾ ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ القرآن أو المأمور به دون المنهي عنه، أو العزائم دون الرخص، أو الناسخ دون المنسوخ، ولعله ما هو أنجى وأسلم كالإنابة والمواظبة على الطاعة. ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ بمجيئه فتتداركوا. ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ كراهة أن تقول نفس، وتنكير (نَفْسٌ) لأن القائل بعض الأنفس، أو للتكثير كقول الأعشى:

وَرُبَّ بَقِيعٍ لَوْ هَتَفْتُ بِجَوِّهِ أَتَانِي كَرِيمٌ يَنْفُضُ الرَّأْسَ مُغْضَبا

﴿يَا حَسْرَتَىٰ﴾ وقرئ بالياء على الأصل. ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾ بما قصّرت. ﴿فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ في جانبه؛ أي: في حقه؛ وهو طاعته. قال سابق البربري:

أَمَا تَتَّقِينَ الله فِي جَنْبِ وَامِقٍ لَهُ كَبِدٌ حَرّى عَلَيْكِ تَقَطَّعُ

[كقول الأعشى:

ورُبّ بقيع................................ ....]

هو موضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى [**لوْ هَتفتَ بجوّهِ**] هو ما بين السماء والأرض [**أتانِي كَريمُ يَنفضُ الرّأسَ مُغضباً**] قبله:

دعا قومَهُ حولي فجاؤوا لنصرِهِ وناديتُ قوماً بالمسنَّاةِ غُيَّباً[(١)]

وكريمُ بمعنى: كرام كثيرون، فالتنكير فيه للتكثير، ينفض الرأس يحركه غضباً يشكوا قومه حين قعدوا عن نصره [**في جَنْبِ وَامِقٍ**]؛ أي: محب من المقة، وهي من

---

(١) ديوان الأعشى [ص٢].

۞ ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

وهو كناية فيها مبالغة كقوله شعر:

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالمُرُوءَةَ وَالنَّدَى فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الحَشْرَجِ

وقيل: ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل: في قربه؛ من قوله: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦] وقرئ: (في ذكر الله). ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ المستهزئين بأهله، ومحل (إِنْ كُنْتُ) نصب على الحال كأنه قال: فرطت وأنا ساخر.

﴿٥٧﴾ - ﴿٥٩﴾ ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ بالإرشاد إلى الحق. ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الشرك والمعاصي. ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في العقيدة والعمل، و(أو) للدلالة على أنها لا تخلوا من هذه الأقوال تحيراً وتعللاً بما لا طائل تحته. ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ردٌّ من الله عليه لما تضمنه قوله: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ من معنى النفي، وفصله عنه؛ لأن تقديمه يفرق القرائن، وتأخير المودودِ يخلُّ بالنظم المطابق للوجود؛ لأنه يتحسر بالتفريط، ثم يتعلل بفقد الهداية، ثم يتمنى الرجعة، وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى فعل العبد ولا ما فيه من إسناد الفعل إليه كما عرفت، وتذكير الخطاب على المعنى، وقرئ بالتأنيث للنفس.

المحبة [وهو كناية فيها]؛ أي: في الآية. قال في «الكشاف»[1]: لأنك إذا أُثبت الأمر في مكان الرجل، فقد أثبته فيه، ومنه قول الناس: «لمكانك فعلت كذا»؛ أي: «لأجلك» [وقيل: في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة]؛ أي: سواء ذكر الجَنْبَ أم

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/١٣٩].

۞ ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١) اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣)﴾.

---

(٦٠) ـ (٦١) ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ بأن وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد. ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ بما ينالهم من الشدة، أو بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل، والجملة حال؛ إذ الظاهر أن (ترى) من رؤية البصر، واكتفى فيها بالضمير عن الواو. ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مقام. ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الإيمان والطاعة، وهو تقرير لأنهم يرون كذلك. ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ وقرئ: (وَيُنْجِي). ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ بفلاحهم مفعلة من: (الفوز)، وتفسيرها بالنجاة تخصيصها بأهم أقسامه، وبالسعادة والعمل الصالح إطلاق لها على السبب، وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقاً له بالمضاف إليه، والباء فيها للسببية صلة لـ(ينجي) أو لقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهو حال، أو استئناف لبيان المفازة.

(٦٢) ـ (٦٣) ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من خير وشر وإيمان وكفر. ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ يتولى التصرف. ﴿لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا

لا. قال في «الكشاف»(١): لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذُكر الجَنْب أم لم يذكر، والمعنى: فرطت في طاعة الله، وعبادة الله [والجملة حال]؛ أي: جملة ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

[بأهم أقسامه] الأولى بأهم أقسامها أي: المفازة [وبالسعادة والعمل الصالح] عطف على «بالنجاة» [تطبيقاً له]؛ أي: للجمع [بالمضاف إليه]؛ أي: في جمعه

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ١٤٠].

يملك أمرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره، وهو كناية عن قدرته وحفظه لها، وفيها مزيد دلالة على الاختصاص؛ لأن الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها إلا من بيده مفاتيحها، وهو جمع (مقليد) أو (مقلاد) من: (قلدته) إذا ألزمته، وقيل: جمع (إقليد) معرب (إكليد) على الشذوذ كـ(مذاكير).

وعن عثمان رضي الله عنه: أنه سأل النبي ﷺ عن المقاليد فقال: «**تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، وأستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير**». والمعنى على هذا: أن لله هذه الكلمات يوحَّد بها ويمَجَّد، وهي مفاتيح خير السمٰوات والأرض من تكلم بها أصابه. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ متصل بقوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [الزمر: ٦١] وما بينهما اعتراض؛ للدلالة على أنه مهيمن على العباد، مطلع على أفعالهم، مُجَازٍ عليها. وتغيير النظم للإشعار بأن العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله، وفي هلاك الكافرين أن خسروا أنفسهم، وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم أو بما يليه، والمراد بـ(آيات الله) دلائل قدرته واستبداده بأمر السمٰوات والأرض، أو كلمات توحيده وتمجيده، وتخصيص الخسار بهم؛ لأن غيرهم ذو حظ من الرحمة والثواب.

[**وعن عثمان**: «**أنه سأل النبي ﷺ عن المقاليد..**»] إلى آخره، رواه الطبراني، وغيره بسند ضعيف، وابن الجوزي في الموضوعات(١) [**قضية الكرم**] بالنصب تعليل للتصريح والتعريض، بما ذكره [**أو بما يليه**] عطف على «بقوله»: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦١]، أو متصلاً بما يلي قوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ﴾، وهو ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] [**أو كلمات توحيده**] عطف على «دلائل قدرته واستبداده».

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٢٠٧/ برقم: ١١٢١].

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿٦٤﴾ - ﴿٦٥﴾ ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾؛ أي: أفغير الله أعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد، (وتَأْمُرُونِّي) اعتراض للدلالة على أنهم أمروه به عقيب ذلك وقالوا: استلم بعض آلهتنا ونؤمن بإلٰهك لفرط غباوتهم، ويجوز أن ينتصب (غير) بما دل عليه (تَأْمُرُونّى أَنْ أَعْبُدَ) لأنه بمعنى: تعبدونني؛ على أن أصله: (تأمرونني أن أعبد) فحذف (أن) ورفع اعبد كقوله: (أحضر الوغى) ويؤيده قراءة: (أَعْبُدَ) بالنصب، وقرأ ابن عامر: (تأمرونني) بإظهار النونين على الأصل، ونافع بحذف الثانية فإنها تحذف كثيراً. ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾؛ أي: من الرسل. ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل وإقناط الكفرة والإشعار على حكم الأمة، وإفراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الأولى موطئة للقسم، والأخريان للجواب، وإطلاق الإحباط يحتمل أن يكون من خصائصهم لأن شركهم أقبح، وأن يكون على التقييد بالموت كما صرح به في قوله: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧] وعطف (الخسران) عليه من عطف المسبب على السبب.

[عقيب ذلك]؛ أي: عقب وجود تلك الدلائل والمواعيد؛ [لأنه بمعنى: تُعبّدُونني] بضم التاء، وتشديد الموحدة، بمعنى: تجعلونني عابداً لبعض آلهتكم[(١)] [والإشعار]؛ أي: التنبيه [على حكم أمته]؛ أي: بأن من أشرك منهم حبط عمله،

(١) اللباب، ابن عادل [١٦/ ٥٣٩].

۞ ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿٦٦﴾ - ﴿٦٧﴾ ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ ردّ لما أمروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك. ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ إنعامه عليك، وفيه إشارة إلى موجب الاختصاص. ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ ما قدروا عظمته في أنفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شركاء، ووصفوه بما لا يليق به، وقرئ بالتشديد. ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ تنبيه على عظمته وكمال قدرته، وحقارة الأفعال العظام التي تتحير فيها الأوهام بالإضافة إلى قدرته، ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازاً كقولهم: شابت لمة الليل، و(القبضة): المرّة من القبض أطلقت بمعنى القبضة، وهي المقدار المقبوض بالكف؛ تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة. وقرئ بالنصب على الظرف تشبيهاً للمؤقت بالمبهم، وتأكيد (الْأَرْضُ) بالجميع لأن المراد بها الأرضون السبع، أو جميع أبعاضها البادية والغائرة. وقرئ (مَطْوِيّاتٍ) على أنها حال و(السَّماواتُ) معطوفة على (الْأَرْضُ) منظومة في حكمها. ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ ما أبعد وأعلى مَنْ هذه قدرته وعظمته عن إشراكهم، أو ما يضاف إليه من الشركاء.

﴿٦٨﴾ ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾؛ يعني: المرة الأولى. ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ خرَّ ميتاً أو مغشياً عليه. ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ﴾ قيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل؛ فإنهم يموتون بعد،

وكان من الخاسرين [لم يكن]؛ أي: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ [الزمر: ٦٦] [كذلك]؛ أي: رداً

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

وقيل: حملة العرش. ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ نفخة أُخرَى، وهي تدل على أن المراد بالأول ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣] كما صرح به في مواضع، و(أُخْرَى) يحتمل الرفع والنصب. ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾ قائمون من قبورهم أو متوقفون، وقرئ بالنصب على أن الخبر: ﴿يَنظُرُونَ﴾ وهو حال من ضميره، والمعنى: يقلبون أبصارهم في الجوانب كالمبهوتين، أو ينتظرون ما يفعل بهم.

﴿٦٩﴾ - ﴿٧٠﴾ ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ بما أقام فيها من العدل، سماه (نور) لأنه يزين البقاع ويظهر الحقوق؛ كما سمى الظلم ظلمة. وفي الحديث: «**الظلم ظلمات يوم القيامة**». ولذلك أضافها اسمه إلى (الْأَرْضُ) أو بنور خلق فيها بلا واسطة أجسام مضيئة؛ ولذلك أضافه إلى نفسه. ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه، أو صحائف الأعمال في أيدي العمال، واكتفى باسم الجنس عن الجمع. وقيل: اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف. ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ الذين

لذلك [**أو متوقفون**]؛ أي: جامدون في مكانهم [**سماه**]؛ أي: ما قام فيها من العدل[١] [**وأُخرَى يحتمل الرفع والنصب**] أما الرفع فعلى تقدير أنها صفة لمصدر محذوف قائم مقام الفعل؛ أي: نفحة أُخرَى، وأما النصب فعلى[٢] جعل نائب الفاعل فيه الظرف فيكون أُخرَى منصوب فيه[٣] للمحذوف منوباً مفعولاً مطلقاً [**وهو**]؛ أي: قياماً [**حال من ضميره**]؛ أي: من ضمير ﴿يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

[«**الظلم ظلمات يوم القيامة**»] رواه الشيخان[٤] [**أو بنور**] **عطف على** «**بما أقام**

---

(١) عبارة (سماه؛ أي: ما قام فيها من العدل) من نسخة [ز ـ ج] ساقطة من نسخة [ب ـ والأصل].
(٢) في نسخة [ز] زيادة: (جواب). (٣) في [ج ـ ب]: (صفة).
(٤) صحيح البخاري [٢/ ٨٦٤/ برقم: ٢٣١٥]، صحيح مسلم [٤/ ١٩٩٦/ برقم: ٢٥٧٨].

۞ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾.

يشهدون للأمم وعليهم؛ من الملائكة والمؤمنين، وقيل: المستشهدون. ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم﴾ بين العباد ﴿بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ بنقص ثواب، أو زيادة عقاب على ما جرى به الوعد. ﴿وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ﴾ جزاءه. ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ فلا يفوته شيء من أفعالهم، ثم فصّل التوفية فقال:

٧١ - ٧٢ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ أفواجاً متفرقة بعضها في أثر بعض، على تفاوت أقدامهم في الضلالة والشرارة، جمع زمرة واشتقاقها من: (الزّمر) وهو: الصوت؛ إذ الجماعة لا تخلو عنه، أو من قولهم: (شاة زمرة): قليلة الشعر، و(رجل زمر): قليل المروءة. وهي الجمع القليل ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ ليدخلوها و(حتّى) وهي التي تحكى بعدها الجملة، وقرأ الكوفيون (فُتِحَتْ) بتخفيف التاء. ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾ تقريعاً وتوبيخاً. ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ من جنسكم. ﴿يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ وقتكم هذا؛ وهو وقت دخولهم النار، وفيه دليل على أنه لا تكليف قبل الشرع من حيث إنهم عللوا توبيخهم

فيها» [وقيل: المستشهدون] مقابل للشهداء للأمم وعليهم، وأوضح منه قول «الكشاف»: والشهداء الذين يشهدون للأمم وعليهم من الحفظة والأخيار، وقيل: المستشهدون في سبيل الله[1] [وهي]؛ أي: الزمر [**الجمع القليل**]؛ أي: لا الكثير [وهو]؛ أي: كلمة العذاب لكنه ذكر ضميرها باعتبار الخبر، وكذا قوله: «هو» في قوله بعد: «وقيل هو قوله: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [هود: ١١٩]».

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/١٤٩].

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

بإتيان الرسل وتبليغ الكتب. ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ كلمة الله بالعذاب علينا؛ وهو الحكم عليهم بالشقاوة، وأنهم من أهل النار. ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة، وقيل: هو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

﴿٧٢﴾ ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أبهم القائل لتهويل ما يقال لهم. ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (اللام) فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره، ولا ينافي إشعاره بأن مثواهم في النار لتكبرهم عن الحق أن يكون دخولهم فيها لأن كلمة العذاب حقت عليهم؛ فإن تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله تعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة؛ حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخل الجنة. وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار؛ حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار، فيدخل به النار**».

﴿٧٣﴾ - ﴿٧٤﴾ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾ إسراعاً بهم إلى دار الكرامة، وقيل: سيق مراكبهم؛ إذ لا يذهب بهم إلا راكبين. ﴿زُمَرًا﴾ على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ حذف جواب (إذا) للدلالة على أن لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف، وأن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم غير منتظرين، وقرأ الكوفيون (فُتِحَتْ) بالتخفيف. ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ لا يعتريكم بعد مكروه. ﴿طِبْتُمْ﴾ طهرتم من دنس المعاصي. ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ مقدرين الخلود فيها، و(الفاء) للدلالة على أن (طيبهم) سبب لدخولهم وخلودهم،

[سبق ذكره]؛ أي: وهو جهنم [مسببه عنه]؛ أي: عن كون كلمة العذاب حقت

۝ ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لأنه مطهره. ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ بالبعث والثواب. ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة، وإيراثها تمليكها مخلفة عليهم من أعمالهم، أو تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه. ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾؛ أي: يتبوأ كل منا في أي مقام أراده من جنته الواسعة؛ مع أن في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها. ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ الجنة.

﴿٧٥﴾ ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ محدقين. ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾؛ أي: حوله و(مِنْ) مزيدة أو لابتداء الحفوف. ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ملتبسين بحمده. والجملة حال ثانية أو مقيدة للأولى، والمعنى: ذاكرين له بوصفَي جلاله وإكرامه تلذذاً به، وفيه إشعار بأن منتهى درجات العليين وأعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بين الخلق بإدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة، أو بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم. ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: على ما قضي بيننا بالحق. والقائلون هم المؤمنون من المقضي بينهم، أو الملائكة وطي ذكرهم لِتَعَيُّنِهِم وتعظيمهم.

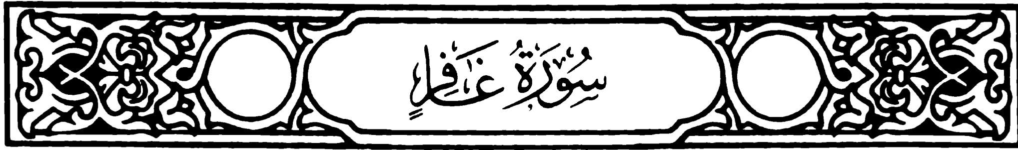
عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (الزمر) لم يقطع رجاءه يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين**». وعن عائشة رضي الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام: كان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر. والله أعلم.

عليهم. [«من قرأ سورة الزمر...»] إلى آخره، موضوع(١) [**وعنه عليه السلام: «أنه كان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر»**] رواه الترمذي(٢)، وغيره.

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٢١٠/برقم: ١١٢٥].

(٢) سنن الترمذي [٥/ ١٨١/برقم: ٢٩٢٠].



(٤٠) مكية، وآيها ثمانون وخمس آيات

۞ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٢) ﴿حمٓ﴾ أماله ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر صريحاً، ونافع برواية ورش وأبو عمرو بين بين، وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين، أو النصب بإضمار (اقرأ) ومنع صرفه للتعريف والتأنيث، أو لأنها على زنة أعجمي كـ(قابيل) و(هابيل). ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الإعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة، والحكمة البالغة.

(٣) ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ صفات أُخرى لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب، والحث على ما هو المقصود منه، والإضافة فيها حقيقة على أنه لم يرد بها زمان مخصوص، وأريد بـ(شَدِيدِ الْعِقَابِ) مشدده، أو الشديد عقابه؛ فحذف (اللام) للازدواج وأمن الالتباس،

وتسمى: سورة غافر [إمالة بن عامر]؛ أي: من رواية ابن ذكوان [صريحاً]؛ أي: إمالة محضة [وأريد بـ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ مشدده..] إلى آخره، جواب ما يقال: أن شديداً صفة مشبهة، فإضافته غير محضة بكل حال، بخلاف اسم الفاعل إذا لم يرد به الحال والاستقبال كـ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣] فإن إضافته محضة تفيد التعريف [فحذف اللام]؛ أي: من قوله: الشديد عقابه [للازدواج]؛ أي: ليشاكل ما قبله وما بعده لفظاً [وأمن الإلباس]؛ أي: بأن يكون صفة لغيره تعالى.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤﴾.

أو إبدال؛ وجعله وحده بدلاً مشوش للنظم، وتوسيط الواو بين الأولين لإفادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة، أو تغاير الوصفين إذ ربما يتوهم الاتحاد، أو تغاير موقع الفعلين؛ لأن (الغفر) هو (الستر) فيكون لذنب باقياً، وذلك لمن لم يتب فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له. و(التوب) مصدر كـ(التوبة) وقيل: جمعها و(الطَول): الفضل بترك العقاب المستحق، وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة؛ دليل رجحانها. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ فيجب الإقبال الكلي على عبادته. ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ فيجازي المطيع والعاصي.

٤ ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لما حقق أمر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وإدحاض الحق قوله: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ [غافر: ٥] وأما الجدال فيه لحل عقده، واستنباط حقائقه وقطع تشبث أهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن أعظم الطاعات، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**إن جدالاً في القرآن كفر**» بالتنكير مع أنه ليس جدالاً فيه على الحقيقة. ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ فلا يغررك

[وأبدال] بفتح الهمزة عطف على «صفات» [**وجعله وحده**]؛ أي: جعل شديد العقاب [**بدلاً مشوش للنظم**] رد به كـ«الكشاف» على الزجاج القائل بذلك [**فإن التائب..**] إلى آخره، أشار به إلى خبر ابن ماجه، وغيره: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»(١) [**وفي توحيد صفة العذاب**] وهي شديد العقاب [**مغمورة**]؛ أي: حيث ذكرها في أثناء صفات الرحمة، دليل [**رجحانها**]؛ أي: الرحمة.

[«**إن جدالاً في القرآن كفر**»] رواه البيهقي(٢)، وغيره [**بالتنكير**]؛ أي: بتنكير

---

(١) سنن ابن ماجه [٢/١٤١٩/ برقم: ٤٢٥٠].

(٢) شعب الإيمان، البيهقي [٢/٤١٦/ برقم: ٢٢٥٥].

۞ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾.

إمهالهم، وإقبالهم في دنياهم، وتقلبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة؛ فإنهم مأخوذون عما قريب بكفرهم أخذ من قبلهم كما قال:

﴿٥﴾ ـ ﴿٦﴾ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود. ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ من هؤلاء. ﴿بِرَسُولِهِمْ﴾ وقرئ: (برسولها). ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ ليتمكنوا من إصابته بما أرادوا من تعذيب وقتل؛ من (الأخذ) بمعنى: الأسر. ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بما لا حقيقة له. ﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ ليزيلوه به. ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بالإهلاك جزاء لهم. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ فإنكم تمرون على ديارهم وترون أثره. وهو تقرير فيه تعجيب. ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وعيده أو قضاؤه بالعذاب ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ لكفرهم ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ بدل من (كلمةَ ربِّكَ) بدل الكل أو الاشتمال؛ على إرادة اللفظ أو المعنى.

﴿٧﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ الكروبيون أعلى طبقات

«جدال» [ليتمكنوا من إصابته بما أرادوا من تعذيب وقيل: من الأخذ بمعنى: الأسر] أشار به إلى قول «الكشاف»[1]: ليتمكنوا منه، ومن الإيقاع به وإهانته بما أرادوه من تعذيب، أو قتل ويقال: للأسيرِ: أَخِيذٌ [﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٦] بدل من كلمة ربك..] إلى آخره، عبارة «الكشاف»: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ في محل الرفع بدل من ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾؛ أي: مثل ذلك الوجوب، وجب على الكفرة

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ١٥٥].

الملائكة، وأولهم وجوداً، وحملهم إياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له، أو كناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ أمره. ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والإكرام، وجعل التسبيح أصلاً، والحمد حالاً؛ لأن الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح. ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أخبر عنهم بالإيمان إظهاراً لفضله، وتعظيماً لأهله ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وإشعاراً بأن حملة العرش وسكان الفرش في معرفته سواء؛ رداً على المجسمة. واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة، وإلهامهم ما

كونهم من أصحاب النار، ومعناه: كما وجب إهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل، كذلك وجب إهلاكهم بعذاب النار في الآخرة، أو في محل النصب بحذف لام التعليل، وإيصال الفعل[1]، وقوله: على إرادة اللفظ والمعنى فيه لف ونشر مرتب.

[في معرفة]؛ أي: معرفة ربهم [رداً على المجسمة] إيضاحه قول «الكشاف»: «وله فائدة أُخْرَى وهي التنبيه على أن الأمر كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين، ولما وصفوا بالإيمان؛ لأنه إنما يوصف به الغائب، فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علمَ أن إيمانهم، وإيمان من في الأرض، وكل من غاب عن ذلك المقام سواء ـ في أن إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير، وأنه لا طريق إلى معرفته إلا هذا، وأنه منزه عن صفات الأجرام ـ»[2]. انتهى. لكن قوله: إنما يوصف بالإيمان الغائب، قال فيه التفتازاني: إن أريد بحسب العرف وبالنظر إلى أنه إنما يكون فيما من شأنه احتمال الإنكار فله وجه، وأما بحسب اللغة فليس الإيمان إلا إذعاناً وقبولاً للحكم والنسبة وعدم إباء واستكباراً سواء كان معايناً، أو غائباً، ولهذا قسموا التصديق إلى الضروري والنظري[3]، وليس هو إلا بمعناه اللغوي.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ١٥٥]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٤/ ١٥٦].
(٣) انظر: شرح الكوكب المنير، تقي الدين أبو البقاء الفتوحي [١/ ٥٩].

۞ ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.

يوجب المغفرة، وفيه تنبيه على أن المشاركة في الإيمان توجب النصح والشفقة وإن تخالفت الأجناس؛ لأنه أقوى المناسبات كما قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. ﴿رَبَّنَا﴾؛ أي: يقولون: (رَبَّنا)، وهو بيان لـ(يَسْتَغْفِرُونَ) أو حال. ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾؛ أي: وسعت رحمتك وعلمك فأزيل عن أصله للإغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومها، وتقديم الرحمة لأنها المقصودة بالذات ههنا. ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق. ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ واحفظهم عنه، وهو تصريح بعد إشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب.

﴿٨﴾ - ﴿٩﴾ ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ إياها. ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ عطف على (هم) الأول؛ أي: أدخلهم ومعهم هؤلاء ليتم سرورهم، أو الثاني: لبيان عموم الوعد، وقرئ: (جنة عدن) و(صَلُحَ) بالضم و(ذريتهم) بالتوحيد. ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يمتنع عليه مقدور. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه حكمته، ومن ذلك الوفاء بالوعد. ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ العقوبات أو جزاء السيئات، وهو تعميم بعد تخصيص، أو مخصوص بـ(من صَلَحَ)، أو المعاصي في الدنيا لقوله: ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾؛ أي: ومن يقها في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كأنهم طلبوا السبب بعد ما سألوا المسبب. ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾؛ يعني: الرحمة أو الوقاية أو مجموعهما.

[كأنهم طلبوا السبب]؛ أي: وهو وقايتهم السيئات [بعدما سألوا المسبب]؛

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾.

﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ﴾ يوم القيامة فيقال لهم: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: لمقت الله إياكم أكبر من مقتكم أنفسكم الأَمَّارَةِ بالسوء. ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ ظرف لفعل دل عليه المقت الأول لا له؛ لأنه أخبر عنه، ولا للثاني لأن مقتهم أنفسهم يوم القيامة حين عاينوا جزاء أعمالهم الخبيثة إلا أن يؤول بنحو: بالصَّيْفِ ضيّعْتِ اللَّبَن.

أي: وهو إدخالهم الجنات **[دل عليه المقت الأول]** إذ التقدير: كما في «الكشاف»: كان الله يمقت أنفسكم الأمارة بالسوء والكفر، حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فتأبون قبوله، وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتون اليوم، وأنتم في النار، إذا وقعتم فيها باتباعكم هواهن[1] **[لا له]**؛ أي: لا للمقت الأول؛ **[لأنه أخبر عنه]**؛ أي: لأنه فصل بينهما بالخبر، والفصل مانع من العمل هذا، وبعضهم جوز ذلك؛ لأن الظرف يتوسع فيه ما لا يتوسع في غيره، وقد يرد بأن ذلك محله في العامل القوي، وهو هنا ضعيف؛ لأنه مصدر.

[لأن مقتهم أنفسهم يوم القيامة]؛ أي: ودعاؤهم للإيمان كان في الدنيا **[إلّا أن يؤول بنحو «بالصيف ضيعت اللبن»]**؛ أي: في أن ذكر ذلك مثل في التفريط فلا يضره اختلاف الوقت، وقصة هذا المثل أن قائله وهو عمرو بن عمرو بن عدس التميمي كان تحته امرأة، وكان ذا مال كثير، إلا أنه كان كبير السن، فبغضته فلم تزل تسأله الطلاق حتى فعل، وتزوجت ابن عمها وكان شاباً، إلا أنه معدم، فمرت إبل عمرو ذات يوم، فقالت: لخادمتها انطلقي فقولي له: يسقينا من اللبن، فأبلغته فقال: في الصيف ضيعت اللبن، يعني: إن سؤالك إياي الطلاق كان في الصيف

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/١٥٨].

۞ ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾.

أو تعليل للحكم وزمان المَقْتَين واحد. ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ إماتتين بأن خلقتنا أمواتا أوّلاً، ثم صيرتنا أمواتاً عند انقضاء آجالنا، فإن الإماتة جعل الشيء عادم الحياة ابتداء، أو بتصيير كالتصغير والتكبير، ولذلك قيل: سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل. وإن خص بالتصيير فاختيار الفاعل المختار أحد مفعوليه تصيير وصرف له عن الآخر. ﴿وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ الإحياءة الأولى وإحياءة البعث. وقيل: الإماتة الأولى عند انخرام الأجل، والثانية في القبر بعد الإحياء للسؤال والإحياءان ما في القبر والبعث، إذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله: ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾ فإن اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وإنكارهم البعث. ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ﴾ نوع خروج من النار. ﴿مِّن سَبِيلٖ﴾ طريق فنسلكه؛ وذلك إنما يقولونه من فرط قنوطهم تعللاً وتحيّراً ولذلك أجيبوا بقوله:

﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾ ﴿ذَٰلِكُم﴾ الذي أنتم فيه ﴿بِأَنَّهُۥٓ﴾ بسبب أنه ﴿إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ﴾ متحداً، أو توحد وحده فحذف الفعل وأقيم مقامه في الحالية. ﴿كَفَرۡتُمۡ﴾ بالتوحيد. ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ﴾ بالإشراك. ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ﴾ المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد. ﴿ٱلۡعَلِيِّ﴾ عن أن يشرك به ويسوّى بغيره. ﴿ٱلۡكَبِيرِ﴾ على من أشرك وسوّى به بعض مخلوقاته في استحقاقه العبادة ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الدالة على التوحيد، وسائر

فيومئذٍ ضيعت اللبن بالطلاق[1] [أو تعليل للحكم] لا ظرف له [وزمان المقتين واحد]

(١) جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري [ص١٣٥].

۞ ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾.

ما يجب أن يعلم تكميلاً لنفوسكم. ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾ أسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم. ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ بالآيات التي هي كالمركوزة في العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك في التقليد واتباع الهوى. ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ يرجع عن الإنكار بالإقبال عليها والتفكر فيها، فإن الجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه.

﴿١٤﴾ ـ ﴿١٥﴾ ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك. ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ إخلاصكم وشق عليهم. ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ خبران آخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده في الألوهية، فإن من ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي هو أصل العالم الجسماني في قبضة قدرته لا يصح أن يشرك به، وقيل: الدرجات مراتب المخلوقات أو مصاعد الملائكة إلى العرش أو السمٰوات أو درجات الثواب. وقرئ: (رَفِيعَ) بالنصب على المدح. ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ خبر رابع للدلالة على أن الروحانيات أيضاً مسخرات لأمره بإظهار آثارها وهو الوحي، وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد، والروح الوحي؛ ومن أمْرِهِ بيانه لأنه أمر بالخير أو مبدؤه، والآمر هو الملك المبلغ. ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ يختاره للنبوة، وفيه دليل على أنها عطائية. ﴿لِيُنذِرَ﴾ غاية الإلقاء؛ والمستكن فيه لله تعالى، أو لـ(مِنْ) أو للروح، و(اللام) مع القرب تؤيد الثاني. ﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ يوم القيامة؛ فإن فيه تتلاقى الأرواح والأجساد وأهل السماء والأرض، أو المعبودون والعباد، أو الأعمال والعمال.

وهو الآخرة [خبران آخران]؛ أي: لـ«هو» [خبر رابع]؛ أي: لـ«هو».

۞ ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾.

﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾ ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾ خارجون من قبورهم، أو ظاهرون لا يسترهم شيء، أو ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الأبدان، أو أعمالهم وسرائرهم. ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ﴾ من أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم، وهو تقرير لقوله: ﴿هُم بَٰرِزُونَۖ﴾ وإزاحة لنحو ما يتوهم في الدنيا. ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم؟ ولما يجاب به، أو لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الأسباب وارتفاع الوسائط، وأما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائماً. ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۚ﴾ كأنه نتيجة لما سبق، وتحقيقه أن النفوس تكتسب بالعقائد والأعمال هيئات توجب لذتها وألمها؛ لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوائق تشغلها، فإذا قامت قيامتها زالت العوائق وأدركت لذتها وألمها. ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ﴾ بنقص الثواب وزيادة العقاب. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ إذ لا يشغله شأن عن شأن فيصل إليهم ما يستحقونه سريعاً.

﴿١٨﴾ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ﴾؛ أي: القيامة؛ سميت بها لأزوفها؛ أي: قربها، أو الخطة الآزِفَةِ؛ وهي مشارفتهم النار وقيل: الموت. ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ فإنها ترتفع عن أماكنها فتلصق بحلوقهم؛ فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا. ﴿كَٰظِمِينَۚ﴾ على الغم؛ حال من أصحاب القلوب

[وإزاحة لنحو ما يتوهم في الدنيا] من توهم أنه تعالى يخفى عليه شأن من يستتر فيها، فإنهم كانوا يتوهمون فيها إذا استتروا بالحيطان والحجب أن الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم.

[أو الخطة الآزفة] عطف على «القيامة»، وهي بضم المعجمة: الخطب العظيم

۞ ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾.

على المعنى لأنه على الإضافة، أو منها، أو من ضميرها في (لدى)، وجمعه كذلك لأن الكظم من أفعال العقلاء كقوله: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]. أو من مفعول (أَنْذِرْهُمْ) على أنه حال مقدرة. ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ قريب مشفق. ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ ولا شفيع مشفع، والضمائر إن كانت للكفار ـ وهو الظاهر ـ كان وضع (الظالمين) موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم، وأنه لظلمهم.

﴿١٩﴾ ـ ﴿٢٠﴾ ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ النظرة الخائنة كالنظرة الثانية إلى المحرم واستراق النظر إليه، أو خيانة الأعين. ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ من الضمائر، والجملة خبر خامس للدلالة على أنه ما من خفي إلا وهو متعلق العلم والجزاء ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ لأنه المالك الحاكم على الإطلاق فلا يقضي بشيء إلا وهو حقه ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ تهكم بهم لأن الجماد لا يقال فيه إنه يقضي أو لا يقضي. وقرأ نافع وهشام بالتاء على الالتفات، أو إضمار قل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ تقرير لعلمه بـ(خائِنَةَ الْأَعْيُنِ) وقضائه بالحق، ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون، وتعريض بحال ﴿مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الحج: ٦٢].

﴿٢١﴾ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود. ﴿كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ قدرة وتمكناً، وإنما جيء بالفصل وحقه أن يقع بين معرفتين

[والجملة]؛ أي: جملة ﴿يَعْلَمُ﴾ [غافر: ١٩] [خبر خامس]؛ أي: لـ«هو»

۞ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ
وَقَٰرُونَ فَقَالُوا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَآءَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ وَاسْتَحْيُوا نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾.

لمضارعة (أفعل من) للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه. وقرأ ابن عامر (أشد منكم) بالكاف. ﴿وَءَاثَارًا فِى الْأَرْضِ﴾ مثل القلاع والمدائن الحصينة. وقيل المعنى: وأكثر آثاراً كقوله: (متقلداً سيفاً ورمحاً). ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ يمنع العذاب عنهم.

﴿٢٢﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الأخذ. ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات أو الأحكام الواضحة. ﴿فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ﴾ متمكن مما يريده غاية التمكن. ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لا يؤبه بعقاب دون عقابه.

﴿٢٣﴾ ـ ﴿٢٥﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ يعني: المعجزات. ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ وحجة قاهرة ظاهرة، والعطف لتغاير الوصفين، أو لإفراد بعض المعجزات كالعصا تفخيماً لشأنه. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ يعنون موسى، وفيه تسلية لرسول الله ﷺ وبيان لعاقبة

[لمضارعة أفعل من..] إلى آخره[1]؛ أي: مضارعته القوية للمعرفة بحيث صار معنى أفضل من كذا الأفضل باعتبار أفضلية معهوده، بخلاف المضاف إلى النكرة كغلام رجل، وإن لم يجز دخول اللام عليه؛ لأن ذلك من جهة مجرد رعاية أمر لفظي، وهو أن الإضافة قد تكون للتعريف فكرهوا الجمع بينها وبين لام التعريف؛ قاله التفتازاني، ثم قال: كذا قيل، ويشكل[2] تجويزهم الفصل فيما إذا كان الخبر فعلاً مضارعاً مثل: زيد هو يقوم، والأصوب أن يجعل مثله مبتدأ لأفضلا.

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٧/ ٤٤٤].
(٢) في [ج]: (ومشكل) وفي نسخة [ز]: (واشكل).

۞ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾.

من هو أشد؛ الذين كانوا من قبلهم بطشاً وأقربهم زماناً. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ﴾؛ أي: أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم أولاً كي يصدوا عن مظاهرة موسى. ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ في ضياع، ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم، والدلالة على العلة.

﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ كانوا يكفونه عن قتله ويقولون: إنه ليس الذي تخافه بل هو ساحر، ولو قتلته ظن أنك عجزت عن معارضته بالحجة، وتعلله بذلك مع كونه سفاكاً في أهون شيء دليل على أنه تيقن أنه نبي فخاف من قتله، أو ظن أنه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ فإنه تجلد، وعدم مبالاة بدعاء ربه. ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ﴾ إن لم أقتله. ﴿أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ أن يغير ما أنتم عليه من عبادته وعبادة الأصنام لقوله: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]. ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج إن لم يقدر أن يبطل دينكم بالكلية. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع، وابن

[وتعليله بذلك..] إلى آخره، فيه دليل على أن قوله: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٢٦] تمويه وتورية؛ لأن ظاهره الاستهانة بموسى عليه السلام وبدعائه، كما يقال: أدع أميرك فإني منتقم منك، وباطنه الخوف من دعائه(١)، وإلا فما له يقيم له وزناً ويتكلم بذلك حقيقة، أو تهكماً مع ادعائه أنه الرب الأعلى، ومع عبادتهم له [بالواو]؛ أي: بدل «أو» [على معنى الجمع]؛ أي: بين مضموني الجملتين، وقرأ به أيضاً أبو جعفر

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري [٤/ ١٦٥].

۞ ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾.

كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع (الْفَساد).

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾؛ أي: لقومه لما سمع بكلامه. ﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ صدّر الكلام بأن تأكيداً وإشعاراً على أن السبب المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله، وخص اسم الرب لأن المطلوب هو الحفظ والتربية، وإضافته إليه وإليهم حثاً لهم على موافقته لما في تظاهر الأرواح من استجلاب الإجابة، ولم يسم فرعون وذكر وصفاً يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة، ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي (عُذْتُ) فيه وفي سورة (الدخان) بالإدغام وعن نافع مثله.

﴿٢٨﴾ ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ من أقاربه. وقيل: (مِنْ) متعلق بقوله: ﴿يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾ والرجل إسرائيلي أو غريب موحد كان ينافقهم. ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ أتقصدون قتله. ﴿أَن يَقُولَ﴾ لأن يقول، أو وقت أن يقول من غير روية وتأمل في أمره. ﴿رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ وحده وهو في الدلالة على الحصر مثل: صديقي زيد. ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ المتكثرة الدالة على صدقه من المعجزات والاستدلالات. ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ أضافه إليهم بعد ذكر البينات احتجاجاً عليهم واستدراجاً لهم إلى الاعتراف به، ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال: ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه إلى قتله. ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ فلا أقل من أن يصيبكم بعضه، وفيه مبالغة في التحذير

[وإشعاراً على إن السبب] ضمن الإشعار معنى البناء، فعداه بتعديته.

﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾.

وإظهار للإنصاف وعدم التعصب، ولذلك قدم كونه كاذباً، أو يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا؛ وهو بعض مواعيده، كأنه خوفهم بما هو أظهر احتمالاً عندهم وتفسير (البَعْضُ) بـ(الكل) كقول لبيد:

تَــرَّاكُ أَمْــكِــنَــةٍ إِذَا لَــمْ أَرْضَــهَــا ... أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْضَ النُّفُوسِ حمامُهَا

مردود لأنه أراد بـ(البَعْضُ) نفسه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ احتجاج ثالث ذو وجهين: أحدهما: أنه لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله إلى البينات ولما عضده بتلك المعجزات. وثانيهما: أن من خذله الله أهلكه فلا حاجة لكم إلى قتله. ولعله أراد به المعنى الأول، وحيل إليهم الثاني لتلين شكيمتهم، وعرض به لفرعون بأنه (مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) لا يهديه الله سبيل الصواب وطريق النجاة.

﴿٢٩﴾ ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ﴾ غالبين عالين. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مصر. ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ﴾؛ أي: فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله؛ فإنه إن جاءنا لم يمنعنا منه أحد، وإنما أدرج نفسه في الضميرين؛ لأنه كان منهم في القرابة، وليريهم أنه معهم ومساهمهم

[كقول لبيد:

تَــرَّاكُ أَمْــكِــنَــةٍ إذا لَــمْ أرْضَــهَــا ... أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْض النّفُوسِ حِمامُهَا][1]

قال الطيبي: أي: اترك أمكنة إذا لم أرضها إلى أن يرتبط الحمام ببعض النفوس. قيل أي: كلها وهو يوم القيامة، وهذا خطأ؛ لأنه أراد ببعض النفوس نفسه؛ أي: إلى أن يموت من هو مشهور معروف لا يخفى على كل أحد

---

(١) الخصائص، ابن جني [١/ ٧٤].

۞ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾.

فيما ينصح لهم. ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ﴾ ما أشير عليكم. ﴿إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ إلا ما استصوبه مِنْ قَتْلِه وما أعلمكم إلا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني متواطئان عليه. ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ طريق الصواب، وقرئ بالتشديد على أنه فعال للمبالغة من: (رَشَّاد) كـ(عَلَّام)، أو من: (رَشَد) كـ(عبّاد) لا من (أَرْشَد)؛ كـ(جَبَّار) من (أجبر) لأنه مقصور على السماع أو للنسبة إلى الرشد كـ(عَوّاج) و(بتّات).

﴿٣٠﴾ ـ ﴿٣١﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم﴾ تكذيبه والتعرض له. ﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ مثل أيام الأمم الماضية يعني: وقائعهم، وجمع (الْأَحْزابِ) مع التفسير أغنى عن جمع (اليوم). ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ مثل جزاء ما كانوا عليه دائباً من الكفر وإيذاء الرسل. ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ﴾ كقوم لوط. ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ فلا يعاقبهم بغير ذنب، ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام، وهو أبلغ من قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] من حيث أن المنفي فيه حدوث تعلق إرادته بالظلم.

﴿٣٢﴾ ـ ﴿٣٣﴾ ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ يوم القيامة ينادي فيه

[كجبار]؛ أي: من أجبر [لأنه مقصور على السماع]؛ أي: لأن «فَعَّالا» من «أفعل» لـم يجئ إلا في عدة أحرف نحو: درَّاك، وسأّال، وقصَّار، وجبَّار، ولا يصح القياس على القليل[1] [مع التفسير]؛ أي: تفسير الأحزاب بقوم: نوح، وعاد، وثمود حيث كان لكل حزب يوم من العذاب.

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [١٩/٣٠].

۞ ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾.

بعضهم بعضاً للاستغاثة، أو يتصايحون بالويل والثبور، أو يتنادى أصحاب الجنة وأصحاب النار كما حكي في (الأعراف). وقرئ بالتشديد وهو أن ينِدَّ بعضهم من بعض كقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤]. ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ﴾ عن الموقف. ﴿مُدْبِرِينَ﴾ منصرفين عنه إلى النار. وقيل: فارين عنها. ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ يعصمكم من عذابه. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿٣٤﴾ ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ﴾ يوسف بن يعقوب على أن فرعونه فرعون موسى، أو على نسبة أحوال الآباء إلى الأولاد أو سبطه يوسف بن إبراهيم بن يوسف ﷺ. ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل موسى. ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات. ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ من الدين. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ مات. ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ ضماً إلى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده، أو جزماً بأن لا يبعث من بعده رسول مع الشك في رسالته، وقرئ: (ألن يبعث الله) على أن بعضهم يقرر بعضاً بنفي البعث. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الضلال. ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾ في العصيان. ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد.

﴿٣٥﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بدل من الموصول الأول؛ لأنه بمعنى الجمع. ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ بغير حجة بل إما بتقليد أو بشبهة داحضة. ﴿أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فيه ضمير (من) وإفراده للفظ، ويجوز أن يكون (الَّذِينَ) مبتدأ وخبره (كَبُرَ) على حذف مضاف؛ أي:

[بالتشديد]؛ أي: بتشديد الدّال [أن يند]؛ أي: يشرد [على حذف مضاف]؛

۞ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾.

وجدال الذين يجادلون كبر مقتاً، أو (بغير سلطان) وفاعل (كَبُرَ): ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كبر مقتاً مثل ذلك الجدال، فيكون قوله: ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ استئنافاً للدلالة على الموجب لجدالهم. وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان (قَلْبٍ) بالتنوين؛ على وصفه بالتكبر والتجبر؛ لأنه منبعهما كقولهم: رأت عيني وسمعت أذني، أو على حذف مضاف أي: على كل ذي قلبٍ متكبر.

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ بناء مكشوفاً عالياً من: (صرح الشيء) إذا ظهر. ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ الطرق. ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بيان لها، وفي إبهامها ثم إيضاحها: تفخيم لشأنها، وتشويق للسامع إلى معرفتها. ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ عطف على (أَبْلُغُ). وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجي؛ ولعله أراد أن يبني له رصداً في موضع عال يرصد منه أحوال الكواكب التي هي أسباب سماوية تدل على الحوادث الأرضية، فيرى هل فيها ما يدل على إرسال الله إياه! أو أن يرى فساد قول موسى بأن إخباره من إلٰه السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله إليه؛ وذلك لا يتأتى إلا بالصعود إلى السماء، وهو مما لا يقوى عليه الإنسان، وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه. ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ في دعوى الرسالة. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾

أي: من الموصول، وهو ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ [غافر: ٣٥] **[أو بغير سلطان]** عطف على «كبر» **[وفاعل كبر** ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [غافر: ٣٧]]؛ أي: بجعل الكاف بمعنى: مثل، وعليه فكان الأولى في تفسيره بدل ما قاله، أن يقول: أي: كبر مقتاً مثل ذلك الجدال(١)

---

(١) اللباب، ابن عادل [٤٩/١٧].

۞ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾.

ومثل التزيين ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ سبيل الرشاد، والفاعل على الحقيقة هو الله تعالى، ويدل عليه أنه قرئ: (زَيَّنَ) بالفتح وبالتوسط (الشيطان). وقرأ الحجازيان والشامي وأبو عمرو (وَصَدَّ) على أن فرعون صَدَّ الناس عن الهدى بأمثال هذه التمويهات والشبهات؛ ويؤيده: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾؛ أي: خسار.

﴿٣٨﴾ ـ ﴿٣٩﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ﴾؛ يعني: مؤمن آل فرعون. وقيل: موسى. ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ﴾ بالدلالة. ﴿سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ سبيلاً يصل سالكه إلى المقصود، وفيه تعريض بأن ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي. ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ تمتع يسير لسرعة زوالها. ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ لخلودها.

﴿٤٠﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ عدلاً من الله، وفيه دليل على أن الجنايات تغرم بمثلها. ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير تقدير وموازنة بالعمل؛ بل أضعافاً مضاعفة فضلاً منه ورحمة، ولعل تقسيم العمال وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم الإشارة، وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة، وجعل (العمل) عمدة و(الإيمان) حالاً للدلالة على أنه شرط في اعتبار العمل وأن ثوابه أعلى من ذلك.

﴿٤١﴾ ـ ﴿٤٢﴾ ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ كرر

۞ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾.

نداءهم إيقاظاً لهم عن سِنَة الغفلة، واهتماماً بالمنادى له، ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه، وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله؛ ولذلك لم يعطف على الأول، فإن ما بعده أيضاً تفسير لما أجمل فيه تصريحاً، أو تعريضاً، أو على الأول. ﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ﴾ بدل، أو بيان فيه تعليل، والدعاء كالهداية في التعدية بـ(إلى) و(اللام). ﴿وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ بربوبيته. ﴿عِلْمٌ﴾ والمراد نفي المعلوم، والإشعار بأن الألوهية لا بد لها من برهان فاعتقادها لا يصح إلا عن إيقان. ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾ المستجمع لصفات الألوهية من كمال القدرة والغلبة، وما يتوقف عليه من العلم والإرادة، والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران.

﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿لَا جَرَمَ﴾ لا ردَّ لما دعوه إليه، و(جَرَمَ) فعل بمعنى: حقَّ، وفاعله: ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ أي: حق عدم دعوة آلهتكم إلى عبادتها أصلاً؛ لأنها جمادات ليس لها ما يقتضي ألوهيتها، أو عدم دعوة مستجابة، أو عدم استجابة دعوة لها. وقيل: (جَرَمَ) بمعنى: كسب، وفاعله مستكن فيه؛ أي: كسب ذلك الدعاء إليه أن لا دعوة

[وعطفه]؛ أي: النداء الثالث [ما هو بيان] هو مضمون المنادى الثاني بشقيه [لما قبله] هو ﴿ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨] [أو على الأول] عطف على النداء الثاني، وهو زائد على «الكشاف»، وفيه نوع مخالفة لقوله: قبله ولذلك لم يعطف على الأول.

[والدعاء كالهداية..] إلى آخره، بيَّن به أن الدعاء يتعدى تارة بـ«إلى»

۞ ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٦﴾.

له؛ بمعنى: ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته، وقيل: فعل من الجرم بمعنى: القطع كما إن (بُدّاً) من (لا بد) فعل من: (التبديد) وهو التفريق، والمعنى: لا قطع لبطلان دعوة ألوهية الأصنام؛ أي: لا ينقطع في وقت ما فتنقلب حقاً، ويؤيده قولهم: لا جرم أنه يفعل؛ لغة فيه كالرُّشْد والرَّشَد. ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بالموت. ﴿وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ في الضلالة والطغيان كالإشراك وسفك الدماء. ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ ملازموها. ﴿فَسَتَذۡكُرُونَ﴾ وقرئ: (فَسَتُذَكِّرُونَ) فسيذكر بعضكم بعضاً عند معاينة العذاب. ﴿مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ﴾ من النصيحة. ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ ليعصمني من كل سوء. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ فيحرسهم، وكأنه جواب توعدهم المفهوم من قوله:

٤٥ - ٤٦ ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ شدائد مكرهم. وقيل: الضمير لـ(موسى). ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ بفرعون وقومه فاستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى بذلك. وقيل: بطُلْبَة المؤمن من قومه فإنه فرَّ إلى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله؛ فرجعوا رعباً، فقتلهم. ﴿سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ الغرق أو القتل أو النار. ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾ جملة مستأنفة، أو (النَّارُ) خبر محذوف و(يُعْرَضُونَ) استئناف للبيان، أو بدل و(يُعْرَضُونَ) حال منها، أو من (الآل) وقرئت منصوبة على الاختصاص، أو بإضمار فعل يفسره: (يُعْرَضُونَ) مثل (يصلون)، فإن عرضهم على النار

وتارة بـ«اللام» وقد جيء بهما في الآيتين، والمعنى: **[لا قطع لبطلان دعوة ألوهية الأصنام]**؛ أي: لا انقطاع له بقرينة آخر كلامه[1] **[فقتلهم]**؛ أي: فرعون **[أو بدل]** عطف على خبر محذوف **[أو من الأول]** هو آل فرعون

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٧/ ٤٤٤].

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾.

إحراقهم بها من قولهم: عرض الأسارى على السيف؛ إذا قتلوا به، وذلك لأرواحهم كما روى ابن مسعود رضي الله عنه: أن أرواحهم في أجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشياً إلى يوم القيامة. وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتأبيد، وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾؛ أي: هذا ما دامت الدنيا فإذا قامت الساعة قيل لهم: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ يا آل فرعون. ﴿أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ عذاب جهنم فإنه أشد مما كانوا فيه، أو أشد عذاب جهنم. وقرأ نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص (أَدْخِلُوا) على أمر الملائكة بإدخالهم النار.

﴿٤٧﴾ - ﴿٤٨﴾ ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ﴾ واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه على (غدوا). ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ تفصيل له. ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ تباعاً كـ(خدم) في جمع (خادم) أو ذوي تبع بمعنى: أتباع على الإضمار أو التجوز. ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ بالدفع أو الحمل، و(نَصِيباً) مفعول به لما دل عليه (مُغْنُونَ) أوله بالتضمين أو مصدر كـ(شيئاً) في قوله: ﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المجادلة: ١٠]. فيكون (مِنَ) صلة لـ(مُغْنُونَ).

[وذلك لأزواجهم]؛ أي: عرض لها [أي: هذا]؛ أي: عرضهم على النار غدواً وعشياً [مفعول]؛ أي: به [لما دل عليه مغنون]؛ أي: هل أنتم دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبًا﴾ [غافر: ٤٧].

[أو له]؛ أي: أو مفعول لـ«مغنون» [بالتضمين]؛ أي: بتضمنه معنى: «حاملين» [أو مصدر كشيئاً..] إلى آخره، قال أبو البقاء: فشيئاً موضع غناء، فكذلك نصيباً

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿٤٨﴾ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ نحن وأنتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لأغنينا عن أنفسنا، وقرئ: (كُلّاً) على التأكيد لأنه بمعنى: (كلنا) وتنوينه عوض عن المضاف إليه، ولا يجوز جعله حالاً من المستكن في الظرف فإنه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم؛ كقولك: كل يوم لك ثوب. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ﴾ بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ [الرعد: ٤١].

﴿٤٩﴾ ـ ﴿٥٠﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: لخزنتها، فوضع (جَهَنَّمَ) موضع الضمير للتهويل أو لبيان محلهم فيها، إذ يحتمل أن تكون (جَهَنَّمَ) أبعد دركاتها من قولهم: بئر جهنام بعيدة القعر. ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ

[وقرئ «كُلاً» على التأكيد] قال ابن هشام(١): سبقه إليه الفراء، والصواب أنه بدل، وإبدال الظاهر من ضمير الحاضر بدل لكل جائز إذا كان مقيداً للإحاطة نحو: قمتم ثلاثتكم، وبدل الكل لا يحتاج إلى ضمير، ويجوز لـ﴿كُلٌّ﴾ أن يلي العوامل إذا لم يتصل بالضمير نحو: جاءني كل القوم، فيجوز مجيئها بدلاً بخلاف جاءني كلهم، فلا يجوز إلا في الضرورة.

[ولا يجوز جعله حالاً..] إلى آخره، تبع فيه الزمخشري(٢)، وهو مذهب الجمهور؛ لكن قال ابن مالك: والقول المرضي عندي إن «كلاً» في القراءة المذكورة منصوبة على الحال من الضمير المرفوع في «فيها»، و«فيها» هو العامل، وقد قدّمت عليه مع عدم تصرفه كما قدمت في قراءة من قرأ ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] وهذا مذهب الأخفش، وانتصر له أبو حيان(٣) [جِهِنّام] بكسر الجيم والهاء، وتشديد النون.

---

(١) أوضح المسالك، ابن هشام [٣/ ٣٢٨]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٤/ ١٧٥].
(٣) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٧/ ٤٤٤].

۞ ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْكِتَـٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِى الْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِىِّ وَالْإِبْكَـٰرِ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ قدر يوم. ﴿مِّنَ الْعَذَابِ﴾ شيئاً من العذاب، ويجوز أن يكون المفعول (يوماً) بحذف المضاف و(مِنَ الْعَذابِ) بيانه. ﴿قَالُوٓا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَـٰتِ﴾ أرادوا به إلزامهم للحجة وتوبيخهم على إضاعتهم، أوقات الدعاء وتعطيلهم أسباب الإجابة. ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا﴾ فإنا لا نجترئ فيه إذ لم يؤذن لنا في الدعاء لأمثالكم، وفيه إقناط لهم عن الإجابة. ﴿وَمَا دُعَـٰٓؤُا الْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾ ضياع لا يجاب، وفيه إقناط لهم عن الإجابة.

﴿٥١﴾ ـ ﴿٥٢﴾ ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة. ﴿فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ﴾؛ أي: في الدارين، ولا ينتقض ذلك بما كان لأعدائهم عليهم من الغلبة أحياناً؛ إذ العبرة بالعواقب وغالب الأمر، و(الْأَشْهادُ) جمع شاهد كصاحب وأصحاب، والمراد بهم من يقوم يوم القيامة الشهادة على الناس من الملائكة والأنبياء والمؤمنين. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ بدل من الأول، وعدم نفع المعذرة لأنها باطلة، أو لأنه لم يؤذن لهم فيعتذرون. وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء. ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ البعد عن الرحمة. ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ﴾ جهنم.

﴿٥٣﴾ ـ ﴿٥٤﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ﴾ ما يهتدي به في الدين من المعجزات والصحف والشرائع. ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْكِتَـٰبَ﴾ وتركنا عليهم بعده من ذلك التوراة. ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ﴾ هداية وتذكرة، أو هادياً ومذكراً. ﴿لِأُولِى الْأَلْبَـٰبِ﴾ لذوي العقول السليمة.

﴿٥٥﴾ ﴿فَاصْبِرْ﴾ على أذى المشركين. ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ بالنصر

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝٥٦ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٥٧ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾.

لا يخلفه، واستشهد بحال موسى وفرعون. ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ وأقبل على أمر دينك، وتدارك فرطاتك كترك الأولى والاهتمام بأمر العدا بالاستغفار، فإنه تعالى كافيك في النصر إظهار الأمر. ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ ودم على التسبيح والتحميد لربك. وقيل: صَلِّ لهذين الوقتين؛ إذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشياً.

٥٦ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ﴾ عام في كل مجادل مبطل وإن نزلت في مشركي مكة، أو اليهود حين قالوا: لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار. ﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ﴾ إلا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم، أو إرادة الرياسة أو إن النبوة والملك لا يكونان إلا لهم. ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ ببالغي دفع الآيات أو المراد. ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ﴾ فالتجئ إليه. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ لأقوالكم وأفعالكم.

٥٧ - ٥٨ ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ فمن قدر على خلقها مع عظمها أولاً من غير أصل قدر على خلق الإنسان ثانياً من أصل، وهو بيان لأشكل ما يجادلون فيه من أمر التوحيد. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ لأنهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم

[بل هو المسيح بن داود]؛ أي: قالت اليهود: بل صاحبنا المسيح بن داود، يعنون به الدجال [على خلقها مع عظمها] الأولى: تثنية الضمير فيهما

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٩ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾.

واتباعهم أهواءهم. ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ الغافل والمستبصر. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾ والمحسن والمسيء فينبغي أن يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت، وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لأن المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة، والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على (الْأَعْمى وَالْبَصِيرُ) لتغاير الوصفين في المقصود، أو الدلالة بالصراحة والتمثيل. ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: تذكراً مّا قليلاً يتذكرون، والضمير للناس أو الكفار. وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب، أو الالتفات، أو أمر الرسول بالمخاطبة.

٥٩ - ٦٠ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها وإجماع الرسل على الوعد بوقوعها. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يصدقون بها؛ لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ﴾ اعبدوني. ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أثبكم لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ صاغرين، وإن فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلاً منزلته للمبالغة، أو المراد

[والعطف الثاني] احترز بـ«الثاني» عن الأول وهو ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٨] [عطف الموصول] بدل مما قبله [بما عطف عليه] وهو ﴿ٱلْمُسِىٓءُ﴾ [لتغاير الوصفين في المقصود] إذ القصد في الأول: نفي «الاستواء» بين ﴿ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ وفي الثاني: نفيه بين (الْمُحْسِنِ والْمُسِيءُ) [أو الدلالة بالصراحة]؛ أي: في الثاني [والتمثيل]؛ أي: في الأول [لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ [غافر: ٦٠]] الآية استدل بها على أن المراد بالدعاء العبادة، إذ الاستجابة الإنابة.

۞ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

بالعبادة الدعاء؛ فإنه من أبوابها. وقرأ ابن كثير وأبو بكر (سَيُدْخَلُونَ) بضم الياء وفتح الخاء.

﴿٦١﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ لتستريحوا فيه بأن خلقه بارداً مظلماً ليؤدي إلى ضعف الحركات وهدوء الحواس. ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ﴾ يبصر فيه أو به، وإسناد الإبصار إليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل إلى الحال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ لا يوازيه فضل، وللإشعار به لم يقل لمفضل. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ لجهلهم بالمنعم وإغفالهم مواقع النعم، وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم.

﴿٦٢﴾ - ﴿٦٣﴾ ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ المخصوص بالأفعال المقتضية للألوهية والربوبية. ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ أخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها، وقرئ: (خالقَ) بالنصب على الاختصاص فيكون (لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ) استئنافاً بما هو كالنتيجة للأوصاف المذكورة. ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف، ومن أي وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره؟! ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾؛ أي: كما أفكوا أفك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها.

﴿٦٤﴾ - ﴿٦٥﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ استدلال ثان

۞ ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن
رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ
ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم
مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾.

بأفعال أخر مخصوصة. ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ بأن خلقكم منتصبي القامة، بادي البشرة، متناسبي الأعضاء والتخطيطات، متهيئين لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات. ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ﴾ اللذائذ. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فإن كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال. ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ﴾ المتفرد بالحياة الذاتية. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إذ لا موجد سواه ولا موجود يساويه، أو يدانيه في ذاته وصفاته. ﴿فَٱدْعُوهُ﴾ فاعبدوه. ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ﴾؛ أي: الطاعة من الشرك والرياء. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قائلين له.

﴿٦٦﴾ ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي﴾ من الحجج والآيات، أو من الآيات؛ فإنها مقوية لأدلة العقل منبهة عليها. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بأن أنقاد له، أو أخلص له ديني.

﴿٦٧﴾ ـ ﴿٦٨﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أطفالاً، والتوحيد لإرادة الجنس، أو على تأويل كل واحد منكم. ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ (اللام) فيه متعلقة بمحذوف تقديره: ثم يبقيكم لتبلغوا، وكذا في قوله: ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ﴾ ويجوز عطفه على (لِتَبْلُغُوا). وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص وهشام (شُيُوخا) بضم الشين.

[وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص وهشام شُيُوخاً بضم الشين][1] ساقط من نسخ،

---

(١) إتحاف فضلاء البشر، الدمياطي [ص٦٧٩].

۞ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

وقرئ: (شيخاً) كقوله: (طِفْلاً). ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ﴾ من قبل الشيخوخة، أو بلوغ الأشد. ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟﴾ ويفعل ذلك لتبلغوا: ﴿أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ هو وقت الموت، أو يوم القيامة. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ما في ذلك من الحجج والعبر. ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ فإذا أراده. ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ فلا يحتاج في تكوينه إلى عدة وتجشم كلفة، و(الفاء) الأولى للدلالة على أن ذلك نتيجة ما سبق من حيث أنه يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد.

﴿٦٩﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل، أو المجادل فيه، أو للتأكيد.

﴿٧٠﴾ ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ بالقرآن، أو بجنس الكتب السماوية. ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ﴾ من سائر الكتب، أو الوحي والشرائع. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ جزاء تكذيبهم.

﴿٧١﴾ - ﴿٧٤﴾ ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ ظرف لـ(يَعْلَمُونَ) إذ المعنى على الاستقبال، والتعبير بلفظ المضي لتيقنه. ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ عطف على (الْأَغْلَالُ) أو مبتدأ خبره. ﴿يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ والعائد محذوف؛ أي: يسحبون

وبتقدير ثبوته وصحته كان الأنسب أن يقول بدل قوله: [«وقرئ (شِيوخا) بالكسر»]: «والباقون بالكسر» [والتعبير بلفظ المضي]؛ أي: بإدلائها للماضي [والعائد محذوف]؛

﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾.

بها، وهو على الأول حال. وقرئ: (والسلاسلَ يَسْحَبُونَ) بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الإسمية. (والسَّلاسِلِ) بالجر حملاً على المعنى: (إِذِ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ) بمعنى: أعناقهم في الأغلال، أو إضماراً للباء، ويدل عليه القراءة به. ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ يحرقون من: (سجر التنور) إذا ملأه بالوقود، ومنه: (السجير) للصديق كأنه سجر بالحب؛ أي: مُلِئ. والمراد: أنهم يعذبون بأنواع من العذاب وينقلون من بعضها إلى بعض. ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾ غابوا عنا؛ وذلك قبل أن يقرن بهم آلهتهم، أو ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم. ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾؛ أي: بل تبين لنا أنا لم نكن نعبد شيئاً بعبادتهم؛ فإنهم ليسوا شيئاً يعتد به كقولك: حسبته شيئاً فلم يكن. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل هذا الضلال. ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ حتى لا يهتدوا إلى شيء ينفعهم في الآخرة، أو يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا.

﴿٧٥﴾ - ﴿٧٦﴾ ﴿ذَٰلِكُم﴾ الإضلال. ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تبطرون وتتكبرون. ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ وهو الشرك والطغيان. ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تتوسعون في الفرح، والعدول إلى الخطاب للمبالغة في التوبيخ. ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ الأبواب السبعة المقسومة لكم. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ مقدرين الخلود. ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الحق جهنم، وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود بسبب الثواء عبر بالمثوى.

أي: على القول بأن «السلاسل» مبتدأ [وقرئ «والسّلاسِل يَسْحَبُون» بالنصب]؛ أي:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

﴿٧٧﴾ - ﴿٧٨﴾ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بهلاك الكافرين. ﴿حَقٌّ﴾ كائن لا محالة. ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ فإن نُرِكَ، و(ما) مزيدة لتأكيد الشرطية؛ فلذلك لحقت النون الفعل، ولا تلحق مع (إن) وحدها. ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ وهو القتل والأسر. ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن تراه. ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم، وهو جواب ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾، وجواب (نُرِيَنَّكَ) محذوف مثل: (فذاك)، ويجوز أن يكون جواباً لهما بمعنى: إن نعذبهم في حياتك أو لم نعذبهم؛ فإنا نعذبهم في الآخرة أشد العذاب. ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ إذ قيل: عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، والمذكور قصصهم أشخاص معدودة. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فإن المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم، ليس لهم اختيار في إيثار بعضها والاستبداد بإتيان المقترح بها. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بالعذاب في الدنيا أو الآخرة. ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ بإنجاء المحق وتعذيب المبطل. ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها.

وفتح ياء يَسحبون[1]، مبنياً للفاعل [والمذكور قصتهم] في نسخ: قصصهم [أشخاص معدودة]؛ أي: أفراد قليلة مذكورة في القرآن.

---

(١) انظر: معاني القرآن، الفراء [٤/ ١٣٠].

۞ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا
مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟
أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿٧٩﴾ ـ ﴿٨١﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ فإن من جنسها ما يؤكل كالغنم، ومنها ما يؤكل ويركب كالإبل والبقر. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ كالألبان والجلود والأوبار. ﴿وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾ بالمسافرة عليها. ﴿وَعَلَيْهَا﴾ في البر ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ في البحر ﴿تُحْمَلُونَ﴾ وإنما قال: ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ ولم يقل: (في الفلك) للمزاوجة، وتغيير النظم في (الأكل) لأنه في حيز الضرورة. وقيل: لأنه يقصد به التعيش؛ وهو من الضروريات، والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد تكون لأغراض دينية واجبة أو مندوبة، أو للفرق بين العين والمنفعة. ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته. ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: فأي آية من تلك الآيات. ﴿تُنكِرُونَ﴾ فإنها لظهورها لا تقبل الإنكار، وهو ناصب (أي) إذ لو قدرته متعلقاً بضميره كان الأولى رفعه والتفرقة بالتاء في (أي) أغرب منها في الأسماء غير الصفات لإبهامه.

﴿٨٢﴾ ـ ﴿٨٣﴾ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن

[والتفرقة بالتاء في أي..] إلى آخره، إيضاحه قول «الكشاف»: ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٨١] جاءت على اللغة المستفيضة، وقولك: فأية آيات الله قليل؛ لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو: حمار وحمارة غريب، وهي في ﴿فَأَىَّ﴾ [غافر: ٨١] أغرب(١).

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ١٨٦].

۞ ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ ما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوهما، وقيل: آثار أقدامهم في الأرض لعظم أجرامهم. ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (ما) الأولى نافية، أو استفهامية منصوبة بـ(أَغْنى)، والثانية موصولة أو مصدرية مرفوعة به. ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات أو الآيات الواضحات. ﴿فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ واستحقروا علم الرسل، والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [النمل: ٦٦] وهو قولهم: لا نبعث ولا نعذب، ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [فصلت: ٥٠] ونحوها، وسماها علماً على زعمهم تهكماً بهم، أو علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك، أو علم الأنبياء، وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وقيل: الفرح أيضاً للرسل؛ فإنهم لما رأوا تمادي جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما أوتوا من العلم، وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم.

﴿٨٤﴾ - ﴿٨٥﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ شدة عذابنا. ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ يعنون الأصنام. ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ لامتناع قبوله حينئذ، ولذلك قال: (فَلَمْ يَكُ) بمعنى: لم يصح ولم يستقم، و(الفاء) الأولى لأن قوله: ﴿فَمَا أَغْنَى﴾ كالنتيجة لقوله: ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾،

[كالنتيجة لقوله: ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ [غافر: ٨٢]] إنما قال: كالنتيجة؛ لأنه إنما يكون نتيجة على القلب، إذ المعنى: أنهم اجتمعوا مع قوتهم وحصلوا ما رادفها[١] من

---

(١) في [ز - ج - ب]: (ما زاد فيها).

والثانية لأن قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ﴾ كالتفسير لقوله: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ﴾ والباقيتان لأن رؤية البأس مسببة عن مجيء الرسل. وامتناع نفي الإيمان مسبب عن الرؤية. ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ﴾؛ أي: سنَّ الله ذلك سُنَّة ماضية في العباد؛ وهي من المصادر المؤكدة. ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾؛ أي: وقت رؤيتهم البأس؛ اسم مكان استعير للزمان.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (المؤمن) لم يبق روح نبي، ولا صدّيق، ولا شهيد، ولا مؤمن إلا صَلَّى عليه، واستغفر له**».

المال، وما يلجئون إليه من الحصون ليعينهم إذا حزبهم أمر الإغناء[1] التام، فانقلب التدبير عليهم، وما أغنى عنهم ذلك. [«من قرأ سورة المؤمن..»] إلى آخره، موضوع[2].



---

(١) في [ج]: (الاعتناء).

(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٢٢٣/ برقم: ١١٣٨].

سُورَةُ فُصِّلَتْ

(٤١) وآيها خمسون وأربع آيات مكية

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) - (٣) ﴿حمٓ﴾ إن جعلته مبتدأ فخبره: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وإن جعلته تعديداً للحروف فـ(تَنْزِيلٌ) خبر محذوف، أو مبتدأ لتخصصه بالصفة وخبره: ﴿كِتَٰبٌ﴾ وهو على الأولين بدل منه، أو خبر آخر، أو خبر محذوف، ولعل افتتاح هذه السور السبع بـ(حم) وتسميتها به؛ لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى، وإضافة (التَّنْزِيلُ) إلى (الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) للدلالة على أنه مناط المصالح الدينية والدنيوية. ﴿فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ ميزت باعتبار اللفظ والمعنى. وقرئ: (فَصَلَتْ)؛ أي: فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعاني، أو فصلت بين الحق والباطل. ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾ نصب على المدح أو الحال من: (فُصِّلَتْ)، وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه. ﴿لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾ لقوم يعلمون العربية أو لأهل العلم والنظر، وهو صفة أُخْرَى لـ(قُرْآناً) أو صلة

وتسمى: سورة فصلت **[ولعل افتتاح هذه السور السبع بـ(حم) وتسميتها به؛ لكونها مصَدّرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى]** أخذاً مما قيل: إن «حم» اسم من أسماء القرآن(١)، وكان الأنسب ذكر ذلك في أول السورة قبلها **[وقرئ فُصِلَت]**؛ أي: بالتخفيف **[أي: فصل بعضها من بعض..]** إلى آخره، يقتضي أن

---

(١) غريب الحديث، ابن قتيبة [١/ ٥٥].

۞ ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ
مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ
إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ
لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾.

لـ(تَنْزِيلٌ)، أو لـ(فُصِّلَتْ)، والأول أولى لوقوعه بين الصفات.

﴿٤﴾ ـ ﴿٥﴾ ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ للعاملين به والمخالفين له، وقرئا بالرفع على الصفة للـ (كِتابٌ) أو الخبر لمحذوف. ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ عن تدبره وقبوله. ﴿اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ سماع تأمل وطاعة. ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ أغطية جمع (كنان). ﴿مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ صمم، وأصله الثقل، وقرئ بالكسر. ﴿وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ يمنعنا عن التواصل، و(من) للدلالة على أن الحجاب مبتدأ منهم، ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ. وهذه تمثيلات لنُبُوِّ قلوبهم عن إدراك ما يدعوهم إليه، واعتقادهم ومجّ أسماعهم له، وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول ﷺ. ﴿فَاعْمَلْ﴾ على دينك، أو في إبطال أمرنا. ﴿إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ على ديننا، أو في إبطال أمرك.

﴿٦﴾ ـ ﴿٧﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾

(فُصِلَت) قرئ بالتخفيف مبنيّاً للمفعول والفاعل [والأول]؛ أي: وهو كونه صفة للقرآن.

[أولى لوقوعه بين الصفات] التي بعضها ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فاطر: ٢٤]؛ أي: لأنه لو جعل صلة لـ«تنزيل»، أو فصلت للزم التفريق بين الصِّلات والصفات على ما عبر به «الكشاف»[١] [أو الخبر لمحذوف] الأنسب أو خبر لمحذوف.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ١٨٩].

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾.

لست ملكاً ولا جنياً لا يمكنكم التلقي منه، ولا أدعوكم إلى ما تنبو عنه العقول والأسماع، وإنما أدعوكم إلى التوحيد والاستقامة في العمل، وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل. ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ فاستقيموا في أفعالكم متوجهين إليه، أو فاستووا إليه بالتوحيد والإخلاص في العمل. ﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ مما أنتم عليه من سوء العقيدة والعمل، ثم هددهم على ذلك فقال: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله. ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ لبخلهم وعدم إشفاقهم على الخلق، وذلك من أعظم الرذائل، وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع. وقيل معناه: لا يفعلون ما يزكي أنفسهم وهو الإيمان والطاعة. ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ حال مشعرة بأن امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم في طلب الدنيا وإنكارهم للآخرة.

﴿٨﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ﴾ عظيم ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ لا يمن به عليهم، من: (المن) وأصله الثقل، أو لا يقطع من: (مننت الحبل) إذا قطعته. وقيل: نزلت في المرضى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون.

﴿٩﴾ - ﴿١٠﴾ ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ في مقدار يومين، أو نوبتين، وخلق في كل نوبة ما خلق في أسرع ما يكون. ولعل المراد من (الْأَرْضَ) ما في جهة السفل من الأجرام البسيطة ومن خلقها (فِي يَوْمَيْنِ) أنه خلق لها أصلاً مشتركاً ثم خلق لها صوراً بها صارت أنواعاً، وكفرهم به إلحادهم في ذاته وصفاته. ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ﴾ ولا يصح أن يكون له ند. ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ . ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ استئناف غير

۞ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

معطوف على (خَلَقَ) للفصل بما هو خارج عن الصلة. ﴿مِن فَوْقِهَا﴾ مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب. ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ وأكثر خيرها بأن خلق فيها أنواع النبات والحيوان. ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ أقوات أهلها بأن عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به، أو أقواتاً تنشأ منها بأن خص حدوث كل قوت بقطر من أقطارها، وقرئ: (وقسم فِيهَا أقواتها). ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ في تتمة أربعة أيام كقولك: سرت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً. ولعله قال ذلك ولم يقل: في يومين؛ للإشعار باتصالهما باليومين الأولين. والتصريح على الفذلكة. ﴿سَوَآءً﴾؛ أي: استوت سواء بمعنى: استواء، والجملة صفة (أيام)، ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر. وقيل: حال من الضمير في أقواتها أو في فيها، وقرئ بالرفع على: هي سواء. ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها، أو بقدر؛ أي: قدر فيها الأقوات للطالبين لها.

﴿١١﴾ - ﴿١٢﴾ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قصد نحوها؛ من قولهم: استوى إلى مكان كذا إذا توجه إليه توجهاً لا يلوي على غيره، والظاهر أن (ثم) لتفاوت ما بين الخلقتين لا للتراخي في المدة؛ لقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠] ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها. ﴿وَهِىَ

[والظاهر أن «ثم» لتفاوت ما بين الخلقتين لا للتراخي..] إلى آخره، تقدم تحريره في سورة «البقرة»، وأن الأوجه أنها للتراخي بقرينة «ما» هنا، وإن مرجع الإشارة في قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠] لجرم السماء لا لوصفها

﴿دُخَانٌ﴾ أمر ظلماني، ولعله أراد به مادتها، أو الأجزاء المتصغرة التي ركبت منها ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا﴾ بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر، وأبرزا ما أودعتكما من الأوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة. أو (ائْتِيا) في الوجود على أن الخلق السابق بمعنى: التقدير، أو الترتيب للرتبة، أو الإخبار، أو إتيان السماء حدوثها وإتيان الأرض أن تصير مدحوّة، وقد عرفت ما فيه، أو ليأت كل منكما الأُخْرَى في حدوث ما أريد توليده منكما، ويؤيده قراءة (وآتيا) من المؤاتاة؛ أي: لتوافق كل واحدة أختها فيما أردت منكما. ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ شئتما ذلك أو أبيتما، والمراد إظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا إثبات الطوع والكره لهما، وهما مصدران وقعا موقع الحال. ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ منقادين بالذات، والأظهر أن المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها، وتمثيلهما بأمر المطاع وإجابة المطيع الطائع كقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] وما قيل: من أنه تعالى خاطبهما وأقدرهما على الجواب إنما يتصور على الوجه الأول والأخير، وإنما قال: طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبتين كقوله: ﴿سَٰجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٠].

(١٢) ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ فخلقهن خلقاً إبداعياً وأتقن أمرهن، والضمير لـ(السَّماءَ) على المعنى أو مبهم، و(سَبْعَ سَماواتٍ) حال على الأول، وتمييز على الثاني. ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ قيل: خلق السمٰوات يوم الخميس،

أيضاً على ما فهمه المصنف(١)، فلا دلالة له على ما زعمه [ويؤيده قراءة: «آتيا» من المؤاتاة] عبارة «الكشاف»(٢): وينصره قراءة(٣) من قرأ: «آتيا» و«آتينا»: من المؤاتاة وهي الموافقة.

[إنما يتصور على الوجه الأول والأخير]؛ أي: من أوجه تفسير ﴿أَتَيْنَا﴾ [فصلت: ١١]؛ لأن ما بينهما لا يتصور فيه خطاب وجواب؛ لعدم وجود من يخاطب ويجيب

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [٢٧/ ٩١].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٤/ ١٩٤].
(٣) في [ج ـ ب]: (قوله).

۞ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة. ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ شأنها وما يتأتى منها بأن حملها عليه اختياراً أو طبعاً. وقيل: أوحى إلى أهلها بأوامره ونواهيه. ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ فإن الكواكب كلها ترى كأنها تتلألأ عليها. ﴿وَحِفْظًا﴾؛ أي: وحفظناها من الآفات، أو من المسترقة حفظاً. وقيل: مفعول له على المعنى كأنه قال: وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظاً. ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ البالغ في القدرة والعلم.

﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ عن الإيمان بعد هذا البيان. ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ فحذرهم أن يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة. ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ وقرئ: (صعقة مثل صعقة عاد وثمود) وهي المرّة من الصعق، أو الصعق، يقال: صعقته الصاعقة صعقاً، فصعق صعقاً.

﴿١٤﴾ ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ﴾ حال من (صاعِقَةِ عادٍ)، ولا يجوز جعله صفة لـ(صاعِقَةً) أو ظرفاً لـ(أَنْذَرْتُكُمْ) لفساد المعنى. ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أتوهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة، أو من جهة الزمن الماضي بالإنذار عما جرى فيه على الكفار، ومن جهة المستقبل بالتحذير عما أعد لهم في الآخرة، وكل من اللفظين يحتملهما، أو من

[يقال: صعقته الصاعقة..] إلى آخره، صعق في الأول: بالفتح، وفي الثاني: بالكسر، ومصدر الأول: بالسكون، والثاني: بالفتح، وفعل الثاني مطاوع لفعل الأول، ولهذا قال الزمخشري[(1)] عقب ذلك: وهو من باب: «فعلته ففعل» [وكل من اللفظين]؛ أي: لفظي ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [فصلت: ١٤] [يحتملها]؛ أي: التفسيرين السابقين.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ١٩٦].

۞ ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾.

قبلهم ومن بعدهم إذ قد بلغتهم خبر المتقدمين وأخبرهم هود وصالح عن المتأخرين داعيين إلى الإيمان بهم أجمعين، ويحتمل أن يكون عبارة عن الكثرة؛ كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [النحل: ١١٢]. ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ بأن لا تعبدوا أو: أي: لا تعبدوا. ﴿قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا﴾ إرسال الرسل. ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ برسالته ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ على زعمكم ﴿كَٰفِرُونَ﴾ إذ أنتم بَشَرٌ مِثْلُنَا لا فضل لكم علينا.

﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾ ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ فتعظموا فيها على أهلها من غير استحقاق. ﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ اغتراراً بقوتهم وشوكتهم. قيل: كان من قوتهم أن الرجل منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ قدرة فإنه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى، قوي على ما لا يقدر عليه أحد غيره. ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ يعرفون أنها حق وينكرونها، وهو عطف على (فَاسْتَكْبَرُوا). ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ باردة تهلك بشدة بردها؛ من: (الصرّ): وهو البرد الذي يصر؛ أي: يجمع، أو شديدة الصوت في هبوبها من: (الصرير). ﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ جمع نحسة من: (نحس نحساً) نقيض: (سعد سعداً)، وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف، أو النعت على فعل، أو الوصف بالمصدر، قيل: كان آخر شوال؛ من الأربعاء إلى الأربعاء، وما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء. ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى

[وقيل: كن]؛ أي: الأيام.

۞ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أضاف (العَذابَ) إلى (الْخِزْيِ) وهو الذل على قصد وصفة به لقوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ وهو في الأصل صفة المعذب، وإنما وصف به العذاب على الإسناد المجازي للمبالغة. ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ بدفع العذاب عنهم.

﴿١٧﴾ ـ ﴿١٨﴾ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ فدللناهم على الحق بنصب الحجج وإرسال الرسل، وقرئ: (ثَمُودَ) بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده، ومنوناً في الحالين، وبضم الثاء. ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ فاختاروا الضلالة على الهدى. ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ صاعقة من السماء فأهلكتهم، وإضافتها إلى (الْعذابِ) ووصفه بـ(الْهُونِ) للمبالغة. ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من اختيار الضلالة. ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ من تلك الصاعقة.

﴿١٩﴾ ـ ﴿٢٠﴾ ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ وقرأ نافع (نَحْشُرُ) بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب (أَعْداءَ). وقرئ: (يَحْشُرُ) على البناء للفاعل؛ وهو الله تعالى ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يحبس أولهم على آخرهم؛ لئلا يتفرقوا وهو عبارة عن كثرة أهل النار. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ إذا حضروها، و(ما) مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور. ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ بأن ينطقها الله، أو يظهر عليها آثاراً تدل على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال.

[وقرئ «يَحْشُرُ» على البناء للفاعل..] إلى آخره، وعليه فـ«أعداء» منصوب على المفعولية [لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور]؛ أي: بالمجيء.

﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾ ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ سؤال توبيخ أو تعجب، ولعل المراد به نفس التعجب. ﴿قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾؛ أي: ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء، أو ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي أنطق كل حي، ولو أَوَّلَ الجواب والنطقَ بدلالة الحال؛ بقي الشيء عاماً في الموجودات الممكنة. ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يحتمل أن يكون تمام كلام الجلود، وأن يكون استئنافاً. ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾؛ أي: كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة، وما ظننتم أن أعضاءكم تشهد عليكم بها فما استترتم عنها. وفيه تنبيه على أن المؤمن ينبغي أن يتحقق أنه لا يمرُّ عليه حال إلا وهو عليه رقيب. ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فلذلك اجترأتم على ما فعلتم.

﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾ ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى ظنهم هذا، وهو مبتدأ وقوله: ﴿ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ خبران له، ويجوز أن يكون (ظَنُّكُم) بدلاً و(أَرْداكُمْ) خبراً. ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ إذ صار ما منحوا للاستعداد به في الدارين سبباً لشقاء المنزلين. ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ لا خلاص لهم عنها. ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟﴾ يسألوا العتبى وهي الرجوع إلى ما يحبون. ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ المجابين إليها، ونظيره قوله تعالى حكاية: ﴿أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١] وقرئ: (وَإِن يُسْتَعْتَبُوا فَمَا هُم مِّنَ

[وقرئ «وإن يُسْتَعْتَبُوا»]؛ أي: بالبناء للمفعول [وهو]؛ أي: القبض.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

المعتبين)؛ أي: إن يسألوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة.

﴿٢٥﴾ ﴿وَقَيَّضْنَا﴾ وقدرنا. ﴿لَهُمْ﴾ للكفرة. ﴿قُرَنَاءَ﴾ أخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر. وقيل: أصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة. ﴿فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ مِنْ أمر الآخرة وإنكاره. ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾؛ أي: كلمة العذاب. ﴿فِي أُمَمٍ﴾ في جملة أمم كقوله:

إِنْ تَكُ عَنْ أَحْسَنِ الصَّنِيعَةِ مَأْ فُوكاً فَفِي آخَرِينَ قَدْ أُفِكُوا

وهو حال من الضمير المجرور. ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ وقد عملوا مثل أعمالهم. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب، والضمير لـ(هُمْ) ولـلـ(أُمَمٍ).

﴿٢٦﴾ ـ ﴿٢٧﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ وعارضوه بالخرافات، أو ارفعوا أصواتكم بها لتشوشه على القارئ، وقرئ بضم الغين والمعنى واحد، يقال: لغى يلغي، ولغا يلغو؛ إذا هذى. ﴿لَعَلَّكُمْ

[كقوله:

إنْ تَـكُ.................................. ....]

أي: أنت [عَنْ أحْسَنِ الصَّنِيعَةِ مَأفُوكاً]؛ أي: مصروفاً [فَفِي آخَرِينَ]؛ أي: أنت في جملة آخرين [قد أفِكُوا][1] فلست في ذلك بأوحد.

---

(١) البيت لعروة بن أُذَيْنَة. انظر: الصحاح، الجوهري [١٦/١].

۞ ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٢٨﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا
لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿تَغۡلِبُونَ﴾؛ أي: تغلبونه على قراءته. ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا﴾ المراد بهم هؤلاء القائلون، أو عامة الكفار. ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ سيئات أعمالهم وقد سبق مثله.

﴿٢٨﴾ - ﴿٢٩﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الأسوأ. ﴿جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ﴾ خبره. ﴿لَهُمۡ﴾ عطف بيان للـ(جَزاءُ) أو خبر محذوف. ﴿فِيهَا﴾ في النار. ﴿دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ فإنها دار إقامتهم، وهو كقولك: في هذه الدار دار سرور، وتعني بالدار: عينها؛ على أن المقصود هو الصفة. ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ ينكرون الحق أو يلغون، وذكر الجحود الذي هو سبب اللغو. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾؛ يعني: شيطاني النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان. وقيل: هما إبليس وقابيل فإنهما سنا الكفر والقتل، وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وأبو بكر والسوسي (أَرۡنَا) بالتخفيف كـ(فَخۡذ) في (فَخِذ)، وقرأ الدوري باختلاس كسرة الراء. ﴿نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا﴾ نَدُسْهُما انتقاماً منهما، وقيل: نجعلهما في الدرك الأسفل. ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ مكاناً أو ذلاً.

﴿٣٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ اعترافاً بربوبيته وإقراراً بوحدانيته. ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ في العمل و(ثُمَّ) لتراخيه عن الإقرار في الرتبة من حيث أنه مبدأ الاستقامة، أو لأنها عسر قلما تتبع الإقرار، وما روي عن الخلفاء

[سَنَّا الكفر والقتل] الكفر راجع لإبليس، والقتل راجع لقابيل[1]، ففي كلامه

---

(١) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي [٥/ ١١٤].

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.

الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الإيمان وإخلاص العمل وأداء الفرائض فجزئياتها. ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن، أو عند الموت أو الخروج من القبر. ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟﴾ ما تقدمون عليه. ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ على ما خلفتم، وأن مصدرية، أو مخففة مقدرة بالباء أو مفسرة. ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا على لسان الرسل.

﴿٣١﴾ ـ ﴿٣٢﴾ ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشيطان تفعل بالكفرة. ﴿وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ في الآخرة ﴿مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾ من اللذائذ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب؛ وهو أعم من الأول. ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ حال من (ما تدعون) للإشعار بأن ما يتمنون بالنسبة إلى ما يعطون؛ مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف.

﴿٣٣﴾ ـ ﴿٣٤﴾ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى عبادته. ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فيما بينه وبين ربه. ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ تفاخراً به واتخاذاً للإسلام ديناً ومذهباً من قولهم: هذا قول فلان لمذهبه. والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات. وقيل: نزلت في النبي عليه السلام. وقيل: في المؤذنين. ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ في الجزاء وحسن العاقبة،

لف ونشر مرتب [فجزئياتها]؛ أي: الاستقامة، وفي نسخ: فسرنا بها، ولا معنى له

۞ ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

و(لا) الثانية مزيدة لتأكيد النفي. ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي أحسن منها، وهي الحسنة؛ على أن المراد بالأحسن الزائد مطلقاً، أو بأحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات. وإنما أخرجه مخرج الاستئناف على أنه جواب من قال: كيف أصنع؟ للمبالغة، ولذلك وضع (أَحْسَنُ) موضع الحسنة. ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾؛ أي: إذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق.

﴿٣٥﴾ - ﴿٣٦﴾ ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ وما يلقى هذه السجية وهي مقابلته الإساءة بالإحسان. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ فإنها تحبس النفس عن الانتقام. ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ من الخير وكمال النفس، وقيل: الحظ العظيم الجنة. ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ نخس؛ شبه به وسوسته لأنها تبعث الإنسان على ما لا ينبغي كالدفع بما هو أسوأ، وجعل النزغ نازغاً على طريقة جديدة، أو أريد به نازغ وصفاً للشيطان بالمصدر. ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ من شره ولا تطعه. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لاستعاذتك. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بنيتك أو بصلاحك.

﴿٣٧﴾ - ﴿٣٨﴾ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ لأنهما مخلوقان مأموران مثلكم. ﴿وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ الضمير للأربعة المذكورة، والمقصود تعليق الفعل بهما إشعاراً بأنهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار. ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ فإن

۞ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾.

السجود أخص العبادات، وهو موضع السجود عندنا لاقتران الأمر به، وعند أبي حنيفة آخر الآية الأُخرَى لأنه تمام المعنى. ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الامتثال ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ من الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: دائماً لقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾؛ أي: لا يملون.

﴿٣٩﴾ ـ ﴿٤٠﴾ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ يابسة متطامنة، مستعار من الخشوع بمعنى: التذلل. ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ تزخرفت وانتفخت بالنبات، وقرئ: (ربأت)؛ أي: زادت. ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا﴾ بعد موتها. ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ من الإحياء والإماتة. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ يميلون عن الاستقامة. ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ بالطعن والتحريف والتأويل الباطل والإلغاء فيها. ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ فنجازيهم على إلحادهم. ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قابل الإلقاء في النار بالإتيان آمناً مبالغة في إحماد حال المؤمنين. ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ تهديد شديد. ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وعيد بالمجازاة.

﴿٤١﴾ ـ ﴿٤٢﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ بدل من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [فصلت: ٤٠] أو مستأنف، وخبر (إنَّ) محذوف مثل

[وهو]؛ أي: ﴿تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧] [موضع السجود]؛ أي: سجود التلاوة [عندنا] وهو أنسب بالمعنى من قول غيره: هو عندنا عقب ﴿لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨]، وإن كنت سلكته في محل آخر [آخر الآية الأُخْرَى] هو ﴿يَسْـَٔمُونَ﴾.

۞ ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾.

معاندون أو هالكون، أو (أُولئِكَ يُنادَوْنَ) و(الذكر) القرآن. ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ كثير النفع عديم النظير، أو منيع لا يتأتى إبطاله وتحريفه. ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات، أو مما فيه من الأخبار الماضية والأمور الآتية ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ﴾؛ أي: حكيم. ﴿حَمِيدٍ﴾ يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه.

﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾؛ أي: ما يقول لك كفار قومك. ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ إلا مثل ما قال لهم كفار قومهم، ويجوز أن يكون المعنى: أو ما يقول الله لك إلا مثل ما قال لهم. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لأنبيائه ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لأعدائهم، وهو على الثاني يحتمل أن يكون المقول بمعنى: أن حاصل ما أوحي إليك وإليهم، وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة. ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا﴾ جواب لقولهم: هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير (للذكر). ﴿لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ بُيِّنت بلسان نَفْقَهُه. ﴿أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ أكلام أعجمي ومخاطب عربي؛ إنكار مقرر للتخصيص، والأعجمي يقال للذي لا يفهم كلامه. وهذا قراءة أبي بكر وحمزة والكسائي، وقرأ قالون وأبو عمرو بالمد والتسهيل وورش بالمد وإبدال الثانية ألفاً، وابن كثير وابن ذكوان وحفص بغير المد بتسهيل الثانية، وقرئ: (أعجمي) وهو منسوب إلى العجم، وقرأ هشام:

[وهو على الثاني]؛ أي: من القولين في قوله: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ [فصلت: ٤٣]

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾.

(أعجميّ) على الإخبار، وعلى هذا يجوز أن يكون المراد: هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجمياً لإفهام العجم وبعضها عربياً لإفهام العرب، والمقصود إبطال مقترحهم باستلزامه المحذور، أو للدلالة على أنهم لا ينفكون عن التعنت في الآيات كيف جاءت. ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى﴾ إلى الحق. ﴿وَشِفَآءٌ﴾ من الشك والشبه. ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ خبره: ﴿فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ على تقدير: هو في آذانِهِمْ وَقْرٌ لقوله: ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ وذلك لتصامّهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات، ومن جوّز العطف على عاملين مختلفين عطف ذلك على (لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً). ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾؛ أي: صم: وهو تمثيل لهم في عدم قبولهم الحق واستماعهم له بمن يصاح به من مسافة بعيدة.

﴿٤٥﴾ - ﴿٤٦﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب كما اختلف في القرآن. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ وهي العِدَةُ بالقيامة وفصل الخصومة حينئذٍ، أو تقدير الآجال. ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ باستئصال المكذبين. ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ وإن اليهود، أو الذين لَا يُؤْمِنُونَ. ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من التوراة أو القرآن. ﴿مُرِيبٍ﴾ موجب للاضطراب. ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ نفعه ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ ضره ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فيفعل بهم ما ليس له أن يفعله.

[وعلى هذا يجوز أن يكون المراد هلا فصلت] إلى آخره، والحاصل: أن قوله: ﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ [فصلت: ٤٤] بالإخبار بيان لكيفية التفصيل، وبالاستفهام بيان لعدم

۞ ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿٤٧﴾ ـ ﴿٤٨﴾ ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ أي: إذا سئل عنها إذ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ. ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ من أوعيتها جمع (كم) بالكسر. وقرأ نافع وابن عامر وحفص (مِنْ ثَمَراتٍ) بالجمع لاختلاف الأنواع، وقرئ بجمع الضمير أيضا، و(ما) نافية و(مِنْ) الأولى مزيدة للاستغراق، ويحتمل أن تكون موصولة معطوفة على (السَّاعَةِ) و(مِنْ) مبينة بخلاف قوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ﴾ بمكان. ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ إلا مقروناً بعلمه واقعاً حسب تعلقه به. ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ بزعمكم. ﴿قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ﴾ أعلمناك ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ من أحد يشهد لهم بالشركة إذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ، أو من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنا. وقيل: هو قول الشركاء! أي: ما منا من يشهد لهم بأنهم كانوا محقين. ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ﴾ يعبدون. ﴿مِن قَبْلُ﴾ لا ينفعهم، أو لا يرونه. ﴿وَظَنُّوا۟﴾ وأيقنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي.

﴿٤٩﴾ ـ ﴿٥٠﴾ ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ لا يمل ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ من طلب السعة في النعمة، وقرئ: (من دعاء بالخير). ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الضيقة.

كونه مفصلاً مبيناً [وقرئ بجمع الضمير]؛ أي: ضمير﴿أَكْمَامِهَا﴾ [فصلت: ٤٧] بأن أبدل بـ«أكمامهن»[١] [بخلاف قوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾] فإن «ما» لا تكون موصولة.

---

(١) انظر: الحجة في القراءات، ابن خالويه [٢/ ٢١٩].

۞ ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ﴿٥١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ﴾ من فضل الله ورحمته، وهذا صفة الكافر لقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] وقد بولغ في يأسه من جهة البنية والتكرير، وما في القنوط من ظهور أثر اليأس. ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ﴾ بتفريجها عنه. ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ حقّي! أستحقه بما ليَ من الفضل والعمل، أو لي دائماً لا يزول! ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾ تقوم. ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰ﴾؛ أي: ولئن قامت على التوهم كان لي عند الله تعالى الحالة الحسنى من الكرامة؛ وذلك لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه. ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فلنخبرنهم ﴿بِمَا عَمِلُواْ﴾ بحقيقة أعمالهم، ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها. ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ لا يمكنهم التقصي عنه.

﴿٥١﴾ - ﴿٥٢﴾ ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ﴾ عن الشكر. ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ وانحرف عنه، أو ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبراً، والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله: ﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾ كثير مستعار مما له عرض متسع للإشعار بكثرته واستمراره، وهو أبلغ من الطويل؛ إذ الطول أطول الامتدادين، فإذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله. ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ﴾ أخبروني ﴿إِن كَانَ﴾؛ أي: القرآن ﴿مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ﴾ من غير نظر واتباع دليل ﴿مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾؛ أي: من أضل

[من جهة البنية والتكرير]؛ أي: من جهة بنية «فعول»، وتكريرها [﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾ [فصلت: ٥٠]] لا ينافي نفي الظن هنا إثباته في قوله: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا﴾ [الجاثية: ٣٢]؛ لأن المراد بالنفي نفي الظن الكامل بقرينة وضع اسم الفاعل أعني:

۞ ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾.

منكم؟! فوضع الموصول موضع الضمير شرحاً لحالهم وتعليلاً لمزيد ضلالهم.

﴿٥٣﴾ - ﴿٥٤﴾ ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾؛ يعني: ما أخبرهم النبي عليه السلام به من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية، وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة. ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ما ظهر فيما بين أهل مكة وما حل بهم، أو ما في بدن الإنسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة. ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ الضمير للقرآن، أو الرسول، أو التوحيد، أو الله ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾؛ أي: أو لم يكف ربك، والباء مزيدة للتأكيد كأنه قيل: أو لم تحصل الكفاية به. ولا تكاد تزاد في الفاعل إلا مع (كفى). ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ بدل منه، والمعنى: أو لم يكفك أنه تعالى على كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ؛ محقق له فيحقق أمرك بإظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة، أو مطلع فيعلم حالك وحالهم، أو: أولم يكف الإنسان رادعاً عن المعاصي أنه تعالى مطلع على كل شيء لا يخفى عليه خافية. ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ﴾ شك، وقرئ بالضم وهو لغة كـ(خُفْيَة وخِفْية). ﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث والجزاء. ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ عالم بجمل الأشياء وتفاصيلها، مقتدر عليها لا يفوته شيء منها.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (السجدة) أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات**».

قائمة موضع المضارع أعني: يقوم [بدل منه]؛ أي: من ربك. [«من قرأ سورة السجدة..»] إلى آخره، موضوع[1].

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٢/ ٢٣٠/ برقم: ١١٤١].

سُورَةُ الشُّورَىٰ

(٤٢) (حم عسق)، وتسمى سورة (الشورى)، مكية، وآيها ثلاث وخمسون آية

﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِىُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ـ ﴿٢﴾ ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ﴾ لعله اسمان للسورة؛ ولذلك فصل بينهما وعُدّا آيتين؛ وإن كانا اسماً واحداً فالفصل لتطابق سائر الحواميم، وقرئ: (حم سق).

﴿٣﴾ ـ ﴿٤﴾ ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾؛ أي: مثل ما في هذه السورة من المعاني، أو إيحاء مثل إيحائها أوحى الله إليك وإلى الرسل من قبلك، وإنما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية؛ للدلالة على استمرار الوحي، وأن إيحاء مثله عادته، وقرأ ابن كثير (يُوحِي) بالفتح على أن (كذلك) مبتدأ و(يُوحِي) خبره المسند إلى ضميره، أو مصدر و(يُوحِي) مسند إلى (إليك)، و(اللهُ) مرتفع بما دل عليه (يُوحِي)، و(الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحى به كما مر في السورة السابقة، أو بالابتداء كما في قراءة (نوحي) بالنون و(الْعَزِيزُ) وما بعده أخبار، أو

قوله: [أي: مثل ما في هذه السورة من المعاني] إلى آخره؛ يعني: يجوز أن تكون الكاف في «كذلك» مفعولاً به، أو نعتاً لمصدر محذوف[١] [أو مصدر] عطف على مبتدأ، ووجه كون كذلك مصدراً أنه بمعنى مثل ذلك الإيحاء [بالنون] في نسخ

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية [٥/ ٢٣].

۞ ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾.

(الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) صفتان. وقوله: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ خبران له، وعلى الوجوه الأُخَر استئناف مقرر لعزته وحكمته.

۝٥ ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ وقرأ نافع والكسائي بالياء. ﴿يَتَفَطَّرۡنَ﴾ يتشققن من عظمة الله، وقيل: من ادّعاء الولد له. وقرأ البصريان وأبو بكر (ينفطرن) والأوّل أبلغ لأنه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر، وقرئ: (تتفطرن) بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر. ﴿مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾؛ أي: يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية، وتخصيصها على الأوّل؛ لأن أعظم الآيات وأدلها على علو شأنه من تلك الجهة، وعلى الثاني ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الأولى. وقيل: الضمير للأرض فإن المراد بها الجنس. ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والإلهام وإعداد الأسباب المقربة إلى الطاعة، وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر؛ بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد، وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة. ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ إذ ما من مخلوق إلا وهو ذو حظ من رحمته، والآية على الأول: زيادة تقرير لعظمته، وعلى الثاني: دلالة على تقدسه عما نسب إليه، وإن عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء؛ باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته.

بدله «يَنْفَطرن» [وهو نادر]؛ أي: لما فيه من الجمع بين أداتي تأنيث وهما: التاء، والنون آخره [وتخصيصها]؛ أي: الجهة [على الأول] هو كون التشقق من عظمة الله[1] [وإن عدم معاجلتهم] إلى آخره، عطف على «تقدسه».

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٥/٣٥٨].

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ
(٦) وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا
رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن
يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٨) أَمِ اتَّخَذُوا مِن
دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٩)﴾.

---

(٦) ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ شركاء وأندادا ﴿اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها ﴿وَمَا أَنتَ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ بموكل بهم، أو بموكول إليك أمرهم.

(٧) ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ الإشارة إلى مصدر (يُوحِي) أو إلى معنى الآية المتقدمة، فإنه مكرر في القرآن في مواضع جمة فتكون الكاف مفعولاً به (وقُرْآناً عَرَبِيّاً) حال منه. ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ أهل أم القرى؛ وهي مكة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من العرب ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ يوم القيامة يجمع فيه الخلائق، أو الأرواح، أو الأشباح، أو الأعمال والعمال وحذف ثاني مفعولي الأول وأول مفعولي الثاني للتهويل وإيهام التعميم، وقرئ: (لينذر) بالياء والفعل (للقرآن). ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعتراض لا محل له. ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾؛ أي: بعد جمعهم في الموقف يجمعون أولاً ثم يفرقون، والتقدير: منهم فريق، والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه، وقرئا منصوبين على الحال منهم؛ أي: وتنذر يوم جمعهم متفرقين؛ بمعنى: مشارفين للتفرق، أو متفرقين في داري الثواب والعقاب.

(٨) ـ (٩) ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ مهتدين أو ضالين. ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ بالهداية والحمل على الطاعة. ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾؛ أي: يدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه، ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد إذ الكلام في الإنذار. ﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾ بل اتخذوا ﴿مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ كالأصنام ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ جواب لشرط محذوف

۞ ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

مثل: إن أرادوا أولياء بحق فالله هو الولي بالحق ﴿وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ كالتقرير لكونه حقيقاً بالولاية.

﴿١٠﴾ ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ﴾ أنتم والكفار ﴿فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾ من أمر من أمور الدنيا أو الدين ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ مفوض إليه يميز المحق من المبطل بالنصر، أو بالإثابة والمعاقبة. وقيل: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ﴾ من تأويل متشابه فارجعوا فيه إلى المحكم من كتاب الله. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في مجامع الأمور ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ إليه أرجع في المعضلات.

﴿١١﴾ - ﴿١٢﴾ ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خبر آخر لـ(ذلكم) أو مبتدأ خبره. ﴿جَعَلَ لَكُم﴾ وقرئ بالجر على البدل من الضمير أو الوصف (لإلى الله)، وبالرفع خبراً آخر لـ(ذلِكُم)، أو مبتدأ خبره: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ من جنسكم ﴿أَزْوَٰجًا﴾ نساء ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾؛ أي: وخلق للأنعام من جنسها أزواجاً، أو خلق لكم من الأنعام أصنافاً، أو ذكوراً وأناثاً. ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ يكثركم، من: (الذرء): وهو البث، وفي معناه: (الذر) و(الذرو) والضمير على الأول للناس، و(الأَنْعامِ) على تغليب المخاطبين العقلاء. ﴿فِيهِ﴾ في هذا التدبير وهو جعل الناس والأنعام أزواجاً يكون بينهم توالد، فإنه كالمنبع للبث والتكثير. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾؛ أي: ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه، والمراد من (مثله) ذاته كما في قولهم: مثلك لا يفعل كذا!

[أو الوصف لـ«إلى الله»]؛ يعني لقوله: ﴿ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠] في قوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ [والمراد من «مثله» ذاته كما في قولهم: مثلك لا يفعل كذا] شروع في تفسير

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾.

على قصد المبالغة في نفيه عنه؛ فإنه إذا نفى عمن يناسبه ويسد مسدّه كان نفيه عنه أولى، ونظيره قول رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب: (أَلَا وَفِيهِمْ الطَّيِّبُ الطَاهِرُ لِذَاتِهِ). ومن قال: الكاف فيه زائدة؛ لعله عنى أنه يعطى معنى (لَيْسَ مِّثْلِهِ) غير أنه آكد لما ذكرناه. وقيل: (مثله) صفته؛ أي: ليس كصفته صفة. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ لكل ما يسمع ويبصر. ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ خزائنها. ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ يوسع ويضيق على وفق مشيئته. ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ فيفعله على ما ينبغي.

١٣ ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ﴾؛ أي: شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما عليهم السلام من أرباب الشرائع، وهو الأصل المشترك فيما بينهم

قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١] على وجه لا تكون الكاف مزّيدة، وحاصله كما قال التفتازاني: إن قولنا: «ليس كذاته شيء»، وقولنا: «ليس كمثله شيء» كلاهما عبارتان عن معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته، الأول صريح، والثانية كناية مشتملة على مبالغة، وهي أن المماثلة منفية عمن يكون مثله، وعلى صفته، فكيف عن نفسه؟ وهذا لا يستلزم وجود المثل، ألا ترى أن قولهم: «مثل الأمير يفعل كذا» ليس اعترافاً بوجود المثل له؛ فالمعنى هنا: أن مثل مثله تعالى منفي، فكيف بمثله؟ وأيضاً مثل المثل مثلٌ، فيلزم من نفيه نفيهما[1]، وقد أشبعت الكلام عن ذلك في حاشية جمع الجوامع [ألا وفيهم الطّيّبُ الطاهرُ لذاته] بكسر اللام ورفع التاء جمع لذة، وهي ترب الرجل، وهي هنا كناية عن النفس، فالمراد

---

(١) انظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني [١/ ٢٩١].

۞ ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾﴾.

المفسر بقوله: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ وهو الإيمان بما يجب تصديقه، والطاعة في أحكام الله. ومحله النصب على البدل من مفعول (شَرَعَ)، أو الرفع على الاستئناف كأنه جواب وما ذلك المشروع، أو الجر على البدل من (هاء) به. ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ ولا تختلفوا في هذا الأصل، أما فروع الشرائع فتختلف كما قال: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: ٤٨]. ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ عظم عليهم. ﴿مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ من التوحيد. ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ﴾ يجتلب إليه، والضمير لـ(ما تدعوهم) أو للدين. ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ﴾ بالإشارة والتوفيق ﴿مَن يُنِيبُ﴾ يقبل إليه.

﴿١٤﴾ ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾؛ يعني: الأمم السالفة. وقيل: أهل الكتاب لقوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [البينة: ٤] ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ بأن التفرق ضلال متوعد عليه، أو العلم بمبعث الرسول عليه السلام، أو أسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا إليها. ﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾ عداوة، أو طلباً للدنيا. ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ بالإمهال ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ هو يوم القيامة، أو آخر أعمارهم المقدرة. ﴿لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ باستئصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا. ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾؛ يعني: أهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول ﷺ، أو المشركين الذين أورثوا القرآن من بعد أهل الكتاب. وقرئ: (وُرِّثُوا) و(وَرِثُوا). ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ﴾ من

بها هنا نفسه؛ أي: الطيب الطاهر نفسه[1] [على البدل من هاء به]؛ أي: هاء مفعول «شرع» وهو «ما وصى» وهاؤه هي الهاء في «به» [فمختلفة] في نسخ فتختلف

---

(١) ربيع الأبرار، الزمخشري [٣/ ١٥٩].

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾.

كتابهم لا يعلمونه كما هو، أو لا يؤمنون به حق الإيمان، أو من القرآن. ﴿مُرِيبٍ﴾ مقلق أو مدخل في الريبة.

﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾ ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ فلأجل ذلك التفرق أو الكتاب، أو العلم الذي أوتيته ﴿فَٱدۡعُۖ﴾ إلى الاتفاق على الملة الحنيفية، أو الاتباع لما أوتيت، وعلى هذا يجوز أن تكون (اللام) في موضع إلى لإفادة الصلة والتعليل. ﴿وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾ واستقم على الدعوة كما أمرك الله تعالى. ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾ الباطلة ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾؛ يعني: جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض. ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ﴾ في تبليغ الشرائع والحكومات. والأول: إشارة إلى كمال القوة النظرية، وهذا إشارة إلى كمال القوة العملية. ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ﴾ خالق الكل ومتولي أمره. ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ﴾ فكل مُجازى بعمله. ﴿لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ﴾ لا حجاج؛ بمعنى: لا خصومة؛ إذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال، ولا للخلاف مبدأ سوى العناد. ﴿ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ﴾ يوم القيامة ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ مرجع الكل لفصل القضاء، وليس في الآية ما يدل على متاركة الكفار رأساً حتى تكون منسوخة بآية القتال. ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾ في دينه ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه، أو من بعد ما استجاب الله لرسوله فأظهر دينه بنصره يوم بدر، أو من بعد ما استجاب له أهل الكتاب بأن أقروا بنبوته واستفتحوا به.

[والأول] هو قوله: ﴿أُمِرۡتَۖ﴾ [الشورى: ١٥] في قوله: ﴿وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ زائلة باطلة ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ لمعاندتهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ على كفرهم.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ جنس الكتاب. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ ملتبساً بعيداً من الباطل، أو بما يحق إنزاله من العقائد والأحكام. ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس، أو العدل بأن أنزل الأمر به، أو آلة الوزن بأن أوحى بإعدادها. ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ إتيانها فاتبع الكتاب، واعمل بالشرع، وواظب على العدل قبل أن يفاجئك اليوم الذي توزن فيه أعمالك وتوفى جزاءك، وقيل: تذكير القريب؛ لأنه بمعنى: ذات قرب، أو لأن الساعة بمعنى: البعث. ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بها استهزاء ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ خائفون منها مع اعتنائها لتوقع الثواب. ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: الكائن لا محالة. ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ﴾ يجادلون فيها من: (المرية)، أو من: (مريت الناقة) إذا مسحت ضرعها بشدة للحلب؛ لأن كلاً من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة. ﴿لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ عن الحق؛ فإن البعث أشبه الغائبات إلى المحسوسات، فمن لم يهتد لتجويزه فهو أبعد عن الاهتداء إلى ما وراءه.

﴿١٩﴾ - ﴿٢٠﴾ ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ برٌّ بهم بصنوف من البر لا تبلغها الأفهام. ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: يرزقه كما يشاء فيخص كلاً من عباده بنوع

[أوحى بأعدادها] في نسخ وأوحى بأعدادها.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ (٢٢) ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣)﴾.

من البر على ما اقتضته حكمته. ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ﴾ الباهر القدرة ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ المنيع الذي لا يغلب ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ ثوابها شبهه بالزرع من حيث أنه فائدة تحصل بعمل الدنيا؛ ولذلك قيل: الدنيا مزرعة الآخرة. و(الحرث) في الأصل: إلقاء البذر في الأرض، ويقال للزرع الحاصل منه. ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ فنعطه بالواحد عشراً إلى سبعمائة فما فوقها. ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ شيئاً منها على ما قسمنا له ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ إذ الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

(٢١) ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ بل ألهم شركاء، والهمزة للتقرير والتقريع، وشركاؤهم شياطينهم ﴿شَرَعُواْ لَهُم﴾ بالتزيين ﴿مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ﴾ كالشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا. وقيل: شركاؤهم أوثانهم، وإضافتها إليهم لأنهم متخذوها شركاء، وإسناد الشرع إليها؛ لأنها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به، أو صور من سُنَّة لهم. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾؛ أي: القضاء السابق بتأجيل الجزاء، أو العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة. ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ﴾ بين الكافرين والمؤمنين، أو المشركين وشركائهم. ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وقرئ: (أن) بالفتح عطفاً على (كلمة الْفَصْلِ)؛ أي: وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا، فإن العذاب الأليم غالب في عذاب الآخرة.

(٢٢) ـ (٢٣) ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا

﴿كَسَبُوا﴾ من السيئات ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾؛ أي: وباله لاحق بهم أشفقوا أو لم يشفقوا. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ في أطيب بقاعها وأنزهها ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى المؤمنين. ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ذلك الثواب الذي يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد، أو ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي (يَبْشُرُ) من بشره وقرئ: (يُبْشِرُ) من: (أَبْشَره). ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على ما أتعاطاه من التبليغ والبشارة. ﴿أَجْرًا﴾ نفعاً منكم. ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾؛ أي: تودوني لقرابتي منكم، أو تودوا قرابتي، وقيل: الاستثناء منقطع والمعنى: لا أسألكم أجراً قط؛ ولكني أسألكم المودة. و(فِي الْقُرْبى) حال منها؛ أي: إِلَّا الْمَوَدَّةَ ثابتة في ذوي الْقُرْبى متمكنة في أهلها، أو في حق القرابة ومن أجلها؛ كما جاء في الحديث: «**الحب في الله والبغض في الله**». روي: أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله! من قرابتك هؤلاء؟ قال: «**علي وفاطمة وابناهما**». وقيل: (الْقُرْبى) التقرب إلى الله؛ أي: إلا أن تودوا الله ورسوله في تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح. وقرئ: (إلا مودة في القربى). ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ ومن يكتسب طاعة سيما حب آل رسول، وقيل: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومودته لهم. ﴿نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ في الحسنة بمضاعفة الثواب، وقرئ: (يزد)؛ أي: يزد الله، و(حسنى). ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن أذنب. ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ

[وقيل: الاستثناء منقطع]؛ أي: وعلى مقابلة متصل بجعل ﴿الْمَوَدَّةَ﴾ [الشورى: ٢٣] من قبيل الأجر نظراً إلى كونها في مقابلة ما يتعاطاها من إرشادهم، وعلى زعمهم أنه يسأل أجراً [الحب في الله والبغض في الله] تتمته فريضة [روي: «أنها لما نزلت..»] إلى

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾.

فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ لمن أطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة.

﴿٢٤﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بل أيقولون. ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ افترى محمد بدعوى النبوة أو القرآن. ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ استبعاد للافتراء عن مثله بالإشعار على أنه إنما يجترئ عليه من كان مختوماً على قلبه جاهلاً بربه، فأما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا، وكأنه قال: إن يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه. وقيل: يختم على قلبك؛ يمسك القرآن أو الوحي عنه، أو يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك أذاهم. ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ استئناف لنفي الافتراء عما يقوله بأنه لو كان مفترى لمحقه؛ إذ من عادته تعالى محو الباطل وإثبات الحق بوحيه، أو بقضائه، أو بوعده بمحو باطلهم وإثبات حقه بالقرآن، أو بقضائه الذي لا مردّ له، وسقوط الواو من (يَمْحُ) في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله: ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ﴾ [الإسراء: ١١].

﴿٢٥﴾ ـ ﴿٢٦﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ بالتجاوز عما تابوا عنه، والقبول يعدى إلى مفعول ثان بـ(من) و(عن) لتضمنه معنى الأخذ والإبانة، وقد عرفت حقيقة التوبة. وعن علي: هي اسم يقع على ستة معان: على الماضي من الذنوب الندامة، ولتضييع الفرائض الإعادة، ورد المظالم، وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية، وإذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية، والبكاء بدل كل ضحكٍ ضحكتُه. ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ صغيرها وكبيرها لمن يشاء. ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ فيجازي ويتجاوز

۞ ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾.

عن إتقان وحكمة، وقرأ الكوفيون غير أبي بكر (ما تَفْعَلُونَ) بالتاء. ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: يستجيب الله لهم؛ فحذف اللام كما حذف في ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ [المطففين: ٣] والمراد إجابة الدعاء أو الإثابة على الطاعة، فإنها كدعاء وطلب لما يترتب عليها. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «**أفضل الدعاء: الحمد لله**»، أو يستجيبون لله بالطاعة إذا دعاهم إليها. ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ على ما سألوا واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة. ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل.

﴿٢٧﴾ ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لتكبروا وأفسدوا فيها بطراً، أو لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب، وأصل البغي: طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى؛ كمية أو كيفية. ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ﴾ بتقدير. ﴿مَّا يَشَآءُ﴾ كما اقتضته مشيئته. ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ يعلم خفايا أمرهم وجلايا حالهم؛ فيقدر لهم ما يناسب شأنهم. روي: أن أهل الصفة تمنوا الغنى، فنزلت. وقيل: في العرب؛ كانوا إذا أخصبوا تحاربوا، وإذا أجدبوا انتجعوا.

﴿٢٨﴾ - ﴿٢٩﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ المطر الذي يغيثهم، من: (الجدب) ولذلك خصّ بالنافع، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم (يُنَزِّلُ)

آخره، رواه الطبراني[١]. [وقرأ الكوفيين بالتاء غير أبي بكر] في نسخة: وقرأ حمزة وحفص والكسائي «ما يفعلون» بالتاء، ولا خلاف في المعنى، ووافقهم على ذلك رويس بخلاف عنه [فإنها]؛ أي: الطاعة [«**أفضل الدعاء: الحمد لله**»] رواه

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني [٣/٤٧/برقم: ٢٦٤١].

۞ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾﴾.

بالتشديد. ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾ أيسوا منه، وقرئ بكسر النون. ﴿وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ﴾ في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان. ﴿وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ الذي يتولى عباده بإحسانه ونشر رحمته. ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ المستحق للحمد على ذلك. ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فإنها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم. ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا﴾ عطف على (السَّماواتِ) أو (الخَلْقُ). ﴿مِن دَآبَّةٖۚ﴾ من حَيٍّ؛ على إطلاق اسم المسبب على السبب، أو مما يدب على الأرض، وما يكون في أحد الشيئين يصدق أن فيهما في الجملة. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ﴾؛ أي: في أي: وقت يشاء. ﴿قَدِيرٞ﴾ متمكن منه و(إذا) كما تدخل على الماضي تدخل على المضارع.

﴿٣٠﴾ ـ ﴿٣١﴾ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ فبسبب معاصيكم، و(الفاء) لأن (مَا) شرطية أو متضمنة معناه، ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية. ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ من الذنوب فلا يعاقب عليها. والآية مخصوصة بالمجرمين؛ فإن ما أصاب غيرهم فلأسباب أُخَر منها تعريضه للأجر العظيم بالصبر عليه. ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ فائتين ما قضى عليكم من المصائب. ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ﴾ يحرسكم عنها ﴿وَلَا نَصِيرٖ﴾ يدفعها عنكم.

﴿٣٢﴾ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ﴾ السفن الجارية. ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾

الترمذي[1]، وغيره [والفاء]؛ أي: وإنما ذكرت الفاء.

(١) سنن الترمذي [٥/٤٢٦/ برقم: ٣٣٨٣].

﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

كالجبال. قالت الخنساء:

وَإِنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الهُدَاةُ بِه كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

﴿٣٣﴾ - ﴿٣٤﴾ ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ وقرئ: (الرياح). ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ﴾ فيبقين ثوابت على ظهر البحر. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ لكل من وكل همته، وحبس نفسه على النظر في آيات الله والتفكر في آلائه، أو لكل مؤمن كامل الإيمان؛ فإن الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر. ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ أو يهلكهن بإرسال الريح العاصفة المغرقة، والمراد إهلاك أهلها لقوله: ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ وأصله: أو يرسلها فيوبقهن؛ لأنه قسيم (يسكن) فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله: ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ إذ المعنى: أو يرسلها فيوبق ناساً بذنوبهم ويُنْجِ ناساً على العفو منهم، وقرئ: (ويعفو) على الاستئناف.

﴿٣٥﴾ - ﴿٣٦﴾ ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ عطف على علة مقدرة مثل: لينتقم منهم وَيَعْلَمَ، أو على الجزاء، أو نصب نصب الواقع جواباً للأشياء الستة؛

[قالت الخنساء] في مرثية أخيها صخر: **[وَإِنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ]** وروي: أغر أبلج تأتم **[الهُداة بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمُ]**؛ أي: جبل **[في رَأْسِهِ نَارُ]** شبهت به أخاها **[وقرأ نافع وحده الرِّيَاح]** في نسخة: «وقرئ الرياح»، والأول أنسب وأقيد **[«الإيمان نصفان..»]** إلى آخره، رواه البيهقي بلفظ: «فنصف في الصبر، ونصف في الشكر»[1] **[أو على الجزاء]**؛ أي: أو عطف على «الجزاء وهو ﴿وَيَعْفُ﴾» [الشورى: ٣٤] **[ونصب نصب الواقع]** إلى

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي [٧/ ١٢٣/ برقم: ٩٧١٥].

﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨﴾.

لأنه أيضاً غير واجب، وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف، وقرئ بالجزم عطفاً على (يَعْفُ) فيكون المعنى: ويجمع بين إهلاك قوم وإنجاء قوم، وتحذير آخرين. ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ محيد من العذاب. والجملة معلق عنها الفعل. ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ تمتعون به مدة حياتكم. ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من ثواب الآخرة. ﴿خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ لخلوص نفعه ودوامه، و(ما) الأولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث أن إيتاء ما أوتوا سبب للتمتع بِهَا فِي الحياة الدنيا؛ فجاءت (الفاء) في جوابها بخلاف الثانية. وعن علي رضي الله عنه: تصدّق أبو بكر رضي الله عنه بماله كله، فلامه جمعٌ، فنزلت.

٣٧ - ٣٨ ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ بما بعده عطف على (لِلَّذِينَ آمَنُوا) أو مدح منصوب أو مرفوع، وبناء (يَغْفِرُونَ) على ضميرهم خبراً للدلالة على أنهم الأَخِصّاء بالمغفرة حال الغضب، وقرأ حمزة والكسائي (كبير الإثم). ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ نزلت في الأنصار دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان فاستجابوا له وأقامُوا الصَّلاةَ ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ ذو شورى بينهم لا يتفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه، وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في الأمور، وهي مصدر كالفتيا بمعنى: التشاور. ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ في سبيل الله الخير.

آخره، جواب ما يقال: كيف نصب مع إنه عطف على المجزوم؟ [لأنه أيضاً غير واجب] لا فائدة له بعد ذكر ما قبله [وقرئ بالجزم]؛ أي: وبالكسر لالتقاء الساكنين [فيكون المعنى: «أو يجمع»]؛ أي: أو إن يشاء يجمع [بخلاف الثانية] فإنها وإن كانت موصولة لم تتضمن معنى الشرط [عطف على «الذين»] من قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾

۞ ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ
فَأَجْرُهُۥ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ
﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ
مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَتَرَى الظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿٣٩﴾ - ﴿٤٠﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ على ما جعله الله لهم كراهة التذلل، وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر أمهات الفضائل، وهو لا يخالف وصفهم بالغفران؛ فإنه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم، والحلم عن العاجز محمود، وعن المتغلب مذموم؛ لأنه إجراء وإغراء على البغي، ثم عقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدي فقال: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ وسمى الثانية (سَيِّئَةٍ) للازدواج، أو لأنها تسوء مَنْ تنزلُ به. ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ بينه وبين عدوه. ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى اللَّهِ﴾ عدة مبهمة تدل على عظم الموعود. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِينَ﴾ المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام.

﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾ ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ بعد ما ظلم، وقد قرئ به. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ بالمعاتبة والمعاقبة. ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ يبتدؤنهم بالإضرار ويطلبون ما لا يستحقونه تجبراً عليهم. ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ على ظلمهم وبغيهم.

﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ على الأذى. ﴿وَغَفَرَ﴾ ولم ينتصر. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾؛ أي: إن ذلك منه فحذف كما حذف في قولهم: السَّمنُ مَنَوانِ بِدِرْهَم؛ للعلم به. ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من

---

(١) [الشورى: ٣٦] [فإنه]؛ أي: الغفران [ينبيء عن عجز المغفور]؛ أي: المغفور له(١)

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١٧/ ٢١١].

۞ ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾.

ناصر يتولاه من بعد خذلان الله إياه. ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقاً. ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ هل إلى رجعة إلى الدنيا.

﴿٤٥﴾ ـ ﴿٤٦﴾ ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ على النار، ويدل عليه (الْعَذابَ). ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل. ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّۗ﴾؛ أي: يبتدئ نظرهم إلى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف؛ كالمصبور ينظر إلى السيف. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ﴾ بالتعريض للعذاب المخلد. ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ ظرف لـ(خسِرُوا) والقول في الدنيا، أو لقال؛ أي: يقولون إذا رأوهم على تلك الحال. ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ تمام كلامهم أو تصديق من الله لهم. ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ إلى الهدى أو النجاة.

﴿٤٧﴾ ـ ﴿٤٨﴾ ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ لا يردّه الله

[ويدل عليه]؛ أي: على اضمار (النار) وفي نسخ «ويدل عليها»؛ أي: النار **[«يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ظرف لـ(خسروا) والقول في الدنيا]**؛ أي: ويكون القول المأخوذ من قال واقعاً في الدنيا **[أو لـ(قال)]** عطف على «لخسروا».

۞ ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾.

بعد ما حكم به و(مِنْ) صلة لـ(مَرَدَّ). وقيل: صلة (يَأْتِيَ)؛ أي: من قبل أن يأتي يومٌ مِنَ الله لا يمكن ردّه. ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾ مفرّ ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ إنكار لما اقترفتموه؛ لأنه مدون في صحائف أعمالكم تشهد عليه ألسنتكم وجوارحكم. ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ﴾ رقيباً أو محاسباً. ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ﴾ وقد بلغت. ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَاۖ﴾ أراد بـ(الإنسان) الجنس لقوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ بليغ الكفران ينسى النعمة رأساً، ويذكر البلية ويعظمها ولا يتأمل سببها، وهذا وإن اختص بالمجرمين جاز إسناده إلى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه. وتصدير الشرطية الأولى بـ(إذا)، والثانية بـ(إنْ) لأن إذاقة النعمة محققة من حيث أنها عادة مقتضاة بالذات بخلاف إصابة البلية. وإقامة علة الجزاء مقامه، ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية؛ للدلالة على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعمة.

﴿٤٩﴾ ـ ﴿٥٠﴾ ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ فله أن يقسم النعمة والبلية كيف يشاء. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ من غير لزوم ومجال اعتراض. ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ﴾ بدل من (يَخْلُقُ) ـ بدل البعض ـ، والمعنى: يجعل أحوال العباد في الأولاد مختلفة على مقتضى المشيئة؛ فيهب لبعض إما صنفاً واحداً مِن ذَكَرٍ أَوْ أنثى، أو الصنفين جميعاً، ويعقم آخرين. ولعل تقديم (الإناث) لأنها أكثر لتكثير النسل، أو لأن مساق الآية للدلالة على أن

[﴿فَرِحَ بِهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٨]] أفرد ضمير ﴿فَرِحَ﴾ نظراً للفظ «الإِنْسَانَ» وجمع ضمير [﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾] نظراً لمعناه.

۞ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾.

الواقع ما يتعلق به مشيئة الله لا مشيئة الإنسان والإناث كذلك، أو لأن الكلام في البلاء؛ والعرب تعدّهن بلاء، أو لتطييب قلوب آبائهن، أو للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور، أو لجبر التأخير وتغيير العاطف في الثالث؛ لأنه قسيم المشترك بين القسمين، ولم يحتج إليه الرابع لإفصاحه بأنه قسيم المشترك بين الأقسام المتقدمة. ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار.

﴿٥١﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ وما صح له. ﴿أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ كلاماً خفياً يدرك؛ لأنه بسرعة تمثيل ليس في ذاته مركباً من حروف مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة، وهو ما يعم المشافه به كما روي في حديث المعراج، وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في «طُوى» و«الطور»، ولكن عطف قوله: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ عليه يخصه

[أو لحين[1] التأخير]؛ أي: تأخير الإناث في قوله: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ [الشورى: ٥٠] فجبره بتقديمهن[2].

[ويعتبر العاطف في الثاني] الأولى في الثالث، وإن كان العاطف ثانياً، إذ المعنى: ويعتبر العاطف في القسم الثالث؛ [لأنه قسم المشتركة بين القسمين] هو من لم يعقم [ولم يحتج إليه]؛ أي: إلى تفسير العاطف [الرابع] وهو من يعقم، وهو ساقط في كثير من النسخ ولا بد منه [لإفصاحه]؛ أي: الرابع [بين الأقسام المتقدمة] وهي: الثلاثة المذكورة، وهو أي: الوحي، أو الكلام المذكور [ما يعمم المشافهة به]؛ أي: الكلام المشافه به [والمهتف به] عطف على «المشافه به»[3]

---

(١) في [ج ـ ب]: (لجبر).
(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٥/ ٣٧٢].
(٣) انظر: روح المعاني، الألوسي [٢٥/ ٥٤].

۞ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾.

بالأول؛ فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها. وقيل: المراد به الإلهام والإلقاء في الروع، أو الوحي المنزل به الملك إلى الرسل فيكون المراد بقوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾ أو يرسل إليه نبيّاً فيبلغ وحيه كما أمره، وعلى الأول: المراد بـ(الرسول) الملك الموحي إلى الرسل، و(وحياً) بما عطف عليه منتصب بالمصدر لأن (مِنْ وَراءِ حِجابٍ) صفة كلام محذوف والإرسال نوع من الكلام، ويجوز أن يكون (وحياً) و(يرسل) مصدرين، و(مِنْ وَراءِ حِجابٍ) ظرفاً وقعت أحوالاً، وقرأ نافع: (أَوْ يُرْسِلُ) برفع اللام. ﴿إِنَّهُۥ عَلِىٌّ﴾ عن صفات المخلوقين. ﴿حَكِيمٌ﴾ يفعل ما تقتضيه حكمته؛ فيكلم تارة بوسط، وتارة بغير وسط؛ إما عياناً، وإما من وراء حجاب.

﴿٥٢﴾ - ﴿٥٣﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾؛ يعني: ما أوحي إليه، وسماه (روحاً) لأن القلوب تحيى به، وقيل: جبريل، والمعنى: أرسلناه إليك بالوحي. ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾؛ أي: قبل الوحي، وهو دليل على أنه لم يكن متعبداً قبل النبوة بشرع. وقيل: المراد هو الإيمان بما لا طريق إليه إلا السمع. ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾؛ أي: الروح أو الكتاب أو

[وقيل: المراد]؛ أي: بقوله: ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢] [وهو الإيمان بما لا طريق إليه إلا السمع] جواب ما يقال: كيف قيل ذلك، والأنبياء معصومون مطلقاً عن الكفر والكبائر وعن الصغائر المنفرة؟ وعلى هذا القول اقتصر «الكشاف»[(١)]، ووجه القول الأول القائل: بأن المراد به ما يشمل ما طريقه السمع، وما طريقه العقل، أنه

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٢٣٩].

الإيمان. ﴿نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ بالتوفيق للقبول، والنظر فيه. ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هو الإسلام، وقرئ: (لَتُهْدَى)؛ أي: ليهديك الله. ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ بدل من الأول. ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً. ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ بارتفاع الوسائط والتعلقات، وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ** ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ (حم عسق) كان ممن تصلي عليه الملائكة، ويستغفرون له، ويسترحمون له».

يجوز أن يراد نفي دراية الإيمان بجملته لا نفي دراية البعض بناء على أن الإيمان بمنزلة الكلي للجزئيات، لا الكل للأجزاء. [«من قراء سورة «حم عسق»...»] إلى آخره موضوع[1].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/٢٤٦/ برقم: ١١٥٨].

سورة الزخرف

(٤٣)، مكية وقيل: إلا قوله: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ [الزخرف: ٤٥]،
وآيها تسع وثمانون آية

۞ ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

۝١ - ۝٤ ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ أقسم بالقرآن على أنه جعله قرآناً عربياً، وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول أبي تمام: (وَثَنَايَاكَ إِنَّهَا إِغْرِيضُ). ولعل إقسام الله بالأشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه، وبالقرآن من حيث أنه معجز عظيم مبين لطرق الهدى وما يحتاج إليه في الديانة، أو بيَّن للعرب ما يدل على أنه تعالى صيره كذلك ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تفهموا

قوله: [أقسم بالقرآن]؛ أي: سواء أقسم به وحده، أو به وبما قبله [لتناسب القسم والمقسم عليه] إنما عبر بتناسبهما لا باتحادهما؛ لأنهما لم يتحدا؛ لأن المقسمَ به ذات القرآن، والمقسم عليه وصفه بكونه عربياً [كقول أبي تمام: وَثَنَايَاكَ أَنَّها إِغْرِيضُ].

أي: طلع وبرد، وقيل: وكل أبيض طري. وتمامه: ولآل توم وبرق وميض، والتوم: جمع تومة، وهي حبه تعمل من الفضة كالدّرة، والوميض مصدر ومض. قال الجوهري: يقال وَمَضَ البرقُ يَمِضُ وَمضاً، ووميضاً وومضاناً؛ أي: لمع لمعاً خفيفاً[1] [والقرآن] مبتدأ خبره بدل [أو بين]؛ أي: واضح عطف على «مبين»

---

(١) الصحاح، الجوهري [٥/ ٢٦٥].

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾﴾.

معانيه. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ عطف على (إنّا)، وقرأ حمزة والكسائي بالكسر على الاستئناف. ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ في اللوح المحفوظ فإنه أصل الكتب السماوية، وقرأ (إمِّ الكتاب) بالكسر. ﴿لَدَيْنَا﴾ محفوظاً عندنا عن التغيير. ﴿لَعَلِىٌّ﴾ رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزاً من بينها. ﴿حَكِيمٌ﴾ ذو حكمة بالغة، أو محكم لا ينسخه غيره. وهما خبران لـ(إنَّ)، و(فِي أُمِّ الْكِتابِ) متعلق بـ(عَلِيّ) و(اللام) لا تمنعه، أو حال منه، و(لَدَيْنا) بدل منه، أو حال من (الكِتابِ).

﴿٥﴾ ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ أفننذوده ونبعده عنكم؛ مجاز من قولهم: ضرب الغرائب عن الحوض، قال طرفة:

اضرب عنك الهموم طارِقَها ضَرْبَكَ بِالسَّيْفِ قَوْنَسَ الفَرَسِ

و(الفاء) للعطف على محذوف؛ أي: أنهملكم فنضرب عَنْكُمُ الذِّكْرَ، و(صَفْحاً) مصدر من غير لفظه؛ فإن تنحية الذكر عنهم إعراض. أو مفعول له، أو حال بمعنى: صافحين، وأصله: أن تُوَلِّي الشيءَ صفحةَ عنقك. وقيل: إنه بمعنى الجانب؛ فيكون ظرفاً، ويؤيده أنه قرئ: (صُفْحاً) بالضم، وحينئذ يحتمل أن يكون تخفيف صفح، جمع صفوح بمعنى: صافحين، والمراد: إنكار أن يكون الأمر على خلاف ما ذكر من إنزال الكتاب على لغتهم ليفهموه. ﴿أَن كُنتُمْ﴾؛ أي: لأن كنتم ﴿قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ وهو في

[من قولهم: ضرب الغرائب عن الحوض] إشارة إلى أن في الآية استعارة تمثيلية حيث استعار للتنحية الضرب التي بمعنى: الذياد، بعد أن شبه حالة التنحية بحالة ذود غرائب الإبل عن الحوض، وهي الغريبة من الإبل تزدحم على الحياض عند الورود، وصاحب الحوض يطردها ويضربها بسبب إبله [قال طرفه: اضرِبَ] بفتح الباء، وأصله اضْرِبَنْ بسكون الباء، ونون التوكيد الخفيفة فحذفت النون، وحركت الباء بالفتح [عَنْكَ الهُمُومَ طَارِقَهَا] هو ما يطرق بالليل [ضَرْبَكَ بالسَّيْفِ قَوْنَس الفَرسِ] هي منبت شعر الناصية،

۞ ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١١﴾.

الحقيقة علة مقتضية لترك الإعراض عنهم، وقرأ نافع وحمزة والكسائي (إنْ) بالكسر على أن الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالاً لهم، وما قبلها دليل الجزاء.

۝٦ ـ ۝٨ ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ عن استهزاء قومه. ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾؛ أي: من القوم المسرفين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى الرسول مخبراً عنهم. ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ وسلف في القرآن قصتهم العجيبة، وفيه وعد للرسول، ووعيد لهم بمثل ما جرى على الأولين.

۝٩ ـ ۝١٠ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ لعله لازم مقولهم، أو ما دل عليه إجمالاً؛ أقيم مقامه تقريراً لإلزام الحجة عليهم، فكأنهم قالوا: (الله) كما حكي عنهم في مواضع أُخر، وهو الذي من صفته ما سرد من الصفات، ويجوز أن يكون مقولهم وما بعده استئناف. ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فتستقرون فيها، وقرأ غير الكوفيون: (مهاداً) بالإلف. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ تسلكونها. ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لكي تهتدوا إلى مقاصدكم، أو إلى حكمة الصانع بالنظر في ذلك.

۝١١ ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ بمقدار ينفع ولا يضر. ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ زال عنه النماء. وتذكيره؛ لأن البلدة بمعنى البلد والمكان. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الإنشار. ﴿تُخْرَجُونَ﴾ تُنشرون من قبوركم، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: (تَخْرُجُونَ) بفتح التاء وضم الراء.

۞ ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤) وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ (١٥)﴾.

---

(١٢) ـ (١٤) ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ أصناف المخلوقات. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه على المتعدي بغيره إذ يقال: ركبت الدابة، وركبت في السفينة. أو المخلوق للركوب على المصنوع له، أو الغالب على النادر ولذلك قال: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾؛ أي: ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى. ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها. ﴿وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ مطيقين؛ من: (أقرن الشيء) إذا أطاقه، وأصله: وجد قرينته؛ إذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف. وقرئ بالتشديد والمعنى واحد. وعنه عليه الصلاة والسلام: أنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال: «**بسم الله** ـ فإذا استوى على الدابة قال: ـ **الحمد لله على كل حال**، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾»؛ أي: راجعون، واتصاله بذلك لأن الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب إلى الله تعالى، أو لأنه مخطر فينبغي للراكب أن لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله تعالى.

(١٥) ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ متصل بقوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ [الزخرف: ٩]؛ أي: وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولداً فقالوا:

وهو عظم ناتئ بين أُذني الفرس [«أنه كان إذا وضع رجله في الركاب...»] إلى آخره، رواه بدون قوله: «على كل حال» أبو داود(١)، وغيره [أو لأنه مخطر] عطف على «لأن

(١) سنن أبي داود [٢/ ٤٠/ برقم: ٢٦٠٢].

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

الملائكة بنات الله، ولعله سماه جزءاً كما سمي بعضاً لأنه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته، وقرئ: (جُزُءاً) بضمتين. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر الكفران، ومن ذلك نسبة الولد إلى الله؛ لأنها من فرط الجهل به والتحقير لشأنه.

﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾ ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ معنى الهمزة في (أَمِ) للإنكار والتعجب من شأنهم؛ حيث لم يقنعوا بأن جعلوا له جزءاً حتى جعلوا له من مخلوقاته أجزاء أخس مما اختير لهم وأبغض الأشياء إليهم، بحيث إذا بشر أحدهم بها اشتد غمه به كما قال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ بالجنس الذي جعله له مثلاً: إذ الولد لا بد وأن يماثل الوالد. ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ صار وجهه أسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة. ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوء قلبه من الكرب، وفي ذلك دلالات على فساد ما قالوه، وتعريف البنين بما مرّ في الذكور، وقرئ: (مُسْوَدٌّ) و(مُسْوَادّ) على أن في (ظَلَّ) ضمير المبشر و(وَجْهُهُ مُسْوَدّ) جملة وقعت خبراً.

﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾ ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾؛ أي: أو جعلوا له، أو اتخذ من يتربى في الزينة؛ يعني: البنات. ﴿وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ﴾ في المجادلة. ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأي، ويجوز أن يكون (من) مبتدأ محذوف الخبر؛ أي: أو من هذا حاله ولده. و(فِي الْخِصامِ)

الركوب» [وقرئ «جُزُأ» بضمتين] قرأ به أبو بكر، وقرأ أبو جعفر بتشديد الزاي [وقرئ «مسودٌّ» و«مسوادٌّ»]؛ أي: برفعهما [أو من هذا حالة ولده]؛ أي: ولد الله، وهو الخبر

۞ ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾.

متعلق بـ(مُبِينٍ)، وإضافة (غَيْرُ) إليه لا يمنعه لما عرفت. وقرأ حمزة والكسائي وحفص (يُنَشَّأُ)؛ أي: يربّى. وقرئ: (يَنْشَأُ) و(يُنَاشَأ) بمعناه، ونظير ذلك: أعلاه وعلّاه وعالاه بمعنى. ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ كفرٌ آخر تضمنه مقالهم شنّع به عليهم، وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله أنقصهم رأياً وأخسهم صنفاً. وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب (عند) على تمثيل زلفاهم. وقرئ: (أُنُثاً) وهو جمع الجمع. ﴿أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ﴾ أحضروا خلق الله إياهم فشاهدوهم إناثاً، فإن ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم. وقرأ نافع (أُشْهِدُواْ) بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين، و(آأشهدوا) بمدّة بينهما. ﴿سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ﴾ التي شهدوا بها على الملائكة. ﴿وَيُسۡـَٔلُونَ﴾؛ أي: عنها يوم القيامة، وهو وعيد شديد. وقرئ: (سيكتب) و(سنكتب) بالياء والنون. و(شهاداتهم) وهي أن لله جزءاً، أو أنه بنات وهنَّ الملائكة ويسألون من: المساءلة.

﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾ ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ﴾؛ أي: لو شاء عدم

المحذوف [كما عرفت]؛ أي: في آخر الفاتحة [وقرأ الحجازيان والبصريان]؛ أي: وابن عامر [عند]؛ أي: بالنون، والبصريان أبو عمرو، ويعقوب، لكن ذكر «أبي عمرو» هنا غلط [على تمثيل زلفاهم] عبارة «الكشاف»[(١)]: وقرئ: «عباد الرحمٰن»، و«عبيد الرحمٰن»، و«عند[(٢)] الرحمٰن»، وهو مثل لزلفاهم، واختصاصهم [﴿وَيُسۡـَٔلُونَ﴾]؛ أي: وقرئ ويسألون من المسألة بالمد أيضاً، وعبارة «الكشاف»[(٣)]:

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/٢٤٨].
(٢) كما في نسخة [الأصل - ز - ب] وفي نسخة [ج]: (عبد).
(٣) الكشاف، الزمخشري [٤/٢٤٨].

﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

عبادة الملائكة ما عبدناهم؛ فاستدلوا بنفي مشيئة عدم العبادة على امتناع النهي عنها أو على حسنها، وذلك باطل؛ لأن المشيئة ترجح بعض الممكنات على بعض مأموراً كان أو منهياً، حسناً كان أو غيره؛ ولذلك جهلهم فقال: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يتمحلون تمحلاً باطلاً، ويجوز أن تكون الإشارة إلى أصل الدعوى؛ كأنه لما أبدى وجوه فسادها، وحكى شبهتهم المزيفة؛ نفى أن يكون لهم بها علم من طريق العقل، ثم أضرب عنه إلى إنكار أن يكون لهم سند من جهة النقل فقال: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ من قبل القرآن، أو ادّعائهم ينطق على صحة ما قالوه. ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ بذلك الكتاب متمسكون.

﴿٢٢﴾ ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾؛ أي: لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية، وإنما جنحوا فيه إلى تقليد آبائهم الجهلة، و(الأُمَّةِ): الطريقة التي تؤم كالراحلة للمرحول إليه، وقرئت بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآمّ؛ أي: القاصد؛ ومنها: الدين.

ويسألون على: يفاعلون [وذلك]؛ أي: استدلالهم بما ذكر [باطل؛ لأن المشيئة ترجيح بعض الممكنات] إلى آخره[1]، وكفرهم إنما حصل بالاستهزاء بذلك، إذ قولهم: لو شاء الله ما أشركنا ـ كلمة حق ـ، لكن أرادوا بها ـ باطلاً ـ بزعمهم أنها حجة لهم على الله في أن لا يعاقبهم، كما توهمت القدرية.

[والأمة الطائفة] في نسخة: الأمة الطريقة، وهي موافقة لما في «الكشاف»[2] [وهي الحالة التي تكون عليها الأمّ] بالمد [أي: القاصد] في نسخة: أي: القاصدين على إرادة الجنس [ومنها]؛ أي: من الحالة.

---

(١) انظر: التوقيف، المناوي [ص٦٥٨].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٢٤٩].

۞ ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ
ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ
عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا
ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ، ودلالة على أن التقليد في نحو ذلك ضلال قديم، وأن مقدميهم أيضاً لم يكن لهم سند منظور إليه، وتخصيص المترفين إشعار بأن التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر إلى التقليد.

﴿٢٤﴾ ـ ﴿٢٥﴾ ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾؛ أي: أتتبعون آبائكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم، وهي حكاية أمرٍ ماض أوحي إلى النذير، أو خطاب لرسول الله ﷺ، ويؤيد الأول أنه قرأ ابن عامر وحفص (قالَ) وقوله: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾؛ أي: وإن كان أهدى؛ إقناطاً للنذير من أن ينظروا أو يتفكروا فيه. ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالاستئصال. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ ولا تكترث بتكذيبهم.

﴿٢٦﴾ ـ ﴿٢٨﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل، أو ليقلدوه إن لم يكن لهم بد من التقليد فإنه أشرف آبائهم. ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ بريء من عبادتكم أو معبودكم؛ مصدر نعت به؛ ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدّد والمذكر والمؤنث، وقرئ: (بريء) و(بُراء) كـ(كريم وكُرام). ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ استثناء منقطع، أو متصل على أن (ما) تعم أولي العلم وغيرهم، وأنهم كانوا يعبدون الله والأوثان، أو صفة على أن (ما) موصوفة؛ أي: إنني براء

[أو صفة] عطف على «استثناء».

۞ ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني. ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ سيثبتني على الهداية، أو سيهديني إلى ما وراء ما هداني إليه. ﴿وَجَعَلَهَا﴾ وجعل إبراهيم عليه السلام، أو الله كلمة التوحيد. ﴿كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ في ذريته فيكون فيهم أبداً من يوحد الله ويدعو إلى توحيده، وقرئ: (كِلْمَةً) و(فِي عَقْبِهِ) على التخفيف و(في عَاقِبِهِ)؛ أي: فيمن عقبه. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يرجع من أشرك بدعاء من وحد.

(٢٩) - (٣٠) ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ هؤلاء المعاصرين للرسول من قريش وآباءهم بالمد في العمر والنعمة، فاغتروا لذلك وانهمكوا في الشهوات. وقرئ: (مَتَّعْتَ) بالفتح على أنه تعالى اعترض به على ذاته في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً﴾ [الزخرف: ٢٨] مبالغة في تعييرهم. ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ دعوة التوحيد أو القرآن. ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر الرسالة بما له من المعجزات، أو مُبِينٌ للتوحيد بالحجج والآيات. ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ لينبههم عن غفلتهم ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ زادوا شرارة فضموا إلى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به، فسموا القرآن سحراً وكفروا به واستحقروا الرسول.

(٣١) - (٣٢) ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾ من إحدى القريتين مكة والطائف. ﴿عَظِيمٍ﴾ بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة

[وقرئ «متعت» بالفتح] إلى آخره، هو من باب التجريد [مبالغة في تعبيرهم]؛ لأنه إذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم أن يجعلوا ذلك سبباً في زيادة الشكر

۞ ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

وعروة بن مسعود الثقفي، فإن الرسالة منصب عظيم لا يليق إلا بعظيم، ولم يعلموا أنها رتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية، لا التزخرف بالزخارف الدنيوية. ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ﴾ إنكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم، والمراد بالرحمة النبوة. ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ وهم عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة أمرهم في دنياهم، فمن أين لهم أن يدبروا أمر النبوة التي هي أعلى المراتب الإنسية، وإطلاق المعيشة يقتضي أن يكون حلالها وحرامها من الله. ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ وأوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره. ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ﴾ ليستعمل بعضهم بعضاً في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم، لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر، ثم إنه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو أعلى منه؟ ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾؛ يعني: هذه النبوة وما يتبعها ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من حطام الدنيا، والعظيم من رزق منها لا منه.

﴿٣٣﴾ ـ ﴿٣٥﴾ ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ لولا أن يرغبوا في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه. ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ ومصاعد. جمع (معرج)، وقرئ: (ومعاريج) جمع معراج. ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ يعلون السطوح لحقارة الدنيا، (وَلِبُيُوتِهِمْ) بدل من (لِمَنْ) بدل الاشتمال، أو على كقولك: (وهبت له ثوباً لقميصه)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (سَقْفًا) اكتفاء بجمع البيوت، وقرئ: (سُقْفاً) بالتخفيف و(سُقُوفاً) و(سَقَفاً) وهي لغة في (سَقْف). ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾؛ أي: أبواباً وسرّراً من فضة. ﴿وَزُخْرُفًا ۚ﴾ وزينة.

۞ ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

عطف على (سُقُفاً) أو (ذهباً) عطف على محل (من فضة) ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (إنْ) هي المخففة و(اللام) هي الفارقة. وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه (لمَّا) بالتشديد بمعنى: (إلا) و(إن) نافية، وقرئ به مع (إن) و(ما) ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ عَن الكفر والمعاصي، وفيه دلالة على أن العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا، وإشعار بما لأجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الإيمان، وهو أنه تمتع قليل بالإضافة إلى ما لهم في الآخرة مخلٌّ به في الأغلب؛ لما فيه من الآفات، قل من يتخلص عنها كما أشار إليه بقوله:

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات، وقرئ: (يَعْشَ) بالفتح؛ أي: يعمَ، يقال: عشيَ إذا كان في بصره آفة، و(عشى) إذا تعشى بلا آفة؛ كـ(عَرَج وعَرُج)، وقرئ: (يعشو) على أن (مَنْ) موصولة. ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ يوسوسه ويغويه دائماً، وقرأ يعقوب بالياء على إسناده إلى ضمير (الرَّحْمَنِ)، ومن رفع (يعشو) ينبغي أن يرفعه ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ عن الطريق الذي من حقه أن يسلك، وجمع الضميرين للمعنى؛ إذ المراد جنس العاشي، والشيطان المقيض له. ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الضمائر الثلاثة الأول له، والباقيان للشيطان.

والثبات على التوحيد، لا أن يشركوا به، ويجعلوا له أنداداً [أو ذهباً] عطف على «زينة» [وقرئ به]؛ أي: بـ«إلا» [مع أن] في قراءة [وما] في أُخرَى، و[وجمع الضميرين]؛ أي: ضميري النصب، وسكت عن ضمير الرفع؛ لأنه بمعنى ما قبله [الضمائر الثلاثة] مبتدأ، وقوله: [الأول]؛ أي: منها [له]؛ أي: للعاشي [والباقيات للشيطان] خبر المبتدأ

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿٣٨﴾ ـ ﴿٣٩﴾ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾؛ أي: العاشي، وقرأ الحجازيان وابن عامر وأبو بكر (جاآنا)؛ أي: العاشي والشيطان. ﴿قَالَ﴾؛ أي: العاشي للشيطان. ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ بعد المشرق من المغرب، فغلّب المشرق، وثنى، وأضيف البعد إليهما. ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ أنت. ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾؛ أي: ما أنتم عليه من التمني. ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ إذ صح إنكم ظلمتم أنفسكم في الدنيا بدل من (الْيَوْمَ). ﴿أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وشياطينكم في العذاب؛ كما كنتم مشتركين في سببه. ويجوز أن يسند الفعل إليه بمعنى: ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في أمر صعب تعاونهم في تحمل أعبائه وتقسمهم لمكابدة عنائه؛ إذ لكل منكم ما لا تسعه طاقته. وقرئ: (إِنَّكُمْ) بالكسر وهو يقوي الأول.

﴿٤٠﴾ ـ ﴿٤٢﴾ ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ إنكار وتعجب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر، واستغراقهم في الضلال؛ بحيث صار عَشاؤهم عمى مقروناً بالصّمم. كان رسول الله ﷺ يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لا يزيدون إلا غيّاً، فنزلت. ﴿وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ عطف على (الْعُمْيَ) باعتبار تغاير الوصفين، وفيه إشعار بأن الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى. ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾؛ أي: فإن قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم، و(ما) مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة. ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ بعدك في الدنيا والآخرة. ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ أو إن أردنا أن نريك ما وعدناهم من العذاب.

۞ ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ
وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ
الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ
إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ
آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

وقرأ يعقوب برواية رويس (أو نُرِيَنْكَ) بإسكان النون وكذا (نذهبن) ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ لا يفوتوننا.

﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ من الآيات والشرائع، وقرئ: (أُوحِيَ) على البناء للفاعل وهو الله تعالى. ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ لا عوج له. ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ لشرف لك. ﴿وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾؛ أي: عَنْهُ يوم القيامة، وعن قيامكم بحقه.

﴿٤٥﴾ ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾؛ أي: واسأل أممهم وعلماء دينهم، وقرأ ابن كثير بتحفيف الهمزة ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ هل حكمنا بعبادة الأوثان؟! وهل جاءت في ملة من مللهم؟! والمراد به الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد، والدلالة على أنه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادي له؛ فإنه كان أقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة.

﴿٤٦﴾ - ﴿٤٧﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يريد باقتصاصه تسلية الرسول ومناقضة قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] والاستشهاد بدعوة موسى عليه الصلاة والسلام إلى التوحيد ليتأملوا فيها ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ فاجؤوا وقت ضحكهم منها؛ أي: استهزؤوا بها أول ما رأوها، ولم يتأملوا فيها.

﴿٤٨﴾ ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ إلا هي بالغة

﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾.

أقصى درجات الإعجاز؛ بحيث يحسب الناظر فيها أنها أكبر مما يقاس إليها من الآيات، والمراد وصف الكل بالكبر كقولك: (رأيت رجالاً بعضهم أفضل من بعض)، وكقوله:

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُم ... مِثْلُ النُّجُومِ الَّتي يَسْرِي بِهَا السَّارِي

أو (إلَّا) وهي مختصة بنوع من الإعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار. ﴿وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ كالسنين والطوفان والجراد. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ على وجه يرجى رجوعهم.

﴿٤٩﴾ ـ ﴿٥٠﴾ ﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم، أو لأنهم كانوا يسمون العالم الماهر ساحراً. ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾؛ أي: لتدع لنا فيكشف عنا العذاب. ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ بعهده عندك من النبوة، أو مِنْ أن يستجيب دعوتك، أو أن يكشف العذاب عمن اهتدى، أو بما عَهِدَ عِنْدَكَ فوفيت به؛ وهو الإيمان والطاعة. ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾. ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ فاجؤوا نكث عهدهم بالاهتداء.

﴿٥١﴾ ـ ﴿٥٢﴾ ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ بنفسه أو بمناديه. ﴿فِى قَوْمِهِۦ﴾ في مجمعهم، أو فيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمن بعضهم. ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ أنهار النيل ومعظمها أربعة أنهر: نهر الملك، ونهر طولون، ونهر دمياط، ونهر تنيس. ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ تحت قصري أو أمري، أو بين يدي في جناني. و(الواو) إما عاطفة لهذه (الْأَنهارُ) على (الملك) و(تَجْرِي) حال منها. أو (واو) حال وهذه مبتدأ و(الْأَنهارُ) صفتها و(تَجْرِي) خبرها. ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ذلك. ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ مع

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

هذه المملكة والبسطة. ﴿مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ ضعيف حقير لا يستعد للرئاسة؛ من: (المهانة) وهي القلة. ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة، و(أَمْ) إما منقطعة، والهمزة فيها للتقرير؛ إذ قدم من أسباب فضله، أو متصلة على إقامة المسبب مقام السبب. والمعنى: أفلا تبصرون؟! أم تبصرون فتعلمون أني خير منه؟

﴿٥٣﴾ - ﴿٥٤﴾ ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾؛ أي: فهلا ألقي عليه مقاليد الملك إن كان صادقاً، إذْ كانوا إذا سودوا رجلاً سوروه وطوقوه بسوار وطوق من ذهب، وأساورة جمع (إسوار)؛ بمعنى: (السوار) على تعويض التاء من ياء (أساوير). وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص (أَسْوِرَةٌ) وهي جمع (سوار). وقرئ: (أساور) جمع (أَسْوِرَةٌ) و(أَلْقَى عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ) و(أساور) على البناء للفاعل وهو الله تعالى. ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ مقرونين به يعينونه أو يصدقونه؛ من: (قرنته به فاقترن)، أو متقارنين؛ من: (اقترن) بمعنى: تقارن. ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾ فطلب منهم الخفة في مطاوعته،

[إذ قدّم]؛ أي: فرعون[1] **[من أسباب فضله]**؛ أي: بعضها، والجملة تعليل للتقرير، وأسباب فضله ما ذكر بقوله: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١] إلى آخره، وعبارة «الكشاف»: وذلك أنّه قدّم تعديد أسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر، وجري الأنهار تحته، ونادى بذلك وملأ به مسامعهم، ثم قال: أنا خير كأنه يقول: أثبت عندكم، واستقر أني خيرٌ وهذه حالي ﴿مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ [الزخرف: ٥٢][2] **[على إقامه المسبب]**؛ أي: وهو ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ [الزخرف: ٥٢] **[مقام السبب]**؛ أي: وهو

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٨/ ١٠].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٢٦١].

۞ ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

أو فاستخف أحلامهم. ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ فيما أمرهم به ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ فلذلك أطاعوا ذلك الفاسق.

﴿٥٥﴾ ـ ﴿٥٦﴾ ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أغضبونا بالإفراط في العناد والعصيان؛ منقول من: (أسف) إذا اشتد غضبه. ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ في اليم. ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾ قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون به في استحقاق مثل عقابهم؛ مصدر نعت به أو جمع: (سالف) كـ(خَدَم وخَادِم)، وقرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع (سَلِيْف) كـ(رُغُف)، أو (سَالِف) كـ(صُبُر) أو (سَلَف) كـ(خَشَب). وقرئ: (سُلَفاً) بإبدال ضمة اللام فتحة، أو على أنه جمع: (سُلْفَة)؛ أي: ثلة قد سلفت. ﴿وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ وعظة لهم، أو قصة عجيبة تسير مسير الأمثال لهم فيقال: مثلكم مثل قوم فرعون.

﴿٥٧﴾ ـ ﴿٥٨﴾ ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾؛ أي: ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] أو غيره بأن قال: النصارى أهل كتاب وهم يعبدون عيسى عليه السلام، ويزعمون أنه ابن الله والملائكة أولى بذلك! أو على قوله: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الزخرف: ٤٥] أو أن محمداً يريد

﴿تُبْصِرُونَ﴾ [وعلى قوله: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ [الزخرف: ٤٥]] عطف على «يزعمون» بتقدير: وهم يعبدون عيسى بناء على زعمهم أن عيسى ابن الله، وعلى ظاهر قوله: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾.. إلى آخره[١] [أو أن محمداً] عطف على «النصارى» بأن قال غير ابن الزبعري: النصارى أهل كتاب، أو قال: إن محمداً يريد أن نعبده كما عبد المسيح.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [١٦/ ٩٥].

۞ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾.

أن نعبده كما عبد المسيح. ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ قريش ﴿مِنْهُ﴾ من هذا المثل. ﴿يَصِدُّونَ﴾ يضجون فرحاً لظنهم أن الرسول صار ملزماً به. وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالضم من: (الصدود)؛ أي: يصدون عن الحق ويعرضون عنه. وقيل: هما لغتان نحو: (يعكِف ويعكُف). ﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾؛ أي: آلهتنا خير عندك أم عيسى عليه السلام؟ فإن كان في النار فلتكن آلهتنا معه. أو آلهتنا الملائكة خير أم عيسى؟ فإذا جاز أن يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا أولى بذلك! أو آلهتنا خير أم محمد فنعبده وندع آلهتنا؟ وقرأ الكوفيون (أآلهتنا) بتحقيق الهمزتين وألف بعدهما. ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ ما ضربوا هذا المثل إلا لأجل الجدل والخصومة؛ لا لتمييز الحق من الباطل. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ شداد الخصومة، حراص على اللجاج.

﴿٥٩﴾ - ﴿٦٠﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة. ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا﴾ أمراً عجيباً كالمثل السائر لبني إسرائيل، وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة. ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير أب، أو لجعلنا بدلكم. ﴿مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ ملائكة يخلفونكم في الأرض، والمعنى: أن حال عيسى عليه السلام وإن كانت عجيبة فإنه تعالى قادر على ما هو أعجب من ذلك، وأن الملائكة مثلكم من حيث أنها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليداً كما جاز خلقها إبداعاً، فمن أين لهم استحقاق الألوهية والانتساب إلى الله سبحانه وتعالى.

﴿٦١﴾ - ﴿٦٢﴾ ﴿وَإِنَّهُ﴾ وإن عيسى ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ لأن حدوثه أو نزوله من أشراط الساعة يعلم به دنوّها، أو لأن إحياء الموتى يدل على قدرة الله تعالى عليه. وقرئ: (لَعَلَمٌ)؛ أي: لعلامة ولذكر على تسمية ما يذكر به

۞ ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

ذكراً، وفي الحديث: «**ينزل عيسى على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها: أفيق، وبيده حربة يقتل بها الدجال، فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح؛ فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد** ﷺ، ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب، ويخرب البِيَع والكنائس، ويقتل النصارى إلا من آمن به». وقيل: الضمير للقرآن فإن فيه الإعلام بالساعة والدلالة عليها. ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ فلا تَشُكُّنَّ فيها. ﴿وَٱتَّبِعُونِ﴾ واتبعوا هداي أو شرعي أو رسولي. وقيل: هو قول الرسول أمر أن يقوله ﴿هَـٰذَا﴾ الذي أدعوكم إليه ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ لا يضل سالكه ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ عن المتابعة ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ثابت عداوته بأن أخرجكم عن الجنة، وعرضكم للبلية.

﴿٦٣﴾ ـ ﴿٦٤﴾ ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ بالمعجزات أو بآيات الإنجيل، أو بالشرائع الواضحات. ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ بالإنجيل أو بالشريعة. ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ وهو ما يكون من أمر الدين لا ما يتعلق بأمر الدنيا؛ فإن الأنبياء لم تبعث لبيانه، ولذلك قال عليه السلام: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**». ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أبلغه عنه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ بيان لما أمرهم بالطاعة فيه، وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع. ﴿هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ الإشارة إلى مجموع الأمرين؛ وهو تتمة كلام عيسى عليه السلام، أو استئناف من الله يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك.

﴿٦٥﴾ ـ ﴿٦٧﴾ ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ الفرق المتحزبة. ﴿مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ من بين

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾.

النصارى، أو اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث إليهم. ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ من المتحزبين ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ هو القيامة. ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ الضمير لـ(قريش) أو (لِلَّذِينَ ظَلَمُوا). ﴿أَن تَأْتِيَهُم﴾ بدل من (السَّاعَةَ) والمعنى: هل ينظرون إلا إتيان الساعة. ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ غَافِلُونَ عنها لاشتغالهم بأمور الدنيا وإنكارهم لها. ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾ الأحِبّاء ﴿يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾؛ أي: يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سبباً للعذاب. ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ فإن خلتهم لما كانت في الله تبقى نافعة أبد الآباد.

﴿٦٨﴾ - ﴿٦٩﴾ ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون في الله يومئذ، وقرأ أبو عمر وحمزة والكسائي وحفص بغير الياء. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ صفة المنادى. ﴿وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ حال من (الواو)؛ أي: الذين آمنوا مخلصين؛ غير أن هذه العبارة آكد وأبلغ.

﴿٧٠﴾ - ﴿٧١﴾ ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾ نساؤكم المؤمنات. ﴿تُحْبَرُونَ﴾ تسرون سروراً يظهر حباره؛ أي: أثره على وجوهكم، أو تزينون من: (الحبر) وهو حسن الهيئة، أو تكرمون إكراماً يبالغ فيه، والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل. ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ الصحاف جمع صحفة، و(الأكواب) جمع (كوب) وهو كوز لا عروة له. ﴿وَفِيهَا﴾ وفي الجنة ﴿مَا﴾ تَشْتَهِي الأنفس وقرأ نافع وابن عامر وحفص ﴿تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ على الأصل. ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد في التنعم والتلذذ. ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾

۞ ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

فإن كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ، وخوف الزوال، ومستعقب للتحسر في ثاني الحال.

﴿٧٢﴾ ـ ﴿٧٣﴾ ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وقرئ: (ورِّثتموها)، شبه جزاء العمل بالميراث لأنه يخلفه عليه العامل، وتلك إشارة إلى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها، و(الَّتِي أُورِثْتُمُوها) صفتها، أو (الْجَنَّةُ) صفة (تِلْكَ) و(الَّتِي) خبرها أو صفة (الْجَنَّةُ) والخبر (بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)، وعليه تتعلق الباء بمحذوف لا بـ(أُورِثْتُمُوها). ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها. ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس، وتكريره في القرآن وهو حقير بالإضافة إلى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة.

﴿٧٤﴾ ـ ﴿٧٦﴾ ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكاملين في الإجرام وَهُم الكفار؛ لأنه جعل قسيم المؤمنين بالآيات، وحكى عنهم ما يخص بالكفار. ﴿فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ خبر (إنّ) أو (خالدون) خبر والظرف متعلق به. ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ لا يخفف عنهم؛ من: (فترت عنه الحمى) إذا سكنت قليلاً، والتركيب للضعف. ﴿وَهُمْ فِيهِ﴾ في العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من النجاة ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مرَّ مثله غير مرّة و(هم) فصل.

﴿٧٧﴾ ـ ﴿٧٨﴾ ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ وقرئ: (يا مَالِ) على الترخيم مكسوراً ومضموماً، ولعله إشعار بأنهم لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللفظ بالتمام

[والظرف متعلق به]؛ أي: بـ«إلٰه».

۞ ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾.

ولذلك اختصروا فقالوا: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ والمعنى: سل ربنا أن يقضي علينا؛ من: (قضى عليه) إذا أماته، وهو لا ينافي إبلاسهم؛ فإنه جؤار وتمنٍّ للموت من فرط الشدة ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ لا خلاص لكم بموت ولا بغيره ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ بالإرسال والإنزال، وهو تتمة الجواب إن كان في (قالَ) ضمير (الله)، وإلا فجواب منه فكأنه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ لما في اتباعه من إتعاب النفس وآداب الجوارح.

﴿٧٩﴾ - ﴿٨٠﴾ ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا﴾ في تكذيب الحق ورده، ولم يقتصروا على كراهته. ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ أمراً في مجازاتهم؛ والعدول عن الخطاب للإشعار بأن ذلك أسوأ من كراهتهم، أو: أم أحكم المشركون أمراً من كيدهم بالرسول ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ كيدنا بهم، ويؤيده قوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ حديث أنفسهم بذلك. ﴿وَنَجْوَىٰهُمۚ﴾ وتناجيهم ﴿بَلَىٰ﴾ نسمعهما ﴿وَرُسُلُنَا﴾ والحفظة مع ذلك ﴿لَدَيْهِمْ﴾ ملازمة لهم ﴿يَكْتُبُونَ﴾ ذلك.

﴿٨١﴾ ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ منكم فإن النبي يكون أعلم بالله وبما يصح له وبما لا يصح له، وأولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده. ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له؛ إذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على أبلغ الوجوه؛ كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢] غير أن (لَوْ) ثمّة مشعرة بانتفاء الطرفين، و(إن) هاهنا لا تشعر به ولا بنقيضه؛ فإنها لمجرد الشريطة بل الانتفاء معلوم؛ لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه، والدلالة على أن إنكاره الولد ليس لعناد ومراء؛ بل لو كان لكان أولى الناس بالاعتراف به. وقيل معناه: إن كان له ولد في زعمكم فأنا أول العابدين لله الموحدين له أو الآنفين منه، أو من أن يكون له ولد؛ من: (عبد يعبد) إذا اشتد أَنَفُه، أو ما كان له ولد فأنا أول الموحدين من

۞ ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ (٨٣) وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ (٨٤) وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥)﴾.

أهل مكة. وقرأ حمزة والكسائي (وُلْد) بالضم وسكون اللام.

(٨٢) ـ (٨٣) ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ عن كونه ذا ولد؛ فإن هذه الأجسام لكونها أصولاً ذات استمرار تبرأت عما يتصف به سائر الأجسام من توليد المثل، فما ظنك بمبدعها وخالقها. ﴿فَذَرْهُمْ﴾ في باطلهم. ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾؛ أي: يوم القيامة، وهو دلالة على أن قولهم هذا جهل واتباع هوى، وإنهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الآخرة.

(٨٤) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ مستحق لأن يعبد فيهما، والظرف متعلق به؛ لأنه بمعنى المعبود، أو متضمن معناه كقولك: هو حاتم في البلد، وكذا فيمن قرأ (الله) والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه، ولا يجوز جعله خبراً له؛ لأنه لا يبقى له عائد لكن لو جعل صلة وقدر (الإله) مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على أن كونه في السماء بمعنى الألوهية دون الاستقرار، وفيه نفي الآلهة السماوية والأرضية واختصاصه باستحقاق الألوهية. ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ كالدليل عليه.

(٨٥) ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ كالهواء. ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ العلم بالساعة التي تقوم القيامة فيها. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء،

[**كقولك: هو حاتم في البلد**]؛ أي: في أن في البلد متعلق بحاتم لتضمنه معنى الجواد [**ولا يجوز جعله**]؛ أي: متعلق الخبر [**خبراً له**]؛ أي: للمعاند [**لكن لو جعل**]؛ أي: متعلق الخبر وجواب لو محذوف، تقديره: جاز [**كالدليل عليه**]؛ أي: على استحقاقه

۞ ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد.

﴿٨٦﴾ - ﴿٨٧﴾ ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بالتوحيد، والاستثناء متصل إن أريد بالموصول كل ما عبد من دون الله؛ لاندراج الملائكة والمسيح فيه، ومنفصل إن خص بالأصنام. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ﴾ سألت العابدين أو المعبودين. ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره.

﴿٨٨﴾ - ﴿٨٩﴾ ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ وقول الرسول؛ ونصبه للعطف على (سرهم)، أو على محل (الساعة) أو لإضمار فعله؛ أي: وقال قِيلِهِ. وجرّه عاصم وحمزة عطفاً على (السَّاعَةِ)، وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ خبره: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أو معطوف على (عِلْمُ السَّاعَةِ) بتقدير مضاف. وقيل: هو قسم منصوب بحذف الجار، أو مجرور بإضماره، أو مرفوع بتقدير: وَقِيلِهِ يا رَبِّ قسمي، و(إنَّ هؤُلاءِ) جوابه. ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ فأعرض عن دعوتهم آيساً عن إيمانهم. ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ تسلم منكم ومتاركة. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تسلية للرسول وتهديد لهم. وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على أنه من المأمور بقوله.

عن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة (الزخرف) كان ممن يقال له يوم القيامة: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾»**.

الألوهية. [عن النبي ﷺ]: «من قرأ سورة الزخرف...» إلى آخره، موضوع[1].

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/٢٥٧/برقم: ١١٦٩].

سُورَةُ الدُّخَانِ

(٤٤) مكية إلا قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾ الآية [الدخان: ١٥]،
وهي سبع أو تسع وخمسون آية

۞ ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ (٣) ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ والقرآن. والواو للعطف إن كان (حم) مقسماً به، وإلا فللقسم والجواب قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ ليلة القدر، أو البراءة ابتدئ فيها إنزاله، أو أنزل فيها جملة إلى سماء الدنيا من اللوح، ثم أنزل على الرسول ﷺ نجوماً وبركتها لذلك؛ فإن نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية، أو لما فيها من نزول الملائكة والرحمة، وإجابة الدعوة، وقسم النعمة، وفصل الأقضية. ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ استئناف يتبين المقتضي للإنزال وكذلك قوله:

(٤) ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ فإن كونها مفرق الأمور المحكمة أو الملتبسة بالحكمة؛ استدعي أن ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها،

قوله: [أو البراءة]؛ أي: أو ليلة البراءة، وهي ليلة النصف من شعبان، ولها كما في «الكشاف»: أربعة أسماء: الليلة المباركة، وليلة البراءة، وليلة الصك، وليلة الرحمة، وقيل في تسميتها ليلة البراءة، والصك: أن البندار إذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة، كذلك الله ﷻ يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة[١]

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٢٧٢].

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦﴾.

ويجوز أن يكون صفة (لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ) وما بينهما اعتراض، وهو يدل على أن الليلة ليلة القدر لأنه صفتها لقوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤] وقرئ: (يُفَرَّقُ) بالتشديد و(يَفْرُقُ كلَّ)؛ أي: يفرقه الله، و(نَفْرُق) بالنون.

۝٥ - ۝٦ ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾؛ أي: أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من عندنا على مقتضى حكمتنا؛ وهو مزيد تفخيم للأمر ويجوز أن يكون حالاً من (كُلّ) أو أمر، أو ضميره المستكن في (حَكِيم) لأنه موصوف، وأن يكون المراد به مقابل النهي وقع مصدراً لـ(يُفْرَقُ) أو لفعله مضمراً من حيث أن الفرق به، أو حالاً من أحد ضميري (أَنْزَلْناهُ) بمعنى: آمرين أو مأموراً. ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ بدل من ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣]؛ أي: أنزلنا القرآن لأن من عادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى العباد لأجل الرحمة عليهم، وضع (الربّ) موضع الضمير للإشعار بأن الربوبية اقتضت ذلك، فإنه أعظم أنواع التربية أو علة (لِيُفْرَقُ) أو (أَمْراً)، و(رَحْمَةً) مفعول به؛ أي: يفصل فيها كل أمر أو تصدر الأوامر مِنْ عِنْدِنا لأن من شأننا أن نرسل رحمتنا، فإن فصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها، وصدور الأوامر الإلٰهية من باب الرحمة، وقرئ: (رَحْمَةٌ) على: تلك رحمة. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يسمع أقوال العباد ويعلم أحوالهم، وهو بما بعده تحقيق لربوبيته؛ فإنها لا تحق إلا لمن هذه صفاته.

[ويجوز أن يكون]؛ أي: أمراً **[أو ضميره]**؛ أي: أو من ضميره **[أو علة]** عطف على «بدل» **[أو أمراً]** عطف على «يُفْرَقُ» والتقدير: أو علة لـ«يفرق»، أو لـ«أمراً» **[ورحمة مفعول به]**؛ أي: على القول بالعلية بقسميها، أمّا على القول بالبدلية، فهي مفعول له لا مفعول به؛ لأن الإنذار إرسال الرسل لأجل الرحمة، لا إرسال الرحمة **[وقرئ: رحمةٌ]**؛

۞ ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

﴿٧﴾ ـ ﴿٩﴾ ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآۖ﴾ خبر آخر أو استئناف. وقرأ الكوفيون بالجر بدلاً مِنْ: (رَبِّكَ). ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾؛ أي: إن كنتم من أهل الإيقان في العلوم، أو كنتم موقنين في إقراركم إذا سئلتم من خلقها؟ فقلتم: الله! علمتم أن الأمر كما قلنا، أو إن كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إذ لا خالق سواه. ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾ كما تشاهدون. ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ﴾ وقرئا بالجر بدلاً. ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ رد لكونهم موقنين.

﴿١٠﴾ ـ ﴿١١﴾ ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ فانتظر لهم. ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ يوم شدة ومجاعة؛ فإن الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره، أو لأن الهواء يظلم عام القحط لقلة الأمطار وكثرة الغبار، أو لأن العرب تسمي الشر الغالب دخاناً؛ وقد قحطوا حتى أكلوا جيف الكلاب وعظامها. وإسناد الإتيان إلى السماء لأن ذلك يكفه عن الأمطار، أو يوم ظهور الدخان المعدود في أشراط الساعة لما روي: أنه عليه السلام لما قال: «**أول الآيات الدخان ونزول عيسى، ونار تخرج من قعر عدن أَبْيَن تسوق الناس إلى المحشر**». قيل: وما الدخان؟ فتلا رسول الله ﷺ الآية، وقال: «**يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة، أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره**». أو يوم القيامة والدخان يحتمل المعنيين. ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَۖ﴾ يحيط بهم صفة للـ(الدخان) وقوله: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي: بالرفع؛ [لأن ذلك]؛ أي: إتيان السماء بدخان [يكفه] الأولى: يكفها [أو يوم ظهور] هو مع ما بعده عطف على «يوم شدة» [والدخان يحتمل المعنين]؛ أي: كون

۞ ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾.

﴿١٢﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ مقدر بقول وقع حالاً و(إِنَّا مُؤْمِنُونَ) وعد بالإيمان إن كشف العذاب عنهم. ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ من أين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحالة؟ ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ بيّن لهم ما هو أعظم منها في إيجاب الإذكار من الآيات والمعجزات. ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾؛ أي: قال بعضهم: يعلمه غلام أعجمي لبعض ثقيف، وقال آخرون: إنه مَجْنُونٌ!

﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾ ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ﴾ بدعاء النبي ﷺ فإنه دعا فرفع القحط ﴿قَلِيلًا ۚ﴾ كشفاً قليلاً أو زماناً قليلاً وهو ما بقي من أعمارهم. ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ إلى الكفر غب الكشف، ومن فسر الدخان بما هو من الأشراط قال: إذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد الأربعين، فريثما يكشفه عنهم يرتدون. ومن فسره بما في القيامة أوله بالشرط والتقدير: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ يوم القيامة، أو يوم بدر؛ ظرف لفعل دل عليه: ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ لا لـ(منتقمون) فإن (إن) تحجزه عنه، أو بدل من (يَوْمَ تَأْتِي). وقرئ: (نُبْطِشُ)؛ أي: نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم، أو تحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ امتحناهم بإرسال

المعدود من أشراط الساعة، أو الموجود يوم القيامة[١] [وقرئ تَبْطُش]؛ أي: بفتح التاء الفوقية، ورفع البطشة، وقرئ أيضاً «نَبطُش» بفتح النون، وضم الطاء، و«نُبطِش»

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [٢٥/١١٨].

۞ ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

موسى عليه السلام إليهم، أو أوقعناهم في الفتنة بالإمهال وتوسيع الرزق عليهم. وقرئ بالتشديد للتأكيد أو لكثرة القوم. ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ على الله أو على المؤمنين، أو في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه. ﴿أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ بأن أدوهم إليّ وأرسلوهم معي، أو بأن أدُّوا إلي حق الله من الإيمان وقبول الدعوة يا عباد الله، ويجوز أن تكون (أَنْ) مخففة ومفسرة لأن مجيء الرسول يكون برسالة ودعوة. ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه، أو لائتمان الله إياه على وحيه وهو علّة الأمر.

﴿١٩﴾ ـ ﴿٢٠﴾ ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله، و(أَنْ) كالأولى في وجهيها. ﴿إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ علة للنهي ولذكر (الأَمِينُ) مع الأداء، والسلطان مع (العلاء) شأن لا يخفى. ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ﴾ التجأت إليه وتوكلت عليه. ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾ أن تؤذوني ضرباً أو شتماً أو أن تقتلوني. وقرئ: (عُتُّ) بالإدغام فيه.

﴿٢١﴾ ـ ﴿٢٢﴾ ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ﴾ فكونوا بمعزل مني لا عليَّ ولا لي، ولا تتعرضوا إليَّ بسوء؛ فإنه ليس جزاء من دعاكم إلى ما فيه فلاحكم. ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ﴾ بعد ما كذبوه. ﴿أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بأن هؤلاء ﴿قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء، وقرئ بالكسر على إضمار القول.

بضم النون، وكسر الطاء [وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي]؛ أي: وأبو جعفر، وهشام بخلاف عنه [«عدت» بالإدغام][1] في نسخ: وقرئ «عدت» بالإدغام والأول

(١) عند الزمخشري: «عُتُّ». انظر: الكشاف، الزمخشري [٤/١٦٦].

۞ ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾
كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾
كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾ ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا﴾؛ أي: فقال: أسر، أو قال: إن كان الأمر كذلك فَأَسْرِ، وقرأ نافع وابن كثير بوصل الهمزة: من: (سَرَى) ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده إذا علموا بخروجكم. ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ مفتوحاً ذا فجوة واسعة أو ساكناً على هيئته بعد ما جاوزته، ولا تضربه بعصاك ولا تغير منه شيئاً ليدخله القبط: ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ وقرئ بالفتح بمعنى: لأنهم.

﴿٢٥﴾ - ﴿٢٧﴾ ﴿كَمْ تَرَكُوا﴾ كثيراً تركوا ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ محافل مزينة ومنازل حسنة ﴿وَنَعْمَةٍ﴾ وتنعم ﴿كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ متنعمين، وقرئ: (فكهين).

﴿٢٨﴾ - ﴿٢٩﴾ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الإخراج أخرجناهم أو الأمر كذلك. ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ عطف على المقدر أو على (تركوا). ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ليسوا منهم في شيء وهم بنو إسرائيل، وقيل: غيرهم لأنهم لم يعودوا إلى مصر ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ مجاز من عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم: بكت عليهم السماء والأرض وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك. ومنه ما روي في الأخبار: (إن المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته، ومصعد عمله، ومهبط رزقه). وقيل: تقديره: فما بكت عليهم أهل السماء والأرض: ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ ممهلين إلى وقت آخر.

أحسن [وقرأ ابن كثير ونافع]؛ أي: وأبو جعفر: [بوصل الهمزة] وفي نسخ وقرأ أبو عمرو بوصل الهمزة وهو غلط [﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ﴾ [الدخان: ٢٤]]؛ أي: بعد انفلاقه بضربك له بالعصا [وقرئ فكهين] قرأ به ابن عامر وحفص وأبو جعفر.

۞ ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

---

(٣٠) ـ (٣١) ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ من استعباد فرعون وقتله أبناءهم. ﴿مِن فِرْعَوْنَۚ﴾ بدل من (الْعَذابِ) على حذف المضاف، أو جعله عذاباً لإفراطه في التعذيب، أو حال من (المهين) بمعنى واقعاً من جهته، وقرئ: (فِرْعَوْنُ) على الاستفهام تنكير له لنكر ما كان عليه من الشيطنة. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾ متكبراً ﴿مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ في العتو والشرارة، وهو خبر ثان؛ أي: كان متكبراً مسرفاً، أو حال من الضمير في عالياً؛ أي: كان رفيع الطبقة من بينهم.

(٣٢) ـ (٣٣) ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ اخترنا بني إسرائيل. ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ عالمين بأنهم أحقاء بذلك، أو مع علم منا بأنهم يزيغون في بَعض الأحوال. ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لكثرة الأنبياء فيهم، أو على عالمي زمانهم. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ كفلق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى. ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ نعمة جلية أو اختبار ظاهر.

(٣٤) ـ (٣٥) ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ يعني: كفار قريش لأن الكلام فيهم، وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على أنهم مثلهم في الإصرار على الضلالة، والإنذار عن مثل ما حل بهم. ﴿لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ ما العاقبة ونهاية الأمر إلا الموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيوية، ولا قصد فيه إلى إثبات ثانية كما في قولك: حج زيد الحجة الأولى ومات. وقيل: لما قيل: إنكم تموتون موتة يعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك! قالوا: إن هي إلا موتتنا الأولى؛ أي: ما الموتة التي من شأنها كذلك إلا الموتة الأولى. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ بمبعوثين.

۞ ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا
خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ
اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا﴾ خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين. ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في وعدكم ليدل عليه. ﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ في القوة والمنعة ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ تبع الحِمْيَري الذي سار بالجيوش وحيَّر الحيرة وبنى سمرقند. وقيل: هدمها وكان مؤمناً وقومه كافرين؛ ولذلك ذمهم دونه. وعنه عليه الصلاة والسلام: **«ما أدري أكان تبَّعُ نبياً أم غير نبيّ؟»**. وقيل: لملوك اليمن التبابعة؛ لأنهم يتبعون كما قيل لهم: (الأقيال) لأنهم يتقيلون. ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كعاد وثمود ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ استئناف بمآل قوم تبع، وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ هدد به كفار قريش؛ أو حال بإضمار (قد)، أو خبر من الموصول إن استؤنف به. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ بيان للجامع المقتضي للإهلاك.

﴿٣٨﴾ - ﴿٣٩﴾ و﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ وَمَا بين الجنسين وقرئ: (وما بينهن). ﴿لَاعِبِينَ﴾ لاهين. وهو دليل على صحة الحشر كما مرَّ في (الأنبياء) وغيرها. ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إلا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الإيمان والطاعة، أو البعث والجزاء. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لقلة نظرهم.

﴿٤٠﴾ - ﴿٤٢﴾ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ فصل الحق عن الباطل، أو المحقّ عن المبطل بالجزاء، أو فصل الرجل عن أقاربه وأحبائه. ﴿مِيقَاتُهُمْ﴾ وقت موعدهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ وقرئ: (ميقاتَهم) بالنصب على أنه الاسم؛ أي: إن ميعاد جزائهم في يَوْم الْفَصْلِ. ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي﴾ بدل من (يَوْمَ الْفَصْلِ) أو صفة لـ(مِيقاتُهُمْ)، أو ظرف لما دل عليه (الفصل) لا له الفصل. ﴿مَوْلًى﴾ من قرابة

۞ ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٦ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٤٧ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٨ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۝٤٩ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ۝٥٠﴾.

أو غيرها. ﴿عَن مَّوْلًى﴾؛ أي: مولى كان. ﴿شَيْـًٔا﴾ شيئاً من الاغناء ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ الضمير لـ(مَوْلًى) الأول باعتبار المعنى لأنه عام. ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه، ومحله الرفع على البدل من (الواو) أو النصب على الاستثناء ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ لا ينصر منه من أراد تعذيبه. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ لمن أراد أن يرحمه.

٤٣ ـ ٤٦ ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ وقرئ بكسر الشين ومعنى (الزَّقُّوم) سبق في (الصافات). ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ الكثير الآثام، والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه. ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ وهو ما يمهل في النار حتى يذوب. وقيل: دردي الزيت. ﴿يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ﴾ وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على أن الضمير للـ(طعامُ)، أو (الزَّقُّوم) لا للـ(المهل) إذ الأظهر أن الجملة حال من أحدهما. ﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾ غلياناً مثل غليه.

٤٧ ـ ٥٠ ﴿خُذُوهُ﴾ على إرادة القول والمقول له الزبانية. ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ فجروه والعتل الأخذ بمجامع الشيء وجره بقهر، وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان. ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ وسطه. ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ كان أصله: يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسَهُمْ الحميم فقيل: يُصَبُّ مِن فَوْقَ رُؤُوسَهُمْ عَذابِ هو الْحَمِيم؛ للمبالغة، ثم أضيف (العَذابِ) إلى (الْحَمِيم) للتخفيف، وزيد (من) للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع. ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾؛ أي: وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعاً على ما كان يزعمه. وقرأ الكسائي: (أَنَّكَ) بالفتح؛ أي: ذق لأنك، أو عذابَ أنَّكَ. ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ إن هذا العذاب. ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ تشكون وتمارون فيه.

۞ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿٥١﴾ - ﴿٥٧﴾ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ﴾ في موضع إقامة، وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم ﴿أَمِينٍ﴾ يأمن صاحبه عن الآفة والانتقال. ﴿جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ بدل من (مقام) جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب. ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ خبر ثان أو حال من الضمير في الجار أو استئناف، و(السندس): ما رَقَّ من الحرير، و(الاستبرق): ما غلظ منه معرّب استبره، أو مشتق من: (البراقة). ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الأمر كذلك، أو آتيناهم مثل ذلك. ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ قرنَاهم بهنّ؛ ولذلك عدي بـ(الباء)، و(الحوراء): البيضاء والعيناء عظيمة العينين، واختلف في أنهن نساء الدنيا أو غيرهن. ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه، لا يتخصص شيء منها بمكان ولا بزمان. ﴿ءَامِنِينَ﴾ من الضرر. ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ بل يحيون فيها دائماً؛ والاستثناء منقطع أو متصل، والضمير للـ(آخرة) و(الْمَوْتَ) أول أحوالها، أو (الجنة) والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها، أو الاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الْمَوْتَ فكأنه قال: لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إلا إذا أمكن ذوق الموتة الأولى في المستقبل. ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ وقرئ: (وَوَقَّاهُم) على المبالغة. ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾؛ أي: أعطوا كل ذلك عطاء وتفضلاً منه. وقرئ بالرفع؛ أي: ذلك فضل. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ لأنه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب.

۞ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩﴾.

۝٥٨ - ۝٥٩ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ سهلناه حيث أنزلناه بلغتك وهو فذلكة السورة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لعلهم يفهمونه فيتذكرون به ما لم يتذكروا. ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ فانتظر ما يحل بهم. ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ منتظرون ما يحل بك.

عن النبي ﷺ: **«من قرأ (حم الدخان) ليلة جمعة أصبح مغفوراً له»**.

[«**من قرأ حم الدخان ليلة جمعة أصبح مغفوراً له**»] رواه الترمذي(١).



(١) سنن الترمذي [٥/١٦٣/برقم: ٢٨٨٨].

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

(٤٥) مكية، وآيها سبع أو ست وثلاثون آية

﴿حمٓ ① تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ② إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ③ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ④﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

① - ④ ﴿حمٓ ① تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ إن جعلت (حم) مبتدأ خبره (تَنْزِيلُ الْكِتابِ) احتجت إلى إضمار: مثل ذلك تَنْزِيلُ حم. وإن جعلتها تعداداً للحروف كان (تَنْزِيلُ) مبتدأ خبره: ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ وقيل: (حم) مقسم به و(تَنْزِيلُ الْكِتابِ) صفته وجواب القسم: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وهو يحتمل أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى: إِنَّ فِي خَلْقِ السمٰوات؛ لقوله: ﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾ ولاَ يحسن عطف (ما) على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف إليه بأحد الاحتمالين، فإن بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه إلى غير ذلك؛ دلائل على وجود الصانع المختار. ﴿ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ محمول على محل (إن) واسمها، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملاً على الاسم.

[احتجت إلى إضمار]؛ أي: إلى إضمار مضاف للمبتدأ كما بيَّنه بقوله: [مثل ﴿حمٓ ① تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الجاثية: ١، ٢]] فصار التقدير: تنزيل حم، تنزيل الكتاب [أن يكون على ظاهره]؛ أي: من غير تقدير مضاف [ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور]؛ أي: لقبحه وإن كان مجروراً بالإضافة [بل عطفه على المضاف إليه]؛ أي: إلى الضمير المجرور [بأحد الاحتمالين]؛ أي: السابقين في ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الجاثية: ٣] والمراد بكل منهما لا بأحدهما فقط.

۞ ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠﴾.

---

(٥) ـ (٦) ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾ من مطر، وسماه رزقاً لأنه سببه. ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها. ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ باختلاف جهاتها وأحوالها، وقرأ حمزة والكسائي: (وتصريف الريح). ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين (في) والابتداء، أو (أن) إلا أن يضمر (في) أو ينصب (آياتٌ) على الاختصاص، أو يرفع بإضمار (هي)، ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الآيات في الدقة والظهور. ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تلك الآيات دلائله ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ حال عاملها معنى الإشارة. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ ملتبسين به أو ملتبسة به. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: بعد آيات اللهِ، وتقديم اسم (اللهِ) للمبالغة والتعظيم كما في قولك أعجبني زيد وكرمه، أو بعد حديث اللهِ وهو القرآن كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣] وآياتِهِ دلائله المتلوة أو القرآن، والعطف لتغاير الوصفين. وقرأ الحجازيان وحفص وأبو عمرو وروح: (يُؤْمِنُونَ) بالياء ليوافق ما قبله.

(٧) ـ (١٠) ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الآثام ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ

[ويلزمهما]؛ أي: في القراءتان[1] **[العطف على عاملين] هما: [«في» والابتداء] إن رفعت [أو «إن»] أي: أو هما «في»، و«إن» إن نصبت [إلا أن يضمر «في»] إلى آخره؛ أي: فلا يلزمهما العطف على «عاملين».**

---

(١) انظر: إبراز المعاني، أبو شامة [٢/٤١١].

﴿هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ يقيم على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ عن الإيمان بالآيات، و(ثُمَّ) لاستبعاد الإصرار بعد سماع الآيات كقوله: (يَرَى غَمَرات الموت ثُمَّ يَزُورهَا). ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾؛ أي: (كأنه) فخففت وحذف ضمير الشأن، والجملة في موضع الحال؛ أي: يصرّ مثل غير السامع. ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ على إصراره والبشارة على الأصل أو التهكم. ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا﴾ وإذا بَلغه شيء من آياتِنا وعلم أنه منها ﴿اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ لذلك من غير أن يرى فيها ما يناسب الهزء، والضمير لآياتِنا وفائدته الإشعار بأنه إذا سمع كلاماً وعلم أنه من الآيات بادر إلى الاستهزاء بالآيات كلها، ولم يقتصر على ما سمعه، أو لشيء لأنه بمعنى الآية. ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ من قدامهم لأنهم متوجهون إليها، أو من خلفهم لأنها بعد آجالهم. ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم﴾ ولا يدفع عنهم ﴿مَّا كَسَبُوا﴾ من الأموال والأولاد ﴿شَيْئًا﴾ من عذاب الله ﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾؛ أي: الأصنام ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لا يتحملونه.

﴿١١﴾ ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ الإشارة إلى القرآن ويدل عليه قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا

[.................................. يرى غمراتِ الموتِ ثم يزورُها]

صدره:

لا يكشفُ الغمّاء إلا ابن حرَّةٍ ....

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [السجدة: ٢٢] ومعنى البيت: أن زيارة غمرات الموت بعد رؤيته إياها مستبعدة مستنكرة في العقل والعادة، وهو مع ذلك يزورها بعد استيفائه إياها بلغ في مدحه بذلك حيث يزور مثل هذا المستبعد(١) [أو لشيء] عطف على لـ«آياتنا».

---

(١) انظر: شرح ديوان الحماسة، المرزوقي [١/ ١٠].

۞ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (١٤) مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥)﴾.

بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع: (أَلِيمٌ) و(الرِجْز) أشد العذاب.

(١٢) ـ (١٣) ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ بأن جعله أملس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالأخشاب ولا يمنع الغوص فيه. ﴿لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ بتسخيره وأنتم راكبوها. ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ التجارة والغوص والصيد وغيرها. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم. ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ بأن خلقها نافعة لكم. (مِنْهُ) حال من (ما)؛ أي: سخر هذه الأشياء كائنة منه، أو خبر لمحذوف؛ أي: هيَ جميعاً منه، أو لـ(مَا فِي السَّماواتِ)، وَ(سَخَّرَ لَكُمْ) تكرير للتأكيد أو لـ(ما فِي الْأَرْضِ)، وقرئ: (منه) على المفعول له، و(منه) على أنه فاعل (سَخَّرَ) على الإسناد المجازي، أو خبر محذوف. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنائعه.

(١٤) ـ (١٥) ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟﴾ حذف المقول لدلالة الجواب عليه، والمعنى: قل لهم اغفروا يغفروا؛ أي: يعفوا ويصفحوا. ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ لَا يتوقعون وقائعه بأعدائه من قولهم: أيام العرب لوقائعهم، أو لا يأملون الأوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها. والآية نزلت في عمر ﷺ شتمه غفاري فهمّ أن يبطش به، وقيل: إنها منسوخة بآية

[برفع الميم]؛ أي: من «أليم» [أو لما في الأرض] عطف على «لمحذوف» [وقرئ «منّة»]؛ أي: بالنصب بوزن «عِلَّة» [و«مَنَّة»]؛ أي: بفتح الميم، وتشديد النون، والإضافة إلى الضمير [من قولهم: أيام العرب لوقائعهم]؛ أي: من قولهم:

۞ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾.

القتال. ﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ علة للأمر، والقوم هم المؤمنون أو الكافرون أو كلاهما؛ فيكون التنكير للتعظيم أو التحقير أو الشيوع، والكسب المغفرة أو الإساءة أو ما يعمهما. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: (لنجزي) بالنون وقرئ: (لِيُجْزَى قومٌ) و(لِيُجْزَى قَوماً)؛ أي: ليجزي الخير أو الشر أو الجزاء؛ أعني: ما يجزى به لا المصدر؛ فإن الإسناد إليه سيما مع المفعول به ضعيف. ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ﴾؛ أي: لها ثواب العمل وعليها عقابه. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم على أعمالكم.

﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة. ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ والحكمة النظرية والعملية أو فصل الخصومات. ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ إذ كثر فيهم الأنبياء ما لم يكثروا في غيرهم. ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ مما أحل الله من اللذائذ. ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ أدلة في أمر الدين ويندرج فيها المعجزات. وقيل: آيات من أمر النبي ﷺ مبينة لصدقه. ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟﴾ في ذلك الأمر. ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بحقيقة الحال. ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ﴾ عداوة وحسداً. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بالمؤاخذة والمجازاة.

﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ طريقة مِنَ الْأَمْرِ مِنْ أمر الدين. ﴿فَٱتَّبِعْهَا﴾ فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج. ﴿فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ آراء الجهال التابعة للشهوات، وهم رؤساء قريش قالوا له: ارجع إلى دين آبائك. ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ﴾ مما أراد بك. ﴿وَإِنَّ

﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۖ﴾ إذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع أهوائهم. ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ فواله بالتقى واتباع الشريعة.

﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾ ﴿هَٰذَا﴾؛ أي: القرآن أو اتباع الشريعة. ﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ بينات تبصرهم وجه الفلاح. ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ ونعمة من الله ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يطلبون اليقين. ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (أَمْ) منقطعة، ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسبان، والاجتراح الاكتساب ومنه: (الجارحة). ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾ أن نصيّرهم ﴿كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مثلهم، وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله: ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْۚ﴾ بدل منه إن كان الضمير للموصول الأول؛ لأن المماثلة فيه، إذ المعنى: إنكار أن يكون حياتهم ومماتهم سيين في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين، ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص (سَوَآءً) بالنصب على البدل أو الحال من الضمير في (الكاف)، أو المفعولية و(الكاف) حال، وإن كان للثاني فحال منه، أو استئناف يبين المقتضى للإنكار، وإن كان لهما فبدل أو حال من الثاني، وضمير الأول، والمعنى: إنكار أن يستووا بعد الممات في الكرامة، أو ترك المؤاخذة كما استووا في الرزق والصحة في الحياة، أو استئناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال، وقرئ: (مَمَاتَهُمْ) بالنصب على أن (مَحْياهُمْ) وَ(مَماتُهُمْ) ظرفان كمقدم الحاج. ﴿سَآءَ مَا

لوقائع العرب أيام العرب[1] [وإن كان للثاني] قسيم قوله: إن كان الضمير للموصول الأول [أو استئناف مقرر] عطف على «بدل» في قولهم: فبدل أو حال.

---

(١) انظر: البحر المديد، ابن عجيبة [٣/٤٩١].

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٢) أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٥)﴾.

﴿يَحْكُمُونَ﴾ ساء حكمهم هذا، أو بئس شيئاً حكموا به ذلك.

(٢٢) ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ كأنه دليل على الحكم السابق من حيث أن خلق ذلك بالحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم، والتفاوت بين المسيء والمحسن؛ وإذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات. ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عطف على (بالحق) لأنه في معنى العلة، أو على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته، أو لـ(يعدل) وَ(لِتُجزى). ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب وتضعيف عقاب. وتسمية ذلك ظلماً ولو فعله الله لم يكن منه ظلماً؛ لأنه لو فعله غيره لكان ظلماً كالابتلاء.

(٢٣) - (٢٥) ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فكأنه يعبده، وقرئ: (آلهةً هواه) لأنه كان أحدهم يستحسن حجراً فيعبده؛ فإذا رأى أحسن منه رفضه إليه. ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ﴾ وخذله ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ عالماً بضلاله وفساد جوهر روحه ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار، وقرأ حمزة والكسائي: (غَشْوَة). ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ﴾ من بعد إضلاله ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ وقرئ: (تتذكرون). ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ﴾ ما الحياة والحال. ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ التي نحن فيها. ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾؛ أي: نكون أمواتاً نطفاً وما قبلها ونحي بعد ذلك، أو نموت بأنفسنا ونحيا ببقاء أولادنا، أو يموت بعضنا ويحيا بعضنا، أو يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة، ويحتمل أنهم أرادوا به التناسخ؛ فإنه عقيدة أكثر عبدة الأوثان. ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ إلا مرور الزمان وهو في الأصل مدة بقاء العالم من دهره إذا غلبه. ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾؛

۞ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

يعني: نسبة الحوادث إلى حركات الأفلاك وما يتعلق بها على الاستقلال، أو إنكار البعث أو كليهما. ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ إذ لا دليل لهم عليه؛ وإنما قالوه بناء على التقليد، والإنكار لما لم يحسوا به. ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم أو مبينات له. ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾ ما كان لهم متشبث يعارضونها به. ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ وإنما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم، أو على أسلوب قولهم: (تحية بَيْنَهِمْ ضَرْبٌ وجِيعٌ). فإنه لا يلزم من عدم حصول الشيء حالاً امتناعه مطلقاً.

﴿٢٦﴾ ـ ﴿٢٧﴾ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ على ما دلت عليه الحجج. ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فإن من قدر على الابتداء قدر على الإعادة، والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما قرر مراراً، والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها، وإذا كان كذلك أمكن الإتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت أن يعادوا يوم الجمع للجزاء. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تعميم للقدرة بعد تخصيصها. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾؛ أي: ويخسر يوم تقوم، و(يَوْمَئِذٍ) بدل منه.

﴿٢٨﴾ ـ ﴿٢٩﴾ ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ مجتمعة، من: (الجثوة): وهي الجماعة، أو باركة مستوفزة على الركب. وقرئ: (جاذية)؛ أي: جالسة على أطراف الأصابع لاستيفازهم. ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ صحيفة أعمالها.

[إنما سموه حجة على حسابهم] إلى آخره، كأنه قيل: ما كان حجتهم إلا ما

۞ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

وقرأ يعقوب: (كُلَّ) على أنه بدل من الأول وتدعى صفة أو مفعول ثان. ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ محمول على القول. ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ أضاف صحائف أعمالهم إلى نفسه لأنه أمر الكتبة أن يكتبوا فيها أعمالهم. ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ نستكتب الملائكة ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أعمالكم.

﴿٣٠﴾ - ﴿٣١﴾ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ التي من جملتها الجنة ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ الظاهر لخلوصه عن الشوائب. ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: فيقال لهم: ألم يأتكم رسلي؟ أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلى عَلَيْكُمْ؟ فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة. ﴿فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ عادتكم الإجرام.

﴿٣٢﴾ - ﴿٣٣﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ يحتمل الموعود به والمصدر. ﴿حَقٌّ﴾ كائن هو أو متعلقه لا محالة: ﴿وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ إفراد للمقصود، وقرأ حمزة بالنصب عطفاً على اسم (إن). ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ﴾؛ أي شيء الساعة؟! استغراباً لها. ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ أصله: (نظن ظناً) فأدخل حرفا النفي والاستثناء لإثبات الظن ونفي ما عداه؛ كأنه قال: ما نحن إلّا نظن ظناً، أو لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة، ثم أكده بقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾؛ أي: لإمكانه، ولعل ذلك قول بعضهم: تحيروا بين ما سمعوا من آبائهم وما تليت عليهم من الآيات في أمر الساعة. ﴿وَبَدَا لَهُمْ﴾ ظهر لهم

ليس بحجة، والمراد نفي أن يكون لهم حجة البتة [محمول على القول] إما حال أو

۞ ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ على ما كانت عليه بأن عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها، أو جزاءها. ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهو الجزاء.

﴿٣٤﴾ ـ ﴿٣٥﴾ ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ نترككم في العذاب ترك ما ينسى ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ كما تركتم عدته ولم تبالوا به، وإضافة (لقاء) إلى (يوم) إضافة المصدر إلى ظرفه. ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ يخلصونكم منها. ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها. ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فحسبتم أن لا حياة سواها. ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء. ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم؛ أي: يرضوه لفوات أوانه.

﴿٣٦﴾ ـ ﴿٣٧﴾ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إذ الكل نعمة منه، ودال على كمال قدرته. ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إذ ظهر فيها آثارها. ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلب ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فيما قدّر وقضى فاحمدوه وكبّروه وأطيعوا له.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ: (حم الجاثية) ستر الله عورته، وسكن روعته يوم الحساب**».

مقولاً لهم ذلك، أو خبر بعد خبر. أي: يقال لهم ذلك [إذ الكل نعمة منه] مبتدأ وخبر [الدال] خبر بعد خبر [«من قرأ: **حم الجاثية**...»] إلى آخره، موضوع[1].

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٢٧٦/ برقم: ١١٨٤].

سُورَةُ الأَحْقَافِ

(٤٦) مكية، وآيها أربع أو خمس وثلاثون آية

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - (٣) ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلا خلقاً ملتبساً بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة، وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم، والبعث للمجازاة على ما قررناه مراراً. ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وبتقدير أجل مسمى ينتهي إليه الكل وهو يوم القيامة، أو كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدرة له. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ من هول ذلك الوقت، ويجوز أن تكون (ما) مصدرية. ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله.

(٤) ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؛ أي: أخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها! هل يعقل

[إلا خلقاً ملتبساً بالحق] جعله كـ«الكشاف»[١]: في موضع المصدر دون الحال؛ لأنه المقترن بالحكمة، وتقديره: المدة هو الخلق حقيقة لا المخلوق [وبتقدير أجل] قدر التقدير؛ لأن الخلق إنما يلتبس به، لا بالأجل نفسه

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٢٩٨].

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ (٦)﴾.

أن يكون لها في أنفسها مدخل في خلق شيء من أجزاء العالم فتستحق به العبادة؟ وتخصيص (الشرك) بـ(السمٰوات) احتراز عما يتوهم أن للوسائط شركة في إيجاد الحوادث السفلية. ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ﴾ من قبل هذا الكتاب؛ يعني: القرآن؛ فإنه ناطق بالتوحيد. ﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين! هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة أو الأمر به؟ ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ في دعواكم. وهو إلزام بعدم ما يدل على ألوهيتهم بوجه ما نقلاً بعد إلزامهم بعدم ما يقتضيها عقلاً، وقرئ: (إثارة) بالكسر؛ أي: مناظرة فإن المناظرة تثير المعاني، و(أَثَرَة)؛ أي: شيء أوثرتم به و(أثرة) بالحركات الثلاث في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر: (أثر الحديث) إذا رواه، والمكسورة بمعنى: (الأثرة) والمضمومة: (اسم ما يؤثر).

(٥) - (٦) ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾ إنكار أن يكون أحد أضل من المشركين؛ حيث تركوا عبادة السميع البصير المجيب القادر الخبير إلى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم، فضلاً أن يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾ ما دامت الدنيا. ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾ لأنهم إما جمادات، وإما عباد مسخرون مشتغلون بأحوالهم. ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ يضرونهم ولا ينفعونهم ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ مكذبين بلسان الحال أو المقال. وقيل: الضمير للعابدين وهو كقوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

[**وقيل: الضمير للعابدين**]؛ أي: ضمير ﴿كَانُوا۟﴾ [الأحقاف: ٦].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٨ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾.

---

(٧) - (٨) ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ واضحات أو مبينات. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ﴾ لأجله وفي شأنه. والمراد به الآيات ووضعه موضع ضميرها، ووضع (الَّذِينَ كَفَرُوا) موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق، وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة. ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا﴾ حين ما جاءهم من غير نظر وتأمل. ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر بطلانه. ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ إضراب عن ذكر تسميتهم إياه سحراً إلى ذكر ما هو أشنع منه، وإنكار له، وتعجيب. ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ على الفرض. ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ أي: إن عاجلني الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها! فكيف أجترئ عليه وأعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع، ولا دفع ضر من قبلكم؟! ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تندفعون فيه من القدح في آياته. ﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ يشهد لي بالصدق والبلاغ، وعليكم بالكذب والإنكار؛ وهو وعيد بجزاء إفاضتهم ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن، وإشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم.

(٩) ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ بديعاً منهم أدعوكم إلى ما لا يدعون إليه، أو أقدر على ما لم يقدروا عليه؛ وهو الإتيان بالمقترحات كلها ونظيره (الخف)؛ بمعنى: الخفيف. وقرئ بفتح الدال على أنه كـ(قيم) أو مقدر بمضاف؛ أي: ذا بدع. ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ في الدارين على التفضيل إذ لا علم لي بالغيب، ولا لتأكيد النفي المشتمل على ما يفعل بي، وَ(ما) إما موصولة منصوبة أو استفهامية مرفوعة. وقرئ: (يَفْعَلُ)؛ أي: يفعل الله. ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ لا أتجاوزه، وهو جواب عن اقتراحهم

۞ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾.

الإخبار عما لم يوح إليه من الغيوب، أو استعجال المسلمين أن يتخلصوا من أذى المشركين. ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ من عقاب الله. ﴿مُّبِينٌ﴾ بين الإنذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة.

﴿١٠﴾ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: القرآن. ﴿وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ وقد كفرتم به، ويجوز أن تكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو في قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إلا أنها تعطفه بما عطف عليه على جملة ما قبله، والشاهد هو: عبد الله بن سلام، وقيل: موسى عليه السلام وشهادته ما في التوراة من نعت الرسول. ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ مثل القرآن وهو ما في التوراة من المعاني المصدّقة للقرآن المطابقة لها، أو مثل ذلك وهو كونه من عند الله. ﴿فَـَٔامَنَ﴾؛ أي: بالقرآن لما رآه من جنس الوحي مطابقاً للحق. ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ استئناف مشعر بأن كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم، ودليل على الجواب المحذوف مثل ألستم ظالمين.

﴿١١﴾ ـ ﴿١٢﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لأجلهم ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾ الإيمان أو ما أتى به محمد ﷺ. ﴿مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ وهم سقاط؛ إذ عامتهم فقراء وموال ورعاة، وإنما قاله قريش، وقيل: بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع؛ لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار، أو اليهود حين أسلم

[إلا أنها تعطفه]؛ أي: ﴿وَشَهِدَ﴾ [الأحقاف: ١٠] [بما عُطف عليه]؛ أي: مع ما

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

عبد الله بن سلام رضي الله عنه وأصحابه. ﴿وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ﴾ ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ﴾ مسبب عنه، وهو كقولهم: أساطير الأولين. ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ﴾ ومَن قَبل القرآن؛ وهو خبر لقوله: ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ ناصب لقوله: ﴿إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗ﴾ على الحال. ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ﴾ لكتاب موسى، أو لما بين يديه؛ وقد قرئ به. ﴿لِّسَانًا عَرَبِيّٗا﴾ حال من ضمير (كِتابُ) في (مُصَدِّقٌ) أو منه لتخصصه بالصفة، وعاملها معنى الإشارة، وفائدتها الإشعار بالدلالة على أن كونه مصدقاً للتوراة كما دل على أنه حق دل على أنه وحي، وتوقيف من الله سبحانه. وقيل: (لساناً عربياً) مفعول (مُصَدِّقٌ)؛ أي: يصدق ذا لسان عربي بإعجازه. ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ علة مُصَدِّقٌ، وفيه ضمير (الكتاب) أو (الله) أو (الرسول)، ويؤيد الأخير قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه ويعقوب بالتاء ﴿وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ﴾ عطف على محله.

﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ جَمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم، والاستقامة في الأمور التي هي منتهى العمل، و(ثم) للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد، ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ من لحوق مكروه. ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ على فوات محبوب، و(الفاء) لتضمن الاسم معنى الشرط. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ من اكتساب الفضائل العلمية والعملية، و(خالدين) حال من المستكن في (أصحاب) و(جزاء) مصدر لفعل دل عليه الكلام؛ أي: جوزوا جزاء.

عطف عليه، وهو ﴿فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ [لتضمن الاسم]؛ أي: اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥﴾.

---

(١٥) ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ﴾ وقرأ الكوفيون: (إحساناً)، وقرئ: (حَسَناً)؛ أي: إيصاء حَسَناً. ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ﴾ ذات كره، أو حملاً ذا كره وهو المشقة، وقرأ الحجازيان وأبو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كـ(الفُقْر والفَقر). وقيل: المضموم اسم والمفتوح مصدر. ﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ ومدة حَمْلُهُ وَفِصالُهُ، و(الفصال) الفطام، ويدل عليه قراءة يعقوب: (وَفَصْلُه) أو وقته، والمراد به الرضاع التام المنتهى به؛ ولذلك عبر به كما يعبر بالأمد عن المدة، قال:

كُلّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ عِدَّةَ العُمر وَمُودٍ إِذَا انْتَهَى أَمَدُهُ

﴿ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾ كل ذلك بيان لما تكابده الأم في تربية الولد مبالغة في التوصية بها، وفيه دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر؛ لأنه إذا حط منه للفصال حولان لقوله: ﴿حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣] بقي ذلك وبه قال الأطباء؛ ولعل تخصيص أقل الحمل وأكثر الرضاع لانضباطهما، وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ

[أو وقته] عطف على «الفطام» [والمراد به]؛ أي: بوقت الفطام [المنتهي به]؛ أي: بـ«الفطام» [ولذلك عبر]؛ أي: عن وقت الفطام، به أي: بـ«الفصال» [قال:

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِل مدة العُمر وَمَود.................................]

أي: هالك، من أودى: إذا هلك [إذا انتهى أَمَده][(١)]؛ أي: كل حي يستكمل

---

(١) البيت للطرماح بن حكيم بن نَفْر. انظر: الاشتقاق، ابن دريد [ص١٢٣]، المحرر الوجيز، ابن عطية [١/٤٢٧].

۞ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾.

أَشُدَّهُۥ﴾ إذا اكتهل واستحكم قوته وعقله. ﴿وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾ قيل: لم يبعث نبي إلا بعد الأربعين. ﴿قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾ ألهمني؛ وأصله: أولعني من: (أوزعته بكذا). ﴿أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾؛ يعني: نعمة الدين أو ما يعمها وغيرها، وذلك يؤيد ما روي: أنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه لأنه لم يكن أحد أسلم هو وأبواه ـ من المهاجرين والأنصار ـ سواه. ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ نكرة للتعظيم، أو لأنه أراد نوعاً من الجنس يستجلب رضى الله عز وجل. ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ﴾ واجعل لي الصلاح سارياً في ذريتي راسخاً فيهم، ونحوه: (يَجْرَحُ فِي عَرَاقِيبهَا نَصْلي). ﴿إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ عما لا ترضاه أو يشغل عنك. ﴿وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ المخلصين لك.

﴿١٦﴾ ـ ﴿١٧﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾؛ يعني: طاعاتهم فإن المباح حسن ولا يثاب عليه. ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ لتوبتهم. وقرأ حمزة الكسائي وحفص بالنون فيهما. ﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ كائنين في عدادهم أو

مدة عمره ويهلك، إذا انتهى عمره [ونحوه]؛ أي: في جعل المتعدي لازماً، ثم تعديته بما يُعدى به اللازم.

[.................... يَجْرَحُ فِي عَرَاقِيبَهَا نَصْلِي]

أوله:

وإنْ تَعْتَذِرْ بالمحل عَنْ ذِي ضُرُوعِهَا إلى الضَيْفِ....................

أي: إن اعتذرت الناقة بقلة اللبن؛ بسبب القحط إلى الضيف عقرتها عقراً سارياً في عراقيبها؛ لتكون هي بدل اللبن وذي ضروعها؛ أي: لبنها، والعرقوب العصب الغليظ الموتر فوق عَقب الإنسان جعل المتعدي منزلة اللازم، لإرادة

۞ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾.

مثابين، أو معدودين فيهم. ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ﴾ مصدر مؤكد لنفسه؛ فإن يتقبل ويتجاوز وعد ﴿ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾؛ أي: في الدنيا. ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ مبتدأ خبره (أُولئِكَ)، والمراد به الجنس وإن صح نزولها في عبد الرحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنه قبل إسلامه؛ فإن خصوص السبب لا يوجب لتخصيص. وفي (أُفٍّ) قراآت ذكرت في سورة (بني إسرائيل). ﴿أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ﴾ أُبْعَث، وقرأ هشام: (أتعدانِّي) بنون واحدة مشددة. ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ فلم يرجع أحد منهم. ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ يقولان: الغياث بالله منك! أو يسألانه أن يغيثه بالتوفيق للإيمان. ﴿وَيْلَكَ ءَامِنْ﴾؛ أي: يقولان له وَيْلَكَ! وهو الدعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه. ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أباطيلهم التي كتبوها.

﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بأنهم أهل النار، وهو يرد النزول في عبد الرحمٰن؛ لأنه يدل على أنه من أهلها لذلك، وقد جبّ عنه إن كان لإسلامه. ﴿فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم﴾ كقوله في أصحاب الجنة. ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ بيان للأمم ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ تعليل للحكم على الاستئناف، وَلِكُلٍّ من الفريقين. ﴿دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر، أو من أجل ما عملوا، والدَّرَجاتُ غالبة في المثوبة، وها هنا جاءت على التغليب. ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ جزاءها. وقرأ نافع وابن ذكوان وحمزة والكسائي بالنون. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب وزيادة عقاب.

الحقيقة، ثم عدّاه بما يُعدى به اللازم مبالغة[1] [وقد جب عنه]؛ أي: كونه من أهل النار لخبر (الإسلام يجب ما قبله) [إن كان]؛ أي: المنزول فيه عبد الرحمٰن

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [١٩/٢٦].

۞ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ يعذبون بها. وقيل: تعرض النار عليهم، فقلب مبالغة كقولهم: (عرضت الناقة على الحوض). ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾؛ أي: يقال لهم: أذهبتم، وهو ناصب (اليوم) وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام، غير أن ابن كثير يقرؤه بهمزة ممدودة، وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين. ﴿طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ لذائذكم ﴿فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ باستيفائها. ﴿وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ فما بقي لكم منها شيء. ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ الهوان. وقد قرئ به. ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله، وقرئ: (تَفْسِقُون) بالكسر.

﴿٢١﴾ ـ ﴿٢٣﴾ ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾؛ يعني: هوداً. ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ جمع: (حقف): وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء؛ من: (احقوقف الشيء) إذا اعوجَّ، وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشجر من اليمن. ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ الرسل. ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ قبل هود وبعده، والجملة حال أو اعتراض. ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ أي: لا تعبدوا،

[غير أن ابنَ كثير يقرؤه بهمزة ممدودة] صوابه: بهمزه غير ممدودة [يقرأن بها]؛ أي: بهمزة ممدودة [وبهمزتين محققتين(١)] تحقيقه أن ابن عامر يقرأ بالمد وتخفيف الهمزتين في أحد روايتيه، وفي الأُخْرَى بتحقيقهما(٢) بلا مد كيعقوب [بالشحر] بشين

---

(١) في [ز ـ ج ـ ب]: (مخففتين).
(٢) في [ز ـ ج ـ ب]: (بتخفيفها).

۞ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

أو: بأن لا تعبدوا؛ فإن النهي عن الشيء إنذار من مضرته. ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هائل بسبب شرككم. ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾ لتصرفنا ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ عن عبادتها ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب على الشرك ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في وعدك ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فأستعجل به، وإنما علمه عند الله فيأتيكم به في وقته المقدر له. ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ إليكم وَمَا عَلَى الرسول إِلَّا البلاغ. ﴿وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ لا تعلمون أن الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين.

﴿٢٤﴾ - ﴿٢٥﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا﴾ سحاباً عرض في أفق السماء. ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ متوجه أوديتهم. والإضافة فيه لفظية وكذا في قوله: ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾؛ أي: يأتينا بالمطر ﴿بَلْ هُوَ﴾؛ أي: قال هود عليه الصلاة والسلام: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ من العذاب، وقرئ: (قل بل): ﴿رِيحٌ﴾ هي ريح. ويجوز أن يكون بدل (ما). ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ صفتها وكذا قوله: ﴿تُدَمِّرُ﴾ تهلك ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ من نفوسهم وأموالهم ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ إذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون إلا بمشيئته، وفي ذكر (الأمر) و(الرب) وإضافة إلى (الريح) فوائد سبق ذكرها مراراً، وقرئ: (يدمرُّ كل شيء) من: (دَمَّرَ دماراً) إذا هلك؛ فيكون العائد محذوفاً أو الهاء في (ربِّها)، ويحتمل أن يكون استئنافاً للدلالة

معجمة، وحاء مهملة؛ أي: بأرض تسمى بالشحر من بلاد اليمن [يَدمر كلُّ شيء] بفتح الياء، ورفع كل [**فيكون العائد محذوفاً**] تقديره بها؛ أي: بالريح [**أو الهاء في «ربها»**] عطف على «محذوفاً» [**ويحتمل أن يكون**]؛ أي: ﴿تُدَمِّرُ﴾ [الأحقاف: ٢٥] [**استئنافاً**]؛

۞ ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

على أن لكل شيء ممكن فناء مقضياً لا يتقدم ولا يتأخر، وتكون الهاء لكل شيء فإنه بمعنى: الأشياء ﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾؛ أي: فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى إلا مساكنهم، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: (لَا يُرى إِلَّا مَساكِنُهُمْ) بالياء المضمومة ورفع المساكن. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ روي: أن هوداً عليه السلام لما أحس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة، وجاءت الريح فأمالت الأحقاف على الكفرة، وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام، ثم كشفت عنهم واحتملتهم فقذفتهم في البحر.

﴿٢٦﴾ ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ (إِنْ) نافية، وهي أحسن من (ما) ههنا؛ لأنها توجب التكرير لفظاً؛ ولذلك قلبت ألفها هاء في (مهما)، أو شرطية محذوفة الجواب والتقدير، ولقد مكناهم في الذي، أو: في شيء إن مكناكم فيه كان بغيكم أكثر، أو صلة كما في قوله:

يُرَجِّي المَرْءُ مَا إِنْ لَا يَراه ويعْرِضُ دُونَ أدناهُ الخُطُوبُ

والأول أظهر وأوفق لقوله: ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا﴾ [مريم: ٧٤] ﴿كَانُوٓاْ أَكْثَرَ

أي: لا صفة [نابضة حركة] من نبض العرق إذا تحرك، فالإضافة بيانية.

[يُرَجّى المَرْءُ مَا أنْ لَا يَرَاهُ ويعرض دُونَ أدناهُ الخُطُوبِ][(١)]

أي: يُرجى المرء ما لا يراه، وتعرض الأمور الشديدة دون أدنى شيء مما يؤمله، فلا يمكنه الوصول إلى أدنى شيء مما يؤمله، والمعنى مأخوذ من خبر

---

(١) العيون الغامزة، ابن الدماميني [ص١٢٨].

۞ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا
نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا
كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا﴾ [غافر: ٨٢]. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾ ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها تعالى، ويواظبوا على شكرها. ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ من الإغناء وهو القليل. ﴿إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ صلة (فَما أَغْنى) وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث إن الحكم مرتب على ما أضيف إليه، وكذلك (حيث). ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ من العذاب.

﴿٢٧﴾ ـ ﴿٢٨﴾ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم﴾ يا أهل مكة ﴿مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ كحجر ثمود، وقرى قوم لوط. ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ﴾ بتكريرها ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم. ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ﴾ فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم إلى الله تعالى حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله! وأول مفعولي (اتَّخَذُوا) الراجع إلى الموصول محذوف، وثانيهما (قُرْباناً). و(آلِهَةً) بدل أو عطف بيان، أو (آلِهَةً) و(قُرْباناً) حال أو مفعول له على أنه بمعنى: التقرب. وقرئ: (قُرُباناً) بضم الراء. ﴿بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ﴾ غابوا عن نصرهم، وامتنع أن يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال. ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره صرفهم عن الحق، وقرئ: (أَفَّكَهُمْ) بالتشديد للمبالغة،

«تأملون ما لا تدركون»[1] [من الإغناء وهو القليل]؛ أي: منه كما ذكره «الكشاف» [وثانيهما «قرباناً» و«آلهة» بدل] تبع فيه الحوفي وأبا البقاء، وغيرهما، وفيه رد على الزمخشري حيث منع ذلك معللاً بفساد المعنى، ووجه بأن «آلِهَةً» لا تتخذ قرباناً وإنما يتقرب إليها [وقرئ: أَفَّكهم بالتشديد]؛ أي: بتشديد الفاء، وفتح الحروف

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني [٢٥/ ١٧٢/ برقم: ٤٢١].

۞ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾.

و(آفَكَهُم)؛ أي: جعلهم آفكين و(آفَكُهُم)؛ أي: قولهم الآفك؛ أي: ذو الإفك. ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

﴿٢٩﴾ - ﴿٣٠﴾ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ أملناهم إليك، و(النفر): دون العشرة، وجمعه: (أنفار). ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ حال محمولة على المعنى. ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾؛ أي: القرآن أو الرسول. ﴿قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟﴾ قال بعضهم لبعض: اسكتوا لنسمعه. ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ أتمّ وفرغ من قراءته. وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير (الرسول). ﴿وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾؛ أي: منذرين إياهم بما سمعوا. روي: أنهم وافوا رسول الله عليه السلام بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده: ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ قيل: إنما قالوا ذلك لأنهم كانوا يهوداً، أو ما سمعوا بأمر عيسى عليه السلام. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ من العقائد ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ من الشرائع.

﴿٣١﴾ - ﴿٣٢﴾ ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ بعض ذنوبكم، وهو ما يكون في خالص حق الله تعالى فإن المظالم لا تغفر بالإيمان. ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هو معدٌّ للكفار، واحتج أبو حنيفة رضي الله عنه

الثلاثة [وآفكهَمَ]؛ أي: بفتح الثلاثة بلا تشديد [وآفِكهُم]؛ أي: بمد الهمزة، وكسر الفاء [روي: «أنهم وافوا رسول الله ﷺ...»] إلى آخره، رواه الحاكم[1].

---

(١) مستدرك الحاكم [٢/ ٤٩٥/ برقم: ٣٧٠١].

۞ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥)﴾.

باقتصارهم على المغفرة والإجارة على أن لا ثواب لهم. والأظهر أنهم في توابع التكليف كبني آدم. ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ إذ لا ينجي منه مهرب. ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ يمنعونه منه. ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ حيث أعرضوا عن إجابة من هذا شأنه.

(٣٣) ـ (٣٤) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ ولم يتعب ولم يعجز، والمعنى: أن قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالإيجاد أبد الأباد. ﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾؛ أي: قادر، ويدل عليه قراءة يعقوب: (يقدر)، و(الباء) مزيدة لتأكيد النفي؛ فإنه مشتمل على (أَنَّ) وما في حيزها ولذلك أجاب عنه بقوله: ﴿بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود، كأنه صَدَّرَ السورة بتحقيق المبدأ أراد ختمها بإثبات المعاد. ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ منصوب بقول مضمر مقوله: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ﴾ والإشارة إلى العذاب. ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بكفركم في الدنيا، ومعنى الأمر هو الإهانة بهم والتوبيخ لهم.

(٣٥) ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أولوا الثبات والجدّ منهم؛ فإنك من جملتهم. و(مِنَ) للتبيين، وقيل: للتبعيض، و(أُولُوا الْعَزْمِ): أصحاب الشرائع اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها، وصبروا على تحمل

[ويدل عليه قراءة يعقوب]؛ أي: من طريق رويس [يَقدرُ]؛ أي: بفتح الياء،

مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها؛ ومشاهيرهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى وقيل: الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على أذى قومه، كانوا يضربونه حتى يغشى عليه، وإبراهيم على النار وذبح ولده، والذبيح على الذبح، ويعقوب على فقد الولد والبصر، ويوسف على الجبِّ والسجن، وأيوب على الضرّ، وموسى قال له قومه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١ ـ ٦٢] ، وداود بكى على خطيئته أربعين سنة، وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلى الله عليهم أجمعين.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ لكفار قريش بالعذاب؛ فإنه نازل بهم في وقته لا محالة. ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة. ﴿بَلَٰغٌ﴾ هذا الذي وعظتم به، أو هذه السورة بلاغ؛ أي: كفاية، أو تبليغ من الرسول؛ ويؤيده أنه قرئ: (بَلِّغ)، وقيل: (بَلاغٌ) مبتدأ خبره (لَهُمْ) وما بينهما اعتراض؛ أي: لهم وقت يبلغون إليه كأنهم إذا بلغوه، ورأوا ما فيه، استقصروا مدة عمرهم! وقرئ بالنصب؛ أي: بلغوا بلاغاً. ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ الخارجون عن الاتعاظ أو الطاعة، وقرئ: (يَهْلك) بفتح اللام وكسرها من: (هَلِكَ وهَلَكَ)، و(نهلك) بالنون ونصب القوم.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (الأحقاف) كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا**».

وسكون القاف، ورفع الراء [ونصب القوم]؛ أي: والفاسقين. [«**من قرأ سورة الأحقاف**] إلى آخره، موضوع[(١)].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٩٩١/ برقم: ٨٨٢].

سُورَةُ مُحَمَّدٍ عليه الصلاة والسلام

(٤٧) وتسمى سورة (القتال)، وهي مدنية، وفيه مكية، وآيها سبع أو ثمان وثلاثون أو أربعون آية

۞ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

۝١ - ۝٢ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ امتنعوا عن الدخول في الإسلام وسلوك طريقه، أو منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر، أو شياطين قريش، أو المصريين من أهل الكتاب، أو عامٌّ في جميع مَنْ كفر وصدّ. ﴿أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ جعل مكارمهم كصلة الرحم، وفك الأسارى، وحفظ الجوار؛ ضالة أي: ضائعة محبطة بالكفر، أو مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن، أو ضلال حيث لم يقصدوا به وجه الله! أو أبطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله، وإظهار دينه على الدين كله. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يعمّ المهاجرين والأنصار والذين آمنوا من أهل الكتاب وغيرهم. ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ﴾ تخصيص للمنزل عليه مما يجب الإيمان به تعظيماً له، وإشعاراً بأن الإيمان لا يتم دونه، وأنه الأصل فيه ولذلك أكده بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ اعتراضاً على طريقة الحصر. وقيل: حقيقته بكونه ناسخاً لا ينسخ، وقرئ: (نُزِّلَ) على البناء للفاعل و(أنزل) على البنائين و(نَزَلَ) بالتخفيف. ﴿كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ سترها بالإيمان وعملهم الصالح. ﴿وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ﴾ في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد.

وتسمى: سورة محمد ﷺ [أو شياطين قريش] «هو» مع ما بعده عطف على

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾.

﴿٣﴾ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ﴾ إشارة إلى ما مرَّ من الإضلال والتكفير والإصلاح وهو مبتدأ خبره. ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق، وهذا تصريح بما أشعر به ما قبلها؛ ولذلك سمي تفسيراً. ﴿يَضْرِبُ﴾ مثل ذلك الضرب. ﴿ٱللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ يبين لهم. ﴿أَمْثَٰلَهُمْ﴾ أحوال الفريقين أو أحوال الناس، أو يضرب أمثالهم بأن جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار والإضلال مثلاً لخيبتهم واتباع الحق مثلاً للمؤمنين، وتكفير السيئات مثلاً لفوزهم.

﴿٤﴾ - ﴿٦﴾ ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في المحاربة. ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ أصله: فاضربوا الرقاب ضرباً! فحذف الفعل وقدم المصدر، وأنيب منابه مضافاً إلى المفعول ضماً إلى التأكيد والاختصار. والتعبير به عن القتل إشعاراً بأنه ينبغي أن يكون بضرب الرقبة حيث أمكن، وتصوير له بأشنع صورة. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أكثرتم قتلهم وأغلظتموه، من: (الثخين): وهو

«المطعمين»[1] [يبين لهم ﴿أَمْثَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٣]] إلى آخره، ذكر لأمثالهم ثلاثة أوجه: رجوع ضميره إلى الفريقين، ورجوعه إلى الناس مع جعل يضرب بمعنى يبين، وأمثال بمعنى: أحوال، والثالث يضرب بمعنى: يمثل، وإبقاء أمثال بمعناه مع احتمال كون الضمير فيه كما في الأولين، وعلى الأولين اقتصر «الكشاف»[2]، فقول المصنف: [بأن جعل أتباع الباطل] إلى آخره، بيان للأوجه الثلاثة.

---

(١) في [ب]: (المطيعين).

(٢) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٣١٩].

الغليظ. ﴿فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾ فأسروهم واحفظوهم، و(الوثاق) بالفتح والكسر ما يوثق به. ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾؛ أي: فإما تمنّون مناً أو يفدون فداء، والمراد التخيير بعد الأسر بين المنّ والإطلاق وبين أخذ الفداء، وهو ثابت عندنا فإن الذَّكَر الحرّ المكلف إذا أُسرَ تخير الإمام بين القتل والمنّ والفداء. و(الاسترقاق) منسوخ عند الحنفية، أو مخصوص بحرب بدر؛ فإنهم قالوا: يتعين القتل أو الاسترقاق. وقرئ: (فَدًا) كـ(عصا). ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع؛ أي: تنقضي الحرب ولم يبق إلا مسلم أو مسالم. وقيل: آثامها، والمعنى: حتى يضع أهل الحرب شركهم ومعاصيهم، وهو غاية للضرب، أو الشد، أو للمنّ والفداء، أو للمجموع؛ بمعنى: أن هذه الأحكام جارية فيها حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم. وقيل: بنزول عيسى ﷺ ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الأمر ذلك، أو افعلوا بهم ذلك. ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ لانتقم منهم بالاستئصال. ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ ولكن أمركم بالقتال ليبلوا المؤمنين بالكافرين؛ بأن يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم، والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر. ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: جاهدوا، وقرأ البصريان وحفص: (قُتِلُوا)؛ أي: استشهدوا. ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ فلن يضيعها، وقرئ: (يَضِلّ) من: (ضلّ) و(يُضَلَّ) على البناء للمفعول. ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ إلى الثواب، أو سيثبت هدايتهم. ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ وقد عرّفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا إليها فعملوا ما استوجبوها به، أو بيّنها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدي إليه؛ كأنه كان ساكنه منذ خُلِق، أو طيبها لهم؛ من: (العرف): وهو طيب الرائحة، أو حددها لهم بحيث يكون لِكُلٍّ جنة مفرزة.

[وهو]؛ أي: التخيير بين الأربعة الآتية في كلامه [ثابت عندنا] أيّها الشافعية [منسوخ] قسيم ثابت؛ أي: التخيير بين الأربعة ثابت عندنا منسوخ عند أبي حنيفة،

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾﴾.

﴿٧﴾ - ﴿٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ إن تنصروا دينه ورسوله. ﴿يَنصُرۡكُمۡ﴾ على عدوكم ﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ في القيام بحقوق الإسلام والمجاهدة مع الكفار. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ﴾ فعثوراً لهم وانحطاطاً ونقيضه لما قال الأعشى: (فالتعس أولى بها مِنْ أن أقولَ لَعَا). وانتصابه بفعله الواجب إضماره سماعاً، والجملة خبر (الَّذِينَ كَفَرُوا) أو مفسرة لناصبه. ﴿وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ عطف عليه. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ القرآن لما فيه من التوحيد، والتكاليف المخالفة لما ألفوه واشتهته أنفسهم، وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس والإضلال. ﴿فَأَحۡبَطَ﴾ الله ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ كرره إشعاراً بأنه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال.

﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾ ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ

وعبارة «الكشاف»: أمّا عند أبي حنيفة، فحكم أسارى المشركين أحد أمرين: إما قتلهم، وإما استرقاقهم: أيهما رأى الامام، ويقولون في المنّ والفداء المذكورين في الآية نزل ذلك في يوم بدر[1] [نقيضه]؛ أي: تعساً [لعا]، إذ معنى: «لعا» عاد بالانتعاش بشين معجمة [قال الأعشى] في مدح ناقة:

.... [فَالتَّعْسُ أَوْلَى بَهاَ مِنْ أَنْ أَقُوْلَ لَعا]

أوله:

بـذات لـوث عـقـرنـاه إذا عـثـرت ....

واللوث بفتح اللام القوة، وناقة عقرناه بعين مهمله، وفاء ونون وألف

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٣٢٠].

۞ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ١٣ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ١٤﴾.

﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ استأصل عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم. ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾ مِنْ وضع الظاهر موضع المضمر. ﴿أَمۡثَٰلُهَا﴾ أمثال تلك العاقبة أو العقوبة، أو الهلكة؛ لأن التدمير يدل عليها، أو السُّنَّة لقوله: ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ﴾ [غافر: ٨٥]. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ناصرهم على أعدائهم. ﴿وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ﴾ [يونس: ٣٠] فإن (المولى) فيه بمعنى: المالك.

١٢ ـ ١٤ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ﴾ ينتفعون بمتاع الدنيا. ﴿وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ حريصين غافلين عن العاقبة. ﴿وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ منزل ومقام. ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ على حذف المضاف، وإجراء أحكامه على المضاف إليه، والإخراج باعتبار التسبب. ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾ بأنواع العذاب. ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ﴾ يدفع عنهم العذاب وهو كالحال المحكية. ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ حجة من عنده وهو القرآن، أو ما يعمه والحجج العقلية كالنبي والمؤمنين. ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ كالشرك والمعاصي. ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم﴾ في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلاً عن حجة.

الإلحاق؛ أي: قوية: ويقال للعاثر: لعا لك، دعا لهُ بأن ينتعش[1] [على حذف المضاف]؛ أي: قبل ﴿قَرۡيَةٍ﴾ في الموضعين؛ أي: أهل قرية.

(١) انظر: فصل المقال شرح كتاب الأمثال، أبو عبيد البكري [ص١٠١].

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥)﴾.

---

(١٥) ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾؛ أي: فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة. وقيل: مبتدأ خبره: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾، وتقدير الكلام: أمثل أهل الجنة كمثل من هو خالداً، أو أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعري عن حرف الإنكار، وحذف ما حذف استغناء يجري مثله تصويراً لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة والنار، وهو على الأول خبر محذوف تقديره: أفمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار؟ أو بدل من قوله: (كَمَنْ زُيِّنَ) وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من على بينة في الآخرة تقريراً لإنكار المساواة.

﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ استئناف لشرح المثل، أو حال من العائد المحذوف، أو خبر لـ(مثل) و(آسِنٍ) من: (أَسَنَ الماء) بالفتح؛ إذا تغير طعمه وريحه، أو بالكسر على معنى: الحدوث. وقرأ ابن كثير: (آسن).

[أي: فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة] برفع صفة، أشار بذلك إلى أن ﴿مَثَلُ﴾ [محمد: ١٥] مبتدأ خبره فيما قصصنا عليك [وتقدير الكلام]؛ أي: على القول الثاني [بمكابرة من يسوي] متعلق بتصويراً [وهو]؛ أي: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ [على الأول]؛ أي: وهو قوله: فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة [خبر محذوف] تقديره كما قال سيبويه: فيما يتلى عليكم، لكني قدّمت أنه مبتدأ خبره محذوف فقول المصنف [تقديره]؛ أي: الخبر المحذوف [أفمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار] ليس بظاهر؛ لأن ما قدّره خبراً مذكوراً لا محذوف [أو بدل من قوله: ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُ﴾ [محمد: ١٤]] لا يناسب تقريره الأول؛ أي: فيما قصصنا

۞ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾.

﴿وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ لم يصر قارصاً ولا حازراً. ﴿وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾ لذيذة لا يكون فيها كراهة غائلة وريح، ولا غائلة سكر وخمار؛ تأنيث (لذ) أو مصدر نعت به بإضمار (ذات)، أو تجوّز، وقرئت بالرفع على صفة (الأنهار) والنصب على العلة. ﴿وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها، وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الأشربة في الجنة بأنواع ما يستلذ منها في الدنيا؛ بالتجريد عما ينغصها وينقصها، والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها. ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ صنف على هذا القياس. ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ عطف على الصنف المحذوف، أو مبتدأ خبره محذوف؛ أي: لهم مغفرة. ﴿كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا﴾ مكان تلك الأشربة. ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ من فرط الحرارة.

﴿١٦﴾ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ﴾؛ يعني: المنافقين كانوا يحضرون مجلس ويسمعون كلامه فإذا خرجوا ﴿قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾؛ أي: لعلماء الصحابة! ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ ما الذي قال الساعة! استهزاء أو استعلاماً إذ لم يلقوا له آذانهم تهاوناً به. و(آنِفاً) من قولهم: (أنف الشيء) لما تقدم منه مستعار من الجارحة، ومنه: (استأنف وائتنف) وهو ظرف بمعنى: وقتاً مؤتنفاً، أو حال من الضمير في (قالَ) وقرئ: (أَنِفاً). ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ فلذلك استهزءوا وتهاونوا بكلامه.

عليك صفتها العجيبة كما يعلم مما قررته[1] [لم يصر قارصاً]؛ أي: اللسان [ولا حازراً] بحاء مهمله، وبزاي فراء أي: حامضاً [عطف على الصنف المحذوف]؛

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٥/ ٤٧٩].

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧) فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (١٨) فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾.

---

(١٧) ـ (١٨) ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾؛ أي: زادهم الله بالتوفيق والإلهام، أو قول الرسول ﴿وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ بيّن لهم ما يتقون أو أعانهم على تقواهم، أو أعطاهم جزاءها. ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ فهل ينتظرون غيرها ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ بدل اشتمال من: (السَّاعَةَ)، وقوله: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ كالعلة له، وقرئ: (أن تأتهم) على أنه شرط مستأنف جزاؤه: ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ والمعنى: أن تأتهم الساعة بغتة لأنه قد ظهر أماراتها كمبعث الرسول، وانشقاق القمر، فكيف لهم ذِكْراهُمْ! أي: تذكرهم إذا جاءَتْهُمْ الساعة بغتة، وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع.

(١٩) ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾؛ أي: إذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية، وتكميل النفس بإصلاح أحوالها وأفعالها، وهضمها بالاستغفار لِذَنْبِكَ. ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ولذنوبهم بالدعاء لهم، والتحريض على ما يستدعي غفرانهم، وفي إعادة الجار وحذف المضاف إشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وأنها جنس آخر؛ فإن الذنب له ماله تبعة ما بترك الأولى. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ في الدنيا فإنها مراحل لا بد من قطعها ﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾ في العقبى؛ فإنها دار إقامتكم فاتقوا الله واستغفروه وأعدّوا لمعادكم.

(٢٠) ـ (٢٤) ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ﴾؛ أي: هلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ

في أمر الجهاد. ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ﴾ مبينة لا تشابه فيها. ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ﴾؛ أي: الأمر به ﴿رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ ضعف في الدين، وقيل: نفاق. ﴿يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ جبناً ومخافة. ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ فويل لَهُمْ، أفعل من: (الولي) وهو القرب، أو (فعلى) من: (آل) ومعناه: الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه، أو يؤول إليه أمرهم. ﴿طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ﴾ استئناف؛ أي: أمرهم طاعَةٌ، أو طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ خير لهم، أو حكاية قولهم؛ لقراءة أُبيّ: (يقولون طاعة). ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾؛ أي: جد وهو لأصحاب الأمر، وإسناده إليه مجاز وعامل الظرف محذوف، وقيل: ﴿فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو الإيمان. ﴿لَكَانَ﴾ الصدق. ﴿خَيۡرٗا لَّهُمۡ ٢١ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾ فهل يتوقع منكم. ﴿إِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ أمور الناس وتأمرتم عليهم، أو أعرضتم وتوليتم عن الإسلام. ﴿أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ تفاخراً على الولاية وتجاذباً لها، أو رجوعاً إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة الأقارب، والمعنى: أنهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا؛ أحقاء بأن يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم: هل عسيتم! وهذا على لغة «الحجاز» فإن «بني تميم» لا يلحقون الضمير به وخبره: (أَنْ تُفْسِدُوا)، (وإِنْ تَوَلَّيْتُمْ) اعتراض. وعن يعقوب: (تَوُلِّيْتُمْ)؛ أي: إن تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الإفساد وقطيعة الرحم، وَ(تَقْطَعُوا) من القطع، وقرئ: (تَقَطَّعوا) من: (التقطع). ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المذكورين. ﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ لإفسادهم وقطعهم الأرحام. ﴿فَأَصَمَّهُمۡ﴾ عن استماع الحق ﴿وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ فلا يهتدون سبيله ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي ﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ

أي: بلا قيد فيها [أو حكاية] عطف على استئناف [وعامل الظرف محذوف] تقديره: أصدق، أو فاقضوا [وعن يعقوب]؛ أي: في رواية رويس

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ﴿٢٦﴾﴾.

أَقۡفَالُهَآ﴾ لا يصل إليها ذكر ولا ينكشف لها أمر، وقيل: (أَمْ) منقطعة، ومعنى الهمزة فيها التقرير، وتنكير (القلوب) لأن المراد قلوب بعض منهم، أو للإشعار بأنها لإبهام أمرها في القساوة، أو لفرط جهالتها، ونكّرها كأنها مبهمة منكورة، وإضافة الأقفال إليها للدلالة على أقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الأقفال المعهودة. وقرئ: (إقفالها) على المصدر.

﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾؛ أي: إلى ما كانوا عليه من الكفر. ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى﴾ بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة. ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ﴾ سهل لهم اقتراف الكبائر من: (السول) وهو الاسترخاء. وقيل: حملهم على الشهوات من: (السؤل) وهو: التمني، وفيه أن (السؤل) مهموز قلبت همزته واواً لضم ما قبلها، ولا كذلك التسويل، ويمكن ردّه بقولهم: هما يتساولان، وقرئ: (سَوَّلَ) على تقدير مضاف؛ أي: كيد الشيطان ﴿وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ ومد لهم في الآمال والأماني، أو أمهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة؛ لقراءة يعقوب: (وَأُمْلِي لَهُمْ)؛ أي: وأنا أملي لهم؛ فتكون (الواو) للحال أو الاستئناف، وقرأ أبو عمرو: (وَأُمْلِيَ لَهُمْ) على البناء للمفعول، وهو ضمير (الشَّيْطانُ) أو (لَهُمُ). ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: قال اليهود للذين كفروا بالنبي بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ نعته للمنافقين، أو المنافقون لهم، أو أحد الفريقين للمشركين. ﴿سَنُطِيعُكُمۡ

[أو للإشعار بأنها لإيهام أمرها في الفساد][1]؛ أي: بأنها لأجل إبهامها مفرطة في الفساد[2] [ونكَّرَها] إلى آخره، لا جدوى له بعد قوله: وتنكير القلوب.. إلى آخره

(١) في [ج]: (القساوة).
(٢) في [ج]: (القساوة).

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ
ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ
فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ
نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾.

﴿فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ في بعض أموركم، أو في بعض ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد، والموافقة في الخروج معهم إن أخرجوا، والتظافر على الرسول ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ ومنها قولهم هذا الذي أفشاه الله عليهم، وقرأ حمزة والكسائي وحفص: (إِسْرارَهُمْ) على المصدر.

﴿٢٧﴾ ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فكيف يعملون ويحتالون حينئذ، وقرئ: (تَوَفَّاهُمْ) وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف إحدى تاءيه. ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ تصوير لتوفيهم بما يخافون منه، ويجبنون عن القتال له.

﴿٢٨﴾ ـ ﴿٢٩﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى التوفي الموصوف ﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ من الكفر، وكتمان نعت الرسول، وعصيان الأمر ﴿وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ ما يرضاه من الإيمان والجهاد وغيرهما من الطاعات ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ لذلك. ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ﴾ أن لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين ﴿أَضْغَٰنَهُمْ﴾ أحقادهم.

﴿٣٠﴾ ـ ﴿٣١﴾ ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ لعرفناكهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم. ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ بعلاماتهم التي نسمِّهم بها، و(اللام) لام الجواب كررت في المعطوف. ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ جواب قسم محذوف (ولَحْنِ الْقَوْلِ) أسلوبه، أو إمالته إلى جهة تعريض وتورية، ومنه قيل للمخطئ: لاحن؛ لأنه يعدل بالكلام عن الصواب. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ فيجازيكم على حسب قصدكم إذ الأعمال بالنيات. ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ بالأمر

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾.

بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة. ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ على مشاقه ﴿وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ ما يخبر به عن أعمالكم فيظهر حسنها وقبحها، أو أخبارهم عن إيمانهم وموالاتهم المؤمنين في صدقها وكذبها. وقرأ أبو بكر الأفعال الثلاثة بالياء ليوافق ما قبلها، وعن يعقوب: (وَنَبْلُوْا) بسكون الواو على تقدير: ونحن نبلو.

﴿٣٢﴾ - ﴿٣٣﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ هم قريظة والنضير، أو المطعمون يوم بدر. ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ بكفرهم وصدهم، أو لن يضروا رسول الله بمشاقته. وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته. ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ ثواب حسنات أعمالهم بذلك، أو مكايدهم التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون بها إلى مقاصدهم، ولا تثمر لهم إلا القتل والجلاء عن أوطانهم. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ بما أبطل به هؤلاء كالكفر والنفاق، والعجب والرياء، والمن والأذى ونحوها، وليس فيه دليل على إحباط الطاعات بالكبائر.

﴿٣٤﴾ - ﴿٣٥﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ عام في كل من مات على كفره وإن صح نزوله في أصحاب القليب، ويدل بمفهومه على أنه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه. ﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾ فلا تضعفوا ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ ولا تدعوا إلى الصلح خوراً وتذللاً! ويجوز نصبه بإضمار (إن) وقرئ: (ولا تَدَّعُوا) من: (ادّعى)

۞ ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ
أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ
لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ
ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾.

بمعنى: دعا، وقرئ أبو بكر وحمزة بكسر السين. ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ الأغلبون ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ ولن يضيع أعمالكم، من: (وترت الرجل) إذا قتلت متعلقاً به من قريب أو حميم فأفردته عنه، من: (الوتر) شبه به تعطيل ثواب العمل وإفراده عنه.

﴿٣٦﴾ ـ ﴿٣٧﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ لا ثبات لها ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ ثواب إيمانكم وتقواكم ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ جميع أموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العُشر وعُشره. ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ فيجهدكم بطلب الكل؛ والإحفاء والإلحاف المبالغة وبلوغ الغاية؛ يقال: أحفى شاربه إذ استأصله. ﴿تَبْخَلُوا۟﴾ فلا تعطوا. ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ﴾ ويضغنكم على رسول الله عليه الصلاة والسلام، والضمير في (يخرج) (لله تعالى) ويؤيده القراءة بالنون، أو (البخل)؛ لأنه سبب الأضغان، وقرئ: (وتخرج) بالتاء والياء ورفع (أضغانُكم).

﴿٣٨﴾ ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾؛ أي: أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله: ﴿تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ استئناف مقرر لذلك، أو صلة لـ(هؤلاءِ) على أنه بمعنى: (الذين) وهو يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما. ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ ناس يبخلون، وهو كالدليل على الآية المتقدّمة. ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ فإن نفع الإنفاق وضر البخل عائدان إليه، والبخل يعدى بـ(عن) و(على) لتضمنه معنى: الإمساك والتعدي؛ فإنه إمساك عن مستحق. ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ فما يأمركم به فهو لاحتياجكم إليه؛ فإن امتثلتم فلكم، وإن توليتم فعليكم. ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾

عطف على (إِنْ تُؤْمِنُوا). ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يُقِم مقامكم قوماً آخرين. ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم﴾ في التولي والزهد في الإيمان، وهم «الفُرْس» لأنه سئل عليه الصلاة والسلام عنه؟ وكان سلمان إلى جنبه فضرب فخذه وقال: **«هذا وقومه»**، أو الأنصار، أو اليمن، أو الملائكة.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة (محمد) كان حقاً على الله أن يسقيه من أنهار الجنة**».

[«**سئل** ﷺ **عنه..**»] إلى آخره، رواه الترمذي(١)، والحاكم وصححاه(٢). [«**من قرأ سورة محمد..**»] إلى آخره، موضوع(٣).



(١) سنن الترمذي [٥/ ٣٨٣/ برقم: ٣٢٦٠].

(٢) مستدرك الحاكم [٢/ ٤٩٨/ برقم: ٣٧٠٩].

(٣) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٩٩٣/ برقم: ٨٨٤].

سُورَةُ الفَتْح

(٤٨) مدنية، نزلت في مرجع رسول الله ﷺ من الحديبية، وآيها تسع وعشرون

۞ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ وعد بفتح مكة، والتعبير عنه بالماضي لتحققه، أو بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدَك، أو إخبار عن صلح الحديبية؛ وإنما سماه (فتحاً) لأنه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح! وتسبب لفتح مكة، وفزع به رسول الله ﷺ لسائر العرب فغزاهم، وفتح مواضع، وأدخل في الإسلام خلقاً عظيماً، وظهر له في الحديبية آية عظيمة: وهي أنه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجّهُ فيها، فَدَرَّت بالماء حتى شرب جميع من كان معه، أو فتح الروم؛ فإنهم غلبوا الفرس في تلك السنة. وقد عرفت كونه فتحاً للرسول ﷺ في سورة (الروم). وقيل: (الفتح) بمعنى: القضاء؛ أي: قضينا لك أن تدخل مكة من قابل.

(٢) ـ (٣) ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ علة للفتح من حيث إنه مسبب عن جهاد الكفار، والسعي في إزاحة الشرك، وإعلاء الدين، وتكميل النفوس الناقصة قهراً؛ ليصير ذلك بالتدريج اختياراً، وتخليص الضَّعَفَة عن أيدي الظَّلَمَة. ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ جميع ما فرط منك مما يصح أن تعاتب عليه. ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بإعلاء الدين وضم الملك إلى النبوة. ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ في تبليغ الرسالة وإقامة مراسم الرئاسة. ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ نصراً فيه عزٌّ ومَنَعَة، أو يعزّ به المنصور؛ فوصف بوصفه مبالغة.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾.

﴿٤﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ الثبات والطمأنينة. ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حتى ثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الأقدام. ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ﴾ يقيناً مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها، أو أنزل فيها السكون إلى ما جاء به الرسول ليزدادوا إيماناً بالشرائع، مع إيمانهم بالله واليوم الآخر. ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ يدبر أمرها فيسلط بعضها على بعض تارة، ويوقع فيما بينهم السلم أُخْرَى كما تقتضيه حكمته. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بالمصالح. ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يقدّر ويدبّر.

﴿٥﴾ ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ علة بما بعده لما دل عليه قوله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [الفتح: ٧] من معنى التدبير؛ أي: دبّر ما دبّر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها، فيدخلهم الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك، أو (فَتَحْنا) أو (أَنْزَلَ) أو جميع ما ذكر، أو (لِيَزْدادُوا)، وقيل: إنه بدل منه بدل الاشتمال. ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ﴾ يغطيها ولا يظهرها ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الإدخال والتكفير. ﴿عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ لأنه منتهى ما يطلب من جلب نفع أو دفع ضرّ، و(عند) حال من الفوز.

﴿٦﴾ - ﴿٧﴾ ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ عطف

هو مع تاليه عطف على «دبرا» [وليزدادوا] عطف على لما دل عليه [وقيل: إنه]؛ أي: ﴿لِّيُدْخِلَ﴾ [الفتح: ٥] [بدل منه]؛ أي: من ليزدادوا.

۞ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾.

على (يَدْخُلِ) إلا إذا جعلته بدلاً فيكون عطفاً على المبدل. ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ ظن الأمر السوء، وهو أن لا ينصر رسوله والمؤمنين. ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (دائِرَةُ السُّوْءِ) بالضم وهما لغتان، غير أن المفتوح: غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه، والمضموم: جرى مجرى الشرّ، وكلاهما في الأصل مصدر ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا، والواو في الأخيرين، والموضع موضع الفاء؛ إذ اللعن سبب للإعداد، والغضب سبب له لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية. ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ جهنم. ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿٨﴾ - ﴿٩﴾ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ على أمتك ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ على الطاعة والمعصية ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الخطاب للنبيّ والأمة، أو لهم على أن خطابه منزل منزلة خطابهم. ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ وتقووه بتقوية دينه ورسوله ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ وتعظموه ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ وتنزهوه أو تصلوا له. ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ غدوة وعشياً، أو دائماً. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو الأفعال الأربعة بالياء، وقرئ: (تعْزروه) بسكون العين و(تَعْزرُوه) بفتح التاء وضم الزاي وكسرها و(تُعَزِّزُوه) بالزايين (وَتُوَقِرُوهُ) من: (أوقره)؛ بمعنى: (وقره).

[غير أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمُّه] إلى آخره، بسطه «الكشاف»[1] فقال: هما كالكَره والكُره الضَعف والضُعف، من شاء، إلا أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمُّه من كل شيء، وأمّا السُّوء فجارٍ مجرى الشر

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/٣٣٦].

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢاۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾﴾.

﴿١٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ لأنه المقصود ببيعته. ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ﴾ حال أو استئناف مؤكد له على سبيل التخييل. ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ نقض العهد ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ﴾ فلا يعود ضرر نكثه إلا عليه. ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ في مبايعته ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة، وقرئ: (عَهَدَ) وقرأ حفص: (عَلَيْهُ) بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح: (فسنؤتيه) بالنون. والآية نزلت في بيعة الرضوان.

﴿١١﴾ ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ هم أسلم وجهينة ومزينة وغفار؛ استنفرهم رسول الله ﷺ عام الحديبية فتخلفوا، واعتلوا بالشغل بأموالهم وأهاليهم؛ وإنما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة، والخوف من مقاتلة قريش إن صدوهم. ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ إذ لم يكن لنا من يقوم بأشغالهم، وقرئ بالتشديد للتكثير. ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ﴾ من الله على التخلف. ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْۚ﴾ تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار. ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه. ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ ما يضركم كقتل أو هزيمة، أو خلل في المال والأهل عقوبة على التخلف، وقرأ حمزة والكسائي بالضم. ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢاۚ﴾ ما يضاد ذلك، وهو تعريض بالرد. ﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه.

الذي هو نقيض الخير [على سبيل التخييل]؛ أي: التمثيل ولو عبر به كان أدب

۞ ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى
قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ
أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن
يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ
لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ
ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾.

﴿١٢﴾ ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ لظنكم أن المشركين يستأصلونهم، و(أهلون) جمع: (أهل) وقد يجمع على أهلات كأرضات، على أن أصله (أهلة) وأما (أهال) فاسم جمع كـ(ليال). ﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ فتمكن فيها، وقرئ على البناء للفاعل وهو (الله) أو (الشيطان). ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ الظن المذكور، والمراد التسجيل عليه بالسَّوْءِ، أو هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الأمور الزائغة ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم.

﴿١٣﴾ ـ ﴿١٤﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ وضع الكافرين موضع الضمير إيذاناً بأن من لم يجمع بين الإيمان بالله ورسوله فهو كافر، وأنه مستوجب للسعير بكفره، وتنكير (سعيراً) للتهويل، أو لأنها نار مخصوصة. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يدبره كيف يشاء. ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ إذ لا وجوب عليه. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ فإن الغفران والرحمة من ذاته، والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض، ولذلك جاء في الحديث الإلهي: «**سبقت رحمتي غضبي**».

﴿١٥﴾ ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾؛ يعني: المذكورين. ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾؛ يعني: مغانم خيبر فإنه ﷺ رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم، ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالاً كثيرة فخصها بهم. ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾

۞ ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦)﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ أن يغيروه وهو وعده لأهل الحديبية أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر، وقيل: قوله: ﴿لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ والظاهر أنه في تبوك. والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائي: (كلم الله) وهو جمع كلمة. ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ نفي في معنى النهي. ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ . من قبل تهيئهم للخروج إلى خيبر. ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أن تشارككم في الغنائم، وقرئ بالكسر. ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ لا يفهمون. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا فهماً قليلاً وهو فطنتهم لأمور الدنيا، ومعنى الإضراب الأول: ردّ منهم أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم وإثبات للحسد، والثاني: رد من الله لذلك وإثبات لجهلهم بأمور الدين.

(١٦) ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم وإشعاراً بشناعة التخلف. ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ بني حنيفة أو غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله ﷺ، فإنه قال: ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾؛ أي: يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام لا غير كما دل عليه قراءة (أو يسلموا)، ومن عداهم يقاتل حتى يسلم أو يعطي الجزية. وهو يدل على إمامة أبي بكر رضي الله عنه إذا لم تتفق هذه الدعوة لغيره إلا إذا صح أنهم ثقيف وهوازن؛ فإن ذلك كان في عهد النبوة. وقيل: فارس والروم ومعنى (يُسْلِمُونَ) ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية. ﴿فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة. ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ عن الحديبية. ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ لتضاعف جرمكم.

[كما دل عليه قراءة: أو يسلموا] إذ المعنى: إلى أن يسلموا [ومعنى يسلمون] إلى

۞ ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾.

﴿١٧﴾ ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ لما أوعد على التخلف نفي الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد. ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ فصل الوعد وأجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته، ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ إذ الترهيب ها هنا أنفع من الترغيب، وقرأ نافع وابن عامر: (ندخله) و(نعذبه) بالنون.

﴿١٨﴾ ـ ﴿١٩﴾ ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ روي: أنه ﷺ لما نزل الحديبية بعث خراش بن أمية الخزاعي إلى أهل مكة، فهموا به فمنعه الأحابيش فرجع، فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه فحبسوه، فأُرْجِفَ بقتله، فدعا رسول الله ﷺ أصحابه وكانوا ألفاً وثلاثمائة أو أربعمائة أو خمسمائة، وبايعهم على أن يقاتلوا قريشاً ولا يفروا عنهم، وكان جالساً تحت سَمُرَة أو سِدْرة. ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من الإخلاص. ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ الطمأنينة وسكون النفس بالتشجيع أو الصلح.

آخره، متعلق بالقول الأخير كما يعلم من تقريره أولاً [**روي أنه** ﷺ: «**لما نزل الحديبية..**»] إلى آخره، رواه الإمام أحمد[1] [**فمنعه الأحابيش**] واحدها أحبوش، وهو الفوج من قبائل شتى. يقال: تَحَبَّشُوا من كل قبيلة؛ أي: تَجَمَّعُوا [**فأرجف بقتله**]؛ أي: وقع الخوض والاضطراب بأنه قيل[2] من رجف البحر إذا اضطرب،

(١) مسند أحمد [٤/٣٢٣/ برقم: ١٨٩٣٠].
(٢) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب] وفي نسخة [الأصل]: (قتل).

۞ ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ فتح خيبر غبّ انصرافهم، وقيل: مكة أو هجر. ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾؛ يعني: مغانم خيبر. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ غالباً مراعياً مقتضى الحكمة.

﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾ ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ وهي ما يفيء على المؤمنين إلى يوم القيامة. ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾؛ يعني: مقام خيبر. ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾؛ أي: أيدي أهل خيبر وحلفائهم من بني أسد وغطفان، أو أيدي قريش بالصلح. ﴿وَلِتَكُونَ﴾ هذه الكفة أو الغنيمة ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أمارة يعرفون بها أنهم من الله بمكان، أو صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه من الحديبية، أو وعد المغانم أو عنواناً لفتح مكة. والعطف على محذوف هو علة لـ(كفَّ)، أو (عجل) مثل لتسلموا، أو لتأخذوا أو العلة لمحذوف مثل فعل ذلك. ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه. ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ ومغانم أُخرَى معطوفة على هذه، أو منصوبة بفعل يفسره (قَدْ أَحاطَ اللهُ بِها) مثل (قضى)، ويحتمل رفعها بالابتداء لأنها موصوفة وجرها بإضمار (رُبّ). ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ بعد لما كان فيها من الجولة. ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ استولى فأظفركم بها وهي مغانم هوازن أو فارس. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ لأن قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء.

﴿٢٢﴾ - ﴿٢٣﴾ ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مِنْ أَهْلِ مكة ولم يصالحوا.

وأرجف الناس في الشيء إذا خاضوا فيه واضطربوا [عن انصرافهم]؛ أي: عقبه

۞ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾.

﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ لانهزموا ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحرسهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصرهم ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُۖ﴾؛ أي: سنَّ غَلَبَة أنبيائه سنّة قديمة فيمن مضى من الأمم كما قال: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓۚ﴾ [المجادلة: ٢١]. ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ تغييراً.

﴿٢٤﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾؛ أي: أيدي كفار مكة. ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ في داخل مكة ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْۚ﴾ أظهركم عليهم، وذلك أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة إلى الحديبية، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد. وقيل: كان ذلك يوم الفتح، واستشهد به على أن مكة فتحت عنوة؛ وهو ضعيف إذ السورة نزلت قبله. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من مقاتلتهم أولاً طاعة لرسوله، وكفهم ثانياً لتعظيم بيته، وقرأ أبو عمرو بالياء. ﴿بَصِيرًا﴾ فيجازيهم عليه.

﴿٢٥﴾ ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥۚ﴾ يدل على أن ذلك كان عام الحديبية، و(الهدي): ما يهدى إلى مكة. وقرئ: (الهَدِيُّ) وهو فعيل بمعنى مفعول، ومحله مكانه الذي يحل

[﴿مَعْكُوفًا﴾ [الفتح: ٢٥]] حال من ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ أي: محبوساً [﴿أَن يَبْلُغَ﴾] منصوب بنزع الخافض؛ أي: «من»، أو «عن أن» أو بأنه مفعول له؛ أي: صدوا الهدي كراهة أن يبلغ محله.

فيه نحره، والمراد مكانه المعهود وهو «منىً» لا مكانه الذي لا يجوز أن ينحر في غيره، وإلا لما نحره الرسول عليه الصلاة والسلام حيث أحصر، فلا ينتهض حجة للحنفية على أن مذبح هدي المحصر هو الحرم. ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين. ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ أن توقعوا بهم وتبيدهم قال:

وَوَطِئْتَنَا وَطْأً عَلَى حَنَقٍ وَطْءَ المُقَيَّدِ ثَابِتَ الهَرَمِ

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن آخر وطأة وطئها الله بـ«وجّ»**» وهو وادٍ بالطائف كان آخر وقعة للنبي عليه الصلاة والسلام بها، وأصله الدوس وهو بدل الاشتمال من (رِجالٌ وَنِساءٌ)، أو من ضميرهم في (تَعْلَمُوهُمْ). ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم﴾ من جهتهم ﴿مَّعَرَّةٌۢ﴾ مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم، وتعيير الكفار بذلك، والإثم بالتقصير في البحث عنهم. (مفعلة) من: (عرّه) إذا عراه ما يكرهه. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ متعلق بـ(أَنْ تَطَأوهُمْ)؛ أي: تطؤوهم غير عالمين بهم، وجواب (لَوْلا) محذوف لدلالة الكلام عليه، والمعنى: لَوْلا كراهة أن تهلكوا أناساً مؤمنين بين أظهر الكافرين جاهلين بهم، فيصيبكم بإهلاكهم مكروه لما كف أيديكم عنهم.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ علة لما دل عليه كف الأيدي عن أهل مكة صوناً لمن فيها من المؤمنين؛ أي: كان ذلك ليدخل الله في رحمته؛ أي:

[وَوَطَئتَنَا وَطْأً عَلَى حَنَق وَطْءَ المُقَيَّدِ ثَابت الهرَمِ][١]

الحنق: الحقد الشديد، والمقيد البعير الذي علمته القيد وخصه؛ لأن وطأته أثقل كما خص الحنق؛ لأن أبقاه أقل، وخص ثابت الهرم؛ لأن هشمه أسهل، والهرم ضرب من الحمض، نقول: أثرت فينا تأثير الحنق الغضبان كما يؤثر البعير المقيد إذا وطيء هذا البيت [«إن آخر وطأة وطئها الله بِوَجٍّ...»] رواه الأمام أحمد[٢].

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى. انظر: تهذيب اللغة، الأزهري [٢/ ٣٢٢].

(٢) مسند أحمد [٦/ ٤٠٩/ برقم: ٢٧٣٥٥].

۞ ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾.

في توفيقه لزيادة الخير أو للإسلام. ﴿مَن يَشَآءُ﴾ من مؤمنيهم أو مشركيهم. ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض، وقرئ: (تزايلوا). ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بالقتل والسبي.

﴿٢٦﴾ ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مقدر باذكر أو ظرف لـ(عَذَّبْنَا) أو (صَدُّوكُمْ). ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾ الأنفة. ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ التي تمنع إذعان الحق. ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فأنزل عليهم الثبات والوقار وذلك ما روي: أنه عليه الصلاة والسلام لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص؛ ليسألوه أن يرجع من عامه على أن يخلي له قريش مكة من القابل ثلاثة أيام، فأجابهم وكتبوا بينهم كتاباً، فقال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه: «**اكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم**، فقالوا: ما نعرف هذا! اكتب باسمك اللَّهُمَّ، ثم قال: «**اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة**» فقالوا: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك! اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**اكتب ما يريدون**»، فَهَمَّ المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم، فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحملوا. ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ كلمة الشهادة، أو (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، محمد رسول الله) اختارها لهم، أو الثبات والوفاء بالعهد وإضافة (الكَلِمَةَ) إلى (التَّقْوى) لأنها سببها أو كلمة أهلها. ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا﴾ من غيرهم. ﴿وَأَهْلَهَا﴾ والمستأهلين لها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ فيعلم أهل كل شيء وييسره له.

[وتحملوا] في نسخة: «وتحلموا».

۞ ﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ
ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ
ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى
ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا﴾ رأى عليه السلام أنه وأصحابه دخلوا مكة آمنين، وقد حلقوا وقصروا، فقصّ الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أن ذلك يكون في عامهم، فلما تأخر قال بعضهم: والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت! فنزلت. والمعنى: صدقه في رؤياه. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ ملتبساً به؛ فإن ما رآه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل، ويجوز أن يكون (بِالْحَقِّ) صفة مصدر محذوف؛ أي: صدقاً ملتبساً بِالْحَقِّ، وهو القصد إلى التمييز بين الثابت على الإيمان والمتزلزل فيه، وأن يكون قسماً إما باسم الله تعالى أو بنقيض الباطل وقوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ جوابه، وعلى الأولين جواب قسم محذوف. ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ تعليق للعدة بالمشيئة تعليماً للعباد، أو إشعاراً بأن بعضهم لا يدخل لموت أو غيبة، أو حكاية لما قاله ملك الرؤيا، أو النبي لأصحابه. ﴿ءَامِنِينَ﴾ حال من (الواو) والشرط معترض. ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾؛ أي: محلقاً بعضكم ومقصراً آخرون. ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ حال مؤكدة أو استئناف أي: لا تخافون بعد ذلك. ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟﴾ من الحكمة في تأخير ذلك ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ من دون دخولكم المسجد أو فتح مكة ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر ليستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الموعود.

﴿٢٨﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ ملتبساً به أو بسببه أو لأجله.

[«رأى رسول الله ﷺ: أنه وأصحابه دخلوا مكة آمنين...»] إلى آخره رواه البيهقي مرسلاً(١).

(١) دلائل النبوة، البيهقي [٤/ ١٦٤/ برقم: ١٥١٠].

۞ ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾.

﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ وبدين الإسلام. ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ﴾ ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقاً وإظهار فساد ما كان باطلاً، أو بتسليط المسلمين على أهله إذ ما من أهل دين إلا وقد قهرهم المسلمون، وفيه تأكيد لما وعده من الفتح. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على أن ما وعده كائن أو على نبوته بإظهار المعجزات.

﴿٢٩﴾ ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ جملة مبينة للمشهود به، ويجوز أن يكون (رَسُولُ اللهِ) صفة و(مُحَمَّدٌ) خبر محذوف أو مبتدأ: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ معطوف عليه وخبرهما. ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾ و(أَشِدَّاءُ) جمع: (شديد) و(رُحَماءُ) جمع: (رحيم)، والمعنى: أنهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ لأنهم مشتغلون بالصلاة في أكثر أوقاتهم. ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ الثواب والرضا.

﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود، فعلى من سامه إذا أعلمه، وقد قرئت ممدودة و(مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) بيانها أو حال من المستكن في الجار. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الوصف المذكور. أو إشارة مبهمة يفسرها (كَزَرْعٍ). ﴿مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ﴾ صفتهم العجيبة الشأن المذكورة فيها. ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ عطف عليه؛ أي:

[أو مبتدأ] عطف على «عُطف عليه».

ذلك مثلهم في الكتابين، وقوله: ﴿كَزَرۡعٍ﴾ تمثيل مستأنف، أو تفسير، أو مبتدأ و(كَزَرْعٍ) خبره. ﴿أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾؛ أي: فراخه، يقال: (أشطأ الزرع) إذا فرخ، وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان: (شَطْأَهُ) بفتحات وهو لغة فيه، وقرئ: (شَطَاه) بتخفيف الهمزة و(شَطَاءَه) بالمد و(شَطَه) بنقل حركة الهمزة وحذفها، و(شَطْوَه) بقلبها واواً. ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ فقوّاه؛ من: (المؤازرة) وهي المعاونة، أو من: (الإئزار) وهي الإعانة، وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان: (فَأَزَرَهُ) كأجره في آجره. ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ فصار من الدقة إلى الغلظ. ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ فاستقام على قصبه جمع ساق، وعن ابن كثير (سؤقه) بالهمزة. ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره، وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة قَلّوا في بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا، فترقى أمرهم بحيث أعجب الناس. ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه، أو لقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ فإن الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان.

عن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة (الفتح) فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة»**.

[«من قرأ سورة الفتح...»] إلى آخره، موضوع(١).



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/٣١٩/ برقم: ١٢١٩].

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

(٤٩) مدنية، وآيها ثماني عشرة آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ①
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ② إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ
رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ③﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

① ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾؛ أي: لا تقدموا أمراً، فحذف المفعول ليذهب الوهم إلى كل ما يمكن، أو ترك لأن المقصود نفي التقديم رأساً أو لا تتقدموا، ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم، ويؤيده قراءة يعقوب: (لَا تَقَدَّمُوا). وقرئ: (لَا تُقْدِمُواْ) من القدوم. ﴿بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الإنسان تهجيناً لما نهوا عنه، والمعنى: لا تقطعوا أمراً قبل أن يحكما به. وقيل: المراد: بين يدي رسول الله، وذكر (الله) تعظيم له وإشعار بأنه من الله بمكان يوجب إجلاله. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ في التقديم أو مخالفة الحكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالكم.

② ـ ③ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾؛ أي: إذا كلمتموه فلا تجاوزوا أصواتكم عن صوته. ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا أصواتكم أخفض من صوته؛ محاماة على الترحيب ومراعاة للأدب. وقيل معناه: ولا

[ويؤيده قراءة يعقوب «لا تَقَدَّموا»]؛ أي: بفتح التاء وتاليها **[محاماة على الترحيب]**؛ أي: دوراناً على أن يقولوا له: مرحباً. قال الجوهري: وقد رحب به

تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضاً وخاطبوه بالنبي والرسول، وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة في الإيقاظ، والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به. ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ كراهة أن تحبط؛ فيكون علة للنهي، أو لأن تحبط؛ على أن النهي عن الفعل المعلل باعتبار التأدية؛ لأن في الجهر والرفع استخفافاً قد يؤدي إلى الكفر المحبط، وذلك إذ انضم إليه قصد الإهانة وعدم المبالاة. وقد روي: أن ثابت بن قيس ﷺ كان في أذنه وقر، وكان جهورياً، فلما نزلت؛ تخلف عن رسول الله ﷺ فتفقده ودعاه فقال: يا رسول الله لقد أنزلت إليك هذه الآية، وإني رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط! فقال ﷺ: «**لست هناك؛ إنك تعيش بخير وتموت بخير، وإنك من أهل الجنة**». ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ أنها محبطة.

﴿٣﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ﴾ يخفضونها. ﴿عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ مراعاة للأدب أو مخافة عن مخالفة النهي. قيل: كان أبو بكر وعمر بعد ذلك يسرانه حتى يستفهمهما. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ جرَّبها للتقوى ومَرَّنها عليها، أو عرَّفها كائنة للتقوى خالصة لها، فإن الامتحان سبب المعرفة، و(اللام) صلة محذوف أو للفعل باعتبار الأصل، أو حزب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الشاقة لأجل التقوى؛ فإنها لا تظهر إلا بالاصطبار عليها، أو أخلصها للتقوى، من: (امتحن الذهب) إذا أذابه ومَيَّزَ

ترحيباً، إذ قال له: مرحباً[١] **[أو لأن تحبط]** عطف على «كراهة أن تحبط»، وقد أطال «الكشاف» في بيان الوجهين **[باعتبار التأدية]**؛ أي: إلى حبوط العمل **[روي: «أن ثابت بن قيس..»]** إلى آخره، رواه الشيخان[٢] **[واللام صفة محذوفة]** وهو خالصة **[أو للفعل]**؛ أي: أو صلة للفعل، وهو امتحن.

---

(١) الصحاح، الجوهري [١/ ٣٤٠].

(٢) صحيح البخاري [٤/ ١٥٨٧/ برقم: ٤١٠٩]، صحيح مسلم [١/ ١١٠/ برقم: ١١٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

إبريزه من خبثه. ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لغضهم وسائر طاعاتهم. والتنكير للتعظيم، والجملة خبر ثان لـ(إن)، أو استئناف لبيان ما هو جزاء الغاضين إحماداً لحالهم كما أخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين، والمبتدأ اسم الإشارة المتضمن لما جعل عنواناً لهم، والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم أقصى الكمال، مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له، وتعريضاً بشناعة الرفع والجهر، وأن حال المرتكب لهما على خلاف ذلك.

﴿٤﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ من خارجها؛ خلفها أو قدامها، و(من) ابتدائية فإن المناداة نشأت من جهة الوراء، وفائدتها الدلالة على أن المنادي داخل الحجرة إذ لا بد وأن يختلف المبتدأ والمنتهى بالجهة، وقرئ: (الحجرات) بفتح الجيم، وسكونها وثلاثتها جمع: (حجرة): وهي القطعة من الأرض المحجورة بحائط؛ ولذلك يقال لحظيرة الإبل: حجرة. وهي (فعلة) بمعنى (مفعول) كـ(الغرفة والقبضة)، والمراد: حجرات نساء النبي عليه الصلاة والسلام، وفيها كناية خلوته بالنساء، ومناداتهم من ورائها؛ إما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها، أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له، فأسند فعل الأبعاض إلى الكل. وقيل: إن الذي ناداه: عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، وفدا على رسول الله ﷺ في سبعين رجلاً من بني تميم وقت الظهيرة، وهو راقد، فقالا: يا محمد اخرج إلينا! وإنما أسند إلى جميعهم لأنهم رضوا بذلك أو أمروا به، أو لأنه وجد فيما بينهم. ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إذ العقل يقتضي حسن الأدب ومراعاة الحشمة؛ سيما لمن كان بهذا المنصب.

﴿٥﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج إليهم، فإن (أن) وإن دلت بما في حيزها على

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦﴾.

المصدر دلت بنفسها على الثبوت، ولذلك وجب إضمار الفعل، وحتى تفيد (أن) الصبر ينبغي أن يكون مغيّاً بخروجه، فإن (حتى) مختصة بغاية الشيء في نفسه، ولذلك تقول: أكلت السمكة حتى رأسها، ولا تقول: حتى نصفها، بخلاف (إلى) فإنها عامة، وفي (إِلَيْهِمْ) إشعار بأنه لو خرج، لا لأجلهم ينبغي أن يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه إليهم. ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ لكان الصبر خيراً لهم من الاستعجال؛ لما فيه من حفظ الأدب، وتعظيم الرسول؛ الموجبين للثناء والثواب، والإسعاف بالمسؤول إذ روي: أنهم وفدوا شافعين في أسارى بني العنبر، فأطلق النصف وفادى النصف. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الأدب، التاركين تعظيم الرسول!

٦ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ فتعرفوا وتصفحوا، روي أنه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد بن عقبة مصدقاً إلى بني المصطلق وكان بينه وبينهم إحنة، فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه! فرجع وقال لرسول الله ﷺ: قد ارتدوا ومنعوا الزكاة! فهمَّ بقتالهم، فنزلت. وقيل: بعث إليهم خالد بن الوليد بعده فوجدهم منادين بالصلاة، متهجدين؛ فسلموا إليه الصدقات فرجع. وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم، وتعليق الأمر بالتبين على فسق المخبر؛ يقتضي جواز قبول خبر العدل من حيث إن المعلق على شيء بكلمة إن عدم عند عدمه، وأن خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق، إذ الترتيب يفيد التعليل، وما بالذات لا يعلل بالغير. وقرأ حمزة والكسائي: (فتثبتوا)؛ أي: فتوقفوا إلى أن يتبين لكم الحال. ﴿أَن

[روي: «أنه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد بن عقبة مصدقاً..»] إلى آخره،

۞ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾.

﴿تُصِيبُوا۟﴾ كراهة إصابتكم. ﴿قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ جاهلين بحالهم. ﴿فَتُصْبِحُوا۟﴾ فتصيروا. ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ مغتمين غماً لازماً متمنين أنه لم يقع، وتركيب هذه الأحرف الثلاثة دائر مع اللزوم.

﴿٧﴾ - ﴿٨﴾ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ﴾ (أن) بما في حيزه ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ فإنه حال من أحد ضميري (فيكم)، ولو جعل استئنافاً لم يظهر للأمر فائدة. والمعنى: أن فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها، وهي أنكم تريدون أن يتبع رأيكم في الحوادث، ولو فعل ذلك لَعَنِتُّمْ؛ أي: لوقعتم في العنت وهو الجهد والهلاك، وفيه إشعار بأن بعضهم أشار إليه بالإيقاع ببني المصطلق وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ﴾ استدراك ببيان عذرهم، وهو أنهم من فرط حبهم للإيمان وكراهتهم للكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد، أو بصفة من لم يفعل ذلك منهم إحماداً لفعلهم وتعريضاً بذم من فعل؛ ويؤيده قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾؛ أي: أولئك المستَثْنَونَ هم الذين أصابوا الطريق

رواه الطبراني[1]، وقوله: مصدقاً؛ أي: أخذ الصدقة **[وتركيب هذه الأحرف الثلاثة]**؛ أي: وهي أحرف ندم **[دائر مع الدوام]**؛ أي: لأن الندم غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام؛ لأنه كلما تذكر المتندم عليه راجعه، اعني: الغم **[ببيان عذرهم]**؛ أي: عن أمرهم الرسول ﷺ الإيقاع ببني المصطلق **[حملهم على ذلك]**؛ أي: على أمرهم الإيقاع **[أو بصفة من لم يفعل]** عطف على «ببيان عذرهم» وعطف

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني [٣/ ٢٤٧/ برقم: ٣٣٩٥].

۞ ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾.

السويّ، (وَكَرَّهَ) متعد بنفسه إلى مفعول واحد، فإذا شدد زاد له آخر، لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل إليكم منزلة مفعول آخر. و(الْكُفْرَ): تغطية نِعَم الله تعالى بالجحود. وَ(الْفُسُوقَ): الخروج عن القصد وَ(الْعِصْيانَ): الامتناع عن الانقياد. ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةًۚ﴾ تعليل لـ(كَرَّهَ) أو (حَبَّبَ)، وما بينهما اعتراض لا لـ(رَّاشِدُونَ) فإن (الفضل) فعل الله، و(الرشد) وإن كان مسبباً عن فعله مسند إلى ضميرهم، أو مصدر لغير فعله؛ فإن (التحبيب) و(الرشد) فضل من الله وإنعام. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل ﴿حَكِيمٌ﴾ حيث يفضل وينعم بالتوفيق عليهم.

۝٩ ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى؛ فإن كل طائفة جمع. ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾ بالنصح والدعاء إلى حكم الله. ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾ تعدت عليها ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ﴾ ترجع إلى حكمه أو ما أمر به، وإنما أطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس، والغنيمة لرجوعها من الكفار إلى المسلمين. ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾ بفصل ما بينهما على ما حكم الله، وتقييد الإصلاح بالعدل ها هنا؛ لأنه مظنة الحيف من حيث إنه بعد المقاتلة. ﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ﴾ واعدلوا في كل الأمور. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ يحمد فعلهم بحسن الجزاء.

على قوله: «تعليل» [أو مصدر لغير فعله]؛ أي: لفعل مأخوذ من حبب، أو الراشدون [فإن التحبب والرشد فضل من الله وإنعامه] جواب ما يقال: على الوجه الأخير كيف جاز أن يكون فضل الله الذي هو فعله مفعولاً له بالنسبة إلى الراشد

۞ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ
عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ
بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾.

والآية نزلت في قتال حدث بين الأوس والخزرج في عهده عليه الصلاة والسلام بالسعف والنعال. وهي تدل على أن الباغي مؤمن وأنه إذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في الحديث؛ لأنه فاء إلى أمر الله، وأنه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة.

﴿١٠﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ من حيث إنهم منتسبون إلى أصل واحد وهو الإيمان الموجب للحياة الأبدية، وهو تعليل وتقرير للأمر بالإصلاح؛ ولذلك كرره مرتباً عليه بالفاء فقال: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ﴾ ووضع الظاهر موضع الضمير مضافاً إلى المأمورين للمبالغة في التقرير والتخصيص، وخص الإثنين بالذكر لأنهما أقل من يقع بينهم الشقاق. وقيل: المراد بالأخوين: الأوس والخزرج. وقرئ: (بين إخوتكم) و(إخوانكم). ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في مخالفة حكمه والإهمال فيه. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ على تقواكم.

﴿١١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾؛ أي: لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض؛ إذ قد يكون المسخور منه خيراً عند الله من الساخر، و(القوم) مختص بالرجال؛ لأنه إما مصدر نعت به فشاع في الجمع، أو جمع لـ(قائم) كـ(زائر وزَوْر)، والقيام بالأمور وظيفة الرجال كما قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤] وحيث فسر بالقبيلين كقوم عاد

الذي هو فعل العبد[(١)] [وحيث فسر]؛ أي: القوم [بالقبيلين]؛ أي: الرجال والنساء

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١٧/ ٥٣٩].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

وفرعون، فإما على التغليب أو الاكتفاء بذكر الرجال على ذكرهن لأنهن توابع، واختيار الجمع؛ لأن السخرية تغلب في المجامع و(عَسى) باسمها استئناف بالعلة الموجبة للنهي، ولا خبر لها لإغناء الاسم عنه. وقرئ: (عَسَوْا أن يكونوا) و(عَسَيْنَ أن يكنَّ) فهي على هذا ذات خبر. ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: ولا يَعِب بعضكم بعضاً فإن المؤمنين كنفس واحدة، أو لا تفعلوا ما تلمزون به؛ فإن من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمزَ نفسه. و(اللمز): الطعن باللسان. وقرأ يعقوب بالضم. ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ ولا يدعُ بعضكم بعضاً بلقب السوء، فإن (النَّبْزُ) مختصٌّ بلقَبِ السُّوءِ عُرْفاً. ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾؛ أي: بئس الذكر المرتفع للمؤمنين؛ أن يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الإيمان واشتهارهم به، والمراد به إما تهجين نسبة الكفر والفسق إلى المؤمنين خصوصاً؛ إذ روي: أن الآية نزلت في صفية بنت حيي رضي الله عنها، أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن النساء يقلن لي: يا يهودية بنت يهوديين! فقال لها: «**هلا قلت: إن أبي هارون، وعمي موسى، وزوجي محمداً!**». أو الدلالة على أن التنابز فسق، والجمع بينه وبين الإيمان مستقبح. ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ عما نهى عنه. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بوضع العصيان موضع الطاعة، وتعريض النفس للعذاب.

﴿١٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ كونوا منه على جانب، وإبهام الكثير ليحتاط في كل ظنٍّ، ويتأمل حتى يعلم أنه من أي القبيل! فإن

في قوله: أي: لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض [**فإما على التغليب**]؛ أي: فإطلاقه على النساء مع أنه مختص بالرجال لغة إما على التغليب [**أو الاكتفاء**]

من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات، وحسن الظن بالله، وما يحرم كالظن في الإلٰهيات والنبوات، وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين، وما يباح كالظن في الأمور المعاشية. ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ تعليل مستأنف للأمر، و(الإثم): الذنب الذي يستحق العقوبة عليه. والهمزة فيه بدل من الواو؛ كأنه يَثِمُ الأعمال؛ أي: يكسرها. ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ ولا تبحثوا عن عورات المسلمين، (تفعل) من: (الجس) باعتبار ما فيه من معنى الطلب كـ(التلمس)، وقرئ بالحاء من: (الحس): الذي هو أثر الجس وغايته؛ ولذلك قيل: للحواس؛ الجواس. وفي الحديث: «**لا تتبعوا عورات المسلمين؛ فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته**». ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ ولا يذكر بعضكم بعضاً بالسوء في غيبته.

وسئل عليه الصلاة والسلام عن الغيبة فقال: «**أن تذكر أخاك بما يكرهه، فإن كان فيه فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بَهَتَّه!**».

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر، وإسناد الفعل إلى أحد للتعميم، وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة، وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان، وجعل المأكول أخاً وميتاً، وتعقيب ذلك بقوله: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ تقريراً وتحقيقاً لذلك. والمعنى: إن صح ذلك أو عرض عليكم هذا فقد كرهتموه، ولا يمكنكم إنكار كراهته، وانتصاب (مَيْتاً) على الحال من (اللحم) أو (الأخ) وشدده نافع. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾

إلى آخره [والإثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليها] الأولى عليه [«لا تتبعوا عورات المسلمين»] إلى آخره، رواه الترمذي[1] وحسنه[2]، وابن حبان في صحيحه [«وسئل ﷺ: عن الغيبة..»] إلى آخره، رواه الشيخان[3].

---

(١) في [ز]: (أبو داود).
(٢) سنن الترمذي [٣٧٨/٤/ برقم: ٢٠٢٣].
(٣) صحيح البخاري [٢٢٤٩/٥/ برقم: ٥٧٠٥]، صحيح مسلم [٢٠٠/٤/ برقم: ٢٥٨٩].

۞ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾.

لمن اتقى ما نهى عنه وتاب مما فرط منه، والمبالغة في (التَّوَّابُ) لأنه بليغ في قبول التوبة؛ إذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب، أو لكثرة المتوب عليهم، أو لكثرة ذنوبهم، روي: أن رجلين من الصحابة بعثا سلمان رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ يبتغي لهما إداماً، وكان أسامة على طعامه فقال: ما عندي شيء! فأخبرهما سلمان؛ فقالا: لو بعثناه إلى بئر سميحة لغارَ ماؤها! فلما راحا إلى رسول الله ﷺ قال لهما: «**ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما؟!**»، فقالا: ما تناولنا لحماً! فقال: «**إنكما قد اغتبتما**»، فنزلت.

(١٣) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ من آدم وحواء عليهما السلام، أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم، فالكل سواء في ذلك، فلا وجه للتفاخر بالنسب. ويجوز أن يكون تقريراً للأخوة المانعة عن الاغتياب. ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ (الشعب): الجمع العظيم المنتسبون إلى أصل واحد وهو يجمع القبائل. و(القبيلة): تجمع العمائر. و(العمارة): تجمع البطون. و(البطن): تجمع الأفخاذ. و(الفخذ) يجمع الفصائل؛ فـ«خزيمة» شعب، و«كنانة» قبيلة، و«قريش» عمارة، و«قصي» بطن، و«هاشم» فخذ، و«عباس» فصيلة. وقيل: الشعوب بطون العجم، والقبائل بطون العرب. ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ ليعرف بعضكم بعضاً لا للتفاخر بالآباء والقبائل. وقرئ: (لتّعارفوا) بالإدغام و(لتَتَعَارفوا) و(لتَعْرِفُوا). ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ فإن التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل بها الأشخاص، فمن أراد شرفاً فليلتمسه منها كما قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ سرّه أن يكون أكرم الناس! فليتق الله**»

[«**من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله**»] رواه الحاكم[1].

---

(١) مستدرك الحاكم [٤/ ٣٠١/ برقم: ٧٧٠٧].

۞ ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾.

وقال ﷺ: «**يَا أَيُّهَا الناس! إِنَّمَا الناس رجلان: مؤمن تقي كريم على الله، وفاجر شقي هيّن على الله**». ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿خَبِيرٌ﴾ ببواطنكم.

﴿١٤﴾ ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ نزلت في نفر من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة وأظهروا الشهادتين، وكانوا يقولون لرسول الله: أتيناك بالأثقال والعيال، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان! يريدون الصدقة ويمنّون. ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ إذ الإيمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب، ولم يحصل لكم، وإلا لَمَا مَنَنْتُم على الرسول بالإسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة. ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ فإن الإسلام انقياد ودخول في السلم، وإظهار الشهادتين، وترك المحاربة يشعر به. وكان نظم الكلام أن يقول: لا تقولوا آمنا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا، أو لم تؤمنوا ولكن أسلمتم؛ فعدل عنه إلى هذا النظم احترازاً من النهي عن القول بالإيمان والجزم بإسلامهم. وقد فقد شرط اعتباره شرعاً. ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ توقيت لـ(قُولُوا) فإنه حال من ضميره؛ أي: (وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا) ولم تواطئ قلوبكم ألسنتكم بعد. ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بالإخلاص وترك النفاق ﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ﴾ لا ينقصكم من أجورها شَيْئاً؛ من: (لات يليت ليتا) إذا نقص، وقرأ البصريان: (لا يألتكم) من: (الألت) وهو لغة «غطفان». ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما فرط من المطيعين. ﴿رَّحِيمٌ﴾ بالتفضل عليهم.

[**وقال: «يأيها الناس إنما الناس رجلان..»**] إلى آخره، رواه الترمذي[1].

---

(١) سنن الترمذي [٥/ ٣٨٩/ برقم: ٣٢٧٠].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ لم يشكوا؛ من: (ارتاب) مطاوع (رابه) إذا أوقعه في الشك مع التهمة، وفيه إشارة إلى ما أوجب نفي الإيمان عنهم، و(ثُمَّ) للإشعار بأن اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الإيمان؛ ليس حال الإيمان فقط بل فيه وفيما يستقبل، فهي كما في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠]. ﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في طاعته، والمجاهدة بالأموال والأنفس تصلح للعبادات المالية والبدنية بأسرها. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ الذين صدقوا في ادعاء الإيمان. ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ أتخبرونه به بقولكم: آمَنَّا. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه خافية، وهو تجميل لهم وتوبيخ. روي: أنه لما نزلت الآية المتقدمة جاءوا وحلفوا أنهم مؤمنون معتقدون، فنزلت هذه الآية.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ يعدون إسلامهم عليك منّة، وهي النعمة التي لا يستثيب موليها ممن بذلها إليه، من: (المنّ) بمعنى: القطع؛ لأن المقصود بها قطع حاجته. وقيل: النعمة الثقيلة من المنّ. ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم﴾؛ أي: بإسلامكم، فنصب بنزع الخافض أو تضمين الفعل معنى الاعتداد. ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ على ما زعمتم مع أن الهداية لا تستلزم الاهتداء، وقرئ: (إن هَداكُمْ) بالكسر و(إِذْ هَداكُمْ). ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في ادعاء الإيمان، وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله؛ أي: فللّه المنة عليكم، وفي سياق الآية لطف؛ وهو أنهم لما سموا ما صدر

عنهم إيماناً ومنوا به فنفى أنه إيمانٌ وسماه إسلاماً بأن قال يمنون عليك بما هو في الحقيقة إسلام وليس بجدير أن يمن به عليك؛ بل لو صح ادّعاؤهم للإيمان فللّه المنة عليهم بالهداية له لا لهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ما غاب فيهما. ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ في سركم وعلانيتكم، فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم؟ وقرأ ابن كثير بالياء لما في الآية من الغيبة.

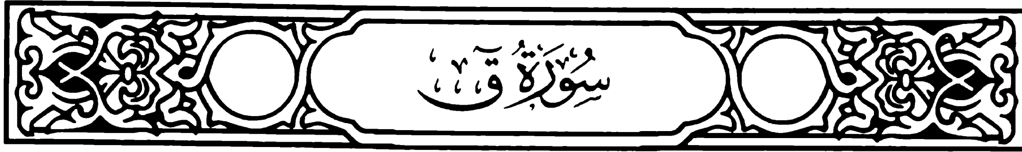
عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة (الحجرات) أعطي من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه**».

[«**من قرأ سورة الحجرات..**»] إلى آخره، موضوع[1].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٣٥٣/ برقم: ١٢٤٨].



(٥٠) مكية، وهي خمس وأربعون آية

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ (١) بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ (٢) أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ (٣) قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - (٣) ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ الكلام فيه كما مرّ في ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص: ١]. و(الْمَجِيدِ) ذو المجد والشرف على سائر الكتب، أو لأنه كلام المجيد، أو لأن من علم معانيه وامتثل أحكامه مُجِّد. ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب، وهو أن ينذرهم أحد من جنسهم، أو من أبناء جلدتهم. ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ حكاية لتعجبهم، وهذا إشارة إلى اختيار الله محمداً للرسالة، وإضمار ذكرهم ثم إظهاره للإشعار بتعنتهم بهذا المقال، ثم التسجيل على كفرهم بذلك، أو عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة، والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم، وحكاية تعجبهم مبهماً إن كانت الإشارة إلى مبهم يفسره ما بعده، أو مجملاً إن كانت الإشارة إلى محذوف دل عليه منذر، ثم تفسيره أو تفصيله لأنه أدخل في الإنكار؛ إذ الأول: استبعاد لأن يفضل عليهم مثلهم، والثاني: استقصار لقدرة الله تعالى عما هو أهون مما يشاهدون من صنعه. ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ﴾؛ أي: أنرجع إذا متنا وصرنا

[أو عطف لتعجبهم] عطف على حكاية لتعجبهم [والمبالغة] مبتدأ خبره مع ما عطف عليه قوله: بعد؛ لأنه أدخل في الإنكار [فيه]؛ أي: في تعجبهم من البعثة [ثم تفسيره]؛ أي: المبهم [أو تفصيله]؛ أي: المجمل ففي كلامه لف ونشر مرتب [إذ الأول]؛ أي: من التعجبين، فقوله: إذ الأول.. إلى آخره، تعليل لعطف الثاني على الأول وما بين

وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ
يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا
وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ
﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ
لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾.

تراباً؟! ويدل على المحذوف قوله: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾؛ أي: بعيد عن الوهم أو العادة أو الإمكان. وقيل: الرجع بمعنى المرجوع.

﴿٤﴾ ـ ﴿٥﴾ ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ﴾ ما تأكل من أجساد موتاهم، وهو ردّ لاستبعادهم بإزاحة ما هو الأصل فيه، وقيل: إنه جواب القسم و(اللام) محذوف لطول الكلام. ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ حافظ لتفاصيل الأشياء كلها، أو محفوظ عن التغيير، والمراد: إما تمثيل علمه بتفاصيل الأشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه، أو تأكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده. ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾؛ يعني: النبوة الثابتة بالمعجزات، أو النبي، أو القرآن. ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ وقرئ: (لِمَا) بالكسر. ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ مضطرب، من: (مرج الخاتم في أصبعه) إذا جرج، وذلك قولهم تارة: إنه شاعِرٌ! وتارة: إنه ساحِرٌ! وتارة: إنه كاهن!

﴿٦﴾ ـ ﴿٨﴾ ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟﴾ حين كفروا بالبعث ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾ إلى آثار قدرة الله تعالى في خلق العالم ﴿كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ رفعناها بلا عمد ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ فتوق بأن خلقها ملساء متلاصقة الطباق. ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ﴾؛ أي: من كل صنف ﴿بَهِيجٍ﴾ حسن. ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ راجع إلى ربه متفكر في بدائع صنعه. وهما علتان للأفعال المذكورة معنى؛ وإن انتصبتا عن الفعل الأخير.

﴿٩﴾ ـ ﴿١١﴾ ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ كثير المنافع ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ

۞ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾.

﴿جَنَّٰتٍ﴾ أشجاراً وأثماراً. ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ وحب الزرع الذي من شأنه أن يحصد كالبر والشعير. ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ طوالاً أو حوامل من: (أبسقت الشاة) إذا حملت فيكون من: (أفعل) فهو (فاعل)، وإفرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها. وقرئ: (باصقات) لأجل القاف. ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ منضود بعضه فوق بعض، والمراد تراكم الطلع، أو كثرة ما فيه من الثمر. ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ علة لـ(أَنْبَتْنا) أو مصدر، فإن الإنبات رزق. ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ﴾ بذلك الماء ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ أرضاً جدبة لا نماء فيها. ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم أحياء بعد موتكم.

﴿١٢﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ﴾ أراد بفرعون إياه وقومه ليلائم ما قبله وما بعده. ﴿وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾ أخدانه لأنهم كانوا أصهاره. ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ سبق في (الحجر) و(الدخان). ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾؛ أي: كل واحد أو قوم منهم أو جميعهم، وإفراد الضمير لإفراد لفظه. ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ فوجب وحلّ عليه وعيدي، وفيه تسلية للرسول ﷺ وتهديد لهم.

﴿١٥﴾ ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾؛ أي: أفعجزنا عن الإبداء حتى نعجز عن الإعادة، من: (عيي بالأمر) إذا لم يهتد لوجه عمله، والهمزة فيه للإنكار. ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ أي: هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأول بل هم في خلط، وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة، وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شأنه، والإشعار بأنه على وجه غير متعارف ولا معتاد.

العلة والمعلول من قوله: والمبالغة.. إلى آخره، اعتراض [**في خلق مستأنف**]؛ أي:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾
إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾.

﴿١٦﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال، و(الوسوسة): الصوت الخفي، ومنها: وسواس الحلي. والضمير لـ(ما) إن جعلت موصولة، و(الباء) مثلها في صوّت بكذا، أو للـ(الإنْسانَ) إن جعلت مصدرية والباء للتعدية. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾؛ أي: ونحن أعلم بحاله ممن كان أقرب إليه مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ؛ تجوز بقرب الذات لقرب العلم لأنه موجبه، و(حَبْلِ الْوَرِيدِ) مثل في القرب قال: (والموت أدنى من الوريد). و(الحَبْلِ): العرق، وإضافته للبيان، و(الوريدان): عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها، متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه، وقيل: سمي وريداً لأن الروح ترده.

﴿١٧﴾ ـ ﴿١٨﴾ ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ مقدر بـ(اذكر) أو متعلق بـ(أَقْرَبُ)؛ أي: هو أعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى؛ أي: يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به، وفيه إيذان بأنه غني عن استحفاظ الملكين؛ فإنه أعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما، لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد يثبط العبد عن المعصية، وتأكيد في اعتبار الأعمال وضبطها للجزاء وإلزام للحجة يوم يقوم الأشهاد. ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾؛ أي: عَنِ الْيَمِينِ قعيد وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ؛ أي: مقاعد كالجليس فحذف الأول لدلالة الثاني عليه كقوله: (فإنِّي وَقَيَّارٌ بها لغريب). وقد يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله:

مستقبل[1] [ومنه وسواس **الحُلِيّ**] بضم الحاء وكسر اللام، وتشديد الياء؛ أي: صوته [**والباء مثلها في صوت كذا**]؛ أي: فهي للآلة [**قال: والمَوْتُ أَدْنَى مِنْ الوَرِيدِ**] صدره: هل أغدون في عيشةٍ رغيدِ [**متصلان بالوتين**] هو عرق متصل بالقلب إذا قُطع

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [٢٦/١٧٧].

﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]. ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ﴾ ما يرمي به من فيه ﴿إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ﴾ ملك يرقب عمله. ﴿عَتِيدٌ﴾ معد حاضر، ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب أو عقاب وفي الحديث: «**كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات؛ فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشراً، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات؛ لعله يسبح أو يستغفر**».

﴿١٩﴾ ـ ﴿٢٠﴾ ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء، وأزاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه؛ أعلمهم بأنهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة، ونبّه على اقترابه بأن عبّر عنه بلفظ الماضي، وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل. و(الباء) للتعدية كما في قولك: جاء زيد بعمرو. والمعنى: وأحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر أو الموعود الحق، أو الحق الذي ينبغي أن يكون من الموت أو الجزاء، فإن الإنسان خلق له أو مثل (الباء) في ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]. وقرئ: (سكرة الحق بالموت) على أنها لشدتها اقتضت الزهوق، أو لاستعقابها له كأنها جاءت به، أو على أن (الباء) بمعنى: (مع). وقيل: (سَكْرَةُ الحق) سكرة الله؛ وإضافتها إليه للتهويل. وقرئ: (سكرات الموت). ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الموت. ﴿مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ تميل وتنفر عنه، والخطاب للإنسان. ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ﴾؛ يعني: نفخة البعث. ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ﴾؛ أي: وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وإنجازه، والإشارة إلى مصدر (نُفِخَ).

مات صاحبه [«**كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات**»] إلى آخره، رواه ابن راهويه[1] [**أو مثل الباء في** ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]]؛ أي: فهي للملابسة

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/١٠٠٦/ برقم: ٨٩٩].

۞ ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ٢٥﴾.

---

٢١ ـ ٢٢ ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾ ملكان أحدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله، أو ملك جامع للوصفين. وقيل: (السائق): كاتب السيئات، و(الشهيد): كاتب الحسنات. وقيل: (السائق): نفسه أو قرينه، و(الشهيد): جوارحه أو أعماله. ومحل (مَعَها) النصب على الحال من (كلّ) لإضافته إلى ما هو في حكم المعرفة. ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ على إضمار القول والخطاب لِكُلِّ نَفْسٍ؛ إذ ما من أحد إلا وله اشتغال ما عن الآخرة، أو للكفار. ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ الغطاء الحاجب لأمور المعاد، وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات، والإلف بها، وقصور النظر عليها. ﴿فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ نافذ لزوال المانع للإبصار. وقيل: الخطاب للنبي، والمعنى: كنت في غفلة من أمر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القرآن فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ترى ما لا يرون، وتعلم ما لا يعلمون! ويؤيد الأول قراءة من كسر التاء، والكافات على خطاب النفس.

٢٣ ـ ٢٥ ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ قال الملك الموكل عليه. ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لدي، أو الشيطان الذي قيض له: هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم هيأته لها باغوائي وإضلالي. و(ما) إن جعلت موصوفة ف (عَتِيدٌ) صفتها، وإن جعلت موصولة فبدلها، أو خبر بعد خبر، أو خبر محذوف. ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد، أو لملكين من خزنة النار، أو لواحد، وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله:

فَإِنْ تَزْجُرَانِي يَا ابْنَ عَفَّانَ أَنْزَجِر وَإِنْ تَدَعَانِي أَحْمِ عِرْضاً مُمنَّعاً

أو الألف بدل من نون التأكيد على إجراء الوصل مجرى الوقف،

۞ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾.

ويؤيده أنه قرئ: (أَلْقِيَنْ) بالنون الخفيفة. ﴿عَنِيدٍ﴾ معاند للحق. ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة. وقيل: المراد بالخير الإسلام؛ فإن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني أخيه عنه. ﴿مُعْتَدٍ﴾ متعد ﴿مُّرِيبٍ﴾ شاكٍّ في الله وفي دينه.

﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره. ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ أو بدل من (كُلَّ كَفَّارٍ) فيكون (فَأَلْقِياهُ) تكريراً للتوكيد، أو مفعول لمضمر يفسره (فَأَلْقِياهُ). ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾؛ أي: الشيطان المقيض له، وإنما استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول؛ فإنه جواب لمحذوف دل عليه. ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ كأن الكافر قال: هو أطغاني فقالَ قَرِينُهُ: رَبَّنا مَا أَطْغَيْتُهُ! بخلاف الأولى فإنها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول؛ أعني: مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه: ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ فأعنته عليه؛ فإن إغواء الشياطين إنما يؤثر فيمن كان مختل الرأي: مائلاً إلى الفجور كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [إبراهيم: ٢٢].

﴿٢٨﴾ - ﴿٢٩﴾ ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ﴾؛ أي: في موقف الحساب؛ فإنه لا فائدة فيه، وهو استئناف مثل الأول. ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ على الطغيان في كتبي، وعلى ألسنة رسلي فلم يبق لكم حجة. وهو حال فيه تعليل للنهي؛ أي: لَا تَخْتَصِمُوا عالمين بأني أوعدتكم. والباء مزيدة أو معدية على أن قدم بمعنى: تقدم، ويجوز أن يكون (بِالْوَعِيدِ) حالاً والفعل واقعاً على قوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾؛ أي: بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا أن أبدل وعيدي. وعفو بعض المذنبين لبعض الأسباب ليس من التبديل؛ فإن دلائل

۞ ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾.

العفو تدل على تخصيص الوعيد. ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فأعذب من ليس لي تعذيبه.

﴿٣٠﴾ ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير، والمعنى: أنها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجاً فوجاً، حتى تمتلئ لقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [هود: ١١٩]، أو أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ، أو أنها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثرة لهم والطالبة لزيادتهم. وقرأ نافع وأبو بكر: (يقول) بالياء و(المَزيد) إما مصدر كـ(المجيد) أو مفعول كـ(المبيع)، و(يَوْمَ) مقدر بـ(اذكر) أو ظرف لـ(نُفِخَ) فيكون ذلك إشارة إليه فلا يفتقر إلى تقدير مضاف.

﴿٣١﴾ ـ ﴿٣٥﴾ ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ قربت لهم. ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ مكاناً غير بعيد، ويجوز أن يكون حالاً، وتذكيره لأنه صفة محذوف، أو شيئاً غير

[**سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير**] تقدم إنكار لفظ التخييل والمراد التمثيل، وبكل حال فالسؤال والجواب حقيقة لا مجاز، كما في خبر: «**تحاجت الجنة والنار..**»(١)، ولا مانع من ذلك، فقد «سبح الحصى في كفه ﷺ»، و«سلّم عليه الحجر»(٢) [**وفيها بعد فراغ**]؛ أي: موضع للمزيد، كما عبر به «الكشاف» [**فيكون ذلك**]؛ أي: في قوله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ﴾ [ق: ٢٠] [**إشارة إليه**]؛ أي: اليوم [**فلا يفتقر إلى تقدير مضاف**] أمّا إذا نصب يوم بـ«اذكر»، أو نحوه ليكون

---

(١) صحيح البخاري [٤/ ١٨٣٦/ برقم: ٤٥٦٩]، صحيح مسلم [٤/ ٢١٨٦/ برقم: ٢٨٤٦].

(٢) سنن الترمذي [٥/ ٥٩٢/ برقم: ٣٦٢٤].

۞ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾.

بعيد، أو على زنة المصدر، أو لأن (الجنة) بمعنى البستان. ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ على إضمار القول والإشارة إلى الثواب، أو مصدر (أُزْلِفَتِ). وقرأ ابن كثير بالياء. ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رجاع إلى الله، بدل من: (المتقين) بإعادة الجار. ﴿حَفِيظٍ﴾ حافظ لحدوده. ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ بدل بعد بدل، أو بدل من موصوف (أَوَّابٍ)، ولا يجوز أن يكون في حكمه لأن (مَنْ) لا يوصف به، أو مبتدأ خبره: ﴿ادْخُلُوهَا﴾ على تأويل يقال لهم: ادْخُلُوها، فإن (من) بمعنى الجمع، و(بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول، أو صفة لمصدر؛ أي: خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب، أو العقاب بعد غيب أو هو غائب عن الأعين لا يراه أحد. وتخصيص (الرَّحْمَنَ) للإشعار بأنهم رْجُوا رَحْمَتَهُ وخافوا عَذَابَهُ، أو بأنهم ذوو خشية مع علمهم بسعة رحمته، ووصف القلب بالإنابة إذ الاعتبار برجوعه إلى الله. ﴿بِسَلَامٍ﴾ سالمين من العذاب وزوال النعم، أو مسلّماً عليكم من الله وملائكته. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ يوم تقدير الخلود كقوله: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]. ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

﴿٣٦﴾ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾ قبل قومك. ﴿مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ قوة كعاد وثمود وفرعون. ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ فخرقوا في البلاد وتصرفوا

مفعولاً به، وذلك إشارة إلى النفخ، فيحتاج إلى التقدير؛ أي: وقت ذلك، فقوله: فيكون ذلك إشارة إليه راجعاً إلى جعل «يوم» ظرفاً لـ«نفخ» فقط [ولا يجوز أن يكون في حكمه] عبارة «الكشاف»(١): ولا يجوز أن يكون في حكم أواب وحفيظ؛

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٣٩٣].

۞ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾
فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ
ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾.

فيها، أو جالوا في الأرض كل مجال حذر الموت، فالفاء على الأول للتسبب، وعلى الثاني لمجرد التعقيب، وأصل التنقيب التنقير عن الشيء والبحث عنه. ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾؛ أي: لهم من الله، أو من الموت. وقيل: الضمير في (فَنَقَّبُوا) لأهل مكة؛ أي: ساروا في أسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصاً حتى يتوقعوا مثله لأنفسهم، ويؤيده أنه قرئ: (فَنَقِّبُوا) على الأمر، وقرئ: (فَنَقِبُواْ) بالكسر من: (النقب) وهو أن ينتقب خف البعير؛ أي: أكثروا السير حتى نقبت أقدامهم أو أخفاف مراكبهم.

﴿٣٧﴾ ـ ﴿٣٨﴾ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ فيما ذكر في هذه السورة. ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ لتذكرة. ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾؛ أي: قلب واع يتفكر في حقائقه. ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾؛ أي: أصغى لاستماعه ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حاضر بذهنه ليفهم معانيه، أو شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره، وفي تنكير (القَلْبُ) وإبهامه تفخيم، وإشعار بأن كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر كَلَا قلب. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مرَّ تفسيره مراراً. ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ من تعب وإعياء. وهو رد لما زعمت اليهود من أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الأحد، وفرغ منه يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، واستلقى على العرش.

﴿٣٩﴾ ـ ﴿٤٠﴾ ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ ما يقول المشركون من إنكارهم البعث، فإن من قدر على خلق العالم بلا إعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم، أو ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ ونزهه عن

لأن من لا يوصف به، لا يوصف [وقرئ «فنقبوا» بالكسر]، وكذا بالفتح.

۞ ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥)﴾.

العجز عما يمكن، والوصف بما يوجب التشبيه حامداً له على ما أنعم عليك من إصابة الحق وغيرها. ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾؛ يعني: الفجر والعصر، وقد عرفت فضيلة الوقتين. ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾؛ أي: وسبحه بعض الليل ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ وأعقاب الصلوات جمع: (دبر) من: (أدبر) وقرأ الحجازيان وحمزة وخلف بالكسر من: أدبرت الصلاة إذا انقضت. وقيل: المراد بالتسبيح الصلاة، فالصلاة قبل الطلوع: الصبح، وقبل الغروب: الظهر، والعصر. ومن الليل: العشاءان، والتهجد. وأدبار السجود: النوافل بعد المكتوبات، وقيل: الوتر بعد العشاء.

(٤١) - (٤٣) ﴿وَاسْتَمِعْ﴾ لما أخبرك به من أحوال القيامة، وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به. ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ إسرافيل، أو جبريل عليه السلام فيقول: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ بحيث يصل نداؤه إلى الكل على السواء، ولعله في الإعادة نظير (كن) في الإبداء، و(يوم) نصب بما دل عليه (يوم الخروج). ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ﴾ بدل منه و(الصَّيْحَةَ) النفخة الثانية. ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ(الصَّيْحَةَ) والمراد به البعث للجزاء. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ من القبور، وهو من أسماء يوم القيامة وقد يقال للعيد. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ في الدنيا. ﴿وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ للجزاء في الآخرة.

(٤٤) - (٤٥) ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ﴾ تتشقق، وقرأ الكوفيون وأبو عمرو

[﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ﴾ [ق: ٤٢]. بدل منه]؛ يعني: ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ [ق: ٤١]

بالتخفيف. ﴿ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ﴾ مسرعين. ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ﴾ بعث وجمع. ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ هين. وتقديم الظرف للاختصاص؛ فإن ذلك لا يتيسر إلا على العالم القادر لذاته الذي لا يشغله شأن عن شأن، كما قال: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۗ﴾ [لقمان: ٢٨]. ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ وتهديد لهم. ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ﴾ بمسلط تقسرهم على الإيمان، أو تفعل بهم ما تريد، وإنما أنت داع. ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ فإنه لا ينتفع به غيره.

عن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة (ق) هوّن الله عليه تارات الموت وسكراته»**.

[«من قرأ سورة «ق»..»] إلى آخره، موضوع[1]. و«ثارات الموت» بمثلثة وهمزة مفتوحة أهواله.



(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٣٦١/ برقم: ١٢٤٥].

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

(٥١) مكية، وآيها ستون آية

۞ ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ① فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ② فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ③ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ④ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ⑤ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ⑥﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

① ـ ③ ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾؛ يعني: الرياح تذرو التراب وغيره، أو النساء الولَّد فإنهن يذرين الأولاد، أو الأسباب التي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم. وقرأ أبو عمرو وحمزة بإدغام التاء في الذال. ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ فالسحب الحاملة للأمطار، أو الرياح الحاملة للسحاب، أو النساء الحوامل، أو أسباب ذلك. وقرئ: (وَقْراً) على تسمية المحمول بالمصدر. ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا﴾ فالسفن الجارية في البحر سهلاً، أو الرياح الجارية في مهابها، أو الكواكب التي تجري في منازلها. و(يُسْراً) صفة مصدر محذوف؛ أي: جَرْياً ذا يُسْر.

④ ـ ⑥ ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾ الملائكة التي تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها، أو ما يعمهم وغيرهم من أسباب القسمة، أو الرياح يقسم الأمطار بتصريف السحاب، فإن حملت على ذوات مختلفة؛ فالفاء لترتيب الأقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة، وإلا فالفاء لترتيب الأفعال إذ الريح مثلاً تذرو الأبخرة إلى الجو حتى تنعقد سحاباً، فتحمله فتجري به باسطة له إلى حيث أمرت به فتقسم

[فإن حملت]؛ أي: أطلقت المقسمات **[على ذوات مختلفة]**؛ أي: في نفسها، أو في الرتبة **[وإلَّا]**؛ أي: وإن لم تحمل على ذوات مختلفة بأن حُملت على ذوات

۞ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾.

المطر. ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ جواب القسم كأنه استدل باقتداره على هذه الأشياء العجيبة، المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث للجزاء الموعود، و(ما) موصولة أو مصدرية ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ الجزاء ﴿لَوَاقِعٌ﴾ لحاصل.

۝٧ ـ ۝٩ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ ذات الطرائق، والمراد: إما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب، أو المعقولة التي يسلكها النظار وتتوصل بها إلى المعارف، أو النجوم فإن لها طرائق أو أنها تزينها كما يزين الموشي طرائق الموشي. جمع: (حبيكة) كـ(طريقة وطرق) أو (حباك) كـ(مثال ومثل). وقرئ: (الحُبْك) بالسكون كالقُفْل و(الحِبِك) كالإِبل، و(الحِبْك) كالسِلْك و(الحَبَك) كالجبل و(الحِبَك) كالنِعَم و(الحَبْك) كالبَرْق. ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ في الرسول ﷺ وهو قولهم تارة: إنه شاعِرٌ، وتارة: إنه ساحِرٍ، وتارة: إنه مَجْنُونٍ، أو في القرآن أو القيامة أو أمر الدين. ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه أقوالهم في اختلافها، وتنافي أغراضها بطرائق السمٰوات في تباعدها واختلاف غاياتها. ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ يصرف عنه، والضمير للرسول أو القرآن أو الإيمان، من: (صرف) إذ لا صرف أشد منه؛ فكأنه لا صرف بالنسبة إليه، أو يصرف من صرف في علم الله وقضائه، ويجوز أن يكون الضمير للـ(القَوْلِ) على معنى يصدر: أُفِكَ من: (أفك عن القول المختلف) وبسببه كقوله: (ينهون عن أكل وعن شرب)؛

متحدة [إذ لا صرف أشد منه] عبارة «الكشاف»: أي: يصرف عنه، من صرف الصرف الذي لا صرف أشد منه وأعظم كقوله: لا يهلك على الله إلا هالك؛ أي: لا يهلك على سعة رحمة الله إلّا هالك[1] كقوله:

[يَـنْـهـونَ عـن أكـلٍ وعـن شُـربِ ....]

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٣٩٩].

۞ ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾
يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى
جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ
مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾.

أي: يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما، وقرئ: (أَفِكَ) بالفتح؛ أي: من: (أَفِكَ الناس عنه) وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الإيمان.

﴿١٠﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ الكذابون من أصحاب القول المختلف، وأصله الدعاء بالقتل أجري مجرى اللعن. ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ﴾ في جهل يغمرهم ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عما أمروا به. ﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾؛ أي: فيقولون متى يوم الجزاء! أي: وقوعه، وقرئ: (إِيَّانَ) بالكسر. ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ يحرقون جواب للسؤال؛ أي: يقع يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ، أو هو يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ، وفتح (يَوْمَ) لإضافته إلى غير متمكن، ويدل عليه أنه قرئ بالرفع. ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾؛ أي: مقولاً لهم هذا القول. ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ هذا العذاب هو الذى كنتم به تستعجلون، ويجوز أن يكون هذا بدلا من (فِتْنَتَكُمْ) و(الَّذِي) صفته.

﴿١٥﴾ - ﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ﴾ قابلين لما أعطاهم راضين به، ومعناه: أن كل ما آتاهم حسن مرضي متلقى بالقبول. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ قد أحسنوا أعمالهم، وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك. ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ تفسير لإحسانهم و(ما)

تمامه:

.... **مثل المها يرتعنَ في خصبِ**

يقال: جمل ناه إذا كان عريقاً في السِّمَن، والضمير في ينهون يعود إلى الجماعة، والمَها بالفتح جمع: مهاة، وهي البقرة الوحشية [وقرىء بالفتح]؛ أي: بفتح الهمزة.

۞ ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ (٢٣)﴾.

مزيدة؛ أي: يهجعون في طائفة من الليل، أو (يَهْجَعُونَ هجوعاً قليلاً) أو مصدرية أو موصولة؛ أي: في قليل من الليل هجوعهم، أو ما يهجعون فيه، ولا يجوز أن تكون نافية؛ لأن مَا بعدها لا يعمل فيما قبلها. وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل، واللَّيْلِ الذي هو وقت السبات، والهجوع الذي هو الفرار من النوم، وزيادة (مَا). ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾؛ أي: أنهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم؛ إذا أسحروا أخذوا في الاستغفار، كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم، وفي بناء الفعل على الضمير إشعاراً بأنهم أحقاء بذلك، لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه. ﴿وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ﴾ نصيب يستوجبونه على أنفسهم تقرباً إلى الله وإشفاقاً على الناس. ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ للمستجدي والمتعفف الذي يظن غنياً فيحرم الصدقة.

(٢٠) ـ (٢١) ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾؛ أي: فيها دلائل من أنواع المعادن والحيوانات، أو وجوه دلالات من الدحو والسكون، وارتفاع بعضها عن الماء، واختلاف أجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع، تدل على وجود الصانع وعلمه، وقدرته وإرادته، ووحدته وفرط رحمته. ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: وفي أنفسكم آيات؛ إذ ما في العالم شيء إلا وفي الإنسان له نظير يدل دلالته، مع ما انفرد به من الهيئات النافعة، والمناظر البهية والتركيبات العجيبة، والتمكن من الأفعال الغريبة، واستنباط الصنائع المختلفة، واستجماع الكمالات المتنوعة. ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ تنظرون نظر من يعتبر.

(٢٢) ـ (٢٣) ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ أسباب رزقكم أو تقديره. وقيل: المراد

[المستجدي]؛ أي: طالب الجدوى.

۞ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

بـ(السَّماءِ) السحاب، وبـ(الرزق) المطر فإنه سبب الأقوات. ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الثواب لأن الجنة فوق السماء السابعة، أو لأن الأعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء. وقيل: إنه مستأنف خبره: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ وعلى هذا فالضمير لـ(مَا) وعلى الأول يحتمل أن يكون له ولما ذكر من أمر الآيات والرزق والوعد. ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾؛ أي: مثل نطقكم كما أنه لا شك لكم في أنكم تنطقون ينبغي أن لا تشكوا في تحقق ذلك؛ ونصبه على الحال من المستكن في (لَحَقٌّ) أو الوصف لمصدر محذوف؛ أي: إنه لحق حقاً مثل نطقكم. وقيل: إنه مبني على الفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو (ما) إن كانت بمعنى شيء، و(إن) بما في حيزها إن جعلت زائدة، ومحله الرفع على أنه صفة لـ(حَقٌّ)، ويؤيده قراءة حمزة والكسائي وأبي بكر بالرفع.

﴿٢٤﴾ - ﴿٢٥﴾ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فيه تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على أنه أوحي إليه، و(الضيف) في الأصل مصدر؛ ولذلك يطلق على الواحد والمتعدد. قيل: كانوا إثني عشر ملكاً. وقيل: ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل، وسماهم (ضيفاً) لأنهم كانوا في صورة الضيف. ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾؛ أي: مكرمين عند الله، أو عند إبراهيم إذ خدمهم بنفسه وزوجته. ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ ظرف للـ(الحَدِيث) أو (الضَيْفِ) أو (الْمُكْرَمِينَ). ﴿فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾؛ أي: نسلم عليك سلاماً. ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾؛ أي: عليكم سلام عدل به إلى الرفع

[أو الوصف] عطف على «الحال» [وإن كان في خبرها[1]] عطف على «ما»

---

(١) في نسخة [ب]: (وان بما في خبرها).

۞ ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧)
فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ
وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ (٣٠)﴾.

بالابتداء لقصد الثبات حتى تكون تحيته أحسن من تحيتهم، وقرئا مرفوعين وقرأ حمزة والكسائي: (قَالَ سِلْم) وقرئ منصوباً والمعنى واحد. ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾؛ أي: أنتم قوم منكرون، وإنما أنكرهم لأنه ظن أنهم بنو آدم ولم يعرفهم، أو لأن السلام لم يكن تحيتهم؛ فإنه علم الإسلام وهو كالتعرف عنهم.

(٢٦) ـ (٢٨) ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ فذهب إليهم في خفية من ضيفه؛ فإن من أدب المضيف أن يبادر بالقرى حذراً من أن يكفه الضيف، أو يصير منتظراً. ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ لأنه كان عامة ماله البقر. ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾ بأن وضعه بين أيديهم ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؛ أي: منه، وهو مشعر بكونه حنيذاً، والهمزة فيه للعرض والحث على الأكل، على طريقة الأدب إن قاله أول ما وضعه، وللإنكار إن قاله حينما رأى إعراضهم. ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ فأضمر منهم خوفاً لما رأى إعراضهم عن طعامه، لظنه أنهم جاؤوه لشرّ. وقيل: وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب. ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾ إنا رسل الله. قيل: مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه، فعرفهم وأمن منهم. ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ﴾ هو إسحق ﷺ. ﴿عَلِيمٍ﴾ يكمل علمه إذ بلغ.

(٢٩) ـ (٣٠) ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾ «سارة» ﵂ إلى بيتها، وكانت في زاوية تنظر إليهم. ﴿فِى صَرَّةٍ﴾ في صيحة من الصرير. ومحله النصب على الحال، أو المفعول إن أوّل (فأقبلت) بـ(أخذت). ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ فلطمت بأطراف

[وهو]: أي: قوله: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥] **[كالتعرف عنهم]**؛ أي: كطالب معرفتهم، وعبارة «الكشاف»: أنتم قوم منكرون فعرفوني من أنتم [أن يبادر] في

۞ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

الأصابع جبهتها فعل المتعجب. وقيل: وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء. ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾؛ أي: أنا عجوز عاقر فكيف أَلِدُ. ﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ﴾ مثل ذلك الذي بشرنا به. ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ وإنما نخبرك به عنه. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فيكون قوله حقاً وفعله محكماً.

﴿٣١﴾ - ﴿٣٤﴾ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ لما علم أنهم ملائكة عليه وعليهم السلام، وأنهم لا ينزلون مجتمعين إلا لأمر عظيم سأل عنه. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعنون قوم لوط. ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ يريد السجيل؛ فإنه طين متحجر. ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ مرسلة، من: اسمت الماشية، أو معلمة من: (السومة) وهي العلامة. ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المجاوزين الحد في الفجور.

﴿٣٥﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ في قرى قوم لوط؛ وإضمارها، ولم يجر ذكرها لكونها معلومة. ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ممن آمنَ بلوط. ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ غير أهل بيت من المسلمين. واستدل به على اتحاد الإيمان والإسلام، وهو ضعيف؛ لأن ذلك لا يقتضي إلا من صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه، وذلك لا يقتضي اتحاد مفهومهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة. ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾ علامة ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ فإنهم المعتبرون بها وهي تلك الأحجار، أو صخر منضود فيها، أو ماء أسود منتن.

﴿٣٨﴾ - ﴿٤٠﴾ ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾ عطف على (وَفِي الأرض)، أو (تَرَكْنا فِيها)

۞ ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا
جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ
نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

على معنى: وجعلنا في موسى، كقوله: (علفْتُها تبناً وماء بارداً). ﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ هو معجزاته كالعصا واليد. ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ فأعرض عن الإيمان به كقوله: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [فصلت: ٥١]، أو فتولى بما كان يتقوى به من جنوده، وهو اسم لما يركن إليه الشيء ويتقوى به. وقرئ بضم الكاف. ﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ﴾؛ أي: هو ساحر. ﴿أَوْ مَجْنُونٌ﴾ كأنه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوباً إلى الجن، وتردد في أنه حصل ذلك باختياره وسعيه أو بغيرهما. ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ فأغرقناهم في البحر ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ آت بما يلام عليه من الكفر والعناد؛ والجملة حال من الضمير في (فأَخَذْناهُ).

﴿٤١﴾ ـ ﴿٤٢﴾ ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ سماها عقيماً لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم، أو لأنها لم تتضمن منفعة، وهي الدبور أو الجنوب أو النكباء. ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ﴾ مرت عَلَيْهِ ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ كالرماد من: (الرم) وهو البلى والتفتت.

﴿٤٣﴾ ـ ﴿٤٥﴾ ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ تفسيره قوله: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥]. ﴿فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ فاستكبروا عن امتثاله. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾؛ أي: العذاب بعد الثلاث. وقرأ الكسائي: (الصعقة) وهي المرّة من الصعق. ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ إليها فإنها جاءتهم معاينة بالنهار ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ﴾ كقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨]. وقيل: من قولهم: ما يقوم به إذا عجز عن دفعه. ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ﴾ ممتنعين منه.

﴿٤٦﴾ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾؛ أي: وأهلكنا قوم نوح لأن ما قبله يدل عليه. أو

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ (٤٨)
وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ
(٥٠) وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥١) كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ
مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ (٥٣)
فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ (٥٤) وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (٥٥)﴾.

(اذكر) ويجوز أن يكون عطفاً على محل (فِي عادٍ)، ويؤيده قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي بالجر. ﴿مِّن قَبۡلُۖ﴾ من قبل هؤلاء المذكورين. ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان.

(٤٧) ـ (٤٩) ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾ بقوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة، والموسع القادر على الإنفاق. أو (لَمُوسِعُونَ السماء) أو ما بينها وبين الأرض، أو الرزق. ﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا﴾ مهدناها لتستقروا عليها ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ﴾؛ أي: نحن. ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ من الأجناس ﴿خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾ نوعين ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون أن التعدد من خواص الممكنات، وأن الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام.

(٥٠) ـ (٥١) ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ من عقابه بالإيمان والتوحيد وملازمة الطاعة. ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ﴾؛ أي: من عذابه المعدّ لمن أشرك أو عصى ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بين كونه منذراً من الله بالمعجزات، أو مُبِينٌ ما يجب أن يحذر عنه. ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ﴾ إفراد لأعظم ما يجب أن يفر منه ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ تكرير للتأكيد، أو الأول مرتب على ترك الإيمان والطاعة، والثاني على الإشراك.

(٥٢) ـ (٥٥) ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: الأمر مثل ذلك، والإشارة إلى تكذيبهم الرسول، وتسميتهم إياه ساحراً أو مجنوناً، وقوله: ﴿مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ كالتفسير له، ولا يجوز نصبه بـ(أَتَى) أو ما يفسره لأن ما بعد (مَا) النافية لا يعمل فيما قبلها. ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ﴾؛ أي: كأن

۞ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

الأولين والآخرين منهم أوصى بعضهم بعضاً بهذا القول حتى قالوه جميعاً. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ إضراب عن أن التواصي جامعهم لتباعد أيامهم إلى أن الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه. ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فأبوا إلا الإصرار والعناد. ﴿فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ على الإعراض بعد ما بذلت جهدك في البلاغ. ﴿وَذَكِّرْ﴾ ولا تدع التذكير والموعظة ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من قدَّر الله إيمانه، أو من آمن فإنه يزداد بها بصيرة.

﴿٥٦﴾ ـ ﴿٥٨﴾﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ لما خلقهم على صورة متوجهة إلى العبادة مغلبة لها، جعل خلقهم مغيّاً بها مبالغة في ذلك، ولو حمل على ظاهره مع أن الدليل يمنعه لنا في ظاهر قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقيل معناه: إلا لنأمرهم بالعبادة أو ليكونوا عباداً لي. ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾؛ أي: ما أريد أن أصرفهم في تحصيل رزقي فاشتغلوا بما أنتم كالمخلوقين له والمأمورين به، والمراد: أن يبين أن شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم، فإنهم إنما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم، ويحتمل أن يقدّر بـ(قل) فيكون بمعنى قوله: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام: ٩٠]. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ الذي يرزق كل ما يفتقر إلى الرزق، وفيه إيماء باستغنائه عنه، وقرئ: (إني أنا الرزاق) ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ شديد القوة، وقرئ: (المتين) بالجر صفة للـ(قوّة).

﴿٥٩﴾ ـ ﴿٦٠﴾ ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا﴾؛ أي: للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب نصيباً من العذاب. ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ مثل نصيب نظرائهم من

الأمم السالفة، وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء، فإن (الذَّنوب): هو الدلو العظيم المملوء. ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ جواب لقولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨]. ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ من يوم القيامة أو يوم بدر.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة (والذاريات) أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هَبَّتْ وجَرَتْ في الدنيا**».

نسخة: أن يباده. [«**من قرأ سورة الذاريات..**»] إلى آخره، موضوع[١].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٢/ ٣٦٧/ برقم: ١٢٥٧].

سُورَةُ الطُّورِ

(٥٢) مكية، وآيها أربعون وتسع أو ثماني آيات

۞ ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَالۡبَيۡتِ الۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَالسَّقۡفِ الۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَالۡبَحۡرِ الۡمَسۡجُورِ ۝٦﴾.

بِسۡمِ اللَّهِ الرَّحۡمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) ـ (٣) ﴿وَالطُّورِ﴾ يريد طور سينين، وهو جبل بمدين سمع فيه موسى ﷺ كلام الله، وَ(الطُّورِ) بالسريانية: الجبل، أو ما طار من أوج الإيجاد إلى حضيض المواد، أو من عالم الغيب إلى عالم الشهادة. ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ﴾ مكتوب، و(السطر): ترتيب الحروف المكتوبة. والمراد به: القرآن، أو ما كتبه الله في اللوح المحفوظ، أو في ألواح موسى، أو في قلوب أوليائه من المعارف والحكم، أو ما تكتبه الحفظة. ﴿فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ﴾ (الرق): الجلد الذي يكتب فيه؛ استعير لما كتب فيه الكتاب، وتنكيرهما للتعظيم والإشعار بأنهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس.

(٤) ـ (٦) ﴿وَالۡبَيۡتِ الۡمَعۡمُورِ﴾؛ يعني: الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين، أو الضراح وهو في السماء الرابعة؛ وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة، أو قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والإخلاص. ﴿وَالسَّقۡفِ الۡمَرۡفُوعِ﴾؛ يعني: السماء. ﴿وَالۡبَحۡرِ الۡمَسۡجُورِ﴾؛ أي: المملوء وهو المحيط، أو

[**الرَّق: الجلد الذي يُكتب فيه**] إلى آخره، عبارة «الكشاف»[(١)]: والرَّق الصحيفة. وقيل: الجلد الذي يُكتب فيه الأعمال[(٢)] [**أو الضراح**] هو بضاد معجمة

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٤١١].

(٢) في [ب]: (الأعمال).

۞ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ٨ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ١١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ١٥ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٦﴾.

الموقد من قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] روي: أنه تعالى يجعل يوم القيامة البحار ناراً يسجر بها نار جهنم، أو المختلط من السجير: وهو الخليط.

٧ - ١٠ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ لنازل. ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ يدفعه. ووجه دلالة هذه الأمور المقسم بها على ذلك: أنها أمور تدل على كمال قدرة الله وحكمته، وصدق إخباره وضبطه أعمال العباد للمجازاة. ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ تضطرب، و(المَوْرُ): تردد في المجيء والذهاب، وقيل: تحرك في تموج. و(يَوْمَ) ظرف. ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾؛ أي: تسير عن وجه الأرض فتصير هباء.

١١ - ١٤ ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: إذا وقع ذلك فويل لهم. ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾؛ أي: في الخوض في الباطل. ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ يدفعون إليها دفعاً بعنف؛ وذلك بأن يغل أيديهم إلى أعناقهم، ويجمع نواصيهم إلى أقدامهم فيدفعون إلى النار. وقرئ: (يُدْعَونَ) من الدعاء فيكون (دَعّا) حالاً بمعنى: مدعوعين، (ويَوْمَ) بدل من (يَوْمَ تَمُورُ) أو ظرف لقول مقدر محكيه ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾؛ أي: يقال لهم ذلك.

١٥ - ١٦ ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾؛ أي: كنتم تقولون للوحي هذا سحر؛ أفهذا المصداق أيضاً سحر؟ وتقديم الخبر لأنه المقصود بالإنكار والتوبيخ. ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ هذا أيضاً كما كنتم لا تبصرون في الدنيا، ما يدل عليه وهو تقريع وتهكّم أو أم سد أبصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم

۞ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾.

حين قلتم: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ [الحجر: ١٥]. ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟﴾؛ أي: ادخلوها على أي وجه شئتم من الصبر وعدمه؛ فإنه لا محيص لكم عنها. ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: الأمران الصبر وعدمه. ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تعليل للاستواء فإنه لما كان الجزاء واجب الوقوع، كان الصبر وعدمه سَيَّيْنِ في عدم النفع.

﴿١٧﴾ ـ ﴿٢٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾ في أيّة جنات وأيّ نعيم، أو في جَنَّاتٍ وَنَعِيم مخصوصة بهم. ﴿فَٰكِهِينَ﴾ ناعمين متلذذين ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ وقرئ: (فَكِهين) و(فاكهون) على أنه الخبر، والظرف لغو. ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ عطف على (آتاهُمْ) إن جعل (مَا) مصدرية، أو (فِي جَنَّاتٍ) أو حال بإضمار قد من المستكن في الظرف أو الحال، أو من فاعل (آتى) أو مفعوله أو منهما. ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا﴾؛ أي: أكلاً وشراباً هَنِيئاً، أو طعاماً وشراباً هَنِيئاً؛ وهو الذي لا تنغيص فيه. ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بسببه أو بدله، وقيل: (الباء) زائدة و(ما) فاعل (هَنِيئاً)، والمعنى: هنأكم مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ؛ أي: جزاؤه. ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ مصطفة ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ (الباء) لما في التزويج من معنى الوصل والإلصاق، أو للسببية؛ إذ

بيت في السماء حيال الكعبة، ويروى: الضريح؛ وهو البيت المعمور من المضارحة، وهي المقابلة والمضارعة؛ قاله ابن الأثير[1]. [وقرئ فكهين] قرأ به أبو جعفر [أن جعل «ما» مصدرية]؛ أي: بخلاف جعلها موصولة لفقد العائد حينئذ من المعطوف [أو في جنات] عطف على «أتاهم» [أو الحال] عطف على «الظرف»؛ أي: أو من

(١) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [٥/ ١١٤].

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ امْرِىٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾.

المعنى: صيرناهم أزواجاً بسببهن، أو لما في التزويج من معنى الإلصاق والقرن، ولذلك عطف:

﴿٢١﴾ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ على (حور)؛ أي: قرناهم بأزواج حور ورفقاء مؤمنين. وقيل: إنه مبتدأ خبره (أَلْحَقْنا بِهِمْ)، وقوله: ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ اعتراض للتعليل، وقرأ ابن عامر ويعقوب: (ذرياتُهم) بالجمع وضم التاء للمبالغة في كثرتهم والتصريح بأن الذرية تقع على الواحد والكثير، وقرأ أبو عمرو: و(أتبعناهم ذرياتهم)؛ أي: جعلناهم تابعين لهم في الإيمان. وقيل: (بإيمانٍ) حال من الضمير أو (الذرية) أو منهما وتنكيره للتعظيم، أو الإشعار بأنه يكفي للإلحاق المتابعة في أصل الإيمان. ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ في دخول الجنة أو الدرجة. لما روي أنه ﷺ قال: «**إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه؛ لتقرَّ بهم عينه**»، ثم تلا هذه الآية. وقرأ نافع وابن عامر والبصريان: (ذرياتِهم). ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ وما نقصناهم بهذا الإلحاق. ﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ فإنه كان يحتمل أن يكون بنقص مرتبة الآباء أو بإعطاء الأبناء بعض مثوباتهم، ويحتمل أن يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه. وقرأ ابن كثير بكسر اللام من: (أَلَتَ يَأْلِتُ) وعنه (لتناهم) من: (لات يليت) و(آلتناهم) من: (آلت يؤلت)، و(ولتناهم) من: (ولت يلت) ومعنى

المستكن في الحال وهي ﴿فَٰكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٧] [**وقرأ ابن عامر ويعقوب «ذرياتُهم» بالجمع وضم التاء**]؛ أي: مع قراءتهما واتّبَعتْهم بوصل الهمزة، وتشديد التاء، وفتح العين، وتاء ساكنة بعدها، والباقون غير أبي عمرو، قرأوا «ذريتهم» بالإفراد، وضم التاء، مع قراءتهم «واتّبَعتهُم»، وأما أبو عمرو فيقرأ «وأتبعناهم ذرياتهم» بقطع همزة «أتبعنا» من أتبع، وجمع الذريات، وكسر التاء كما ذكره بعد، ولا يخفى ما في كلامه من التكلف [«**إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته**»] إلى آخره، رواه البزار،

۞ ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا
تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ
ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾.

الكل واحد. ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ بعمله مرهون عند الله؛ فإن عمل صالحاً فكَّها وإلا أهلكها.

﴿٢٢﴾ ـ ﴿٢٤﴾ ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾؛ أي: وزدناهم وقتاً بعد وقت ما يشتهون من أنواع النِّعَم. ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا﴾ يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب ﴿كَأْسًا﴾ خمراً سماها باسم محلها؛ ولذلك أنث الضمير في قوله: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾؛ أي: لا يتكلمون بلغو الحديث في أثناء شربها، ولا يفعلوا ما يؤثم به فاعله؛ كما هو عادة الشاربين في الدنيا، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات: ٤٧] وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح. ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: بالكأس. ﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾؛ أي: مماليك مخصوصون بهم. وقيل: هم أولادهم الذين سبقوهم. ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم. وعنه عليه السلام: **«والذي نفسي بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»**.

﴿٢٥﴾ ـ ﴿٢٨﴾ ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضاً عن أحواله وأعماله. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته، أو: وجلين من العاقبة. ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالرحمة والتوفيق ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم، وقرئ: (ووقَّانا) بالتشديد. ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ من قبل ذلك في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبده أو نسأله الوقاية. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ المحسن، وقرأ نافع والكسائي: بفتح همزة (أنَّه) بالفتح. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الكثير الرحمة.

۞ ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿٢٩﴾ - ﴿٣٢﴾ ﴿فَذَكِّرْ﴾ فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم. ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ بحمد الله وإنعامه. ﴿بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ كما يقولون. ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ ما يقلق النفوس من حوادث الدهر، وقيل: (الْمَنُونِ) الموت، فعول من: (مَنَّه) إذا قطعه. ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي. ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ عقولهم ﴿بِهَٰذَآ﴾ بهذا التناقض في القول؛ فإن الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر، والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل، ولا يتأتى ذلك من المجنون وأمر الأحلام به مجاز عن أدائها إليه. ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ مجاوزون الحد في العناد وقرئ: (بل هم).

﴿٣٣﴾ - ﴿٣٦﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ اختلقه من تلقاء نفسه ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ فيرمونه بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم. ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ مثل القرآن. ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ في زعمهم إذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء؛ فهو ردّ للأقوال المذكورة بالتحدي، ويجوز أن يكون ردّاً للتقول فإن سائر الأقسام ظاهر الفساد. ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ أم أحدثوا وقدروا من غير محدث ومقدّر فلذلك لا يعبدونه، أو: من أجل لا شيء من عبادة ومجازاة. ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ يؤيد الأوّل فإن معناه: أم خلقوا أنفسهم ولذاك عقبه بقوله: ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ و(أَمْ) في هذه الآيات منقطعة، ومعنى الهمزة فيها الإنكار. ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ إذا سُئِلُوا مَنْ خَلَقَكم ومن خلق السمٰوات والأرض؟ قالوا: الله! إذ لو أيقنوا ذلك لما أعرضوا عن عبادته.

۞ ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ
مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ
مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾
أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ
مَّرۡكُومٞ ﴿٤٤﴾ فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا
وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿٣٧﴾ ـ ﴿٣٨﴾ ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا، أو خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمته. ﴿أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ﴾ الغالبون على الأشياء يدبرونها كيف شاؤوا. وقرأ قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين، وحمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاي، والباقون بالصاد خاصة. ﴿أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ﴾ مرتقى إلى السماء ﴿يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ﴾ صاعدين فيه إلى كلام الملائكة وما يوحي إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن. ﴿فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾ بحجة واضحة تصدق استماعه.

﴿٣٩﴾ ـ ﴿٤٣﴾﴿أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ﴾ فيه تسفيه لهم وإشعار بأن من هذا رأيه لا يعد من العقلاء؛ فضلاً أن يترقى بروحه إلى عالم الملكوت فيتطلع على الغيوب. ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا﴾ على تبليغ الرسالة ﴿فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ﴾ من التزام غرم ﴿مُّثۡقَلُونَ﴾ محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك. ﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ﴾ اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات. ﴿فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ يحكمون منه. ﴿أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ﴾ وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله. ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم، والدلالة على أنه الموجب للحكم المذكور. ﴿هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ﴾ هم الذين يحيق بهم الكيد أو يعود عليهم وبال كيدهم، وهو قتلهم يوم بدر، أو المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته. ﴿أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ﴾ يعينهم ويحرسهم من عذابه. ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ عن إشراكهم، أو شركة ما يشركونه به.

﴿٤٤﴾ ـ ﴿٤٧﴾ ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا﴾ قطعة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ﴾ من فرط

﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾.

طغيانهم وعنادهم ﴿سَحَابٌ مَّرۡكُومٌ﴾ هذا سحاب تراكم بعضه على بعض، وهو جواب قولهم: ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧]. ﴿فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ﴾ وهو عند النفخة الأولى، وقرئ: (يَلقَوا) وقرأ ابن عامر وعاصم: (يُصْعَقُونَ) على المبني للمفعول من: (صعقه) أو أصعقه. ﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾؛ أي: شيئاً من الإغناء في رد العذاب. ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون من عذاب الله تعالى. ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يحتمل العموم والخصوص. ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر، أو المؤاخذة في الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿٤٨﴾ - ﴿٤٩﴾ ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم وإبقائك في عنائهم. ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ في حفظنا بحيث نراك ونكلأك. وجمع (العين) لجمع الضمير والمبالغة بكثرة أسباب الحفظ. ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ من أي مكان قمت، أو من منامك، أو إلى الصلاة. ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ فإن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد من الرياء؛ ولذلك أفرده بالذكر وقدمه على الفعل ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل، وقرئ بالفتح؛ أي: في أعقابها إذا غربت أو خفيت.

عن رسول الله ﷺ: **«من قرأ سورة (والطور) كان حقاً على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته»**.

وغيره[١] **[وإبقائك في عيانهم]**؛ أي: معينهم ومرادهم. **[«من قرأ سورة الطور..»]** إلى آخره، موضوع[٢].

---

(١) مستدرك الحاكم [٢/٥٠٩/ برقم: ٣٧٤٤].
(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/٣٤٧/ برقم: ١٢٦٣].

سُورَةُ النَّجْمِ

(٥٣) مكية، وآيها إحدى أو اثنتان وستون آية

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ـ ﴿٤﴾ ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ أقسم بجنس النجوم أو الثريا؛ فإنه غلب فيها إذا غرب أو انتثر يوم القيامة أو انقض أو طلع فإنه يقال: (هوى هوياً) بالفتح إذا سقط وغرب، و(هُوِيّا) بالضم إذا علا وصعد، أو بالنجم من نجوم القرآن إذا نزل، أو النبات إذا سقط على الأرض، أو إذا نما وارتفع على قوله. ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ ما عدل محمد عليه الصلاة والسلام عن الطريق المستقيم. ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ وما اعتقد باطلاً والخطاب لقريش، والمراد نفي ما ينسبون إليه. ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ وما يصدر نطقه بالقرآن عَنِ الهوى. ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما القرآن أو الذي ينطق به. ﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾؛ أي: إلا وحي يوحيه الله إليه، واحتج به من لم يرَ الاجتهاد له. وأجيب عنه بأنه إذا أوحي إليه بأن يجتهد كان اجتهاده وما يستند إليه وحياً، وفيه نظر لأن ذلك حينئذٍ يكون بالوحي لا الوحي.

﴿٥﴾ ـ ﴿٧﴾ ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ ملك شديد قواه وهو جبريل؛ فإن الواسطة في إبداء الخوارق، روي: أنه قلع قرى قوم لوط ورفعها إلى السماء ثم قلبها، وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين. ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ حصافة في عقله ورأيه.

[**على قوله**] متعلق بـ«أقسِم» [**حصافة**] بحاء مهملة، وفاء بعد الألف؛ أي: إحكام [**في عقله ورأيه**] يقال: حُصف بالضم، حُصَافة، وإحْصَاف الأمر إحكامه؛

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾.

﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالى عليها. قيل: ما رآه أحد من الأنبياء في صورته غير محمد عليه الصلاة والسلام مرتين، مرة في السماء ومرة في الأرض، وقيل: استوى بقوته على ما جعل له من الأمر. ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ في أفق السماء. والضمير لجبريل.

۝٨ - ۝١٠ ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ من النبي ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ فتعلق به، وهو تمثيل لعروجه بالرسول. وقيل: ثم تدلى من الأفق الأعلى فدنا من الرسول؛ فيكون إشعاراً بأنه عرج به غير منفصل عن محله تقريراً لشدة قوته؛ فإن (التدلي): استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة، ويقال: دلى رجليه من السرير، وأدلى دلوه، و(الدوالي): الثمر المعلق. ﴿فَكَانَ﴾ فكانَ جبريل كقولك: هو منّي معقد الإزار، أو المسافة بينهما. ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ مقدارهما. ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ على تقديركم كقوله: أو يزيدون، والمقصود تمثيل ملكة الاتصال، وتحقيق استماعه لما أوحي إليه بنفي البعد الملبس. ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ جبريل ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ عبد الله. واضماره قبل الذكر لكونه معلوماً كقوله: (عَلى ظَهْرِها). ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ جبريل. وفيه تفخيم للموحى به، أو الله إليه، وقيل: الضمائر كلها لله تعالى وهو المعني بشديد القوى كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] ودنوه منه برفع مكانته، وتدليه جذبه بشَرَاشِرِهِ إلى جناب القدس.

قاله الجوهري[(١)]. [كقولك: هو مِنّي] إلى آخره، أشار إلى تشبيه قربه بالقرب في قوله: هو مِنّي إلى آخره، مع الاحتياج إلى تقدير مضافات، وعبارة «الكشاف»[(٢)]: تقديره؛ أي: تقدير قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ [النجم: ٩] فكان مقدار مسافة قربه مثل ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ [على تقديركم] يعني: أن المراد الوصف بالكمية، وهو هنا الوصف بالقلة، وفي قوله: أو يزيدون الوصف بالكثرة.

---

(١) الصحاح، الجوهري [٦/ ٣٣].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٤٢١].

۞ ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾.

﴿١١﴾ ـ ﴿١٢﴾ ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ ما رآه ببصره من صورة جبريل، أو الله تعالى؛ أي: ما كذب بصره بما حكاه له؛ فإن الأمور القدسية تدرك أولاً بالقلب ثم تنتقل منه إلى البصر، أو ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك! ولو قال ذلك كان كاذباً لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره، أو ما رآه بقلبه والمعنى: أنه لم يكن تخيلاً كاذباً. ويدل عليه أنه عليه الصلاة والسلام: سئل: هل رأيت ربك؟ فقال: «**رأيته بفؤادي**». وقرئ: (ما كذب)؛ أي: صدقه ولم يشك فيه. ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ أفتجادلونه عليه، من: (المراء): وهو المجادلة واشتقاقه من: (مرى الناقة) كأن كلّاً من المتجادلين يمري ما عند صاحبه. وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب: (أَفَتَمْرُوْنَه)؛ أي: أفتغلبونه في المراء من: (ماريته فمريته)، أو أفتجحدونه من: (مراه حقه) إذا جحده، و(على) لتضمين الفعل معنى الغلبة؛ فإن المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم.

﴿١٣﴾ ـ ﴿١٦﴾ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ مرّة أُخرَى، فعلة من النزول أقيمت مقام المرّة، ونصبت نصبها إشعاراً بأن الرؤية في هذه المرة كانت أيضاً بنزول ودنو، والكلام في المرئيّ والدنو ما سبق. وقيل: تقديره: ولقد رآه نازلاً نزلة أُخرَى، ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرّة الأخيرة. ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ التي ينتهي إليها أعمال الخلائق وعلمهم، أو ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها، ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق؛ لأنهم يجتمعون في ظلها. وروي مرفوعاً: أنها في السماء السابعة. ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ الجنة التي يأوي إليها المتقون، أو

[من مَرْي الناقة] بإسكان الراء؛ أي: مسح ضرعها لِتَدِرّ. قال الجوهري:

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾.

أرواح الشهداء. ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عدّ، وقيل: يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ ما مال بصر رسول الله ﷺ عما رآه. ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ وما تجاوزه بل أثبته إثباتاً صحيحاً مستيقناً، أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها. ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾؛ أي: والله لقد رأى الكبرى من آياته، وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل: إنها المعنية بما رَأى. ويجوز أن تكون (الْكُبْرى) صفة للـ(الآياتِ) على أن المفعول محذوف؛ أي: شيئاً من آيات ربه، أو (مِنْ) مزيدة.

﴿١٩﴾ - ﴿٢٢﴾ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ هي أصنام كانت لهم، فـ(اللات) كانت لثقيف بالطائف أو لقريش بنخلة، وهي (فعلة) من: (لوى) لأنهم كانوا يلوون عليها؛ أي: يطوفون. وقرئ: (اللّاتَ) بالتشديد على أنه سمي به لأنه صورة رجل كان يلتّ السويق بالسمن ويطعم الحاج. (وَالْعُزَّى): سَمُرَة لغطفان كانوا يعبدونها، فبعث إليها رسول الله عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد فقطعها. وأصلها تأنيث الأعزّ. (وَمَناةَ): صخرة كانت لهذيل وخزاعة، أو لثقيف؛ وهي (فعلة) من: (مناه) إذا قطعه؛ فإنهم كانوا يذبحون عندها القرابين، ومنه: (مِنَى). وقرأ ابن كثير: (مناءة) وهي (مفعلة) من: (النوء) فإنهم كانوا يستمطرون الأنواء عندها تبركاً بها. وقوله: ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ صفتان للتأكيد كقوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] أو (الأُخْرَى) من التأخر في الرتبة. ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ إنكار لقولهم: الملائكة بنات الله، وهذه

۞ ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾.

الأصنام استوطنها جنيات هنَّ بناته، أو هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾. ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهي (فعلى) من: (الضيز) وهو الجور، لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل في (بيض) فإن (فعلى) بالكسر لم تأت وصفاً. وقرأ ابن كثير بالهمزة من: (ضأزه) إذا ظلمه؛ على أنه مصدر نعت به.

﴿٢٣﴾ ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ﴾ الضمير للأصنام؛ أي: ما هي باعتبار الألوهية إلا أسماء تطلقونها عليها؛ لأنهم يقولون أنها آلهة وليس فيها شيء من معنى الألوهية، أو للصفة التي تصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء، أو للأسماء المذكورة؛ فإنهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها، و(العزى) لعزتها، و(مناة) لاعتقادهم أنها تستحق أن يتقرب إليها بالقرابين. ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ سميتم بها. ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ بهواكم. ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ﴾ برهان تتعلقون به. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ وقرئ بالتاء. ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ إلا توهم أن ما هم عليه حق تقليداً وتوهماً باطلاً. ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ﴾ وما تشتهيه أنفسهم. ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ الرسول أو الكتاب فتركوه.

﴿٢٤﴾ ـ ﴿٢٦﴾ ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ (أمْ) منقطعة، ومعنى الهمزة فيها

مريت الناقة مرياً إذا مسحت ضرعها لِتَدِرّ، وأمْرَتِ الناقةُ؛ أي: دَرَّ لبنها[1] [استوطنها جنبات] بجيمٍ فَنُونٍ جمع جنبات.

(١) الصحاح، الجوهري [٢/١٦٨].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ (٢٧) وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (٢٩) ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ (٣٠)﴾.

الإنكار، والمعنى: ليس له كل ما يتمناه والمراد: نفي طمعهم في شفاعة الآلهة، وقولهم: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠] وقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] ونحوهما. ﴿فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ يعطي منهما ما يشاء لمن يريد، وليس لأحد أن يتحكم عليه في شيء منهما. ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئاً ولا تنفع. ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ في الشفاعة. ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ من الملائكة أن يشفع، أو من الناس أن يشفع له. ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾ ويراه أهلاً لذلك، فكيف تشفع الأصنام لعبدتهم.

(٢٧) - (٢٨) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾؛ أي: كل واحد منهم. ﴿تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ بأن يسموه بنتاً. ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾؛ أي: بما يقولون، وقرئ بها؛ أي: بالملائكة أو بالتسمية. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ فإن الحق الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك إلا بالعلم، والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية، وإنما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة إليها.

(٢٩) - (٣٠) ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ فأعرض عن دعوته والاهتمام بشأنه؛ فإن من غفل عن الله وأعرض عن ذكره، وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه؛ لا تزيده الدعوة إلا عناداً وإصراراً على الباطل. ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: أمر الدنيا أو كونها

[وقرئ بها]؛ أي: بدل به.

۞ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾.

شهيته. ﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ لا يتجاوزه علمهم. والجملة اعتراض مقرر لقصور هممهم بالدنيا، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ تعليل للأمر بالإعراض؛ أي: إنما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب! فلا تتعب نفسك في دعوتهم؛ إذ ما عليك إلا البلاغ وقد بلغت.

﴿٣١﴾ - ﴿٣٢﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً. ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ بعقاب ما عملوا من السوء، أو بمثله، أو بسبب ما عملوا من السوء، وهو علة لما دل عليه ما قبله؛ أي: خلق العالم وسواه للجزاء، أو ميز الضال عن المهتدي وحفظ أحوالهم لذلك ﴿وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ بالمثوبة الحسنى وهي الجنة، أو بأحسن من أعمالهم، أو بسبب الأعمال الحسنى. ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ ما يكبر عقابه من الذنوب، وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه. وقيل: ما أوجب الحد. وقرأ حمزة والكسائي وخلف: (كبير الإثم) على إرادة الجنس أو الشرك. ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ وما فحش من الكبائر خصوصاً. ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ إلا ما قل وصغر؛ فإنه مغفور من مجتنبي الكبائر. والاستثناء منقطع ومحل (الَّذِينَ) النصب على الصفة، أو المدح، أو الرفع على أنه خبر محذوف. ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر، أو له أن يغفر ما شاء من الذنوب صغيرها وكبيرها، ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته، ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى. ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ أعلم بأحوالكم منكم. ﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ علم أحوالكم ومصارف أموركم حين ابتدأ

۞ ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾.

خلقكم من التراب بخلق آدم، وحينما صوركم في الأرحام. ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير، أو بالطهارة عن المعاصي والرذائل. ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ فإنه يعلم التقي وغيره منكم قبل أن يخرجكم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام.

﴿٣٣﴾ - ﴿٣٥﴾ ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ عن اتباع الحق والثبات عليه. ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ وقطع العطاء؛ من قولهم: (أكدى الحافر) إذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة؛ فترك الحفر. والأكثر على أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان يتبع رسول الله عليه الصلاة والسلام، فعيّره بعض المشركين وقال: تركت دين الأشياخ وضَلَّلتهم! فقال: أخشى عذاب الله تعالى! فضمن أن يتحمل عنه العذاب إن أعطاه بعض ماله، فارتد وأعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي. ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ يعلم أن صاحبه يتحمل عنه.

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٨﴾ ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ وفّى وأتمّ ما التزمه أو أمر به، أو بالغ في الوفاء بما عاهد الله. وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره؛ كالصبر على نار نمروذ، حتى أتاه جبريل عليه السلام حين ألقي في النار فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا! وذبح الولد، وأنه كان يمشي كل يوم فرسخاً يرتاد ضيفاً فإن وافقه أكرمه وإلا نوى الصوم، وتقديم موسى لأن صحفه وهي التوراة كانت أشهر وأكبر عندهم. ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (أن) هي المخففة من الثقيلة، وهي بما بعدها في محل الجر بدلاً مما فِي صُحُفِ مُوسى، أو الرفع على: هو أن أَلَّا تَزِرُ، كأنه قيل: ما في صحفهما؟ فأجاب به. والمعنى: أنه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله: ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾

۞ ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ
ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ
أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ
ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾.

[المائدة: ٣٢] وقوله عليه السلام: «**من سَنَّ سُنَّة سيئة فعليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**» فإن ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره.

﴿٣٩﴾ ـ ﴿٤١﴾ ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ إلا سعيه؛ أي: كما لا يؤاخذ أحد بذنب الغير لا يثاب بفعله، وما جاء في الأخبار من أن الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب عنه. ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾؛ أي: يجزى العبد سعيه بالجزاء الأوفر؛ فنصب بنزع الخافض، ويجوز أن يكون مصدراً وأن تكون الهاء للجزاء المدلول عليه بـ(يجزي) و(الْجَزاءَ) بدله.

﴿٤٢﴾ ـ ﴿٤٤﴾ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ انتهاء الخلائق ورجوعهم. وقرئ بالكسر على أنه منقطع عما في الصحف وكذلك ما بعده. ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ لا يقدر على الإماتة والإحياء غيره؛ فإن القاتل ينقض البنية، والموت يحصل عنده بفعل الله تعالى على سبيل العادة.

﴿٤٥﴾ ـ ﴿٤٧﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ تدفق في الرحم أو تخلق، أو يقدر منها الولد من منيّ إذا قُدّر. ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ الإحياء بعد الموت وفاء بوعده. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (النشاءة) بالمدة، وهو أيضاً مصدر: (نشأ).

﴿٤٨﴾ ـ ﴿٤٩﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ (القنية): وهو ما يتأثل من الأموال،

[«**من سنَّ سُنَّة سيئة..**»] إلى آخره، رواه مسلم[1]، وغيره.

[**ما يتأثل من الأموال**]؛ أي: يتخذ منها أصلاً [**ما يقتني**]؛ أي: القنية، والمراد:

---

(١) صحيح مسلم [٢/ ٧٠٤/ برقم: ١٠١٧].

۞ ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝٥٢ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤﴾.

وإفرادها لأنها أشف الأموال أو أرضى، وتحقيقه: جعل الرضا له قنية. ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾؛ يعني: «العبور» وهي أشد ضياء من «الغميصاء»؛ عَبَدَها أبو كبشة أحد أجداد الرسول عليه الصلاة والسلام، وخالف قريشاً في عبادة الأوثان، ولذلك كانوا يسمون الرسول: ابن أبي كبشة! ولعل تخصيصها للإشعار بأنه عليه الصلاة والسلام وإن وافق أبا كبشة في مخالفتهم؛ خالفه أيضاً في عبادتها.

(٥٠) - (٥٤) ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ القدماء؛ لأنهم أولى الأمم هلاكاً بعد قوم نوح. وقيل: (عاد الأولى) قوم هود، وعاد الأُخْرَى «إرم». وقرئ: (عَاداً لُوْلَى) بحذف الهمزة ونقل ضمها إلى لام التعريف و(عاداً لُّوْلَى) بادغام التنوين في اللام ﴿وَثَمُودَا۟﴾ عطف على (عَاداً) لأن ما بعده لا يعمل فيه، وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين، ويقفان بغير الألف ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ الفريقين. ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أيضاً معطوف عليه. ﴿مِّن قَبْلُ﴾ من قبل عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ من الفريقين لأنهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه، ويضربونه حتى لا يكون به حراك. ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ والقرى التي ائتفكت بأهلها؛ أي: انقلبت؛ وهي قرى قوم لوط. ﴿أَهْوَىٰ﴾ بعد أن رفعها فقلبها. ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ فيه تهويل وتعميم لما أصابهم.

ما يقتني [لأنها أشرف الأموال]؛ أي: أفضلها وأربحها [أبو كبشة أحد أجداد رسول الله ﷺ] هو جد أمه آمنة بنت وهب، وقيل: هو جد عبد المطلب لأمه[1].

[وقرئ «عاداً لاولي» بحذف الهمزة ونقل ضمها إلى لام التعريف]؛ أي: بلا إدغام [وقرأ نافع وأبو عمرو]؛ أي: وأبو جعفر ويعقوب، والباقون قرأوا بعدم النقل

---

(١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده [٣/ ١٣٧].

۞ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۝٦٢﴾.

---

(٥٥) ـ (٥٦) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ تتشكك. والخطاب للرسول أو لكل أحد، والمعدودات وإن كانت نعماً ونقماً سماها (آلاءِ) من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين، والانتقام للأنبياء والمؤمنين. ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾؛ أي: هذا القرآن إنذار من جنس الإنذارات المتقدمة، أو هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الأولين.

(٥٧) ـ (٥٨) ﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ﴾ دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]. ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ ليس لها نفس قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله؛ لكنه لا يكشفها، أو الآن بتأخيرها إلا الله، أو ليس لها كاشفة لوقتها إلا الله؛ إذ لا يطلع عليه سواه، أو ليس لها من غير الله كشف؛ على أنها مصدر كـ(العافية).

(٥٩) ـ (٦٢) ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾؛ يعني: القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ إنكاراً ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ تحزناً على ما فرطتم ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ لاهُوْنَ أو مستكبرون؛ من: (سمد البعير في مسيره) إذا رفع رأسه، أو مغنّون لتشغلوا الناس عن استماعه؛ من: (السمود) وهو الغناء. ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾؛ أي: واعبدوه دون الآلهة.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ (والنجم) أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة**».

[**أو الآن بتأخيرها إلا الله**]؛ أي: أو ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير إلا الله.
[«**من قرأ سورة النجم..**»] إلى آخره، موضوع[1].

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/٣٨٦/برقم: ١٢٧٥].

سورة القمر

(٥٤) مكية، وآيها خمس وخمسون آية

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝٥﴾.

۝١ - ۝٣ ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ روي: أن الكفار سألوا رسول الله ﷺ آية فانشق القمر! وقيل معناه: سينشق يوم القيامة، ويؤيد الأول أنه قرئ: (وقد انشق القمر)؛ أي: اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر، وقوله: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾ عن تأملها والإيمان بها. ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ مطرد، وهو يدل على أنهم رأوا قبله آيات أخر مترادفة، ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك، أو محكم من المرّة يقال: أمررته فاستمر؛ إذا أحكمته فاستحكم، أو مستبشع من: (استمر الشيء) إذا اشتدت مرارته، أو مار ذاهب لا يبقى. ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره، وذكرهما بلفظ المضي للإشعار بأنهما من عادتهم القديمة. ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ مُنْتَهٍ إلى غاية من خذلان أو نصر في الدنيا، وشقاوة أو سعادة في الآخرة؛ فإن الشيء إذا انتهى إلى غايته ثبت واستقر. وقرئ بالفتح؛ أي: ذو مستقر؛ بمعنى: استقرار، وبالكسر والجر على أنه صفة (أمر)، و(كل) معطوف على (الساعة).

۝٤ - ۝٥ ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم﴾ في القرآن ﴿مِّنَ الْأَنبَاءِ﴾ أنباء القرون

[روي: «**أن الكفار سألوا رسول الله ﷺ..**» إلى آخره، رواه الشيخان[1]

---

(١) صحيح البخاري [٤/١٨٤٣/ برقم: ٤٥٨٤]، صحيح مسلم [٤/٢١٥٨/ برقم: ٢٨٠٠].

۞ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾.

الخالية أو أنباء الآخرة. ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ ازدجار من تعذيب أو وعيد، وتاء الافتعال تقلب دالاً مع الذال والدال والزاي للتناسب، وقرئ: (مُزَّجَر) بقلبها زايا وإدغامها. ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ غايتها لا خلل فيها، وهي بدل من (ما) أو خبر لمحذوف، وقرئ بالنصب حالاً من (ما) فإنها موصولة أو مخصوصة بالصفة، فيجوز نصب الحال عنها. ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ نفي أو استفهام إنكار؛ أي: فأي غناء تغني النذر! وهو جمع: (نذير)؛ بمعنى: المنذر، أو المنذر منه، أو مصدر؛ بمعنى: الإنذار.

۝٦ ـ ۝٨ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ لعلمك بأن الإنذار لا يغني فيهم ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ إسرافيل، ويجوز أن يكون الدعاء فيه كالأمر في قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] وإسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف، وانتصاب (يَوْمَ) بـ(يَخْرُجُونَ) أو بإضمار (اذكر). ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ فظيع تنكره النفوس؛ لأنها لم تعهد مثله وهو هول يوم القيامة، وقرأ ابن كثير بالتخفيف، وقرئ: (نُكِرْ)؛ بمعنى: (أُنْكِر). ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾؛ أي: يخرجون من قبورهم خاشعاً ذليلاً أبصارهم من الهول، وإفراده وتذكيره؛ لأن فاعله غير حقيقي التأنيث، وقرئ: (خاشعة) على الأصل، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم: (خُشَّعاً)، وإنما حسن ذلك ولم يحسن: مررت برجال قائمين غلمانهم؛ لأنه ليس على صيغة تشبه الفعل، وقرئ: (خُشَّعٌ أبصارهم) على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالاً. ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ في الكثرة والتموج والانتشار في الأمكنة. ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ مسرعين مادّي أعناقهم إليه، أو ناظرين إليه ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ صعب.

[لأنه]؛ أي: قائمين **[ليس على صيغة تشبه الفعل]**؛ أي: في الإفراد بخلاف خُشَّع؛

۞ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿٩﴾ - ﴿١٠﴾ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ قبل قومك ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحاً وهو تفصيل بعد إجمال، وقيل معناه: كذبوه تكذيباً على عقب تكذيب، كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب، أو كذبوه بعد ما كذبوا الرسل. ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾ هو مجنون ﴿وَازْدُجِرَ﴾ وزجر عن التبليغ بأنواع الأذية، وقيل: إنه من جملة قيلهم؛ أي: هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته. ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي﴾ بأني. وقرئ بالكسر على إرادة القول. ﴿مَغْلُوبٌ﴾ غلبني قومي ﴿فَانْتَصِرْ﴾ فانتقم لي منهم وذلك بعد يأسه منهم. فقد روي: أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخرَّ مغشياً عليه فيفيق، ويقول: (اللَّهُم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون).

﴿١١﴾ - ﴿١٢﴾ ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ مُنْصَبٌّ، وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها، وقرأ ابن عامر ويعقوب: (ففتّحنا) بالتشديد لكثرة الأبواب. ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة، وأصله: وفجرنا عيون الأرض؛ فغير للمبالغة. ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ ماء السماء وماء الأرض، وقرئ: (الماءان) لاختلاف النوعين (الماوان) بقلب الهزة واواً. ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ على حال قدرها الله في الأزل من غير تفاوت، أو على حال قدرت وسويت؛ وهو أن قدر ما أنزل على قدر ما أخرج، أو على أمر قدره الله؛ وهو هلاك قوم نوح بالطوفان.

لأنه جمع تكسير، وهو يجري مجرى المفرد [**فقد روي: «أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه..»**] إلى آخره، رواه الإمام أحمد في الزهد(١).

---

(١) الزهد، أحمد بن حنبل [ص٥٠].

۞ ﴿وَحَمَلْنَهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾﴾.

﴿١٣﴾ ـ ﴿١٤﴾ ﴿وَحَمَلْنَهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾ ذات أخشاب عريضة ﴿وَدُسُرٍ﴾ ومسامير، جمع: (دسار) من: (الدسر) وهو الدفع الشديد، وهي صفة للسفينة أقيمت مقامها من حيث أنها كالشرح لها تؤدي مؤداها. ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا؛ أي: محفوظة بحفظنا. ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾؛ أي: فعلنا ذلك جزاء لنوح لأنه نعمة كفروها؛ فإن كل نبي نعمة من الله تعالى ورحمة على أمته، ويجوز أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير، وقرئ: (لِمَنْ كَفَرَ)؛ أي: للكافرين.

﴿١٥﴾ ـ ﴿١٧﴾ ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَهَآ﴾؛ أي: السفينة أو الفعلة. ﴿ءَايَةً﴾ يعتبر بها إذ شاع خبرها واشتهر. ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ معتبر، وقرئ: (مُذْتَكِر) على الأصل، و(مُذَّكِّر) بقلب التاء ذالاً والإدغام فيها. ﴿...فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ استفهام تعظيم ووعيد، و(النُذر) يحتمل المصدر والجمع. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ سهلناه أو هيأناه؛ من: (يسر ناقته للسفر) إذا رحَّلها. ﴿لِلذِّكْرِ﴾ للادكار والاتعاظ؛ بأن صرفنا فيه أنواع المواعظ والعبر، أو للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ. ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ متّعظ.

﴿١٨﴾ ـ ﴿٢١﴾ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ وإنذار أتى لهم بالعذاب قبل نزوله، أو لمن بعدهم في تعذيبهم. ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ بارداً أو شديد الصوت. ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ﴾ شؤم ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾؛ أي: استمر شؤمه، أو استمر عليهم حتى أهلكهم، أو على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم أحداً، أو اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ تقلعهم، روي: أنهم دخلوا في الشعاب والحفر، وتمسك بعضهم ببعض

۞ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾.

فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى. ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ أصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الأرض. وقيل: شبهوا بالإعجاز لأن الريح طيرت رؤوسهم وطرحت أجسادهم، وتذكير (مُنْقَعِرٍ) للحمل على اللفظ، والتأنيث في قوله: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] للمعنى. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ كرره للتهويل. وقيل: الأول لما حاق بهم في الدنيا، والثاني لما يحيق بهم في الآخرة كما قال أيضاً في قصتهم: ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ [فصلت: ١٦].

﴿٢٣﴾ - ﴿٢٥﴾ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾ بالإنذارات والمواعظ، أو الرسل. ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا﴾ من جنسنا، أو من جملتنا لا فضل له علينا. وانتصابه بفعل يفسره وما بعده، وقرئ بالرفع على الابتداء والأول أوجه للاستفهام. ﴿وَٰحِدًا﴾ منفرداً لاتبع له، أو من آحادهم دون أشرافهم. ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ جمع: (سعير) كأنه عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم إياه ما رتبه على ترك اتباعهم له، وقيل: (السعر) الجنون، ومنه: ناقة مسعورة. ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ﴾ الكتاب أو الوحي. ﴿عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ وفينا من هو أحق منه بذلك. ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ حمله بطره على الترفع علينا بادعائه إياه.

﴿٢٦﴾ - ﴿٢٨﴾ ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة. ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ الذي حمله أشره على الاستكبار عن الحق، وطلب الباطل، أصالح أم من كذبه؟ وقرأ ابن عامر وحمزة ورويس: (ستعلمون) على الالتفات، أو حكاية ما أجابهم به صالح، وقرئ: (الأَشُر) كحَذُر في

۞ ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾
كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً
مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾.

حُذُر و(الأَشَرّ)؛ أي: الأبلغ في الشرارة وهو أصل مرفوض كالأخير. ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾ مخرجوها وباعثوها. ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ امتحاناً لهم ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ فانتظرهم وتبصر ما يصنعون ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ على أذاهم. ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ مقسوم لها يوم ولهم يوم، و(بَيْنَهُمْ) لتغليب العقلاء. ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ يحضره صاحبه في نوبته، أو يحضره عنه غيره.

﴿٢٩﴾ ـ ﴿٣١﴾ ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ «قدار بن سالف» أُحَيْمَر ثمود ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ فاجترأ على تعاطي قتلها فقتلها، أو فتعاطى السيف فقتلها، والتعاطي تناول الشيء بتكلف. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صيحة جبريل. ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ كالشجر اليابس المتكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لأجلها، أو كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء، وقرئ بفتح الظاء؛ أي: كهشيم الحظيرة أو الشجر المتخذ لها.

﴿٣٢﴾ ـ ﴿٣٥﴾ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً تحصبهم بالحجارة؛ أي: ترميهم. ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ في سحر وهو آخر الليل أو مسحرين. ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ إنعاماً منا وهو علة لـ(نجينا). ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ نعمتنا بالإيمان والطاعة.

[وبينهم]؛ أي: وذكر ضمير (بينهم) مع أنه لهم وللناقة.

۞ ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٩﴾ ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾ لوط ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أخذتنا بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ فكذبوا بالنذر متشاكين ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾ قصدوا الفجور بهم. ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ فمسحناها وسويناها بسائر الوجه. روي: أنهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل صفقة فأعماهم. ﴿فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ فقلنا لهم: ذوقوا على ألسنة الملائكة أو ظاهر الحال. ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ وقرئ: (بُكْرَةَ) غير مصروفة على أن المراد بها أول نهار معين. ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ يستقرّ بهم حتى يسلمهم إلى النار. ﴿فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ .

﴿٤٠﴾ - ﴿٤٢﴾ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ كرر ذلك في كل قصة إشعاراً بأن تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب، واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ، واستئنافاً للتنبيه والإيقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة، وهكذا تكرير قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ١٣]. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥] ونحوهما ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾ اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى بذلك منهم. ﴿كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾؛ يعني: الآيات التسع. ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ لا يغالب. ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ لا يعجزه شيء.

﴿٤٣﴾ - ﴿٤٥﴾ ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا معشر العرب ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ الكفار المعدودين قوة وعدة، أو مكانة وديناً عند الله تعالى ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ أم نزل لكم في الكتب السماوية أن من كفر منكم فهو في أمان من العذاب ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ جماعةٌ أمرنا مجتمع ﴿مُّنتَصِرٌ﴾ ممتنع لا نرام أو منتصر

۞ ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ
﴿٤٧﴾ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ
﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۢ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾.

من الأعداء لا نغلب، أو متناصر ينصر بعضنا بعضاً والتوحيد على لفظ الجميع. ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾؛ أي: الأدبار، وإفراده لإرادة الجنس، أو لأن كل واحد يولي دبره، وقد وقع ذلك يوم بدر، وهو من دلائل النبوة. وعن عمر رضي الله تعالى عنه «أنه لما نزلت قال: لم أعلم ما هو! فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يلبس الدرع ويقول: **سيهزم الجمع**، فعلمته!».

﴿٤٦﴾ ـ ﴿٤٨﴾ ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ﴾ موعد عذابهم الأصلي، وما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائعه. ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ﴾ أشد، والداهية أمر فظيع لا يهتدي لدوائه. ﴿وَأَمَرُّ﴾ مذاقاً من عذاب الدنيا. ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ﴾ عن الحق في الدنيا. ﴿وَسُعُرٖ﴾ ونيران في الآخرة. ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ يجرون عليها. ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾؛ أي: يقال لهم: ذوقوا حَرَّ النَّارِ وأَلَمَها؛ فإنَّ مَسَّها سببُ التألُّم بها، وسقر علم لجهنم؛ ولذلك لم يصرف من: (سَقَرَتْهُ النَّارُ وصَقَرَتْهُ) إذا لَوَّحَتْه.

﴿٤٩﴾ ـ ﴿٥٠﴾ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾؛ أي: إنا خلقنا كل شيء مقدراً مرتباً على مقتضى الحكمة، أو مقدراً مكتوباً في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده. وقرئ بالرفع على الابتداء، وعلى هذا فالأولى أن يجعل (خلقناه) خبراً لا نعتاً ليطابق المشهورة في الدلالة على أن كل شيء مخلوق بقدر، ولعل اختيار النصب

[وما يحيق بهم في الدنيا] خبره [فمن طلائعه]؛ أي: طلائع العذاب الأصلي، ودخلت الفاء في خبر المبتدأ لتضمنه معنى الشرط [إذا لوحته]؛ أي: أحمته. قال

۞ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾.

ههنا مع الإضمار لما فيه من النصوصية على المقصود. ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾ إلا فعلة واحدة، وهو الإيجاد بلا معالجة ومعاناة، أو إلَّا كلمة واحدة وهو قوله: كن. ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ في اليسر والسرعة، وقيل معناه: معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧].

﴿٥١﴾ - ﴿٥٣﴾ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم في الكفر ممن قبلكم. ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ متعظ. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ مكتوب في كتب الحفظة. و﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأعمال. ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ مسطور في اللوح.

﴿٥٤﴾ - ﴿٥٥﴾ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ أنهار، واكتفى باسم الجنس، أو سعة، أو ضياء من النهار. وقرئ: (نُهُر) وبضم الهاء جمع: (نُهْر) كـ(أسد وأسد). ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ في مكان مرضي، وقرئ: (مقاعد صدق). ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ مقربين عند من تعالى أمره في الملك، والاقتدار بحيث أبهمه ذوو الأفهام.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (القمر) في كل غِبٍّ بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر**».

الجوهري: لَوَّحْتُ الشيء بالنار: أحميته(١) [**أو سعة، أو ضياء**] عطف على «أنهار». [«**من قرأ سورة القمر**»] إلى آخره، موضوع(٢)، قوله: «في كل غِبٍّ»؛ أي: يقرأ يوماً، ويترك يوماً.

---

(١) الصحاح، الجوهري [٢/ ١٥٣].
(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٣٩١/ برقم: ١٢٧٩].

سورة الرحمن

(٥٥) مكية أو مدنية، أو متبعضة، وآيها ست وسبعون آية

۞ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٤) ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والآخروية صدرها بـ(الرَّحْمَٰنُ)، وقدم ما هو أصل النعم الدينية وأجلّها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه؛ فإنه أساس الدين، ومنشأ الشرع، وأعظم الوحي وأعزّ الكتب، إذ هو بإعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها، ثم اتبعه قوله: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ إيماء بأن خلق البشر وما يميز به عن سائر الحيوان من البيان، وهو التعبير عما في الضمير وإفهام الغير لما أدركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع، وإخلاء الجمل الثلاث التي هي أخبار مترادفة للـ(رَّحْمَٰنُ) عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد.

(٥) ـ (٦) ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما، وتتسق بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات، ويعلم السنون والحساب. ﴿وَٱلنَّجۡمُ﴾ والنبات الذي ينجم؛ أي: يطلع من الأرض ولا ساق له. ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾ الذي له ساق. ﴿يَسۡجُدَانِ﴾ ينقادان لله تعالى فيما يريد بهما طبعاً انقياد الساجد من المكلفين طوعاً، وكان حق النظم في الجملتين أن يقال: وأجرى الشمس والقمر،

[الرحمٰن] متعلق بأخبار [وتتسق بذلك] الأولى وبذلك تتسق ليتعلق بالجار

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩﴾.

وأسجد النجم والشجر. أو الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبانه وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدانِ له، ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالـ(الرَّحْمَنُ)، لكنهما جرّدتا عما يدل على الاتصال إشعاراً بأن وضوحه يغنيه عن البيان، وإدخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة؛ على أن ما يحس به من تغيرات أحوال الأجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره.

(٧) ـ (٩) ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ خلقها مرفوعة محلاً ومرتبة، فإنها منشأ أقضيته ومتنزل أحكامه ومحل ملائكته، وقرئ بالرفع على الابتداء. ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ العدل. بأن وفّر على كل مستعد مستحقه، ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم أمر العالم واستقام كما قال ﷺ: «**بالعدل قامت السمٰوات والأرض**». أو ما يعرف به مقادير الأشياء من ميزان ومكيال ونحوهما، كأنه لما وصف السماء بالرفعة من حيث إنها مصدر القضايا والإقدار، أراد وصف الأرض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف به المقدار، ويسوى به الحقوق والمواجب. ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾ لأن لا تطغوا فيه؛ أي: لا تعتدوا ولا تجاوزوا الإنصاف، وقرئ: (لا تطغوا) إرادة القول. ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ ولا تنقصوه فإن من حقه أن يسوى لأنه المقصود من وضعه، وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث على استعماله، وقرئ: (وَلا تَخْسرُوا) بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها على أن الأصل: (وَلا تُخْسِرُوا في الْمِيزانَ) فحذف الجار وأوصل الفعل.

والمجرور الأفعال الثلاثة التي ذكرها [**أو ما يعرف به مقادير الأشياء**] عطف على «العدل» [وقرئ «**لا تطغوا**»]؛ أي: بدون «أن».

۞ ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾.

﴿١٠﴾ ـ ﴿١٣﴾ ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ خفضها مدحوة. ﴿لِلْأَنَامِ﴾ للخلق. وقيل: (الأنام) كل ذي روح. ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ ضروب مما يتفكه به. ﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ أوعية التمر، جمع: (كم)، أو كل ما يكم؛ أي: يغطى من ليف وسعف وكفري؛ فإنه ينتفع به كالمكموم؛ كالجذع والجمّار والتمر. ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ﴾ كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به، و(الْعَصْفِ) ورق النبات اليابس كالتين. وَ(الرَّيْحانُ)؛ يعني: المشموم، أو الرزق من قولهم: (خرجت أطلب ريحان الله)، وقرأ ابن عامر: (والحب ذا العصف والريحان)؛ أي: وخلق الحب والريحان أو أخصّ، ويجوز أن يراد (وذا الريحان) فحذف المضاف، وقرأ حمزة والكسائي: (والريحان) بالخفض ما عدا ذلك بالرفع، وهو فيعلان من (الروح) فقلبت الواو ياء وأدغم ثم خفف، وقيل: (روحان) فقلب واوه ياء للتخفيف. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله: (لِلْأَنامِ) وقوله: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمٰن: ٣١].

﴿١٤﴾ ـ ﴿١٦﴾ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة، و(الفخار) الخزف، وقد خلق الله آدم من تراب

[أو كلماتكم] عطف على «أوعية التمر» [أو أخص] عطف على «خلق» [وهو فيعلان] بناء على أن أصله «ريوحان» [من الروح، فقلبت الواو ياء وادغم]؛ أي: أدغمت الياء في الياء [وخفف]؛ أي: ثم خفف بحذف عين الكلمة [وقيل: روحان]؛ أي: وقيل: أن أصله روحان بوزن فعلان لا ريوحان[1].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري [٢/ ١٧٠٩].

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾﴾.

جعله طيناً ثم حمأ مسنوناً، ثم صلصالاً فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه. ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾ الجن أو أبا الجن. ﴿مِن مَّارِجٍ﴾ مِنْ صافٍ مِنَ الدّخان. ﴿مِّن نَّارٍ﴾ بيان لـ(مارج) فإنه في الأصل للمضطرب، من: (مرج) إذا اضطرب. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مما أفاض عليكما في أطوار خلقتكما حتى صَيَّرَكُمَا أفضل المركَّبات، وخلاصة الكائنات.

﴿١٧﴾ - ﴿٢٠﴾ ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى؛ كاعتدال الهواء واختلاف الفصول، وحدوث ما يناسب كل فصل فيه إلى غير ذلك. ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أرسلهما، من: (مرجت الدابة) إذا أرسلتها، والمعنى: أرسل البحر الملح والبحر العذب. ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ يتجاوران ويتماس سطوحهما، أو بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط؛ لأنهما خليجان يتشعبان منه. ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجز من قدرة الله تعالى، أو من الأرض. ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصية، أو لا يتجاوزان حَدَّيْهما بإغراق ما بينهما.

﴿٢١﴾ - ﴿٢٤﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ كبار الدر وصغاره، وقيل: المرجان الخرز الأحمر، وإن صحّ أن الدر يخرج من الملح فعلى الأول إنما قال منهما لأنه مخرج من مجتمع الملح والعذب، أو لأنهما لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد فكأن المخرج من أحدهما كالمخرج منهما. وقرأ نافع وأبو عمرو ويعقوب: (يُخرَجُ)، وقرئ: (نُخْرِجُ)

[وقرأ نافع وأبو عمرو ويعقوب]؛ أي: وأبو جعفر [يُخْرَجُ]؛ أي: للبناء للمفعول.

۞ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾.

و(يُخْرِجُ)بنصب (اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجانُ). ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾؛ أي: السفن، جمع: (جارية)، وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقوله:

لَهَا ثَنَايَا أَرْبَعٌ حِسَانُ وَأَرْبَعٌ فَكُلُّهَا ثَمَانِ

﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ المرفوعات الشرع، أو المصنوعات، وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الشين؛ أي: الرافعات الشرع، أو اللاتي ينشئن الأمواج أو السير. ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ كالجبال جمع: (علم) وهو الجبل الطويل.

﴿٢٥﴾ ـ ﴿٢٧﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ من خلق مواد السفن والإرشاد إلى أخذها، وكيفية تركيبها، وإجرائها في البحر بأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره. ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ من على الأرض من الحيوانات أو المركبات، و(مَنْ) للتغليب، أو من الثقلين. ﴿فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ذاته، ولو استقريت جهات الموجودات، وتفحصت وجوهها؛ وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها إلا وجه الله! أي: الوجه الذي يلي جهته. ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ ذو الاستغناء المطلق والفضل العام.

﴿٢٨﴾ ـ ﴿٣٠﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ أي: مما ذكرنا قبل: من بقاء الربّ، وإبقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلاً، أو مما يترتب على فناء الكل من الإعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم. ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فإنهم مفتقرون إليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم،

[كقوله:

لَهَا ثَنَايَا أَرْبَعُ حِسَانُ وأَرْبَعُ فَكُلُّهَا ثَمَانِ]

التشبيه به في جعل الإعراب على ما قبل الياء بعد حذفها من (ثمانِ).

۞ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾.

ويعنُّ لهم، والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة إلى تحصيل الشيء في ذواتهم وصفاتهم نطقاً كان أو غيره. ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ كل وقت يحدث أشخاصاً، ويجدد أحوالاً على ما سبق به قضاؤه، وفي الحديث: «**مِنْ شَأْنِهِ أن يغفر ذنباً، وَيُفَرِّجَ كرباً، ويرفع قوماً ويضع آخرين**». وهو رد لقول اليهود: إن الله لا يقضي يوم السبت شيئاً! ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ أي: مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا.

﴿٣١﴾ - ﴿٣٣﴾ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾؛ أي: سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة؛ فإنه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل: تهديد مستعار من قولك لمن تهدده: سأفرغ لك. فإن المتجرد للشيء كان أقوى عليه وأجد فيه، وقرأ حمزة والكسائي بالياء وقرئ: (سنفرغ إليكم)؛ أي: سنقصد إليكم. و(الثَّقَلانِ) الإنس والجن سميا بذلك لثقلهما على الأرض أو لرزانة رأيهما وقدرهما، أو لأنهما مثقلان بالتكليف. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السمٰوات والأرض هاربين من الله فارين من قضائه. ﴿فَٱنفُذُوا۟﴾ فاخرجوا. ﴿لَا تَنفُذُونَ﴾ لا تقدرون على النفوذ ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ إلا بقوة وقهر، وأنى لكم ذلك، أو إن قدرتم أن تنفذوا لتعلموا ما في السمٰوات والأرض ﴿لَا تَنفُذُونَ﴾ لتعلموا لكن ﴿فَٱنفُذُوا۟﴾ ولا تعلمون إلا ببينة نصبها الله تعالى فتعرجون عليها بأفكاركم.

﴿٣٤﴾ - ﴿٣٦﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ أي: من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة، أو مما نصب من المصاعد العقلية

۞ ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾﴾.

والمعارج النقلية فتنفذون بها إلى ما فوق السمٰوات العلا. ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ﴾ لهب ﴿مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ ودخان **قال**:

تُضِيءُ كَضَوْءِ السِرَاجِ السَّلِيـ ... ـطِ لَمْ يَجْعَلِ اللّٰه فِيهِ نُحَاساً

أو صفر مذاب يصب على رؤوسهم، وقرأ ابن كثير: (شِواظٌ) بالكسر وهو لغة وَ(نُحاسٍ) بالجر عطفاً على (نارٍ)، ووافقه فيه أبو عمرو ويعقوب في رواية، وقرئ: (ونُحُس) وهو جمع كـ(لحف). ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ فلا تمتنعان. ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن التهديد لطف، والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار في عداد الآلاء.

﴿٣٧﴾ ـ ﴿٤٠﴾ ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾؛ أي: حمراء كوردة، وقرئت بالرفع على (كان) التامة فيكون من باب التجريد كقوله:

وَلَئِنْ بَقِيتُ لأَرْحَلَنَّ بِغَزْوَةٍ ... نحوِ الغَنَائِمِ أَوْ يَمُوتَ كَرِيمُ

[قال:

تُضِيءُ كَضَوْءِ السِرَاجِ السَّلِيطِ ....]

أي: الزيت [لَمْ يَجْعَلِ الله فيهِ]؛ أي: في السليط [نحاساً][1]؛ أي: دخاناً [أو صفر] عطف على «دخان»؛ أي: النحاس: دخان، أو صفر إلى آخره [وقرأ ابن كثير «شِواظ» بالكسر]؛ أي: بكسر الشين [وقرئت بالرفع على «كان» التامة] بمعنى: فحصلت سماء وردة **كقوله**:

[فَلَئِنْ بَقِيتُ ....]

أي: أنا [لأَرْحَلَنَّ بِغَزْوَةٍ تَحوِي الغَنَائِم] في نسخ نحو الغنائم [أَوْ يَمُوتَ كَرِيمُ][2]؛

---

(١) الصحاح، الجوهري [١٢٦/٥].

(٢) انظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، العباسي [ص٢٤١].

۞ ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ مذابة كالدهن، وهو اسم لما يدهن به كالحزام، أو جمع: (دهن) وقيل: هو الأديم الأحمر. ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ أي: مما يكون بعد ذلك. ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: فيوم تنشق السماء. ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ لأنهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون إلى الموقف، ذوداً ذوداً على اختلاف مراتبهم، وأما قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾ [الحجر: ٩٢] ونحوه فحين يحاسبون في المجمع، والهاء للإنس باعتبار اللفظ فإنه وإن تأخر لفظاً تقدم رتبة. ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ أي: مما أنعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم.

﴿٤١﴾ - ﴿٤٦﴾ ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ مجموعاً بينهما، وقيل: يؤخذون بِالنَّواصِي تارة، وبالْأَقْدام أُخْرَى. ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾ بين النار يحرقون بها. ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ماء حار ﴿ءَانٍ﴾ بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم، أو يسقون منه، وقيل: إذا استغاثوا من النار أغيثوا بالحميم. ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب، أو قيامه على أحواله من: (قام عليه) إذا راقبه، أو مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين فأضيف إلى (الربّ) تفخيماً وتهويلاً، أو (ربه) و(مَقامَ) مقحم للمبالغة كقوله:

أي: كان حقه أن يقول: أو «أموتُ كريماً» حتى يكون له ذكر إلّا أنه علم بنحْوي الكلام أنه لا يريد كريماً غيره.

[مذابة كالدهن]؛ أي: وردة مذابة كالدهن [والهاء للإنس] حقه أن يقول: لكلٍّ

۞ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾.

ذَعَرْتُ بِهِ القَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامَ الذِّئْبِ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ

﴿جَنَّتَانِ﴾ جنة للخائف الإنسي والأُخْرَى للخائف الجني؛ فإن الخطاب للفريقين، والمعنى: لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته وأُخْرَى لعمله، أو جنة لفعل الطاعات وأُخْرَى لترك المعاصي، أو جنة يثاب بها وأُخْرَى يتفضل بها عليه، أو روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مُثَنّى بعد.

﴿٤٧﴾ ـ ﴿٥٠﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ أنواع من الأشجار والثمار جمع: (فِنْ)، أو أغصان جمع: (فنن) وهي الغصنة التي تتشعب من فرع الشجرة، وتخصيصها بالذكر؛ لأنها التي تورق وتثمر وتمد الظل. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ حيث شاؤوا في الأعالي والأسافل. قيل: إحداهما «التسنيم» والأُخْرَى «السلسبيل».

﴿٥١﴾ ـ ﴿٥٤﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ صنفان: غريب ومعروف، أو رطب ويابس. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ﴾ من ديباج ثخين، وإذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر، و(مُتَّكِئِينَ) مدح للخائفين أو حال منهم؛ لأنّ (من خاف) في معنى الجمع. ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ قريب يناله القاعد والمضطجع، وَ(جَنَى) اسم بمعنى (مجنى) وقرئ بكسر الجيم.

﴿٥٥﴾ ـ ﴿٥٨﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ﴾ في الجنان؛ فإن

مِن الإنس والجن، لكنه اقتصر على المعطوف عليه؛ لأنه الأصل [وهي الغصنة]

۞ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾.

(جنتان) يدل على جنان هي للخائفين، أو فيما فيهما من الأماكن والقصور، أو في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش. ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن. ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ لم يمس الإنسيات إنس ولا الجنيات جنّ، وفيه دليل على أن الجن يطمثون. وقرأ الكسائي بضم الميم. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾؛ أي: وحمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما.

﴿٥٩﴾ - ﴿٦١﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ في العمل. ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ في الثواب وهو الجنة. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿٦٢﴾ - ﴿٦٥﴾ ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جَنَّتانِ لمن دونهم من أصحاب اليمين. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ﴾ خضراوان تضربان إلى السواد من شدة الخضرة، وفيه إشعار بأن الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الأرض، وعلى الأوليين الأشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿٦٦﴾ - ﴿٦٩﴾ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ فوّارتان بالماء، هو أيضاً أقل مما وصف به الأوليين وكذا ما بعده. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ عطفهما على الفاكهة بياناً لفضلهما، فإن ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء، واحتج به أبو حنيفة على أن من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رطباً أو رماناً لم يحنث. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

بوزن العنبة [أو فيما فيهما] هو مع ما بعده عطف على «ما في الجنان»

۞ ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى
ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾.

﴿٧٠﴾ ـ ﴿٧٤﴾ ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ﴾؛ أي: خيرات؛ فخففت لأن خيراً الذي بمعنى (أخير) لا يجمع، وقد قرئ على الأصل. ﴿حِسَانٌ﴾ حسان الخَلْق والخُلُق.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ قصرن في خدورهن، يقال: امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة؛ أي: مخدرة، أو مقصورات الطرف على أزواجهن. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ كحور الأولين وهم أصحاب الجنتين؛ فإنهما يدلان عليهم.

﴿٧٥﴾ ـ ﴿٧٨﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ وسائد أو نمارق جمع رفرفة. وقيل: (الرفرف) ضرب من البسط أو ذيل الخيمة، وقد يقال لكل ثوب عريض. ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ (العبقري): منسوب إلى عبقر، تزعم العرب أنه اسم بلد للجنّ فينسبون إليه كل شيء عجيب، والمراد به الجنس ولذلك جمع: (حِسانٍ) حملاً على المعنى. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ تعالى اسمه من حيث إنه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته، وقيل: الإسم بمعنى الصفة، أو مقحم كما في قوله: (إلى الحولِ ثُم اسمُ السَّلَام عَلَيْكُمَا) ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم.

عن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة (الرحمٰن) أدى شكر ما أنعم الله تعالى عليه»**.

[كحور الأولين]؛ أي: الجنتين الأوليين [وهم]؛ أي: ضمير هم في قوله قبله لأصحاب الجنتين، وفي نسخة: وهم أصحاب الجنتين. [«من قرأ سورة الرحمٰن ﷻ..»] إلى آخره، موضوع[١].

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/٣٩٩/ برقم: ١٢٨٤].

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

(٥٦) مكية، وآيها تسع وتسعون آية

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - (٣) ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ إذا حدثت القيامة، سماها واقعة لتحقق وقوعها، وانتصاب (إذا) بمحذوف مثل (اذكر) أو كان كيت وكيت. ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾؛ أي: لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله، أو تكذب في نفسها كما تكذب الآن. و(اللام) مثلها في قوله: ﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤] أو ليس لأحد في وقعتها كاذبة؛ فإن من أخبر عنها صدق، أو ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها بإطاقة شدتها، واحتمالها وتغريه عليها من قولهم: كذبت فلاناً نفسه في الخطب العظيم، إذا شجعته عليه وسولت له أنه يطيقه. ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ تخفض قوماً وترفع آخرين، وهو تقرير لعظمتها فإن الوقائع العظام كذلك، أو بيان لما يكون حينئذ من خفض أعداء الله ورفع أوليائه، أو إزالة الأجرام عن محازها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو، وقرئتا بالنصب على الحال.

(٤) - (٧) ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ حركت تحريكاً شديداً بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل، والظرف متعلق بـ(خافِضَةٌ) أو بدل من (إذا

[واللام مثلها في ﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]]؛ أي: وقت حياتي، وهذه اللام «لام التاريخ» كما في قولهم: «كتبت لخمس خلون من كذا» [أو ليس لأحد] عطف على «لا يكون» [والظرف متعلق بـ﴿خَافِضَةٌ﴾ [الواقعة: ٣]]؛ أي: بـ«خافضة رافعة

۞ ﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

وَقَعَتِ). ﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا﴾؛ أي: فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من: (بس السويق إذا لته)، أو سيقت وسيرت من: (بس الغنم) إذا ساقها، ﴿فَكَانَتۡ هَبَآءٗ﴾ غباراً ﴿مُّنۢبَثّٗا﴾ منتشراً ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ أصنافاً. ﴿ثَلَٰثَةٗ﴾ وكل صنف يكون، أو يذكر مع صنف آخر زوج.

﴿٨﴾ ـ ﴿٩﴾ ﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ فأصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية؛ من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل، أو أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ وأَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم، أو أصحاب اليمن والشؤم؛ فإن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم. والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما بإقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين.

﴿١٠﴾ ـ ﴿١٢﴾ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ إلى الإيمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان، أو سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات، أو الأنبياء فإنهم مقدّمو أهل الأديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول أبي النجم: (أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي)

«وعبارة «الكشاف»: ويجوز أن ينتصب بـ«خافضة رافعة»؛ أي: تخفض وترفع وقت رَجِّ الأرض وبسِّ الجبال[1] [فهم مقدموا أهل الأديان] في نسخة: «فإنهم مقدموا أهل الأديان»، على النسختين هو تعليل لما قبله، وخبر المبتدأ هو [هم الذين عرفت] إلى آخره [كقول أبي النجم:

.... وَشِـــــعْـــــرِي شِـــــعْـــــرِي]

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٤٤٥].

۞ ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾.

أو الذين سبقوا إلى الجنة ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ الذين قربت درجاتهم في الجنة وأعليت مراتبهم.

﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾؛ أي: هم كثير من الأولين؛ يعني: الأمم السالفة من لدن آدم إلى محمد ﷺ. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾؛ يعني: أمة محمد ﷺ ولا يخالف ذلك قوله ﷺ: «**إن أمتي يكثرون سائر الأمم**». لجواز أن يكون سابقو سائر الأمم أكثر من سابقي هذه الأمة، وتابعو هذه أكثر من تابعيهم، ولا يردّه قوله في أصحاب اليمين: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩، ٤٠] . لأن كثرة الفريقين لا تنافي أكثرية أحدهما، وروي مرفوعاً: أنهما من هذه الأمة. واشتقاقها من: (الثل) وهو القطع.

﴿١٥﴾ - ﴿١٩﴾ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ خبر آخر للضمير المحذوف، و(المَوْضُونَةِ): المنسوجة بالذهب مشبكة بالدرّ والياقوت، أو المتواصلة من: (الوضن) وهو نسج الدرع. ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ حالان من الضمير في (على) ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة. ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ مبقون أبداً على هيئة

صدره:

أَنَـــا أَبُـــو الـــنَـــجْـــم ....

يعني: أنا ذلك المعروف الموصوف بالكمال، وشعري هو شعري الموصوف بالفصاحة والبلاغة [أو الذين سبقوا] عطف على «الذين عرفت» [وروي مرفوعاً: «أنهما من هذه الأمة..»] رواه الطبراني[(١)]، وغيره.

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني [١٠/٥/برقم: ٩٧٦٥].

﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١ وَحُورٌ عِينٞ ٢٢ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ٢٣ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ٢٦ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠﴾.

الولدان وطراوتهم. ﴿بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ﴾ حال الشرب وغيره، و(الكوب): إناء بلا عروة ولا خرطوم له، و(الإبريق) إناء له ذلك. ﴿وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ﴾ من خمر ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا﴾ بخمار ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ ولا تنزف عقولهم، أو لا ينفد شرابهم. وقرأ الكوفيون بكسر الزاي وقرئ: (لا يَصَّدَّعُونَ)؛ بمعنى: لا يتصدعون؛ أي: لا يتفرقون.

٢٠ ـ ٢٤ ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾؛ أي: يختارون. ﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾ يتمنون ﴿وَحُورٌ عِينٞ﴾ عطف على (وِلْدانٌ)، أو مبتدأ محذوف الخبر؛ أي: وفيها أو: ولهم حور، وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفاً على (جَنَّاتِ) بتقدير مضاف؛ أي: هم في جنات ومصاحبة حور، أو على أكواب لأن معنى: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكۡوَابٖ﴾ [الواقعة: ١٧، ١٨] ينعمون بأكواب، وقرئتا بالنصب على: ويؤتون حوراً. ﴿كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ﴾ المصون عما يضربه في الصفاء والنقاء. ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾؛ أي: يفعل ذلك كله بهم جزاء بأعمالهم.

٢٥ ـ ٢٦ ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا﴾ باطلاً ﴿وَلَا تَأۡثِيمًا﴾ ولا نسبة إلى الإثم؛ أي: لا يقال لهم أثمتم ﴿إِلَّا قِيلٗا﴾؛ أي: قولاً. ﴿سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾ بدل من: (قِيلاً) كقوله: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ﴾ [مريم: ٦٢] أو صفته، أو مفعوله؛ بمعنى: إلا أن يقولوا: سلاماً، أو مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم. وقرئ: (سلامٌ سلام) على الحكاية.

٢٧ ـ ٣٠ ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ﴾ لا شوك فيه؛ من: (خضد الشوك) إذا قطعه، أو مثني أغصانه من كثرة حمله،

۞ ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾.

من: (خضد الغصن) إذا ثناه وهو رطب. ﴿وَطَلْحٍ﴾ وشجر موز، أو أم غيلان، وله أنوار كثيرة طيبة الرائحة، وقرئ بالعين. ﴿مَّنضُودٍ﴾ نضد حمله من أسفله إلى أعلاه. ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت.

﴿٣١﴾ ـ ﴿٣٣﴾ ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ يسكب لهم أين شاؤوا وكيف شاؤوا بلا تعب، أو مصبوب سائل كأنه لما شبه حال السابقين في التنعم بأكمل ما يتصور لأهل المدن، شبه حال أصحاب اليمين بأكمل ما يتمناه أهل البوادي إشعاراً بالتفاوت بين الحالين. ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ كثيرة الأجناس ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ لا تنقطع في وقت ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ لا تمنع عن متناولها بوجه.

﴿٣٤﴾ ـ ﴿٣٧﴾ ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ رفيعة القدر أو منضدة مرتفعة. وقيل: الفرش النساء وارتفاعها أنها على الأرائك، ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾؛ أي: ابتدأناهن ابتداء جديداً من غير ولادة إبداء أو إعادة. وفي الحديث: «**هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطاً رمصاً، جعلهن الله بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً**». ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ متحببات إلى أزواجهن جمع: (عروب)، وَسَكَّنَ راءه حمزة وأبو بكر وروي عن نافع وعاصم مثله. ﴿أَتْرَابًا﴾ فإن كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا أزواجهن.

﴿٣٨﴾ ـ ﴿٤٠﴾ ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ متعلق بـ(أَنْشَأْنا) أو (جعلنا)، أو صفة لـ(أبْكاراً) أو (أتراباً) أو خبر لمحذوف مثل (هنَّ) أو لقوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ وهي على الوجوه الأول خبر محذوف.

﴿٤١﴾ ـ ﴿٤٤﴾ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ﴾ في حرِّ نار

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

ينفذ في المُسام. ﴿وَحَمِيمٍ﴾ وماء مُتَنَاهٍ في الحرارة. ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ من دخان أسود (يفعول) من: (الحممة). ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ كسائر الظل. ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ ولا نافع؛ نفى بذلك ما أوهم الظل من الاسترواح.

﴿٤٥﴾ ـ ﴿٤٦﴾ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ منهمكين في الشهوات. ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الذنب العظيم؛ يعني: الشرك، ومنه: (بلغ الغلام الحنث)؛ أي: الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب، وحنث في يمينه خلاف برَّ فيها، وتحنّث إذا تأثّم.

﴿٤٧﴾ ـ ﴿٥٠﴾ ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ كررت الهمزة للدلالة على إنكار البعث مطلقاً، وخصوصاً في هذا الوقت كما دخلت العاطفة في قوله: ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ للدلالة على أن ذلك أشد إنكاراً في حقهم؛ لتقادم زمانهم، وللفصل بها حسن العطف على المستكن في (لَمَبْعُوثُونَ)، وقرأ نافع وابن عامر (أَوْ) بالسكون وقد سبق مثله، والعامل في الظرف ما دل عليه (مبعوثون) لا هو للفصل بـ(أن) و(الهمزة). ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ﴾. وقرئ: (لمجمعون). ﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ إلى ما وقت به الدنيا وحدت من يوم معيّن عند الله معلوم له.

﴿٥١﴾ ـ ﴿٥٣﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾؛ أي: بالبعث والخطاب لأهل مكة وأضرابهم. ﴿لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ (مِنْ) الأولى للابتداء، والثانية للبيان. ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ من شدة الجوع.

[وحنث في يمينه] عطف على «بلغ الغلام» **قال ذو الرمّة:**

۞ ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿٥٤﴾ - ﴿٥٦﴾ ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ﴾ لغلبة العطش، وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في (عَلَيْهِ) على معنى واللفظ، وقرئ: (من شجرة) فيكون التذكير للـ(الزَّقُّوم) فإنه تفسيرها. ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ﴾ الإبل التي بها (الهيام): وهو داء يشبه الاستسقاء، جمع: (أهيم وهيماء) قال ذو الرمة:

فَأَصْبَحَّتُ كَالهَيْمَاءِ لَا المَاءُ مُبْرِدٌ صَدَاهَا وَلَا يَقْضِي عَلَيْهَا هُيَامُهَا

وقيل: (الهيم): الرمال، على أنه جمع: (هيام) بالفتح وهو الرمل الذي لا تتماسك جُمِعَ على (هيم) كـ(سحب)، ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع (أبيض) وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر من وجه فلا اتحاد، وقرأ نافع وحمزة وعاصم: (شُرْبَ) بضم الشين. ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم، وفيه تهكم كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] لأن (النزل): ما يعد للنازل تكرمة له، وقرئ: (نُزْلُهم) بالتخفيف.

﴿٥٧﴾ - ﴿٥٩﴾ ﴿نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ﴾ بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالأعمال الدالة عليه، أو بالبعث فإن من قدر على الإبداء قدر على الإعادة. ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ﴾؛ أي: ما تقذفونه في الأرحام من النطف. وقرئ بفتح التاء من: (منى النطفة)؛ بمعنى: أمناها. ﴿ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ﴾ تجعلونه بشراً سوياً. ﴿أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ .

﴿٦٠﴾ - ﴿٦٢﴾ ﴿نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ﴾ قسمناه عليكم وأقّتنا موت كل

[فَأَصْبَحتُ كَالْهيمَاءِ لَا الماءُ مُبْرِدٌ صَدَاهَا.........................]

أي: عطشها [وَلَا يَقضِي عَلَيْهَا هيَامُهَا]؛ أي: ولا يقتلها العطش [أو بالبعث]

۞ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

بوقت معين، وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ لا يسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته، أو لا يغلبنا أحد من سبقته على كذا إذا غلبته عليه. ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ على الأول حال أو علة لـ(قَدَّرْنا) وعلى بمعنى: (اللام) ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ اعتراض وعلى الثاني صلة، والمعنى على أن نبدل منكم أشباهكم فنخلق بدلكم، أو نبدل صفاتكم على أن أمثالكم جمع: (مثل) ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ في خلق أو صفات لا تعلمونها. ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أن من قدر عليها قدر على النشأة الأُخْرَى؛ فإنها أقل صنعاً لحصول المواد وتخصيص الأجزاء وسبق المثال، وفيه دليل على صحة القياس.

﴿٦٣﴾ ـ ﴿٦٧﴾ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ تبذرون حبه. ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ تنبتونه. ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ المنبتون ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ هشيماً ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ تعجبون أو تندمون على اجتهادكم فيه، أو على ما أصبتم لأجله من المعاصي فتتحدثون فيه، و(التفكه): التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث، وقرئ: (فَظِلْتُمْ) بالكسر و(فَظَلِلْتُم) على الأصل. ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ لملزمون غرامة ما أنفقنا، أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام، وقرأ أبو بكر: (أإنا) على الاستفهام. ﴿بَلْ نَحْنُ﴾ قوم ﴿مَحْرُومُونَ﴾ حرمنا رزقنا، أو محدودون لا مجدودون.

﴿٦٨﴾ ـ ﴿٧٠﴾ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾؛ أي: العذب الصالح

عطف على «بالخلق» [على الأول] وهو لا يسبقنا أحد [وعلى الثاني]؛ أي: وهو أو لا يغلبنا [محدودون لا مجدودون]؛ أي: لا مقطعون أصلاً ولا رأساً بزعمهم.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾.

للشرب. ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ من السحاب واحده (مزنة)، وقيل: (الْمُزْنِ): السحاب الأبيض وماؤه أعذب. ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ بقدرتنا، والرؤية إن كانت بمعنى العلم فمتعلقة بالاستفهام. ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ ملحاً، أو من الأجيج فإنه يحرق الفم. وحذف (اللام) الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه؛ لعلم السامع بمكانها، أو الاكتفاء بسبق ذكرها أو تخصيص ما يقصد لذاته، ويكون أهم، وفقده أصعب بمزيد التأكيد. ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أمثال هذه النعم الضرورية.

﴿٧١﴾ - ﴿٧٤﴾ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ تقدحون ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾؛ يعني: الشجرة التي منها الزناد. ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا﴾ جعلنا نار الزناد. ﴿تَذْكِرَةً﴾ تبصرة في أمر البعث كما مرَّ في سورة (يس)، أو في الظلام أو تذكيراً وأنموذجاً لنار جهنم. ﴿وَمَتَٰعًا﴾ ومنفعة ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ الذين ينزلون القواء وهي القفر، أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام، من: (أقوت الدار) إذا خلت من ساكنيها. ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ فأحدث التسبيح بذكر اسمه، أو بذكره؛ فإن إطلاق اسم الشيء ذكره،

[بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه] ما يتمحض للشرط هو «ماء»، وما يتضمن معناه «نشاء» **[بمكانه]**؛ أي: بمكان المحذوف وهو اللام ولو قال بمكانها كان أنسب بكلامه[1] **[أو الاكتفاء بسبق ذكرها]**؛ أي: في قوله تعالى: ﴿لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ [الواقعة: ٦٥] ثم أشار إلى حكمة ذكرها في الأول دون الثاني بقوله: **[ويختص]**؛ أي: بـ«ذكرها» **[ما يقصد لذاته]** وهو المأكول **[ويكون أهم]**؛ أي: من الشرب **[وفقده أصعب]**؛ أي: من فقد الشرب **[لمزيد التأكيد]**؛ أي: فيما يقصد لذاته.

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٦/١٧].

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾.

و(العظيم) صفة للاسم أو (الربّ)، وتعقيب الأمر بالتسبيح؛ لما عدد من بدائع صنعه وإنعامه؛ إما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته، الكافرون لنعمته. أو للتعجب من أمرهم في غمط نِعَمِه، أو للشكر على ما عدها من النعم.

۝٧٥ ـ ۝٧٦ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم، أو فأقسم و(لا) مزيدة للتأكيد كما في قوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ [الحديد: ٢٩] أو فلأنا أقسم؛ فحذف المبتدأ وأشبع فتحةَ لام الابتداء، ويدل عليه قراءة (فلأقسم) أو (فلا) رد لكلام يخالف المقسم عليه. ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ بمساقطها، وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال أثرها، والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تأثيره، أو بمنازلها ومجاريها. وقيل: النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها، وقرأ حمزة والكسائي: (بموقع). ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة، وكمال الحكمة، وفرط الرحمة، ومن مقتضيات رحمته أن لا يترك عباده سدى، وهو اعتراض في اعتراض؛ فإنه اعتراض بين القسم والمقسم عليه، (ولَوْ تَعْلَمُونَ) اعتراض بين الموصوف والصفة.

۝٧٧ ـ ۝٨٠ ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة في إصلاح المعاش والمعاد، أو حسن مرضي في جنسه. ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ مصون وهو اللوح ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ لا يطلع على اللوح إلا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة، أو لا يمس القرآن إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ من الأحداث؛ فيكون نفياً بمعنى النهي، أو لا يطلبه إِلَّا

[أو فلا رد لكلام] لام الكلام زائدة.

۞ ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

الْمُطَهَّرُونَ منَ الكفر، وقرئ: (المتَطَهِّرُونَ) و(المُطَّهِّرُون) من أطهره بمعنى: طهره و(المُطَهِّرُون)؛ أي: أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم والإلهام. ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ صفة ثالثة أو رابعة للقرآن، وهو مصدر نعت به، وقرئ بالنصب؛ أي: نُزِّلَ تنزيلاً.

﴿٨١﴾ - ﴿٨٢﴾ ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾؛ يعني: القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ متهاونون به كمن يدهن في الأمر؛ أي: يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به. ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾؛ أي: شكر رزقكم. ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾؛ أي: بمانحه حيث تنسبونه إلى الأنواء، وقرئ: (شُكْرَكُم)؛ أي: وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به، أو تَكْذِبون؛ أي: بقولكم في القرآن أنه سحر وشعر، أو في المطر أنه من الأنواء.

﴿٨٣﴾ - ﴿٨٥﴾ ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾؛ أي: النفس. ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ حالكم، والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ بقدرتنا وعلمنا أو ملائكة الموت؛ أي: ونحن أعلم بحال المحتضر. ﴿مِنكُمْ﴾ عبّر عن العلم بالقرب الذي هو أقوى سبب الاطلاع. ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ لا تدركون كنه ما يجري عليه.

﴿٨٦﴾ - ﴿٨٧﴾ ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾؛ أي: مجزيين يوم القيامة، أو مملوكين مقهورين، من: (دانه) إذا أذله واستعبده، وأصل التركيب للذل والانقياد. ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ ترجعون النفس إلى مقرها. وهو عامل الظرف والمحضض عليه بـ(لولا) الأولى، والثانية تكرير للتوكيد، وهي بما في حيزها دليل جواب الشرط. والمعنى: إن كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم أفعال الله وتكذيبكم بآياته. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في

۞ ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

أباطيلكم فَلَوْلا ترجعون الأرواح إلى الأبدان بعد بلوغها الحلقوم.

﴿٨٨﴾ ـ ﴿٩١﴾ ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾؛ أي: إن كان المتوفى من السابقين. ﴿فَرَوْحٌ﴾ فله استراحة. وقرئ: (فَرُوْحٌ) بالضم، وفسّر بالرحمة؛ لأنها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ ورزق طيب ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ ذات تنعم ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾ يا صاحب اليمين ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾؛ أي: من إخوانك يسلمون عليك.

﴿٩٢﴾ ـ ﴿٩٤﴾ ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ يعني: أصحاب الشمال. وإنما وصفهم بأفعالهم زجراً عنها وإشعاراً بما أوجب لهم ما أوعدهم به. ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ وذلك ما يجد في القبر من سموم النار ودخانها.

﴿٩٥﴾ ـ ﴿٩٦﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾؛ أي: الذي ذكر في السورة، أو في شأن الفرق. ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾؛ أي: حق الخبر اليقين. ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمه شأنه.

عن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة (الواقعة) في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً»**.

[«**من قرأ سورة الواقعة..**»] إلى آخره رواه البيهقي(١)، وغيره.



(١) شعب الإيمان، البيهقي [٢/ ٤٩١/ برقم: ٢٤٩٧].

سُورَةُ الحَدِيدِ

(٥٧) مدنية، وقيل: مكية، وآيها تسع وعشرون آية

۞ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى
ٱلْعَرْشِۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ
مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) - (٢) ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ ذكر هٰهنا وفي (الحشر) و(الصف) بلفظ الماضي، وفي (الجمعة) و(التغابن) بلفظ المضارع إشعاراً بأن من شأن ما أسند إليه أن يسبحه في جميع أوقاته؛ لأنه دلالة جِبلِّية لا تختلف باختلاف الحالات، ومجيء المصدر مطلقاً في (بني إسرائيل) أبلغ من حيث إنه يشعر بإطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال، وإنما عدّي باللام وهو متعدّى بنفسه مثل: (نصحت له) في: (نصحته) إشعاراً بأن إيقاع الفعل لأجل الله، وخالصاً لوجهه. ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح. ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ فإنه الموجد لهما والمتصرف فيهما. ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾ استئناف أو خبر لمحذوف أو حال من المجرور في له. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الإحياء والإماتة وغيرهما. ﴿قَدِيرٌ﴾ تام القدرة.

(٣) - (٤) ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ السابق على سائر الموجودات؛ من حيث إنه موجدها ومحدثها. ﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾ الباقي بعد فنائها ولو بالنظر إلى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها، أو هُوَ الأَوَّلُ الذي تبتدئ منه الأسباب وتنتهي إليه

۞ ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٦ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾.

المسببات، أو الْأَوَّلُ خارجاً والآخِرُ ذهناً. ﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول، أو الغالب على كل شيء والعالم بباطنه. والواو الأولى والأخيرة للجمع بين الوصفين، والمتوسطة للجمع بين المجموعين. ﴿وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ يستوي عنده الظاهر والخفي. ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كالبذور. ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالزروع. ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كالأمطار ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ كالأبخرة. ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم عليه، ولعل تقديم الخلق على العلم لأنه دليل عليه.

﴿٥﴾ ـ ﴿٦﴾ ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ذكره مع الإعادة كما ذكره مع كالإبداء؛ لأنه كالمقدمة لهما. ﴿وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بمكنوناتها.

﴿٧﴾ ـ ﴿٨﴾ ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ من الأموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم، أو التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها والتصرف فيها، وفيه حث على الإنفاق وتهوين له على النفس. ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية وإعادة ذكر الإيمان والإنفاق، وبناء الحكم على الضمير، وتنكير الأجر ووصفه بالكبر. ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك: ما لك قائماً؟! ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ﴾ حال من ضمير (لا تؤمنون)، والمعنى: أيُّ عذر لكم

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾.

في ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه بالحجج والآيات. ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ﴾؛ أي: وقد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان قبل، وذلك بنصب الأدلة والتمكين من النظر، والواو للحال من مفعول (يدعو)، وقرأ أبو عمرو على البناء للمفعول ورفع (مِيثاقُكُمْ). ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لموجب ما فإن هذا موجب لا مزيد عليه.

﴿٩﴾ - ﴿١٠﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم﴾؛ أي: الله أو العبد. ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث نبهكم بالرسول والآيات، ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية. ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟﴾ وأي شيء لكم في ألَّا تُنْفِقُوا. ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فيما يكون قربة إليه. ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يرث كل شيء فيهما فلا يبقى لأحد مال، وإذا كان كذلك فإنفاقه بحيث يستخلف عوضاً يبقى وهو الثواب كان أولى. ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ﴾ بيان لتفاوت المنفقين باختلاف أحوالهم من السبق وقوة اليقين، وتحري الحاجات حثاً على تحري الأفضل منها بعد الحث على الإنفاق، وذكر القتال للاستطراد، وقسيم من أنفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه، و(الْفَتْحِ): فتح مكة إذ عزَّ الإسلام به وكثر أهله، وقلّت الحاجة إلى المقاتلة والإنفاق. ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟﴾؛ أي: من بعد الفتح ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: وعد الله كلاً من المنفقين المثوبة

[فإن هذا]؛ أي: أخذ الميثاق.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾.

الحسنى وهي الجنة. وقرأ ابن عامر: (وكُلٌّ) بالرفع على الابتداء؛ أي: وكل وعده الله؛ ليطابق ما عطف عليه. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه. والآية نزلت في أبي بكر؛ فإنه أول من آمن وأنفق في سبيل الله، وخاصم الكفار حتى ضُرِبَ ضرباً أشرف به على الهلاك.

﴿١١﴾ ـ ﴿١٢﴾ ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ من ذا الذي ينفق ماله في سبيله رجاء أن يعوضه؛ فإنه كمن يقرضه. وحسن الإنفاق بالإخلاص فيه وتحري أكرم المال وأفضل الجهات له. ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾؛ أي: يعطي أجره أضعافاً. ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾؛ أي: وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه ينبغي أن يتوخى وإن لم يضاعف، فكيف وقد يضاعف أضعافاً. وقرأ عاصم: (فَيُضاعِفَهُ) بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكأنه قال: (أيقرض الله أحد فيضاعفه له). وقرأ ابن كثير: (فَيُضَعِّفُهُ) مرفوعاً، وقرأ ابن عامر ويعقوب: (فَيُضَعِّفَهُ) منصوباً. ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ ظرف لقوله: ﴿وَلَهُۥٓ﴾ أو ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ أو مقدر بـ(اذكر) ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ ما يوجب نجاتهم وهدايتهم إلى الجنة. ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين. ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾؛ أي: يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة: بُشْراكُمْ أي: المبشر به جنات، أو: بُشْراكُمْ دخول جنات. ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة.

﴿١٣﴾ ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ﴾ بدل من (يَوْمَ تَرَى). ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

انظُرُونَا﴾ انتظرونا؛ فإنهم يسرع بهم إلى الجنة كالبرق الخاطف، أو: انظروا إلينا فإنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم، فيستضيئون بنور بين أيديهم. وقرأ حمزة: (أَنْظِرُونَا) على أن اتئادهم ليلحقوا بهم إمهال لهم. ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ نصب منه. ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ إلى الدنيا. ﴿فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ بتحصيل المعارف الإلٰهية والأخلاق الفاضلة، فإنه يتولد منها أو إلى الموقف فإنه مِنْ ثَمَّ يُقْتَبَس، أو إلى حيث شئتم فاطلبوا نوراً آخر فإنه لا سبيل لكم إلى هذا، وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين أو الملائكة ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾ بين المؤمنين والمنافقين. ﴿بِسُورٍ﴾ بحائط ﴿لَّهُ بَابٌ﴾ يدخل منه المؤمنون ﴿بَاطِنُهُ﴾ باطن السور أو الباب. ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ لأنه يلي الجنة. ﴿وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ من جهته لأنه يلي النار.

﴿١٤﴾ - ﴿١٥﴾ ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ يريدون موافقتهم في الظاهر. ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ بالنفاق ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ وشككتم في الدين. ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ كامتداد العمر ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وهو الموت ﴿وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ الشيطان أو الدنيا. ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ فداء وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء. ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ظاهراً وباطناً. ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ هي أولى بكم كقول لبيد:

فَغَدَتْ كِلَا الفَرْجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّه   مَوْلَى المَخَافَةِ خَلْفُهَا وَأمامُها

[كقول لبيد:

فَغدَتْ كِلَا الفَرْجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ   مَوْلَى المَخَافَةِ خَلْفُها وأمامُها][1]

---

(١) الكتاب، سيبويه [١/ ٤٠٧].

۞ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾.

وحقيقته محراكم؛ أي: مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم كقولك: هو مئنة الكرم؛ أي: مكان قول القائل إنه لكريم، أو مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب، أو ناصركم على طريقة قوله: (تحِيَّةُ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ). أو متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها في الدنيا. ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ النار.

﴿١٦﴾ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ألم يأت وقته، يقال: (أنى الأمر يأني أنيا، وأنا، وأناء) إذا جاء إناه، وقرئ بكسر الهمزة وسكون النون من: (آن يئين) بمعنى: أنى أتى و(ألما يأن) روي: أن المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة، ففتروا عما كانوا عليه فنزلت. ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: القرآن؛ وهو عطف على الذكر عطف أحد الوصفين على الآخر، ويجوز أن يراد بالذكر أن يذكر الله، وقرأ نافع وحفص ويعقوب: (نَزَلَ) بالتخفيف. وقرئ: (أَنْزَلَ). ﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ عطف على (تَخْشَعَ)، وقرأ رويس بالتاء والمراد النهي عن مماثلة أهل الكتاب فيما حكي عنهم بقوله: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛

يصف بقرة وحشية نفرت من صوت الصائد، ولم تقف لينظر أن قاصدها خلفها أم أمامها، قعدت فزعة مذعورة لا تعرف منجاها من مهلكها، والفرجين الجانبين، وهو الخلف والقدام؛ أي: غدت على حالة كِلا جانبيها مخوف، وضمير أنه لـ«كِلا»؛ لأنه مفرد لفظاً، والشاهد في (مَولَى المخافَة) قولاً بمعنى: أولا **[وحقيقته]**؛ أي: في الآية **[محراكم]**؛ أي: بحاء مهملة وراء[1] **[أو مكانكم]** هو وما بعده **عطف على** «أوليائكم» **[بمعنى: «آتى»]**؛ أي: بالمد ومضارعه «يأتي».

---

(١) انظر: المحيط في اللغة، ابن عباد [٤/ ٤٠].

۞ ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾.

أي: فطال عليهم الزمان بطول أعمارهم وآمالهم، أو ما بينهم وبين أنبيائهم فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ. وقرئ: (الأَمَدّ) وهو الوقت الأطول. ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة.

﴿١٧﴾ ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة بالإحياء والإموات ترغيباً في الخشوع، وزجراً عن القساوة. ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ كي تكمل عقولكم.

﴿١٨﴾ ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ إن المتصدقين والمتصدقات. وقد قرئ بهما، وقرأ ابن كثير وأبو بكر بتخفيف الصاد؛ أي: الذين صدقوا الله ورسوله. ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لأن معناه: الذين أصدقوا، أو صدّقوا؛ وهو على الأول للدلالة على أن المعتبر هو التصدق المقرون بالإخلاص. ﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ معناه والقراءة في (يُضاعَفُ) كما مرّ غير أنه لم يجزم لأنه خبر (إن) وهو مسند إلى (لَهُمْ) أو إلى ضمير المصدر.

﴿١٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: أولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء، أو هم المبالغون في الصدق فإنهم آمنوا وصدقوا جميع أخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم، أو على الأمم يوم القيامة. وقيل: وَالشُّهَداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ مبتدأ وخبر،

[معناه] مبتدأ [والقراءة في يضاعف] عطف عليه [ما مَرّ] خبر المبتدأ [غير أنه لم يجزم] قضيته أنه يجزم فيما مرّ، ولم يذكر ثم [أو الأمم] عطف على «لله

۞ ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾.

والمراد به الأنبياء من قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١] أو الذين استشهدوا في سبيل الله. ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ﴾ مثل أجر الصديقين والشهداء، ومثل نورهم ولكنه من غير تضعيف ليحل التفاوت، أو الأجر والنور الموعودان لهم. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ فيه دليل على أن الخلود في النار مخصوص بالكفار؛ من حيث أن التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفاً.

﴿٢٠﴾ ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ﴾ لما ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر أمور الدنيا أعني ما لا يتوصل به إلى الفوز الآجل، بأن بيَّن أنها أمور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال؛ لأنها لعب يتعب الناس فيه أنفسهم جداً إتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة، ولهو يلهون به أنفسهم عما يهمهم، وزينة كالملابس الحسنة، والمراكب البهية، والمنازل الرفيعة، وتفاخر بالأنساب أو تكاثر بالعدد والعدد، ثم قرر ذلك بقوله: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ﴾ وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها، وقلة جدواها بحال نبات أنبته الغيث فاستوى وأعجب به الحراث، أو الكافرون بالله لأنهم أشداء إعجاباً بزينة الدنيا؛ ولأن المؤمن إذا رأى معجباً انتقل فكره إلى قدرة صانعه فأعجب بها، والكافر لا يتخطى فكره عما أحس به فيستغرق فيه إعجاباً، ثم هاج؛ أي: يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاماً، ثم عظم أمور الآخرة بقوله: ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ﴾

ولهم» [بأنها ما لا يتوصل به] في نسخة: أعني: ما لا يتوصل به.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾.

تنفيراً عن الانهماك في الدنيا وحثاً على ما يوجب كرامة العقبى، ثمّ أكد ذلك بقوله: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾؛ أي: لمن أقبل عليها ولم يطلب بها الآخرة. أي: لمن أقبل عليها ولم يطلب إلا الآخرة بها.

﴿٢١﴾ ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ سارعوا مسارعة المسابقين في المضمار. ﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ إلى موجباتها. ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: عرضها كعرضهما؛ وإذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول! وقيل: المراد به البسطة كقوله: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾ [فصلت: ٥١] ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾ فيه دليل على أن الجنة مخلوقة، وأن الإيمان وحده كاف في استحقاقها. ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ ذلك الموعود يتفضل به على مَن يَشَاء مِنْ غير إيجاب. ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ فلا يبعد منه التفضل بذلك وإن عظم قدره.

﴿٢٢﴾ ـ ﴿٢٣﴾ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ كجدب وعاهة. ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ كمرض وآفة ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ إلا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله تعالى. ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ نخلقها والضمير للـ(مُصِيبَةٍ) أو (الْأَرْضِ) أو للـ(أنفس). ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: إثباته في كتاب. ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ لاستغنائه فيه عن العدة والمدة. ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ﴾؛ أي: أثبت، وكتب كي لا تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ من نعم الدنيا ﴿وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ بما

[وأن الإيمان وحده كاف في استحقاقه] الأوجه لاستحقاقهم؛ أي: لاستحقاق

۝ ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ
ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ
ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ
وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا
ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

أعطاكم الله منها؛ فإن من علم أن الكل مقدّر هان عليه الأمر، وقرأ أبو عمرو: (بِما أَتَاكُمْ) من الإِتيان ليعادل ما فاتكم، وعلى الأول فيه إشعار بأن فواتها يلحقها إذا خليت وطباعها، وأما حصولها وإبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها، والمراد به نفي الآسي المانع عن التسليم لأمر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال، ولذلك عقبه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ إذ قل من يثبت نفسه في حالي الضراء والسراء.

﴿٢٤﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾ بدل من كل مختال؛ فإن المختال بالمال يضن به غالباً، أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ لأن معناه: ومن يعرض عن الإنفاق؛ فإن الله غني عنه وعن إنفاقه، محمود في ذاته لا يضره الإعراض عن شكره، ولا ينتفع التقرب إليه بشكر من نعمه، وفيه تهديد وإشعار بأن الأمر بالإنفاق لمصلحة المنفق. وقرأ نافع وابن عامر: (فإن الله الغني).

﴿٢٥﴾ ـ ﴿٢٦﴾ ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا﴾؛ أي: الملائكة إلى الأنبياء، أو الأنبياء إلى الأمم ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج والمعجزات. ﴿وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ ليتبين الحق ويميز صواب العمل. ﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾ لتسوى به الحقوق ويقام به

الذين آمنوا بالله ورسوله الجنة [بأن فواتها]؛ أي: النعم[1].

---

(١) في [ج]: (النعيم).

۞ ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

العدل كما قال: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ وإنزاله إنزال أسبابه والأمر باعداده، وقيل: أنزل الميزان إلى نوح عليه السلام، ويجوز أن يراد به العدل. لتقام به السياسة ويدفع به الأعداء كما قال: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ فإن آلات الحروب متخذة منه. ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ إذ ما من صنعة إلا والحديد آلاتها. ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ﴾ باستعمال الأسلحة في مجاهدة الكفار؛ والعطف على محذوف دل عليه ما قبله؛ فإنه حال يتضمن تعليلاً، أو (اللام) صلة لمحذوف؛ أي: أنزله ليعلم الله. ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حال من المستكن في (ينصره). ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ﴾ على إهلاك من أراد إهلاكه. ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يفتقر إلى نصرة؛ وإنما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ بأن استنبأناهم وأوحينا إليهم الكتب. وقيل: المراد الكتاب الخط. ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ﴾ فمن الذرية، أو من المرسل إليهم وقد دل عليهم (أَرْسَلْنا). ﴿مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن السنن المقابلة للمبالغة في الذم، والدلالة على أن الغلبة للضلال.

﴿٢٧﴾ ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾؛ أي: أرسلنا رسولاً بعد رسول حتى انتهى إلى عيسى، والضمير لنوح وإبراهيم ومن أرسلا إليهم، أو من عاصرهما من الرسل لا للذرية، فإن الرسل

[والعطف على محذوف] قال غيره: هو عطف على ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ﴾ [الحديد: ٢٥]، [ما قبله] هو ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [أو من عاصرهم] عطف على «من أرسلا إليهم»، أو على «نوح» ومن عُطف عليه.

المقفى بهم من الذرية. ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ وقرئ بفتح الهمزة. وأمره أهون من أمر (البرطيل) لأنه أعجمي. ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً﴾ وقرئ: (رَآفَة) على فَعَالة. ﴿وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾؛ أي: وابتدعوا رهبانية ابتدعوها، أو رهبانية مبتدعة على أنها من المجعولات؛ وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس، منسوبة إلى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب كـ(الخشيان من خشي)، وقرئت بالضم كأنها منسوبة إلى الرهبان وهو جمع: (راهب) كـ(راكب وركبان). ﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ ما فرضناها عليهم. ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ استثناء منقطع أي: ولكنهم ابتدعوها ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللهِ. وقيل: متصل فإن (مَا كَتَبْناها عَلَيْهِمْ) بمعنى: ما تعبدناهم بها، وهو كما ينفي الإيجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله، وهو يخالف قوله: ﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ إلا أن يقال ابْتَدَعُوها ثم ندبوا إليها، أو ابْتَدَعُوها؛ بمعنى: استحدثوها وأتوا بها، أو لأنهم اخترعوها من تلقاء أنفسهم. ﴿فَمَا رَعَوْهَا﴾؛ أي: فما رعوها جميعاً. ﴿حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ بضم التثليث والقول بالاتحاد، وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام ونحوها إليها. ﴿فَـَٔاتَيْنَا

[وقرئ بفتح الهمزة]؛ أي: همزة «الإنجيل» [وأمره أهون من أمر البرطيل؛ لأنه]؛ أي: الإنجيل [أعجمي] عبارة «الكشاف»(١): وأمره أهون من أمر البرطيل، والسكينة فيمن رواهما بفتح الفاء؛ لأن الكلمة أعجمية. قال ابن الأثير: البَرطيل: حجر مستطيل عظيم شبه به رأس الناقة(٢)، وقال الطيبي: البرطيل بكسر الباء: الحجر المستطيل، وهو الشائع المشهور، وفتحها شاذ، وإذا فتحت الباء خرج عن أوزان العرب، [إليها]؛ أي: إلى الرهبانية، وفي نسخة: «إليه»؛ أي: إلى ما ذكر من الرهبانية.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/٤٧٩].
(٢) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [١/١٣٨].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أتوا بالإيمان الصحيح، وحافظوا حقوقه ومن ذلك الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام. ﴿مِنْهُمْ﴾ من المتسمين باتباعه. ﴿أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ خارجون عن حال الاتباع.

﴿٢٨﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالرسل المتقدمة ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيما نهاكم عنه ﴿وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام. ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ نصيبين ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ لإيمانكم بمحمد عليه الصلاة والسلام وإيمانكم بمن قبله، ولا يبعد أن يثابوا على دينهم السابق وإن كان منسوخاً ببركة الإسلام، وقيل: الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره. ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يريد المذكور في قوله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ [الحديد: ١٢] أو الهدى الذي يسلك به إلى جناب القدس. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿٢٩﴾ ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: ليعلموا و(لا) مزيدة ويؤيده أنه قرئ: (ليعلم) و(لكي يعلم) و(لأن يعلم) بادغام النون في الياء. ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ أن هي المخففة والمعنى: أنه لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضله، ولا يتمكنون من نيله لأنهم لم يؤمنوا برسوله، وهو مشروط بالإيمان به، أو لَّا يَقْدِرُونَ على شَيْء من فضله فضلاً؛ عن أن يتصرفوا في أعظمه؛ وهو النبوة فيخصوها بمن أرادوا ويؤيده قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وقيل: (لا) غير مزيدة، والمعنى: لئلا يعتقد أهل الكتاب أنه لا يقدر النبي والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولا ينالونه، فيكون (وَأَنَّ الْفَضْلَ) عطفاً على (لِئَلَّا

يَعْلَمَ)، وقرئ: (لِيَلّا) ووجهه أن الهمزة حذفت وأدغمت النون في اللام ثم أبدلت ياء. وقرئ: (لَيْلا) على أن الأصل في الحروف المفردة الفتح.

عن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة (الحديد) كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله»**.

[**وقرئ لِيْلاً**]؛ أي: بكسر اللام وسكون الياء [**وأدغمت النون**] في اللام أي: لام «لا» [**وقرئ لَيْلاً**]؛ أي: بفتح اللام وسكون الياء. [**«من قرأ سورة الحديد..»**] إلى آخره، موضوع[1].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٤٢٠/برقم: ١٣٠٠].

سُورَةُ المُجَادلَة

(٥٨) مدنية، وقيل: العشر الأول مكي والباقي مدني، وآيها اثنتان وعشرون

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ روي: أن خولة بنت ثعلبة ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت، فاستفتت رسول الله ﷺ فقال: «**حرمت عليه**»، فقالت: ما طلقني فقال: «**حرمت عليه**»، فاغتمت لصغر أولادها وشكت إلى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الأربع، وقد تشعر بأن الرسول ﷺ أو المجادلة يتوقع أن الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها، وأدغم حمزة والكسائي وأبو عمرو وهشام عن ابن عامر دالها في السين. ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ للأقوال والأحوال.

(٢) ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم﴾ الظهار: أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليّ كَظَهْرِ أمي مشتق من الظهر، وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم أنثى، وفي منكم تهجين لعادتهم فيه فإنه كان من إيمان أهل

[وقد]؛ أي: في قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ [المجادلة: ١] أشار إلى أنها للتوقع
[روي: «**أن خولة بنت ثعلبة..**»] إلى آخره، رواه ابن جرير[١].

---

(١) جامع البيان، الطبري [٢٣/برقم: ٢٢٧].

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾.

الجاهلية، وأصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي (يظاهرون) من أظاهر، وعاصم (يظاهرون) من ظاهر.

﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾؛ أي: على الحقيقة. ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ﴾ فلا تشبه بهنّ في الحرمة إلا من ألحقها الله بهن كالمرضعات وأزواج الرسول، وعن عاصم (أُمَّهاتِهِمْ) بالرفع على لغة بني تميم، وقرئ (بأمّهاتهم) وهو أيضاً على لغة من ينصب. ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ إذ الشرع أنكره. ﴿وَزُورًا﴾ محرّفاً عن الحق فإن الزوجة لا تشبه الأم. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ لما سلف منه مطلقاً، أو إذا تيب عنه.

﴿٣﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾؛ أي: إلى قولهم بالتدارك ومنه المثل: عاد الغيث على ما أفسد، وهو ينقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعي بإمسّاك المظاهر منها في النكاح زماناً يمكنه مفارقتها فيه، إذا التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها منه وهو أقل ما ينتقض به. وعند أبي حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة. وعند مالك بالعزم على

[وعن عاصم «أمهاتُهم» بالرفع]؛ أي: في قوله: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ [المجادلة: ٢] **[على لغة تميم]**؛ أي: بإهمالهم ما عن العمل **[وقرئ بأمهاتِهم]**؛ أي: بكسر الهمزة **[لما سلف منه]**؛ أي: من الظهار **[إلى قوله بالتدارك]** ثم يتداركون ما قالوا؛ لأن المتدارك لأمر عائد إليه **[عاد الغيث على ما أفسد]**؛ أي: تداركه بالإصلاح، والمعنى في الآية: إن تدارك هذا القول وتلافيه بأن يكفّر حتى يرجع حالهما كما كانت قبل الظهار(١).

[وهو]؛ أي: العود **[ينقض ما يقتضيه]**؛ أي: يقتضيه الظهار **[يتناول حرمته]**؛

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٧/ ٤٥].

﴿٤﴾ ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

الجماع، وعند الحسن بالجماع. أو بالظهار في الإسلام على أن قوله: (يَظَّاهَرُونَ) بمعنى: يعتادون الظهار أو كانوا يظاهرون في الجاهلية، وهو قول الثوري أو بتكراره لفظاً وهو قول الظاهرية، أو معنى بأن يحلف على ما قال وهو قول أبي مسلم أو إلى المقول فيها بامساكها، أو استباحة استمتاعها أو وطئها. ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾؛ أي: فعليهم أو فالواجب إعتاق رقبة والفاء للسببية، ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار، والرقبة مقيّدة بالإيمان عندنا قياساً على كفارة القتل. ﴿مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه، أو أن يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: ذلكم الحكم بالكفارة. ﴿تُوعَظُونَ بِهِ﴾ لأنه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ لا تخفى عليه خافية.

﴿٤﴾ ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾؛ أي: الرقبة والذي غاب ماله واجد. ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ فإن أفطر بغير عذر لزمه الاستئناف وإن أفطر بعذر ففيه خلاف، وإن جامع المظاهر منها ليلاً لم ينقطع التتابع عندنا خلافاً لأبي حنيفة ومالك. ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾؛ أي: الصوم لهرم أو مرض مزمن أو شبق مفرط فإنه ﷺ رخّص للأعرابي المفطر أن يعدل لأجله. ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ ستين مدّاً بمدّ رسول الله ﷺ، وهو رطل وثلث لأنه

أي: الظهار، وفي نسخة: «حرمتها»؛ أي: المظاهر منها **[أو كانوا]** عطف على «بمعنى يعتادون» **[أو بتكراره]** عطف على «ينقض ما يقتضيه» **[أو معنى]** عطف على «لفظاً» **[أو إلى المقول فيها]** عطف على «إلى قولهم بالتدارك» **[وإن أفطر لعذر ففيه خلاف]** الصحيح منه عندنا أنه يلزمه الاستئناف **[لأجله]**؛ أي: لأجل الشَّبَق

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾.

أقل ما قيل في المخرج في الفطرة، وقال أبو حنيفة: يعطي كل مسكين نصف صاع من برّ أو صاعاً من غيره، وإنما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين، أو لجوازه في خلال الإطعام كما قال أبو حنيفة. ذلِكَ أي ذلك البيان أو التعليم للأحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله: ﴿لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ﴾؛ أي: فَرضَ ذَلِكَ لتصدقوا بالله وَرَسُولِه في قبول شرائعهِ وَرَفْض مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ في جاهليتكم ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ﴾ لا يجوز تعدّيها. ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: الذين لا يقبلونها. ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هو نظير قوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿٥﴾ - ﴿٦﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يعادونهما فإن كلاً من المتعاديين في حد غير حدّ الآخر، أو يضعون أو يختارون حدوداً غير حدودهما. ﴿كُبِتُوا۟﴾ أخروا أو أهلكوا وأصل الكبت الكب. ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾؛ يعني: كفار الأمم الماضية. ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ﴾ تدل على صدق الرسول وما جاء به. ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يذهب عزهم وتكبرهم. ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ منصوب بمُهِينٌ أو بإضمار اذكر جَمِيعاً كلهم لا يدع أحداً غير مبعوث أو مجتمعين. ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ﴾؛ أي: على رؤوس الأشهاد تشهيراً لحالهم وتقريراً لعذابهم. ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ أحاط به عدداً لم يغب منه شيء. ﴿وَنَسُوهُ ۚ﴾ لكثرته أو تهاونهم به. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ لا يغيب عنه شيء.

[أو لجوازه]؛ أي: التماس [أو يضعون، أو يختارون] عطف على «يعادونهما»

۞ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

﴿٧﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كلياً وجزئياً. ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ ما يقع من تناجي ثلاثة، ويجوز أن يقدر مضاف أو يؤول نَجْوى بمتناجين ويجعل ثَلاثَةٍ صفة لها، واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الأرض فإن السر أمر مرفوع إلى الذهن لا يتيسر لكل أحد أن يطلع عليه. ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلا الله يجعلهم أربعة من حيث أنه يشاركهم في الاطلاع عليها، والاستثناء من أعم الأحوال. ﴿وَلَا خَمْسَةٍ﴾ ولا نجوى خمسة. ﴿إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ وتخصيص العددين إما لخصوص الواقعة فإن الآية نزلت في تناجي المنافقين، أو لأن الله وتر يحب الوتر، والثلاثة أوّل الأوتار أو لأن التشاور لا بدّ له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما، وقرئ (ثَلاثَةٍ) و(خَمْسَة) بالنصب على الحال بإضمار يَتَناجَوْنَ أو تأويل نَجْوى بمتناجين. ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾ ولا أقل مما ذكر كالواحد والاثنين. ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ كالستة وما فوقها. ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ يعلم ما يجري بينهم. وقرأ يعقوب (ولا أكثر) بالرفع عطفاً على محل من نَجْوى أو محل لا أدنى بأن جعلت لا لنفي الجنس. ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ فإن علمه بالأشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة. ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾

[ما يقع من تناجي ثلاثة] أشار إلى نجوى مضاف إلى ثلاثة **[ويجوز أن يقدر مضاف]**؛ أي: أهل نجوى ثلاثة، فيكون ثلاثة صفة لأهل **[أو يؤول نجوى بمتناجين، فيكون ثلاثة صفة لها]**؛ أي: للنجوى[1] **[فإن الآية نزلت في تناجي المنافقين]**؛ أي: وكانوا على هذين العددين **[كالواحد والاثنين]** ذكره الواحد ليس بصحيح؛ لعدم تأتي

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية [٥/ ٢٥٠].

۞ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ
لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ
شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

تفضيحاً لهم وتقريراً لما يستحقونه من الجزاء. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ لأن نسبة ذاته المقتضية للعلم إلى الكل على السواء.

﴿٨﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين؛ فنهاهم رسول الله عليه الصلاة والسلام ثم عادوا لمثل فعلهم. ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾؛ أي: بما هو إثم وعدوان للمؤمنين وتواصى بمعصية الرسول، وقرأ حمزة (وينتجون) وروي عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى. ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ فيقولون: السام عليك، أو: أنعم صباحاً والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩]. ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فيما بينهم. ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبياً. ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ عذابها. ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها. ﴿فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ جهنم.

﴿٩﴾ ـ ﴿١٠﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ كما يفعله المنافقون وعن يعقوب (فلا تنتجوا). ﴿وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيما تأتون وتذرون فإنه مجازيكم عليه. ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ﴾؛ أي: النجوى بالإثم والعدوان. ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ فإنه المزين لها والحامل عليها. ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بتوهمهم لأنها في نكبة

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾.

أصابتهم. ﴿وَلَيۡسَ﴾؛ أي: الشيطان أو التناجي. ﴿بِضَآرِّهِمۡ﴾ بضار المؤمنين. ﴿شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ بمشيئته. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ ولا يبال بنجواهم.

١١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾ توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم: افسح عني؛ أي: تنح، وقرئ (تفاسحوا) والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع، أو مجلس رسول الله ﷺ فإنهم كانوا يتضامون به تنافساً على القرب منه وحرصاً على استماع كلامه. ﴿فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها. ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ﴾ انهضوا للتوسعة أو لما أمرتم به كصلاة أو جهاد، أو ارتفعوا عن المجلس. ﴿فَٱنشُزُواْ﴾ وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما. ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾ بالنصر وحسن الذكر في الدنيا، وإيوائهم غرف الجنان في الآخرة. ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل، فإن العلم مع علو درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة، ولذلك تقتدى بالعالم في أفعاله ولا يقتدى بغيره. وفي الحديث «**فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب**». ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ تهديد لمن لم يتمثل الأمر أو استكرهه.

التناجي به [**وفي الحديث**: «**فضل العالم..**»] إلى آخره، رواه أصحاب السنن[1]

---

(١) سنن أبي داود [٢/٣٤١/برقم: ٣٦٤١]، سنن الترمذي [٥/٤٨/برقم: ٢٦٨٢]، سنن ابن ماجه [١/٨١/برقم: ٢٢٣].

۞ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان، وفي هذا الأمر تعظيم الرسول وانتفاع الفقراء والنهي عن الإفراط في السؤال، والميز بين المخلص والمنافق ومحبّ الآخرة ومحبّ الدنيا، واختلف في أنه للندب أو للوجوب لكنه منسوخ بقوله: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ وهو وإن اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولاً.

وعن علي ﷺ: إن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيري، كان لي دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته تصدّقت بدرهم. وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق للأغنياء مناجاة في مدّة بقائه، إذ روي: أنه لم يبق إلا عشراً وقيل: إلا ساعة. ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك التصدق. ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾؛ أي: لأنْفُسِكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله: ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: لمن لم يجد حيث رخص له في المناجاة بلا تصدق أدل على الوجوب. ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾ أخفتم الفقر من تقديم الصدقة أو أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صَدَقاتٍ لجمع المخاطبين، أو لكثرة التناجي. ﴿فَإِذۡ لَمۡ

[**وعن علي: إن في كتاب الله آية..**] إلى آخره، رواه الحاكم(١)، وغيره، وعبارة «الكشاف»: ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي(٢)، وقوله: [**فصرفته**]؛ أي: بعشر دراهم.

[**في مدة بقائه**]؛ أي: النبي ﷺ [**إذ روي: أنه لم يبق**]؛ أي: من عمره [**إلا عشراً**] الأولى: عشراً؛ أي: عشر ليال.

---

(١) مستدرك الحاكم [٢/ ٥٢٤/ برقم: ٣٧٩٤]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٤٩٣].

۞ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾.

تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بأن رخص لكم أن لا تفعلوه، وفيه إشعار بأن إشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم وإذ على بابُها وقيل: بمعنى (إذا) أو (إن). ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾. فلا تفرطوا في أدائهما. ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في سائر الأوامر، فإن القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك. ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ظاهراً وباطناً.

﴿١٤﴾ - ﴿١٥﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟﴾ والـــوا. ﴿قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾؛ يعني: اليهود: ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ لأنهم منافقون مذبذبون بين ذلك. ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ وهو ادّعاء الإسلام. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس، وفي هذا التقييد دليل على أن الكذب يعمّ ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم.

وروي أنه عليه الصلاة والسلام كان في حجرة من حجراته فقال: **«يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان»**، فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان أزرق فقال عليه الصلاة والسلام: **«علام تشتمني أنت وأصحابك»**، فحلف بالله ما فعل ثم جاء بأصحابه فحلفوا فنزلت. ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ نوعاً من العذاب متفاقماً. ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فتمرّنوا على سُوء العمل وأصرّوا عليه.

﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾ ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ﴾؛ أي: التي حلفوا بها، وقرئ بالكسر؛

[روي: **«أنه ﷺ كان في حجرة من حجراته...»**] إلى آخره، رواه الطبراني[1]،

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني [١٢/٧/ برقم: ١٢٣٠٧].

۞ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾.

أي: (أيمانهم) الذي أظهروه. ﴿جُنَّةً﴾ وقاية دون دمائهم وأموالهم. ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فصدوا الناس في خلال أمنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط. ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم. وقيل الأول: عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة. ﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ قد سبق مثله.

﴿١٨﴾ ـ ﴿١٩﴾ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾؛ أي: لله على أنهم مسلمون ويقولون: ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ في الدنيا ويقولون: إنهم لمنكم. ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ في حلفهم الكاذب لأن تمكن النفاق في نفوسهم بحيث يخيل إليهم في الآخرة أن الأيمان الكاذبة تروّج الكذب على الله كما تروجه عليكم في الدنيا. ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ البالغون الغاية في الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه. ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ استولى عليهم من حذت الإبل وأحذتها إذا استوليت عليها، وهو مما جاء على الأصل. ﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ لا يذكرونه بقلوبهم ولا بألسنتهم. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ جنوده وأتباعه. ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لأنهم فوّتوا على أنفسهم النعيم المؤبد وعرّضوها للعذاب المخلد.

﴿٢٠﴾ ـ ﴿٢١﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ في جملة من هو أذل خلق الله. ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ في اللوح. ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾؛

والحاكم[1]، وغيرهما [وهو]؛ أي: ﴿ٱسْتَحْوَذَ﴾ [المجادلة: ١٩] [مما جاء على الأصل]؛

(١) مستدرك الحاكم [٢/ ٥٢٤/ برقم: ٣٧٩٥].

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾.

أي: بالحجة، وقرأ نافع وابن عامر (رُسُلِي) بفتح الياء. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ﴾ على نصر أوليائه. ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يغلب عليه في مراده.

(٢٢) ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ أي: لا ينبغي أن تجدهم وادّين أعداء الله، والمراد: أنه لا ينبغي أن يوادّوهم. ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ ولو كان المحادّون أقرب الناس إليهم. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾؛ أي: الذين لم يوادّوهم. ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ أثبته فيها، وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الإيمان، فإن جزء الثابت في القلب يكون ثابتاً فيه، وأعمال الجوارح لا تثبت فيه. ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾؛ أي: من عند الله وهو نور القلب أو القرآن، أو بالنصر على العدوّ. قيل: الضمير في (منه) للإيمانَ فإنه سّبب لحياة القلب. ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعتهم. ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بقضائه أو بما وعدهم من الثواب. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾ جنده وأنصار دينه. ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بخير الدارين.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة**».

أي: وهو ثبوت الواو دون قلبها ألفاً. [«من قرأ سورة المجادلة..»] إلى آخره، موضوع(١).

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٤٣٣/ برقم: ١٣١٧].

سُورَةُ الحَشْرِ

(٥٩) مدينة، وآيها أربع وعشرون

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ روي: «أنه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بني النضير على أن لا يكونوا له ولا عليه، فلما ظهر يوم بدر قالوا: إنه النبي المنعوت في التوراة بالنصرة، فلما هزم المسلمون يوم أُحد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكباً إلى مكة وحالفوا أبا سفيان، فأمر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة أخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة، ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاء فجلا أكثرهم إلى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة» فأنزل الله تعالى ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

(٢) ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِۚ﴾؛ أي: في أول حشرهم من جزيرة العرب إذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك،

[روي: «أنه ﷺ لما قدم المدينة..»] إلى آخره، رواه الثعلبي[1]

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٤٣٧/ برقم: ١٣١٨].

أو في أوّل حشرهم للقتال أو الجلاء إلى الشام، وآخر حشرهم إجلاء عمر رضي الله تعالى عنه إياهم من خيبر إليه، أو في أول حشر الناس إلى الشام وآخر حشرهم أنهم يحشرون إليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك، أو أن ناراً تخرج من المشرق فتحشرهم إلى المغرب. والحشر إخراج جمع من مكان إلى آخر. ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟﴾ لشدة بأسهم ومنعتهم. ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أن حصونهم تمنعهم من بأس الله، وتغيير النظم وتقديم الخبر وإسناد الجملة إلى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة بسببها، ويجوز أن تكون حُصُونُهُمْ فاعلاً لمانِعَتُهُمْ. ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: عذابه وهو الرعب والاضطرار إلى الجلاء، وقيل: الضمير للْمُؤْمِنِينَ؛ أي: فأتاهم نصر الله، وقرئ (فآتاهم)؛ أي: العذاب أو النصر. ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ لقوة وثوقهم. ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ وأثبت فيها الخوف الذي يرعبها؛ أي: يملؤها. ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾ ضَنّاً بها على المسلمين وإخراجاً لما استحسنوا من آلاتها. ﴿وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنهم أيضاً كانوا يخرّبون ظواهرها نكاية وتوسيعاً لمجال القتال. وعطفها على (أيديهم) من حيث أن تخريب المؤمنين مسبّب عن نقضهم فكأنهم استعملوهم فيه، والجملة حال أو تفسير للرُّعْبَ. وقرأ أبو عمرو (يُخْرّبونَ) بالتشديد وهو أبلغ لما فيه من التكثير. وقيل: الإخراب التعطيل أو ترك الشيء خراباً والتخريب الهدم. ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله، واستدل به على أن القياس حجة من حيث أنه أمر بالمجاوزة من حال إلى حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه في الكتب الأصولية.

[وتقديم الخبر]؛ أي: وهو «مانعتهم» على المبتدأ وهو «حصونهم» **[وإسناد الجملة]**؛ أي: هو «مانعتهم حصونهم» **[وقرئ «فآتاهم»]** بالمد؛ أي: أعطاهم الله

۞ ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾.

---

(٣) ـ (٤) ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ الخروج من أوطانهم. ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة. ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ استئناف معناه: أنهم إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ الإشارة إلى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معدّ لهم أو إلى الأخير.

(٥) ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾؛ أي شيء قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على ألوان، وقيل: من اللين ومعناها: النخلة الكريمة وجمعها أليان. ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ الضمير لما وتأنيثه لأنه مفسر باللينة. ﴿قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ وقرئ أصلها اكتفاء بالضمة عن الواو أو على أنه كرهن. ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فبأمره. ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ علة لمحذوف؛ أي: وفعلتم أو: وأذن لكم في القطع ليجزيهم على فسقهم بما غاظهم منه. روي «أنه عليه الصلاة والسلام لما أمر بقطع نخيلهم قالوا: قد كنت يا محمد تنهى عَنِ الفساد فِى الأرض فما بال قطع النخل وتحريقها» فنزلت. واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع أشجارهم زيادة لغيظهم.

(٦) ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ وما أعاده عليه بمعنى: صيره له أو ردّه

[روي: «**أنه عليه الصلاة والسلام لما أمر بقطع نخيلهم..**»] إلى آخره، رواه ابن جرير(١)، وابن مردويه.

---

(١) جامع البيان، الطبري [٢٣/٢٦٩].

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾.

عليه، فإنه كان حقيقاً بأن يكون له لأنه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به إلى طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين. ﴿مِنْهُمْ﴾ من بني النضير أو من الكفرة. ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾ فما أجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير. ﴿مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ ما يركب من الإبل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه، وذلك إن كان المراد فيءُ بني النضير، فلأن قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا إليها رجالاً غير رسول الله ﷺ فإنه ركب جملاً أو حماراً، ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الأنصار منه شيئاً إلا ثلاثة كانت بهم حاجة. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ بقذف الرعب في قلوبهم. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها.

﴿٧﴾ ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ بيان للأوّل ولذلك لم يعطف عليه. ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ اختلف في قسم الفيء، فقيل: يسدّس لظاهر الآية ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد، وقيل: يخمس لأن ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول إلى الإمام على قول وإلى العساكر والثغور على قول وإلى مصالح المسلمين على قول. وقيل: يخمس خمسه كالغنيمة فإنه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الأخماس الأربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور. ﴿كَىْ لَا يَكُونَ﴾؛ أي: الفيء الذي حقه أن يكون للفقراء. وقرأ هشام في رواية بالتاء. ﴿دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ الدولة ما يتداوله الأغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية، وقرئ (دُولَةً) بمعنى: كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم أو أخذه غلبة تكون بينهم، وقرأ هشام (دُوْلَةٌ)

۞ ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

بالرفع على كان التامة؛ أي: كيلا يقع دولة جاهلية. ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ﴾ وما أعطاكم من الفيء أو من الأمر. ﴿فَخُذُوهُ﴾ لأنه حلال لكم، أو: فتمسكوا به لأنه واجب الطاعة. ﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾ عن أخذه، أو عن إتيانه. ﴿فَانتَهُوا﴾ عنه. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مخالفة رسوله. ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

﴿٨﴾ ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ بدل من لِذِي الْقُرْبى وما عطف عليه فإن الرَّسُولُ ﷺ لا يسمى فقيراً، ومن أعطى أغنياء ذوي القربى خصص الإبدال بما بعده، أو الفيء بفيء بني النضير. ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ فإن كفار مكة أخرجوهم وأخذوا أموالهم. ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ﴾ حال مقيدة لإخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ بأنفسهم وأموالهم. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الذين ظهر صدقهم في إيمانهم.

﴿٩﴾ ـ ﴿١٠﴾ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ عطف على المهاجرين، والمراد بهم الأنصار فإنهم لزموا المدينة والإيمان وتمكنوا فيهما، وقيل: المعنى تبؤوا دار الهجرة ودار الإيمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف إليه من الأوّل وعوّض عنه اللام، أو تبؤوا الدار وأخلصوا الإيمان كقوله: علفتها تبناً وماء بارداً. وقيل: سمى المدينة بالإيمان لأنها مظهره ومصيره. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قبل هجرة المهاجرين. وقيل: تقدير الكلام والذين تبؤوا

۞ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

الدار من قبلهم والإيمان. ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ ولا يثقل عليهم. ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ﴾ في أنفسهم. ﴿حَاجَةً﴾ ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ. ﴿مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ مما أعطي المهاجرون من الفيء وغيره. ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ويقدّمون المهاجرين على أنفسهم حتى إن من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوّجها من أحدهم. ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حاجة من خصاص البناء وهي فرجه. ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الإنفاق. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل. ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ هم الذين هاجروا حين قوي الإسلام، أو التابعون بإحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين إلى يوم القيامة فلذلك قيل: إن الآية قد استوعبت جميع المؤمنين. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾؛ أي: لإخواننا في الدين. ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ حقداً لهم. ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فحقيق بأن تجيب دعاءنا.

﴿١١﴾ - ﴿١٢﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يريد الذين بينهم وبينهم أخوة الكفر أو الصداقة والموالاة. ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ من دياركم. ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ في قتالكم أو

[والحزازة] وهي وجع في القلب من غيظ ونحوه؛ قاله الجوهري(١).

---

(١) الصحاح، الجوهري [٥/١٣].

۞ ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

خذلانكم. ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾؛ أي: من الرسول والمؤمنين. ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ لنعاونكم. ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ لعلمه بأنهم لا يفعلون ذلك كما قال: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ وكان كذلك فإن ابن أُبيّ وأصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم أخلفوهم، وفيه دليل على صحة النبوة وإعجاز القرآن. ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ على الفرض والتقدير. ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾ انهزاماً. ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ بعد؛ بل نخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين، أو نفاقهم إذ ضمير الفعلين يحتمل أن يكون لليهود وأن يكون للمنافقين.

﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾؛ أي: أشد مرهوبية مصدر للفعل المبني للمفعول. ﴿فِي صُدُورِهِم﴾ فإنهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين. ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ على ما يظهرونه نفاقاً فإن استبطان رهبتكم سبب لإظهار رهبة الله. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته ويعلموا أنه الحقيق بأن يخشى. ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ اليهود والمنافقون. ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين. ﴿إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ بالدروب والخنادق. ﴿أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ لفرط رهبتهم، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (جدار) وأمال أبو عمرو فتحة الدال. ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فإنه يشتد بأسهم إذا حارب بعضهم بعضاً؛ بل لقذف الله الرعب في قلوبهم ولأن الشجاع يجبن والعزيز يذل إذا حارب الله ورسوله. ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين متفقين. ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ ما فيه صلاحهم وإن تشتت القلوب يوهن قواهم.

۞ ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿١٥﴾ - ﴿١٧﴾ ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: مثل اليهود كمثل أهل بدر، أو بني قينقاع إن صح أنهم أخرجوا قبل النضير، أو المهلكين من الأمم الماضية. ﴿قَرِيبًا﴾ في زمان قريب وانتصابه بمثل إذ التقدير كوجود مثل. ﴿ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ سوء عاقبة كفرهم في الدنيا. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة. ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؛ أي: مثل المنافقين في إغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان. ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ أغراه على الكفر إغراء الآمر المأمور. ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ تبرأ منه مخافة أن يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال. ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ...﴾ ﴿جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ والمراد من الإنسان الجنس. وقيل: أبو جهل قال له إبليس يوم بدر: ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨] الآية. وقيل: راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ (عاقبتهما) على أنهما الخبر لكان و(خالدان) على أنه خبر لإن (وفِي النَّارِ) لغو.

﴿١٨﴾ - ﴿٢٠﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ ليوم القيامة سماه به لدنوّه أو لأن الدنيا كيوم والآخرة غده، وتنكيره للتعظيم وأما تنكير النفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدّمن للآخرة كأنه قال:

[التقدير كوجود مثل]؛ أي: كوجود مثل أهل بدر قريباً [وقرئ عاقِبَتُهُما]؛ أي: بالرفع [على أنهما]؛ أي: بناء على أن قوله: «أنهما مع خبر إن»

۞ ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾.

فلتنظر نفس واحدة في ذلك. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ تكرير للتأكيد، أو الأوّل في أداء الواجبات لأنه مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم لاقترانه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وهو كالوعيد على المعاصي. ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ نسوا حقه. ﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾ فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها، أو أراهم يوم القيامة من الهول ما أنساهم أنفسهم. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ الكاملون في الفسوق. ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ﴾ الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا للجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار، واحتج به أصحابنا على أن المسلم لا يقتل بالكافر. ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ بالنعيم المقيم.

﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾ ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ تمثيل وتخييل كما مرّ في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: ٧٢] ولذلك عقبه بقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فإن الإشارة إليه وإلى أمثاله. والمراد توبيخ الإنسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلّة تدبره، والتصدّع التشقق. وقرئ (مصدّعاً) على الإدغام. ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ﴾ ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية وأحوالها، وما حصر له من الأجرام وأعراضها، وتقدّم الْغَيْبِ لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به، أو المعدوم والموجود، أو السر والعلانية. ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[وتخييل] تقدم إنكار التعبير(١) به [والمعدوم والموجود، أو السِّرّ والعلانية] عطف

(١) في [ج]: (التغيير).

۞ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا. وقرئ بالفتح وهو لغة فيه. ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ ذو السلامة من كل نقص وآفة، مصدر وصف به للمبالغة. ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ واهب الأمن، وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجارّ. ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الأمن قلبت همزته هاء. ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾ الذي جبر خلقه على ما أراده، أو جبر حالهم بمعنى أصلحه. ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصاناً. ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ إذ لا يشاركه في شيء من ذلك. ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾ المقدر للأشياء على مقتضى حكمته. ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ الموجد لها بريئاً من التفاوت. ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد. ومن أراد الإطناب في شرح هذه الأسماء وأخواتها فعليه بكتابي المسمى بـ(منتهى المنى). ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ لأنها دالة على محاسن المعاني. ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لتنزهه عن النقائص كلها. ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ الجامع للكمالات بأسرها فإنها راجعة إلى الكمال في القدرة والعلم.

عن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»**.

على: «ما غاب. .» إلى آخره [وقرئ بالفتح]؛ أي: بفتح قاف «القَدُّوس». [عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر..**»] موضوع[1].

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٤٤٣/ برقم: ١٣٢٥].

سُورَةُ المُمتَحنَة

(٦٠) مدينة، وهي ثلاث عشرة آية

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، فإنه لما علم أن رسول الله عليه السلام يغزو أهل مكة كتب إليهم أنّ رسول الله عليه السلام يريدكم فخذوا حذركم، وأرسل كتابه مع سارة مولاة بني المطلب، فنزل جبرائيل، فبعث رسول الله ﷺ عليّاً وعماراً وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب حاطب إلى أهل مكة، فخذوه منها وخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها، فأدركوها ثم فجحدت، فَسَلَّ عليٌّ** رضي الله عنه السيف فأخرجته من عقيصتها، فاستحضر رسول الله حاطباً وقال: «**ما حملك عليه؟**» فقال: ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقاً في قريش وليس لي فيهم من يحمي أهلي، فأردت أن آخذ عندهم يداً وقد علمت أن كتابي لا يغني عنهم شيئاً، فصدّقه رسول الله وعذره. ﴿تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ تفضون إليهم المودة بالمكاتبة، والباء مزيدة أو إخبار رسول الله

[«**نزلت في حاطب..**»] إلى آخره، رواه الشيخان[1] [**أو إخبار رسول الله**] عطف

---

(١) صحيح البخاري [٤/١٥٥٧/برقم: ٤٠٢٥]، صحيح مسلم [٤/١٩٤١/برقم: ٢٤٩٤].

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوٓءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣)﴾.

بسبب المودة، والجملة حال من فاعل لَا تَتَّخِذُوا أو صفة لأولياء جرت على غير من هي له، ولا حاجة فيها إلى إبراز الضمير لأنه مشروط في الاسم دون الفعل. ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَآءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾ حال من فاعل أحد الفعلين. ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾؛ أي: من مكة وهو حال من كَفَرُوا أو استئناف لبيانه. ﴿أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ لأن تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم إلى الغيبة للدلالة على ما يوجب الإيمان. ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ عن أوطانكم. ﴿جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَآءَ مَرْضَاتِي﴾ علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه (لَا تَتَّخِذُوا). ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ بدل من تُلْقُونَ أو استئناف معناه: أيّ طائل لكم في أسرار المودة أو الإخبار بسبب المودة. ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾؛ أي: منكم. وقيل: (أَعْلَمُ) مضارع والباء مزيدة و(ما) موصولة أو مصدرية. ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾؛ أي: من يفعل الاتخاذ. ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأه.

(٢) - (٣) ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ يظفروا بكم. ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَآءً﴾ ولا ينفعكم إلقاء المودة إليهم. ﴿وَيَبْسُطُوٓا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوٓءِ﴾ ما يسوؤكم كالقتل والشتم. ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ وتمنوا ارتدادكم، ومجيئه وحده بلفظ الماضي للإشعار بأنهم وَدُّوا قبل كل شيء، وأن ودادتهم حاصلة وإن لم يثقفوكم. ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ قراباتكم. ﴿وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ الذين توالون المشركين لأجلهم. ﴿يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفرّ بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر منكم

على «المودة» [وهو حال من (كفروا)]؛ أي: من الفاعل فيه [والالتفات من التكلم]؛ أي: في قوله: ﴿عَدُوِّي﴾ [الممتحنة: ١] [إلى الغيبة]؛ أي: في قوله: ﴿اللَّهِ﴾

۞ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾.

غداً، وقرأ حمزة والكسائي بالتشديد وكسر الصاد وفتح الفاء، وقرأ ابن عامر وأبو عمر (يُفَصّلُ) على البناء للمفعول مع التشديد (وهو بَيْنَكُمْ)، عاصم (يَفْصِلُ). ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم عليه.

﴿٤﴾ - ﴿٥﴾ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قدوة: اسم لما يؤتسى به. ﴿فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ صفة ثانية أو خبر كان (ولَكُمْ) لغو أو حال من المستكن في حَسَنَةٌ أو صلة لها لا لأُسْوَةٌ لأنها وصفت. ﴿إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ﴾ ظرف لخبر كان. ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ﴾ جميع بريء كظريف وظرفاء. ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾؛ أي: بدينكم أو بمعبودكم، أو بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وآلهتكم. ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ فتنقلب العداوة والبغضاء ألفة ومحبة. ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ استثناء من قوله: ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فإن استغفاره لأبيه الكافر ليس مما ينبغي أن يأتسوا به، فإنه كان قبل النهي أو لموعدة وعدها إياه. ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ﴾ من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه. ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ متصل بما قبل الاستثناء أو أمر من الله للمؤمنين بأن يقولوه تتميماً لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار. ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمله. ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ ما فرط ﴿رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ

[أو حال] هو مع ما بعده عطف على «صفة» [استثناء من قوله: ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

۞ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

ٱلْحَكِيمُ﴾ ومن كان كذلك كان حقيقاً بأن يجير المتوكل ويجيب الداعي.

﴿٦﴾ - ﴿٧﴾ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ تكرير لمزيد الحث على التأسي بإبراهيم ولذلك صدّر بالقسم وأبدل قوله: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ من (لَكُمْ) فإنه يدل على أنه لا ينبغي لمؤمن أن يترك التأسي بهم، وإن تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ فإنه جدير بأن يوعد به الكفرة. ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ لما نزل ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟﴾ عادى المؤمنون أقاربهم المشركين وتبرؤوا عنهم، فوعدهم الله بذلك وأنجز إذ أسلم أكثرهم وصاروا لهم أولياء. ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم.

﴿٨﴾ - ﴿٩﴾ ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ﴾؛ أي: لا ينهاكم عن مبرّة هؤلاء لأن قوله: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ بدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾. ﴿وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ وتقضوا إليهم بالقسط؛ أي: العدل. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين، روي: أن قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على

[الممتحنة: ٤]] قال أبو حيان: الذي يظهر أنه مستثنى من مضاف لإبراهيم. تقديره: أسوة حسنة في مقالات إبراهيم ومحاورته لقومه ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤] فليس فيه أسوة حسنة، فيكون الاستثناء متصلاً.

[بدل من الذين]؛ أي: بدل اشتمال [روي: «أن قتيلة..»] إلى آخره، رواه أبو

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٍ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠﴾.

بنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا، فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت. ﴿إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ﴾ كمشركي مكة فإن بعضهم سعوا في إخراج المؤمنين وبعضهم أعانوا المخرجين. ﴿أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ﴾ بدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل الاشتمال. ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لوضعهم الولاية في غير موضعها.

١٠ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ﴾ فاختبروهنّ بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهنّ ألسِنَتَهُنَّ في الإيمان. ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ﴾ فإنه المطلع على ما في قلوبهن. ﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٍ﴾ العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الأمارات، وإنما سماه علماً إيذاناً بأنه كالعلم في وجوب العمل به. ﴿فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ﴾؛ أي: إلى أزواجهن الكفرة لقوله: ﴿لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ﴾ والتكرير للمطابقة والمبالغة، أو الأوّل لحصول الفرقة والثاني للمنع عن الاستئناف. ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ﴾ ما دفعوا إليهن من المهور، وذلك لأن صلح الحديبية جرى على أن من جاءنا منكم رددناه. فلما تعذر عليه ردّهن لورود النهي عنه لزمه ردّ مهورهنّ. إذ روي أنه عليه الصلاة والسلام كان بعد الحديبية إذ جاءته سبيعة بنت الحرث الأسلمية مسلمة فأقبل زوجها مسافر المخزومي طالباً لها فنزلت. فاستخلفها رسول الله ﷺ فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوّجها عمر رضي الله عنه. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ فإن الإسلام حال بينهن وبين أزواجهن الكفار. ﴿إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ﴾ شرط إيتاء المهر في نكاحهن إيذاناً بأن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر. ﴿وَلَا

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ بما يعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة، والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات، وقرأ البصريان: (وَلا تُمَسِّكُوا) بالتشديد. ﴿وَسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ﴾ من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار. ﴿وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا﴾ من مهور أزواجهم المهاجرات. ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ﴾؛ يعني: جميع ما ذكر في الآية. ﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ استئناف أو حال من الحكم على حذف الضمير، أو جعل الحكم حاكماً على المبالغة. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يشرع ما تقتضيه حكمته.

﴿١١﴾ ﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾ وإن سبقكم وانفلت منكم. ﴿شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ أحد من أزواجكم، وقد قرئ به وإيقاع شَيْءٌ موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم، أو شَيْءٌ من مهورهن. ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ فجاءت عقبتكم؛ أي: نوبتكم من أداء المهر، شبه الحكم بأداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره. ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر. روي: أنه لما نزلت الآية المتقدمة أبى المُشركون أن يؤدوا مهر الكوافر، فنزلت. وقيل معناه: إن فاتكم فأصبتم من الكفار عقبى؛ أي: الغنيمة فَآتُوا بدل الفائت من الغنيمة.

داود[١]، والحاكم[٢] **[يعني: جميع ما ذكر في الآية]**؛ أي: هو ﴿حُكْمُ اللَّهِ﴾ [الممتحنة: ١٠]، **[على حذف الضمير]**؛ أي: من يحكم، والتقدير: بحكمه **[أو جعل]** عطف على حذف الضمير فيكون العائد الضمير المستتر في ﴿يَحْكُمُ﴾؛ أي: يحكم هو؛ أي: الحاكم **[أو شيء من مهورهن]** ساقط من نسخ.

---

(١) سنن أبي داود [١/ ٥٢٣/ برقم: ١٦٦٨]. (٢) مستدرك الحاكم [٢/ ٥٢٧/ برقم: ٣٨٠٤].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ فإن الإيمان به يقتضي التقوى منه.

﴿١٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ نزلت يوم الفتح فإنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء. ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ يريد وأد البنات. ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ في حسنة تأمرهن بها، والتقييد بالمعروف مع أن الرسول لا يأمر إلا به تنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق. ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ إذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الأشياء. ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿١٣﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾؛ يعني: عامة الكفار أو اليهود. إذ روي: أنها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم. ﴿قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ لكفرهم بها أو لعلمهم بأنهم لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات. ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ أن يبعثوا أو يثابوا أو ينالهم خير منهم، وعلى الأول وضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على أن الكفر أيأسهم.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: **«من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة»**.

[**«من قرأ سورة الممتحنة..»**] إلى آخره، موضوع[١].

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٤٦٥/ برقم: ١٣٣٣].

سُورَةُ الصَّفِّ

(٦١) مدينة، وقيل مكية وآيها أربع عشرة

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - (٣) ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ سبق تفسيره. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ روي: أن المسلمين قالوا: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ [الصف: ٤] فولوا يوم أُحد، فنزلت. و(لِمَ) مركّبة من لام الجر وما الاستفهامية والأكثر على حذف ألفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معاً واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه. ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ المقت أشد البغض، ونصبه على التمييز للدلالة على أن قولهم هذا مقت خالص كَبير عند من يحقر دونه كل عظيم ـ مبالغة في المنع عنه ـ.

(٤) - (٥) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ (مصطفين) مصدر وصف به. ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ في تراصهم من غير فرجة، حال من المستكن في الحال الأولى. (والرص): اتصال بعض البناء

[روي: «أن المسلمين قالوا: لو علمنا أحبّ الأعمال إلى الله..»] إلى آخره،

۞ ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَـٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾.

بالبعض واستحكامه. ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ مقدر باذكر أو كان كذا. ﴿يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ بالعصيان والرمي بالادرة. ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ بما جئتكم من المعجزات، والجملة حال مقررة للإنكار فإن العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع إيذاءه، وَ(قَدْ) لتحقيق العلم. ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾ عن الحق. ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ صرفها عن قبول الحق والميل إلى الصواب. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ هداية موصلة إلى معرفة الحق أو إلى الجنة.

﴿٦﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ولعله لم يقل (يَا قَوْم) كما قال موسى عليه السلام لأنه لا نَسب له فيهم. ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى﴾ في حال تصديقي لما تقدمني من التوراة وتبشيري بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي. والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى الإرسال لا الجار؛ لأنه لغو، إذ هو صلة للرسول فلا يعمل. ﴿ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾؛ يعني: محمداً عليه السلام، والمعنى: أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه، فذكر أول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم المرسلين. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ الإشارة إلى ما جاء به أو إليه، وتسميته سحر للمبالغة، ويؤيده قراءة حمزة والكسائي (هذا سَاحر) على أن الإشارة إلى عيسى عليه السلام.

﴿٧﴾ ـ ﴿٨﴾ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَـٰمِ﴾؛

رواه الترمذي، وابن حبان، وغيرهما[1] [أو كان كذا] عبارة «الكشاف»: أو: وحين

---

(١) قال المناوي: لم أقف عليه. انظر: الفتح السماوي، المناوي [٣/١٠٣٩/برقم: ٩٣٣].

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾.

أي: لا أحد أظلم ممن يدعى إلى الإسلام الظاهر حقيته المقتضى له خير الدارين؛ فيضع موضع إجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحراً، فإنه يعم إثبات المنفي ونفي الثابت، وقرئ (يُدَّعى) يقال: دعاه وادعاه كلمسه والتمسه. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لا يرشدهم إلى ما فيه فلاحهم. ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟﴾؛ أي: يريدون أن يطفئوا، واللام مزيدة لما فيها من معنى الإرادة تأكيداً؛ كما زيدت لما فيها من معنى الإضافة تأكيداً لها، كما في (لا أبا لك)، أو يُرِيدُونَ الافتراء ﴿لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾؛ يعني: دينه أو كتابه أو حجته. بطعنهم فيه. ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ مبلغ غايته بنشره وإعلائه، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالإضافة. ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ إرغاماً لهم.

﴿٩﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ بالقرآن أو المعجزة. ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ والملة الحنيفية. ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ ليغلبه على جميع الأديان. ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ لما فيه من محض التوحيد وإبطال الشرك.

﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وقرأ ابن عامر (تُنْجِّيكُمْ) بالتشديد. ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الإيمان والجهاد المؤدّي إلى كمال غيرهم، والمراد به الأمر، وإنما جيء بلفظ الخبر إيذاناً

قال لهم ما قال كان كذا وكذا[1] [وقرئ يدَّعا]؛ أي: بفتح الدال مشددة

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٥٢٤].

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾.

بأن ذلك مما لا يترك. ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ يعني: ما ذكر من الإيمان والجهاد. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إن كنتم من أهل العلم إذ الجاهل لا يعتدّ بفعله.

﴿١٢﴾ ـ ﴿١٣﴾ ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ جواب للأمر المدلول عليه بلفظ الخير، أو لشرط أو استفهام دل عليه الكلام تقديره أن تؤمنوا وتجاهدوا، أو هل تقبلون أن أدلكم يغفر لكم، ويبعد جعله جواباً لِـ(هل أدلكم) لأن مجرد دلالته لا توجب المغفرة ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الإشارة إلى ما ذكر من المغفرة وإدخال الجنة. ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ ولكم إلى هذه النعمة المذكورة نعمة أخرى عاجلة محبوبة، وفي (تُحِبُّونَها) تعريض بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل، وقيل: (أُخرى) منصوبة بإضمار (يعطكم)، أو (تحبون) أو مبتدأ خبره ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وهو على الأول بدل أو بيان، وعلى قول النصب خبر محذوف، وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل أو الاختصاص أو المصدر. ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ عاجل. ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عطف على محذوف، مثل: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ﴾ [الجمعة: ٦] ﴿ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٤] (وَبَشِّرِ)، أو على (تُؤْمِنُونَ) فإنه في معنى الأمر كأنه قال: آمنوا وجاهدوا أيها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما وعاجلاً وآجلاً.

[وهو]؛ أي: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٣] [على الأول] من أعاريب أُخْرَى [وعلى قول النصب]؛ أي: الشامل لنصبه بـ«يعطي» و«يحب» [وقد قرئ]؛ أي: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٣] [بما عُطف عليه] وهو ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿١٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ وقرأ الحجازيان وأبو عمرو بالتنوين واللام لأن المعنى؛ كونوا بعض أنصار الله. ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: من جندي متوجهاً إلى نصرة الله، ليطابق قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ والإضافة الأولى: إضافة أحد المتشاركين إلى الآخر لما بينهما من الاختصاص، والثانية: إضافة الفاعل إلى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى؛ إذ المراد: (قل لهم كما قَالَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ) أو (كونوا أنصاراً كما قال الحواريون حين قال لهم عيسى مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللهِ). و(الحواريون): أصفياء هم أول من آمن به، ومن الحوار وهو البياض، وكانوا اثني عشر رجلاً. ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾؛ أي: بعيسى. ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ بالحجة وبالحرب، وذلك بعد رفع عيسى. ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ فصاروا غالبين.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة الصف كان عيسى مصلياً عليه مستغفراً له ما دام في الدنيا، وهو يوم القيامة رفيقه**».

[**والإضافة الأولى**]؛ أي: في قوله: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ﴾ [الصف: ١٤] [**والثانية**]؛ أي: في قوله: ﴿أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾. [**«من قرأ سورة الصف..»**] إلى آخره، موضوع[1].



(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/٨/ برقم: ١٣٣٦].

سُورَةُ الجُمُعَةِ

(٦٢) مدنية، وهي إحدى عشرة آية

۞ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ هُوَ
الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٤﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

۝١ ـ ۝٢ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ وقد قرئ الصفات الأربع بالرفع على المدح. ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾؛ أي: في العرب؛ لأن أكثرهم لا يكتبون ولا يقرءون. ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾؛ أي: من جملتهم أُمياً مثلهم. ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ مع كونه أُمياً مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم. ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ من خبائث العقائد والأعمال. ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ القرآن والشريعة، أو معالم الدين من المنقول والمعقول، ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه. ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ من الشرك وخبث الجاهلية، وهو بيان لشدة احتياجهم إلى نبي يرشدهم، وإزاحة لما يتوهم أن الرسول تعلم ذلك من معلم، و(إنْ) هي المخففة واللام تدل عليها.

۝٣ ـ ۝٤ ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ عطف على (الأُمِّيِّينَ)، أو المنصوب في (يُعَلِّمُهُمُ)، وهم الذين جاءوا بعد الصحابة إلى يوم الدين، فإن دعوته وتعليمه يعم الجميع. ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ لم يلحقوا بهم بعد، وسيلحقون. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في تمكينه من هذا الأمر الخارق للعادة. ﴿الْحَكِيمُ﴾ في اختياره وتعليمه. ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ ذلك الفضل الذي امتاز به عن أقرانه؛

۞ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

فضله. ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ تفضلاً وعطية. ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الذي يستحقر دونه نعيم الدنيا، أو نعيم الآخرة أو نعيمهما.

﴿٥﴾ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ علموها وكلفوا العمل بها. ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يعملوا بها أو لم ينتفعوا بما فيها. ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ﴾ كتباً من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها، و(يحمل) حال، والعامل فيه معنى المثل أو صفة؛ إذ ليس المراد من (الْحِمارِ) معيناً. ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾؛ أي: (مثل الذين كذبوا) وهم اليهود المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد ﷺ، ويجوز أن يكون (الذين) صفة للقوم، والمخصوص بالذم محذوفاً. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿٦﴾ - ﴿٨﴾ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ إذ كانوا يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه. ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾ فتمنوا من الله أن يميتكم وينقلكم من دار البلية إلى محل الكرامة. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في زعمكم. ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۚ﴾ بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيجازيهم على أعمالهم. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ وتخافون أن تتمنوه بلسانكم مخافة أن يصيبكم فتؤخذوا بأعمالكم. ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْۖ﴾ لاحِقٌ بكم لا تفوتونه، والفاء لتضمن

[الذي يستحقر دونه نعيم الدنيا، ونعيم الآخرة، أو نعيمهما] في نسخة: نعيم

۞ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾.

الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف، وكأن فرارهم منه يسرع لحوقه بهم. وقد قرئ بغير فاء، ويجوز أن يكون الموصول خبراً والفاء عاطفة. ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بأن يجازيكم عليه.

۝٩ - ۝١٠ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: إذا أذن لها. ﴿مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ بيان لـ(إذا) وإنما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة، وكانت العرب تسميه العروبة. وقيل: سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه إليه، وأول جمعة جمعها رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه لما قدم المدينة نزل قباء فأقام بها إلى الجمعة، ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في واد لبني سالم بن عوف. ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فامضوا إليه مسرعين قصداً فإن السعي دون العدو، والذِّكْرِ الخطبة، وقيل: الصلاة والأمر بالسعي إليها يدل على وجوبها. ﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ واتركوا المعاملة. ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: السعي إلى ذكر الله خيرٌ لكُمْ من المعاملة؛ فإن نفع الآخرة خير وأبقى. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير والشر الحقيقيين أو إن كنتم من أهل العلم. ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ أدّيت وفرغ منها. ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ إطلاق لما حظر عليهم، واحتج به من جعل الأمر بعد الحظر للإباحة.

وفي الحديث «**ابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا؛ وإنما هو عيادة**

الدنيا، ونعيم الآخرة [وقيل: **سماه كعب بن لؤي**] عبارة «الكشاف»[1]: وقيل: أول من سماها جمعة؛ كعب بن لؤي [«**وأول جمعة جمعها رسول الله ﷺ..**»] إلى آخره،

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٥٣٣].

۞ ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾.

مريض، وحضور جنازة، وزيارة أخ في الله» ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ واذكروه في مجامع أحوالكم ولا تحصوا ذكره بالصلاة. ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بخير الدارين.

﴿١١﴾ ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ روي: أنه عليه الصلاة والسلام كان يخطب للجمعة فمرّت عليه عير تحمل الطعام، فخرج الناس إليهم إلا اثني عشر رجلاً، فنزلت. وإفراد التجارة برد الكناية لأنها المقصودة، فإن المراد من اللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون به العير، والترديد للدلالة على أن منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته، أو للدلالة على أن الانفضاض إلى التجارة مع الحاجة إليها والانتفاع بها إذا كان مذموماً كان الانفضاض إلى اللهو أولى بذلك. وقيل تقديره: إذا رأوا تجارة انفضوا إليها وإذا رأوا لهواً انفضوا إليه. ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾؛ أي: على المنبر. ﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ﴾ من الثواب. ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ فإن ذلك محقق مخلد بخلاف ما تتوّهمون من نفعهما ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه.

عن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة الجمعة أعطي من الأجر عشر حسنات؛ بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها في أمصار المسلمين»**.

رواه البيهقي(١)، وغيره [روي: **«أنه ﷺ كان يخطب للجمعة..»**] إلى آخره، رواه الشيخان(٢). [**«من قرأ سورة الجمعة..»**] إلى آخره، موضوع(٣).



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ١٥/ برقم: ١٣٤٠].
(٢) صحيح البخاري [١/ ٣١٦/ برقم: ٨٩٤]، صحيح مسلم [٢/ ٥٩٠/ برقم: ٨٦٣].
(٣) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٢٨/ برقم: ١٣٥٢].

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

(٦٣) مدنية، وهي إحدى عشرة آية

۞ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ - ﴿٢﴾ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ﴾ الشهادة؛ إخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع، ولذلك صدق المشهور به وكذبهم في الشهادة بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ لأنهم لم يعتقدوا ذلك. ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ حلفهم الكاذب أو شهادتهم هذه، فإنها تجري مجرى الحلف في التوكيد، وقرئ (إيمانهم)، (جُنَّةً) وقاية من القتل والسبي. ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ صداً أو صدوداً. ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ من نفاقهم وصدهم.

﴿٣﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الكلام المتقدم؛ أي: ذلك القول الشاهد على سوء أعمالهم، أو إلى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالإيمان. ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾ بسبب أنهم آمنوا ظاهراً. ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ سرا، أو آمَنُوا إذا رأوا آية ثُمَّ كَفَرُوا حيثما سمعوا من شياطينهم شبهة. ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ حتى تمرنوا على الكفر فاستحكموا فيه. ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ حقيقة الإيمان ولا يعرفون صحته.

[والاستجنان]؛ أي: الاستتار بالجنة، والمراد طلبها.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾﴾.

﴿٤﴾ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لضخامتها وصباحتها. ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لذلاقتهم وحلاوة كلامهم، وكان ابن أُبيّ جسيما فصيحاً يحضر مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام في جمع مثله، فتعجبه هيكلهم ويصغي إلى كلامهم. ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ حال من الضمير المجرور في (لِقَوْلِهِمْ)؛ أي: تسمع لما يقولونه مشبهين بأخشاب منصوبة مسندة إلى الحائط؛ في كونهم أشباحاً خالية عن العلم والنظر، وقيل: (الخُشُبُ) جمع خشباء وهي الخشبة التي دعر جَوْفُهَا، شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر، وقرأ أبو عمرو والكسائي وروى عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف، أو على أنه كـ(بُدْن) في جمع بدنة ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم، فـ(عَلَيْهِمْ) ثاني مفعولي (يَحْسَبُونَ)، ويجوز أن يكون صلته، والمفعول: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾، وعلى هذا يكون الضمير للكل، وجمعه بالنظر إلى الخبر؛ لكن ترتب قوله: ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾ عليه يدل على أن الضمير للمنافقين. ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ دعاء عليهم وهو طلب من ذاته أن يلعنهم، أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك. ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن الحق.

﴿٥﴾ - ﴿٦﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾

[وقبح المخبر] هو بفتح الميم خلاف المنظر؛ قاله الجوهري[1] [وجمعة]؛

(١) الصحاح، الجوهري [٣/ ٤٨٤].

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

عطفوها إعراضاً واستكباراً عن ذلك ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون عن الاستغفار. ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الاعتذار. ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ﴾ لرسوخهم في الكفر. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر والنفاق.

﴿٧﴾ ـ ﴿٨﴾ ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾؛ أي: للأنصار. ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ يعنون: فقراء المهاجرين. ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بيده الأرزاق والقسم. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ذلك لجهلهم بالله. ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ﴾ روي: أن أعرابياً نازع أنصارياً في بعض الغزوات على ماء، فضرب الأعرابي رأسه بخشبة، فشكى إلى ابن أُبيّ! فقال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، وإذا رجعنا إلى المدينة فليخرجن الأعز منها الأذل! ـ عنى بالأعز: نفسه وبالأذل: رسول الله ﷺ ـ. وقرئ (لَيَخْرِجَنَّ) بفتح الياء، و(لَيُخْرَجَنَّ) على بناء المفعول، و(لنخرجن) بالنون، ونصب (الأعزّ) و(الأذلّ) على هذه القراآت مصدر، أو حال على تقدير مضاف كخروج أو إخراج أو مثل. ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولله الغلبة والقوة ولمن أعزه من رسوله والمؤمنين. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ من فرط جهلهم وغرورهم.

أي: بقوله: ﴿هُمُ﴾ [المنافقون: ٧] مع أن القياس أن يقال: هي لرجوعه إلى الصيحة أو هو لرجوعه إلى كل [أو لتخرجن بالنون، ونصب الأعزّ]؛ أي: على أنه مفعول [و«الأذل» على هذه القراءات] صوابه: «على هذه القراءة».

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾﴾.

﴿٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود؛ والمراد نهيهم عن اللهو بها. وتوجيه النهي إليها للمبالغة، ولذا قال: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: اللهو بها وهو الشغل. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ لأنهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني.

﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾ ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ بعض أموالكم إدخاراً للآخرة. ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾؛ أي: يرى دلائله ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ﴾ هلا أمهلتني. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ أمد غير بعيد. ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ فأتصدق. ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بالتدارك، وجزم (أَكُنْ) للعطف على موضع الفاء وما بعده، وقرأ أبو عمرو (وأكونَ) منصوباً عطفاً على (فأصدقَّ)، وقرئ بالرفع على (وأنا أكونُ) فيكون عدة بالصّلاح. ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا﴾ ولن يمهلها. ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ آخر عمرها. ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ فمجاز عليه، وقرأ أبو بكر بالياء ليوافق ما قبله في الغيبة.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة المنافقين برىء من النفاق**».

[«من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق»] موضوع[1]



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٣٧/ برقم: ١٣٥٤].

سُورَةُ التَّغَابُنِ

(٦٤) مدنية أو مكية، إلا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾

[التغابن: ١٤]، **وهي ثماني عشرة آية**

۞ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ـ ﴿٢﴾ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بدلالتها على كماله واستغنائه. ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الأمرين به من حيث الحقيقة. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ لأن نسبة ذاته المقتضية للقدرة إلى الكل على سواء ثم شرع فيما ادّعاه فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾ مقدر كفره موجه إليه ما يحمله عليه. ﴿وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ مقدر إيمانه موفق لما يدعوه إليه. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيعاملكم بما يناسب أعمالكم.

﴿٣﴾ ـ ﴿٤﴾ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ فصوركم من جملة ما خلق فيهما بأحسن صورة، حيث زينكم بصفوة أوصاف الكائنات، وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات، وجعلكم أنموذج جميع المخلوقات. ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ فأحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم. ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ

[مختلف فيها] في أنها مكية أو مدنية، أو بعضها مكي وبعضها مدني

۞ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾.

عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فلا يخفى عليه ما يصح أن يعلم؛ كلياً كان أو جزئياً؛ لأن نسبة المقتضي لعلمه إلى الكل واحدة، وتقديم تقرير القدرة على العلم؛ لأن دلالة المخلوقات على قدرته أولاً وبالذات، وعلى علمه بما فيها من الإتقان والاختصاص ببعض الأنحاء.

﴿٥﴾ ـ ﴿٦﴾ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ كقوم نوح وهود وصالح عليهم الصلاة والسلام. ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ ضرر كفرهم في الدنيا، وأصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة، والوابل المطر الثقيل القطار. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة. ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: المذكور من الوبال والعذاب. ﴿بِأَنَّهُۥ﴾ بسبب أن الشأن. ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات. ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أنكروا وتعجبوا من أن يكون الرسل بشراً والبشر يطلق للواحد والجمع. ﴿فَكَفَرُوا۟﴾ بالرسل ﴿وَتَوَلَّوا۟ ۚ﴾ عن التدبر في البينات. ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ﴾ عن كل شيء فضلاً عن طاعتهم. ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ﴾ عن عبادتهم وغيرها. ﴿حَمِيدٌ﴾ يدل على حمده كل مخلوق.

﴿٧﴾ ـ ﴿٨﴾ ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ﴾ الزعم ادّعاء العلم؛ ولذلك يتعدّى إلى مفعولين، وقد قام مقامهما (أن) بما في حيزه. ﴿قُلْ بَلَىٰ﴾؛ أي: بلى تبعثون. ﴿وَرَبِّى﴾ قسم أكد به الجواب. ﴿لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ﴾ بالمحاسبة والمجازاة. ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لقبول المادة وحصول القدرة التامة. ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام. ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ﴾؛ يعني: القرآن فإنه بإعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فمجاز عليه.

۞ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿٩﴾ ـ ﴿١٠﴾ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ ظرف لَتُنَبَّؤُنَّ أو مقدر باذكر، وقرأ يعقوب (نجمعكم). ﴿لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ لأجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين. ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ يغبن فيه بعضهم بعضاً لنزول السعداء منازل الأشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس، مستعار من (تغابن التجار) واللام فيه للدلالة على أن التغابن الحقيقي هو التغابن في أمور الآخرة لعظمها ودوامها. ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾؛ أي: عملاً صالحاً. ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما. ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الإشارة إلى مجموع الأمرين، ولذلك جعله الفوز العظيم لأنه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ كأنها والآية المتقدمة بيان للتَّغابُنِ وتفصيل له.

﴿١١﴾ ـ ﴿١٣﴾ ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إلا بتقديره وإرادته. ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ للثبات والاسترجاع عند حلولها، وقرئ (يَهْدِ قَلْبُهُ) بالرفع على إقامته مقام الفاعل، وبالنصب على طريقة (سَفِهَ نَفْسَهُ)، و(يهدأ) بالهمزة؛ أي: يسكن. ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ حتى القلوب

[وقرئ «يُهد قلبُه» بالرفع]؛ أي: برفع قلبه وبناء (يهد) للمفعول **[وبالنصب على طريقة سفه نفسه]**؛ أي: في نفسه فالمعنى: يهد في قلبه، فيكون النصب بنزع الخافض.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾.

وأحوالها. ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ﴾؛ أي: فإن توليتم فلا بأس عليه ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ إذ وظيفته التبليغ، وقد بلغ. ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ لأن إيمانهم بأن الكل منه يقتضي ذلك.

١٤ - ١٥ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ﴾ يشغلكم عن طاعة الله أو يخاصمكم في أمر الدين أو الدنيا. ﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ ولا تأمنوا غوائلهم. ﴿وَإِن تَعۡفُواْ﴾ عن ذنوبهم بترك المعاقبة. ﴿وَتَصۡفَحُواْ﴾ بالإعراض وترك التثريب عليها. ﴿وَتَغۡفِرُواْ﴾ بإخفائها وتمهيد معذرتهم فيها. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم. ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ اختبار لكم. ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الأموال والأولاد والسعي لهم.

١٦ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾؛ أي: ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم. ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ مواعظه. ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ أوامره. ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ في وجوه الخير خالصاً لوجهه. ﴿خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ﴾؛ أي: افعلوا ما هو خير لها، وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر، ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف؛ أي: إنفاقاً خيراً، أو خبراً لـ(كان) مقدراً جواباً للأوامر. ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ سبق تفسيره.

١٧ - ١٨ ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ﴾ بصرف المال فيما أمره. ﴿قَرۡضًا حَسَنٗا﴾

مقروناً بإخلاص وطيب قلب. ﴿يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ يجعل لكم بالواحد عشراً إلى سبعمائة وأكثر، وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب (يُضَعِّفْهُ لكم). ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ببركة الإنفاق. ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ يعطي الجزيل بالقليل. ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجل بالعقوبة. ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ لا يخفى عَلَيْهِ شَيْء. ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تام القدرة والعلم.

عن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة»**.

[**«من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة..»**] موضوع[1].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/٤٤/برقم: ١٣٥٩].

سُورَةُ الطَّلَاقِ

(٦٥) مدنية، وآيها اثنتا عشرة آية

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ خص النداء وعم الخطاب بالحكم لأنه أمام أمته فنداؤه كندائهم، أو لأن الكلام معه والحكم يعمهم. والمعنى: إذا أردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه. ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾؛ أي: في وقتها وهو الطهر، فإن اللام في الأزمان وما يشبهها للتوقيت، ومن عدّ العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات، وظاهره يدل على أن العدة بالأطهار وأن طلاق المعتدة بالأقراء ينبغي أن يكون في الطهر، وأنه يحرم في الحيض من حيث إن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده، ولا يدل على عدم وقوعه، إذ النهي لا يستلزم الفساد، كيف وقد صح أن ابن عمر رضي الله عنهما لما طلّق امرأته حائضاً أمره النبي عليه الصلاة والسلام بالرجعة وهو سبب نزوله.

﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ واضبطوها وأكملوها ثلاثة أقراء. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾

[مثل مستقبلات]؛ أي: ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]، [وقد صحَّ: **«أن ابن عمر لما طلق امرأته..»**]. إلى آخره، رواه الشيخان(١).

---

(١) صحيح البخاري [٦/٢٦١٧/برقم: ٦٧٤١]، صحيح مسلم [٢/١٠٩٣/برقم: ١٤٧١].

۞ ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾.

في تطويل العدة والإضرار بهن. ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن. ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ باستبدادهن، أما لو اتفقا على الانتقال جاز؛ إذ الحق لا يعدوهما، وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق، وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ مستثنى من الأول، والمعنى: إلا أن تبذو على الزوج فإنه كالنشوز في إسقاط حقها، أو: إلا أن تزني فتخرج لإقامة الحدّ عليها، أو من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على أن خروجها فاحشة. ﴿تَدْرِى لَعَلَّ اللَّهَ﴾ الإشارة إلى الأحكام المذكورة. ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ بأن عرضها للعقاب. ﴿لَا تَدْرِى﴾؛ أي: النفس، أو: أنت أيها النبي، أو: المطلق. ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ وهو الرغبة في المطلقة برجعة أو استئناف.

﴿٢﴾ ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ شارفن آخر عدتهن. ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ فراجعوهن. ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بحسن عشرة وإنفاق مناسب، ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ بإيفاء الحق واتقاء الضرار؛ مثل أن يراجعها ثم يطلقها تطويلاً لعدتها. ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على الرجعة أو الفرقة تبرياً عن الريبة وقطعاً للتنازع، وهو ندب كقوله: ﴿وَأَشْهِدُوٓا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وعن الشافعي وجوبه في الرجعة. ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ﴾ أيها الشهود عند الحاجة. ﴿لِلَّهِ﴾ خالصاً لوجهه. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ يريد الحث على الإشهاد والإقامة، أو على جميع ما في الآية. ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فإن المنتفع به والمقصود تذكيره. ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾

﴿٣﴾ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق

بالوعد على الإتقاء عما نهى عنه صريحاً أو ضمناً من الطلاق في الحيض، والإضرار بالمعتدّة وإخراجها من المسكن، وتعدّي حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على إقامتها؛ بأن يجعل الله له مخرجاً مما في شأن الأزواج من المضايق والغموم، ويرزقه فرجاً وخلفاً من وجه لم يخطر بباله. أو بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون. أو كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين.

وعنه عليه الصلاة والسلام: «**إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم** ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ ما زال يقرؤها ويعيدها».

وروي: أن سالم بن عوف بن مالك الأشجعي أسره العدو، فشكا أبوه إلى رسول الله ﷺ فقال له: «**اتق الله وأكثر قول: لا حول ولا قوة إلا بالله**». ففعل فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستاقها. فنزلت ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ كافيه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد، وقرأ حفص بالإضافة، وقرئ (بالغ أمْرِه)؛ أي: نافذ و(بالغاً) على أنه حال والخبر: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ تقديراً أو مقدراً، أو أجلاً لا يتأتى تغييره، وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدّم من تأقيت الطلاق بزمان العدّة والأمر بإحصائها، وتمهيد لما سيأتي من مقاديرها.

[أو بالوعد لعامة المتقين] عطف على «بالوعد على الاتقاء» [أو كلام] عطف على «جملة اعتراضية» [وعنه ﷺ: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم..»] إلى آخره، رواه الحاكم(١)، وغيره [روي: «أن سالم بن عوف بن مالك الأشجعي أسره العدو..»] إلى آخره، رواه البيهقي(٢)، وغيره [وقرئ «بالغاً»]؛ أي: ورفع «أمْرُهُ».

---

(١) مستدرك الحاكم [٢/ ٥٣٤/ برقم: ٣٨١٩].

(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزمخشري [٤/ ٥٢/ برقم: ١٣٦٩].

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾﴾.

﴿٤﴾ - ﴿٥﴾ ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ لكبرهن. ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ شككتم في عدّتهن؛ أي: جهلتم. ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾ روي: أنه لما نزل ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ﴾ [البقرة: ٢٢٨] قيل: فما عدة الَّلاتي لم يحضن؟ فنزلت: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾؛ أي: واللائي لم يحضن بعد كذلك. ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ منتهى عدّتهن. ﴿أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهنّ أزواجهنّ، والمحافظة على عمومه أولى من محافظة عموم قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا﴾ [البقرة: ٢٣٤] لأن عموم أولات الأحمال بالذات وعموم أزواجاً بالعرض، والحكم معلل ها هنا بخلافه ثَمَّ، ولأنه صح أن سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**قد حللت فتزوّجي**»، ولأنه متأخر النزول فتقديمه تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والأوّل راجح للوفاق عليه. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فما في أحكامه فيراعي حقوقها. ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ يسهل عليه أمره ويوفقه للخير. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من الأحكام. ﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في أحكامه فيراعي حقوقه. ﴿يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ فإن الحسنات يذهبن السيئات ﴿وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾ بالمضاعفة.

[**أي: جهلتهم**]؛ أي: كيف تعتدون [**صحَّ: «أن سبيعة بنت الحارث وضعت..»**] إلى آخره، رواه الشيخان(١) [**وهو عطف لبيان من حيث سكنتم**] تبع فيه الزمخشري، واعترض بأن عطف البيان لا يُعرف معه إعادة العامل، وإنما يعُرف ذلك في البدل، ولذلك أعربه أبو البقاء: بدلاً [**بناءً للعام**]؛ أي: لتقديمه.

---

(١) صحيح البخاري [٤/١٤٦٦/ برقم: ٣٧٧٠]، صحيح مسلم [٢/١١٢٢/ برقم: ١٤٨٤].

۞ ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَـٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَـٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾﴾.

﴿٦﴾ - ﴿٧﴾ ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾؛ أي: مكاناً من مكان سكناكم. ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ من وسعكم؛ أي: مما تطيقونه، أو عطف بيان لقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾. ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ في السكنى. ﴿لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ فتلجئوهن إلى الخروج. ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ فيخرجن من العدّة، وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدّات والأحاديث تؤيده. ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ بعد انقطاع علقة النكاح. ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاع. ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ وليأمر بعضكم بعضاً بجميل في الإرضاع والأجر. ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايقتم. ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ امرأة أخرى، وفيه معاتبة للأم على المعاسرة. ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه. ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ فإنه تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، وفيه تطييب لقلب المعسر؛ ولذلك وعد له باليسر فقال: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾؛ أي: عاجلاً أو آجلاً.

﴿٨﴾ - ﴿٩﴾ ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أهل قرية ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ أعرضت عنه إعراض العاتي المعاند. ﴿فَحَاسَبْنَـٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ بالاستقصاء والمناقشة. ﴿وَعَذَّبْنَـٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ منكراً والمراد حساب الآخرة، وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق. ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبة كفرها ومعاصيها. ﴿وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ لا ربح فيه أصلاً.

۞ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ
إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ
وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ
أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾.

﴿١٠﴾ ـ ﴿١١﴾ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها في قوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ ويجوز أن يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم وإثباتها في صحف الحفظة، وبالعذاب ما أصيبوا به عاجلاً. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا﴾؛ يعني بالذكر: جبريل عليه السلام لكثرة ذكره، أو لنزوله بالذكر وهو القرآن، أو لأنه مذكور في السمٰوات أو ذا ذكر؛ أي: شرف، أو: محمداً عليه الصلاة والسلام لمواظبته على تلاوة القرآن، أو تبليغه وعبّر عن إرساله بالإنزال ترشيحاً، أو لأنه مسبب عن إنزال الوحي إليه، وأبدل منه رَسُولاً للبيان أو أراد به القرآن، ورَسُولاً. منصوب بمقدر مثل (أرسل) أو (ذكراً) مصدر و(رسولاً) مفعوله أو بدله على أنه بمعنى الرسالة. ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ﴾ حال من اسم اللَّهِ أو صفة (رَسُولاً)، والمراد بـ(الَّذِينَ آمَنُوا) في قوله: ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ الذين آمنوا بعد إنزاله؛ أي: ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الإيمان والعمل الصالح، أو ليخرج من علم، أو قدر أنه يؤمن ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ من الضلالة إلى الهدى. ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ وقرأ نافع وابن عامر (ندخله) بالنون. ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ فيه تعجيب وتعظيم لما رزقوا من الثواب.

﴿١٢﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ﴾ مبتدأ وخبر. ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾؛

أي: وخلق مثلهن في العدد من الأرض، وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾؛ أي: يجري أمر الله وقضاؤه بينهن، وينفذ حكمه فيهن. ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا﴾ علة لِـ(خَلَقَ) أو (يَتَنَزَّلُ)، أو مضمر يعمهما فإن كلاً منهما يدل على كمال قدرته وعلمه.

عن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة الطلاق مات على سُنَّة رسول الله ﷺ»**.

[«من قرأ سورة الطلاق بات على سُنَّة رسول الله ﷺ..»] موضوع[1].



(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٥٥/ برقم: ١٣٧٥].

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

(٦٦) مدنية، وهي اثنتا عشرة آية

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١﴾ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ - ﴿٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ روي: أنه عليه السلام خلا بمارية في نوبة عائشة أو حفصة؛ فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه، فحرم مارية، فنزلت. وقيل: شرب عسلاً عند حفصة، فواطأت عائشة سودة وصفية؛ فقلن له: إنا نشمّ منك ريح المغافير، فحرّم العسل، فنزلت. ﴿تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾ تفسير لـ(تُحَرِّمُ) أو حال من فاعله، أو استئناف لبيان الداعي إليه. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لك هذه الزلة؛ فإنه لا يجوز تحريم ما أحله الله. ﴿رَّحِيمٞ﴾ رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك. ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ﴾ قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقَّدتهُ بالكفارة، أو الاستثناء فيها بالمشيئة حتى لا تحنث من قولهم: (حلل في يمينه) إذا استثنى فيها، واحتج بها من رأى التحريم مطلقاً أو تحريم المرأة يميناً، وهو ضعيف؛ إذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يميناً، مع

قال في «الكشاف»(١): إنها مدنية، وتركه المصنف لذهول، أو غيره [هذه الزلة] تبع في التعبير بها الزمخشري، وقد أطبق الأئمة على التشنيع عليه فيها [أو الاستثناء] بالجر عطفاً على «الكفارة» [فيها]؛ أي: في اليمين [واحتج به من رأى التحريم مطلقاً]؛ أي: عن التقييد بالمرأة [أو تحريم المرأة] فقط [يميناً] مفعول ثانٍ

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/٥٦٦].

۞ ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾.

احتمال أنه عليه الصلاة والسلام أتى بلفظ اليمين؛ كما قيل: ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ متولي أمركم ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يصلحكم ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ المتقن في أفعاله وأحكامه.

﴿٣﴾ - ﴿٤﴾ ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾؛ يعني: حفصة ﴿حَدِيثًا﴾ تحريم مارية أو العسل أو أن الخلافة بعده لأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾؛ أي: فلما أخبرت حفصة عائشة بالحديث. ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ واطلع النبي عليه السلام على الحديث؛ أي: على إفشائه. ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ عرّف الرسول عليه السلام حفصة بعض ما فعلت. ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ عن أعلام بعض تكرماً أو جازاها على بعض بتطليقه إياها وتجاوز عن بعض، ويؤيده قراءة الكسائي بالتخفيف؛ فإنه لا يحتمل هٰهنا غيره، لكن المشدد من باب إطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس، ويؤيد الأوّل قوله: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ فإنه أوفق للإعلام. ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في المعاتبة. ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ فقد وجد منكما ما يوجب التوبة، وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة رسول الله عليه السلام بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه. ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ وإن تتظاهرا عليه بما يسؤوه، وقرأ الكوفيون بالتخفيف. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ

لـ«رأى» [أو أن الخلافة] عطف على «تحريم» [أو جازاها] عطف على «عرف الرسول» [فإنه لا يحتمل غيره]؛ أي: غير ما ذكر من المجازاة؛ لأن علمه سابق عليها بإعلام الله له [من مخالصة الرسول]؛ أي: مصافاته.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾.

ظَهِيرٌ﴾ فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين، فإن الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه، ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه متظاهرون، وتخصيص جبريل لتعظيمه، والمراد بالصالح الجنس؛ ولذلك عمم بالإضافة وبقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله تعالى به.

﴿٥﴾ ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ على التغليب، أو تعميم الخطاب، وليس فيه ما يدل على أنه لم يطلق حفصة وأن في النساء خيراً منهن؛ لأن تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة، والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه، وقرأ نافع وأبو عمرو (يُبْدِلْهُ) بالتخفيف. ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ مقرات مخلصات أو منقادات مصدقات. ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ مصليات أو مواظبات على الطاعة. ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ عن الذنوب. ﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾ متعبدات أو متذللات لأمر الرسول عليه السلام. ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ صائمات، سمي الصائم سائحاً؛ لأنه يسيح بالنهار بلا زاد، أو مهاجرات. ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولأنهما في حكم صفة واحدة إذ المعنى مشتملات على الثيبات والأبكار.

﴿٦﴾ ـ ﴿٧﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ بترك المعاصي وفعل الطاعات. ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالنصح والتأديب، وقرئ و(أهلوكم) عطف على واو

[فلن يعدم]؛ أي: الرسول [وقوله بعد ذلك] في نسخ: «وبقوله» [على التغليب]؛ أي: تغليب غير المطلقة عليها [أو تعميم الخطاب]؛ أي: بأن يطلقها

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾.

(قُوا)، فيكون (أَنْفُسَكُمْ) أنفس القبيلين على تغليب المخاطبين. ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ ناراً تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب. ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ تلي أمرها وهم الزبانية. ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ الأقوال، شداد الأفعال، أو غلاظ الخلق شداد الخلق، أقوياء على الأفعال الشديدة. ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ فيما مضى. ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فيما يستقبل، أو لا يمتنعون عن قبول الأوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به.

﴿٧﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: يقال لهم ذلك عند دخولهم النار، والنهي عن الاعتذار لأنه لا عذر لهم أو العذر لا ينفعهم.

﴿٨﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾؛ أي: بالغة في النصح، وهو صفة التائب فإنه ينصح نفسه بالتوبة، وصفت به على الإسناد المجازي مبالغة أو في النصاحة، وهي الخياطة كأنها تنصح ما خرق الذنب. وقرأ أبو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور، أو النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح أو تنصح نصوحاً، أو توبوا نصوحاً لأنفسكم.

وسئل علي رضي الله عنه عن التوبة فقال: (يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة، وللفرائض الإعادة، ورد المظالم، واستحلال الخصوم،

ثانياً [وهو صفة الثابت]؛ أي: في المعنى، ويجوز أن يكون صفة لـ«توبة» كما يؤخذ

۞ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾.

وأن تعزم على أن لا تعود، وأن تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية).

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ ذكر بصيغة الأطماع جرياً على عادة الملوك، وإشعاراً بأنه تفضل، والتوبة غير موجبة، وأن العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء. ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ ظرف ليُدْخِلَكُمْ. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ عطف على النبي عليه الصلاة والسلام إحماداً لهم وتعريضاً لمن ناوأهم، وقيل: مبتدأ خبره: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ﴾؛ أي: على الصراط. ﴿يَقُولُونَ﴾ إذا طفئ نور المنافقين. ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ وقيل: تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون إتمامه تفضلاً.

﴿٩﴾ - ﴿١٠﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ بالحجة. ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم به إذا بلغ الرفق مداه. ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ جهنم أو مأواهم. ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ مَثَّلَ الله تعالى حالهم في أنهم يعاقبون بكفرهم، ولا يحابون بما بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين من النسبة بحالهما. ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا﴾ يريد به تعظيم نوح ولوط عليهما السلام. ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ بالنفاق. ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج شيئاً إغناء ما. ﴿وَقِيلَ﴾؛ أي: لهما عند موتهما أو يوم القيامة. ﴿ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء.

۞ ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿١١﴾ - ﴿١٢﴾ ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ شبه حالهم في أن وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسية رضي الله عنها ومنزلتها عند الله مع أنها كانت تحت أعدى أعداء الله. ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ ظرف للمثل المحذوف. ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ قريباً من رحمتك أو في أعلى درجات المقربين. ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ من نفسه الخبيثة وعمله السيئ. ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من القبط التابعين له في الظلم.

﴿١٢﴾ ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾ عطف على امْرَأة فِرْعَوْنَ تسلية للأرامل. ﴿ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ من الرجال ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ في فرجها، وقرئ (فيها)؛ أي: في مَرْيَمَ أو في الحمل. ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ من روح خلقناه بلا توسط أصل. ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ بصحفه المنزلة أو بما أوحى إلى أنبيائه. ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ وَما كتب في اللوح، أو جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع، وقرئ (بكلمة الله وكتابه)؛ أي: بعيسى والإنجيل. ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ من عداد المواظبين على الطاعة، والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرّجال الكاملين حتى عدّت من جملتهم، أو من نسلهم فتكون (مِنْ) ابتدائية.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من**

من كلامه بعد؛ لكونها بمعنى «توباً» وبه قرئ شاذاً [«**كمل من الرجال كثير..**»] إلى آخره، رواه أبو نعيم في الحلية[1]، وأصله في الصحيح بدون ذِكْر «خديجة»

---

(١) حلية الأولياء، أبو نعيم [٥/ ٩٩].

النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد. وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

وعنه عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحاً**».

و«فاطمة». [«**من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحاً**..»] موضوع[1].



(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/٦٨/ برقم: ١٣٨٨].

سورة الملك

(٦٧) مكية، ثلاثون آية

۞ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ
لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ
فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٢) ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ بقبضة قدرته التصرف في الأمور كلها. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ على كل ما يشاء قدير. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ قدرهما أو أوجد الحياة وأزالها حسبما قدره، وقدم الموت لقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] ولأنه أدعى إلى حسن العمل. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف أيها المكلفون. ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أصوبه وأخلصه، وجاء مرفوعاً: «**أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعته**»، جملة واقعة موقع المفعول ثانياً لفعل البلوى المتضمن معنى العلم، وليس هذا من باب التعليق لأنه يخل به وقوع الجملة خبراً، فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما إذا وقعت موقع المفعولين. ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل. ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ لمن تاب منهم.

(٣) ـ (٤) ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ مطابقة بعضها فوق بعض،

[وجاء]؛ أي: في تفسيره ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، [مرفوعاً]؛ أي: إلى النبي ﷺ [**وليس هذا من باب التعليق**] إلى آخره، تبع فيه «الكشاف»[1]، وفي خلافه

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٥٨٠].

۞ ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾.

مصدر طابقت النعل إذا خصفتها طبقاً على طبق وصف به، أو طوبقت طباقاً، أو ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال، أو طبقة كرحبة ورحاب. ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ﴾ وقرأ حمزة والكسائي (من تفوُّت) ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد، وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت كأن كلاً من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر، والجملة صفة ثانية للسَبْعَ وضع فيها خلق الرحمٰن موضع الضمير للتعظيم، والإشعار بأنه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلاً، وأن في إبداعها نعماً جليلة لا تحصى، والخطاب فيها للرسول أو لكل مخاطب وقوله: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ متعلق به على معنى التسبب؛ أي: قد نظرت إليها مراراً فانظر إليها مرة أخرى متأملاً فيها لتعاين ما أخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها، والفُطُورِ الشقوق؛ والمراد الخلل من فطره إذا شقه. ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾؛ أي: رجعتين أخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك، ولذلك أجاب الأمر بقوله: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ بعيداً عن إصابة المطلوب كأنه طرد عنه طرداً بالصغار. ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة.

۝٥ ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ أقرب السمٰوات إلى الأرض. ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ بالكواكب المضيئة بالليل إضاءة السرج فيها، ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في السمٰوات فوقها إذ التزيين بإظهارها فيها والتنكير للتعظيم. ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ﴾ وجعلنا لها فائدة أخرى وهي رجم أعدائكم، بانقضاض الشهب المسببة عنها. وقيل معناه: وجعلناها رجوماً وظنوناً لشياطين الإنس وهم المنجمون، والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به. ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا.

۞ ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا
وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟
بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا
نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾.

﴿٦﴾ - ﴿٧﴾ ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ من الشياطين وغيرهم. ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ وقرئ بالنصب على أن (لِلَّذِينَ) عطف على (لَهُمْ) و(عَذابُ) على (عَذابَ السَّعِيرِ). ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾ صوتاً كصوت الحمير. ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ تغلي بهم غليان المرجل بما فيه.

﴿٨﴾ - ﴿٩﴾ ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ تتفرق غيظاً عليهم، وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم، ويجوز أن يراد غيظ الزبانية. ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ جماعة من الكفرة. ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت. ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ كَبِيرٍ﴾؛ أي: فكذبنا الرسل وأفرطنا في التكذيب حتى نفينا الإنزال والإرسال رأساً، وبالغنا في نسبتهم إلى الضلال، فالنذير إما بمعنى الجمع لأنه فعيل أو مصدر مقدر بمضاف؛ أي: أهل إنذار، أو منعوت به للمبالغة أو الواحد والخطاب له ولأمثاله على التغليب، أو إقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل، أو على أن المعنى قالت الأفواج قد جاء إلى كل فوج منا رسول من الله فكذبناهم وضَلَّلْنَاهم، ويجوز أن يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على إرادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا، أو عقابه الذي يكونون فيه.

﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾ ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتماداً على ما لاح من صدقهم بالمعجزات. ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين. ﴿مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ في عدادهم ومن جملتهم. ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ﴾ حين لا ينفعهم، والاعتراف إقرار

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَأَجۡرٌ كَبِيرٌ ۝١٢ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٤ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥﴾.

عن معرفة، والذنب لم يجمع لأنه في الأصل مصدر، أو المراد به الكفر. ﴿فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ فأسحقهم الله سحقاً أبعدهم من رحمته، والتغليب للإيجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل.

(١٢) ـ (١٣) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ يخافون عذابه غائباً عنهم لم يعاينوه بعد، أو غائبين عنه أو عن أعين الناس، أو بالمخفي منهم وهو قلوبهم. ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٌ﴾ لذنوبهم. ﴿وَأَجۡرٌ كَبِيرٌ﴾ تصغر دونه لذائذ الدنيا. ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بالضمائر قبل أن يعبر عنها سراً أو جهراً.

(١٤) ـ (١٥) ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ﴾ ألا يعلم السر والجهر من أوجد الأشياء حسبما قدرته حكمته. ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن، أو ألا يعلم الله من خلقه، وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي أن يكون (لَيَعْلَمُ) مفعول لـ(يفيد)، روي: أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء، فيخبر الله بها رسوله، فيقولون: أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد! فنبه الله على جهلهم. ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا﴾ لينة يسهل لكم السلوك فيها. ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ في جوانبها أو جبالها، وهو مثل لفرط التذليل؛ فإن منكب البعير ينبوا عن أن يطأه الراكب ولا يتذلل له، فإذا جعل الأرض في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل. ﴿وَكُلُواْ

في نظيره في هود جرياً على أحد القولين هنا، وعلى الآخر وهو ما عليه الأكثر [**أو بالمخفي عنهم**] عطف على «غائباً» [**يستدعي أن يكون (ليعلم) مفعول**] هو على الثاني ﴿مَنۡ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤]، وعلى الأول محذوف؛ أي: ما خلقه الله.

[**ينبو أن يطأه الراكب**]؛ أي: يتجافى ويبعد عن أن يطأه الراكب

۞ ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾.

﴿مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾ والتمسوا من نعم الله. ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ المرجع فيسألكم عن شكر ما أنعم عليكم.

﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾ ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؛ يعني: الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم، أو الله تعالى على تأويل مَنْ فِي السَّماءِ أمره أو قضاؤه، أو على زعم العرب فإنهم زعموا أنه تعالى في السماء، وعن ابن كثير (وامنتم) بقلب الهمزة الأولى واواً لانضمام ما قبلها، وبرواية البزي (وأمنتم) بتسهيل الثانية بلا فصل، وقرأ قالون وأبو عمرو بتسهيل الثانية مع الفصل، وورش بإبدالها ألفاً أو بتسهيلها بلا فصل، والباقون بتحقيق الهمزتين. ﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من بدل الاشتمال. ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ تضطرب، والمور التردد في المجيء والذهاب. ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾ أن يمطر عليكم حصباء. ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ كيف إنذاري إذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ.

﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾ ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكاري عليهم بإنزال العذاب، وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام وتهديد لقومه المشركين. ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ﴾ باسطات أجنحتهن في الجو

[وأمنتم]؛ أي: وقرئ «أمنتم» [بقلب الثانية ألفاً]؛ أي: خالصة عند نافع في رواية، وبين بين[1] عنده في أُخرى، وعند بقية من ذكره بقوله: وهو قراءة نافع إلى آخره

---

(١) كما في نسخة [ز - ج - ب] وفي نسخة [الأصل]: (وبين وبين).

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾.

عند طيرانها، فإنهن إذا بسطنها صففن قوادمها. ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن وقتاً بعد وقت للاستظهار به على التحريك، ولذلك عدل به إلى صيغة الفعل للتفرقة بين الأصل في الطيران والطارئ عليه. ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ في الجو على خلاف الطبع ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ الشامل رحمته كل شيء بأن خلقهن على أشكال وخصائص هيأتهم للجري في الهواء ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب.

﴿٢٠﴾ ـ ﴿٢١﴾ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ عديل لقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ [الرعد: ٤١] على معنى: أو لم تنظروا في أمثال هذه الصنائع، فلم تعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وإرسال حاصب، أم لكم جند ينصركم من دون الله إن أرسل عليكم عذابه فهو كقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ [الأنبياء: ٤٣] إلا أنه أخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم إشعاراً بأنهم اعتقدوا هذا القسم، و(من) مبتدأ وهذَا خبره، و(الَّذِي) بصلته صفته و(يَنْصُرُكُمْ) وصف لِـ(جُنْدٌ) محمول على لفظه. ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ لا معتمد لهم. ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ﴾ أم من يشار إليه ويقال: هذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ. ﴿إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ بإمساك المطر وسائر الأسباب المخلصة والموصلة له إليكم. ﴿بَل لَّجُّوا۟﴾ تمادوا. ﴿فِى عُتُوٍّ﴾ عناد. ﴿وَنُفُورٍ﴾ شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه.

﴿٢٢﴾ ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ﴾ يقال: كببته فأكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فأقشع، والتحقيق أنهما من باب أنفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع، وليسا مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع، ومعنى (مُكِبّاً) أنه يعثر كل ساعة وَيَخِرُّ على وجهه لوعورة طريقه

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

واختلاف أجزائه، ولذلك قابله بقوله: ﴿أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا﴾ قائماً سالماً من العثار. ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ مستوي الأجزاء والجهة، والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسّالكين والدينين بالمسلكين، ولعلّ الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسلك؛ للإشعار بأن ما عليه المشرك لا يستأهل أن يسمى طريقاً، كمشي المتعسف في مكان متعاد غير مستو. وقيل المراد بالمكب: الأعمى فإنه يتعسف فينكب وبالسّوي البصير، وقيل: (من يَمْشِي مُكِبّاً) هو الذي يحشر على وجهه إلى النار (ومن يَمْشِي سَوِيّاً) الذي يحشر على قدميه إلى الجنة.

﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ لتسمعوا المواعظ. ﴿وَالْأَبْصَارَ﴾ لتنظروا صنائعه. ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ لتتفكروا وتعتبروا. ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ باستعمالها فيما خلقت لأجلها. ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للجزاء.

﴿٢٥﴾ - ﴿٢٧﴾ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾؛ أي: الحشر أو ما وعدوا به من الخسف والحاصب. ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ يعنون: النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين. ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾؛ أي: علم وقته. ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ لا يطلع عليه غيره. ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ والإنذار يكفي له العلم بل الظن بوقوع المحذر منه. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾؛ أي: الوعد فإنه بمعنى الموعود. ﴿زُلْفَةً﴾ ذا زلفة؛ أي: قرب منهم. ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن علتها الكآبة وساءتها رؤية

[**واختلاف أجزائه**]؛ أي: أجزاء طريقه [**والحاصب**] هو الريح الشديد؛ قاله

۞ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ
أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾.

العذاب. ﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء، أو تَدَّعُونَ أن لا بعث فهو من الدعوى.

﴿٢٨﴾ ـ ﴿٣٠﴾ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ﴾ أماتني ﴿وَمَن مَّعِيَ﴾ من المؤمنين ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ بتأخير آجالنا. ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ أي: لا ينجيهم أحد من العذاب متنا أو بقينا، وهو جواب لقولهم: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]. ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ الذي أدعوكم إليه مولى النعم كلها. ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ للعلم بذلك ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ للوثوق عليه والعلم بأن غيره بالذات لا يضر ولا ينفع، وتقديم الصلة للتخصيص والإشعار به. ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ منا ومنكم، وقرأ الكسائي بالياء. ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ غائراً في الأرض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به. ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ جار أو ظاهر سهل المأخذ.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر**».

الجوهري[١]. [**عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة الملك، فكأنما أحيا ليلة القدر..»**] موضوع[٢].



---

(١) الصحاح، الجوهري [١/ ٢٨٠].

(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٧١/ برقم: ١٣٨٩].

سُورَةُ القَلَمِ

(٦٨) مكية وهي اثنتان وخمسون آية، مكية

۞ ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) - (٤) ﴿نٓۚ﴾ من أسماء الحروف، وقيل: اسم الحوت، والمراد به الجنس أو اليهموت وهو الحوت الذي عليه الأرض، أو الدّواة فإن بعض الحيتان يستخرج منه شيء أشد سواداً من النقس يكتب به، ويؤيد الأوّل سكونه وكتبه بصورة الحرف. ﴿وَٱلۡقَلَمِ﴾ وهو الذي خط اللوح، أو الذي يخط به أقسم به تعالى لكثرة فوائده وأخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب النون إجراء للواو المنفصل مجرى المتصل، فإن النون الساكنة تخفى مع حروف الفم إذا اتصلت بها. وقد روي ذلك عن نافع وعاصم، وقرئت بالفتح والكسر كـ(صاد). ﴿وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ وما يكتبون والضمير للْقَلَمِ بالمعنى الأول: على التعظيم، أو بالمعنى الثاني: على إرادة الجنس وإسناد الفعل إلى الآلة وإجراؤه مجرى أولي العلم لإقامته مقامهم، أو لأصحابه أو

[أو الدواة] عطف على «الجنس»، وتفسير النون بها مناسب لذكر القلم، وقد أطال «الكشاف» في بيانها[1]، وقد عللها المصنف بقوله: [فإن بعض الحيتان] إلى آخره [وأخفى ابن عامر، والكسائي، ويعقوب النون] كذا في أكثر النسخ وفي نسخة: وأدغم ابن عامر، والكسائي، ونافع، وأبو بكر عن عاصم النون [وأجزائه] الأولى وأجزاؤه [لأقامته مقامهم] في نسخة: «مقامه»، والأول أولى [أو لأصحابه]؛ أي: القلم عطف على «للقلم».

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري [٤/ ٥٨٩].

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾.

للحفظة و(ما) مصدرية أو موصولة. ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ جواب القسم والمعنى: ما أنت بمجنون منعماً عليك بالنبوة وحصافة الرأي، والعامل في الحال معنى النفي، وقيل: (بِمَجْنُونٍ) الباء لا تمنع عمله فيما قبله لأنها مزيدة، وفيه نظر من حيث المعنى. ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ على الاحتمال والإبلاغ. ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع، أو ممنون به عليك من الناس فإنه تعالى يعطيك بلا توسط. ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ إذ تتحمل من قومك ما لا يتحمله أمثالك، وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت: (كان خلقه القرآن، ألست تقرأ القرآن: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]).

۝٥ ـ ۝٧ ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ أيكم الذي فتن

[ما أنت بمجنون منعم] بالجر وفي نسخة: «منعماً» بالنصب نظراً لمحل قوله: ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢] وبكل حال أشار إلى أن ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ متعلق ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ وأن محله النصب على الحال، وقد بسط «الكشاف»(١) ذلك فقال: إنه يتعلق ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ منفياً كما يتعلق بعاقل مثبتاً في قولك: «أنت بنعمه الله عاقل» مستوياً في ذلك الإثبات والنفي استوائهما في قولك: «ضرب زيدٌ عمرواً»، و«ما ضرب زيدٌ عمرواً» تعمل الفعل مثبتاً ومنفياً إعمالاً واحداً، ومحله النصب على الحال كأنه يقول: «ما أنت بمجنون منعماً عليك بذلك».

[وحصافة الرأي] بحاء مهمله؛ أي: إحكامه كما مرَّ في سورة «والنجم» [«وسئلت عائشة عن خلقه..»] إلى آخره، رواه مسلم(٢) [«﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١]...»] رواه البخاري في الأدب(٣)، والنسائي(٤)،

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٥٨٩]. (٢) صحيح مسلم [١/ ٥١٢/ برقم: ٧٤٦].

(٣) الأدب المفرد، البخاري [١/ ١١٥/ برقم: ٣٠٨].

(٤) السنن الكبرى، النسائي [٦/ ٤١٢/ برقم: ١١٣٥٠].

۞ ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلِّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾.

بالجنون والباء مزيدة، أو بأيكم الجنون على أن (المفتون) مصدر كالمعقول والمجلود، أو بأي الفريقين منكم المجنون، أبفريق المؤمنين أو بفريق الكافرين؟ أي: في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم؟ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ وهم المجانين على الحقيقة. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ الفائزين بكمال العقل.

۝٨ - ۝٩ ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ تهييج للتصميم على معاصاتهم. ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ﴾ تلاينهم بأن تدع نهيهم عن الشرك، أو توافقهم فيه أحياناً. ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ فيلاينونك بترك الطعن والموافقة، والفاء للعطف؛ أي: ودّوا التداهن وتمنوه لكنهم أخروا إدهانهم حتى تدهن، أو للسببية؛ أي: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فهم يدهنون حينئذ، أو وَدّوا إدهانك فهم الآن يدهنون طمعاً فيه، وفي بعض المصاحف (فيدهنوا) على أنه جواب التمني.

۝١٠ - ۝١٣ ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ حقير الرأي من المهانة وهي الحقارة. ﴿هَمَّازٍ﴾ عياب. ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ نقال للحديث على وجه السعاية. ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ يمنع الناس عن الخير من الإيمان والإيقان والعمل الصالح. ﴿مُعْتَدٍ﴾ متجاوز في الظلم. ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الآثام. ﴿عُتُلِّۭ﴾ جافٍ غليظ من عتله إذا قاده بعنف وغلظة. ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد ما عد من مثالبه. ﴿زَنِيمٍ﴾ دعي مأخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان من أذنها وحلقها، قيل: هو الوليد بن المغيرة ادّعاه أبوه بعد ثماني عشرة من مولده. وقيل: الأخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده في زهرة.

والحاكم[(١)] [من مثالبه]؛ أي: عيوبه، جمع مَثْلَبَة؛ من ثَلَبَهُ ثَلْباً؛ إذا صَرَّحَ بعيبِهِ

---

(١) مستدرك الحاكم [٢/٤٢٦/برقم: ٣٤٨١].

۞ ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿١٤﴾ ـ ﴿١٦﴾ ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قال ذلك حينئذٍ لأنه كان متمولاً مستظهراً بالبنين من فرط غروره، لكن العامل مدلول قال لانفسه؛ لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله، ويجوز أن يكون علة للَا تُطِعْ؛ أي: لا تطع من هذه مثاله لأن كان ذا مال. وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وأبو بكر (أن كان) على الاستفهام، غير أن ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين؛ أي: (ألأن كان ذا مال) كذب، أو أتطيعه لأن كان ذا مال. وقرئ (إن كان) بالكسر على أن شرط الغنى في النهي عن الطاعة كالتعليل بالفقر في النهي عن قتل الأولاد، أو (إن) شرطه للمخاطب؛ أي: لا تطعه شارطاً يساره لأنه إذا أطاع للغنى فكأنه شرطه في الطاعة. ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ بالكي. ﴿عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ على الأنف، وقد أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقي أثره، وقيل: هو عبارة عن أن يذله غاية الإذلال؛ كقولهم: جدع أنفه، رغم أنفه؛ لأن السمة على الوجه سيّما على الأنف شين ظاهر، أو نسوّد وجهه يوم القيامة.

﴿١٧﴾ ـ ﴿١٨﴾ ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ بلونا أهل مكة بالقحط. ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ يريد البستان الذي كان دون صنعاء بفرسخين، وكان لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل وألقته الرّيح، أو بعد من البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير، فلما مات قال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا، فحلفوا لَيَصْرِمُنَّها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ ليقطعنها داخلين في الصباح. ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ ولا يقولون إن شاء الله، وإنما سماه

وبنقصِهِ [أي: **الأب**] بيان للمعنى لا لقراءة ابن عامر فقط [**سمياً**]؛ أي: الليل،

۞ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

استثناء لما فيه من الإخراج غير أن المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه، أو لأن معنى لا أخرج إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد، أو وَلا يَسْتَثْنُونَ حصة المساكين كما كان يخرج أبوهم.

﴿١٩﴾ - ﴿٢٢﴾ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾ على الجنة. ﴿طَآئِفٌ﴾ بلاء طائف. ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ مبتدأ منه. ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء. فعيل بمعنى مفعول، أو كالليل باحتراقها واسودادها، أو كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم؛ لأن كلاً منهما ينصرم عن صاحبه أو كالرمال. ﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ أن أخرجوا أو بأن أخرجوا إليه غدوة، وتعدية الفعل بـ(على) إما لتضمنه معنى الإقبال أو لتشبيه الغدو للصّرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ قاطعين له.

﴿٢٣﴾ - ﴿٢٥﴾ ﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ يتسارّون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد بمعنى: الكتم، ومنه الخفدود للخفاش. ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ (أَنْ) مفسرة، وقرئ بطرحها على إضمار القول، والمراد بنهي المسكين عن الدّخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقولهم: لا أرينك ههنا. ﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ وغدوا قادرين على نكد لا غير، من حاردت السنة إذا لم يكن فيها مطر، وحاردت الإبل إذا منعت درّها. والمعنى: أنهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون إلا على النكد، أو غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم

والنهار.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

قادرين على الانتفاع. وقيل: الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به؛ أي: لم يقدروا إلا على حنق بعضهم لبعض كقوله: ﴿يَتَلَٰوَمُونَ﴾، وقيل: الحرد القصد والسرعة قال الشاعر:

أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّه ... يَحْرُدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّة

أي: غدوا إلى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها، وقيل: الحرد علم للجنة.

﴿٢٦﴾ ـ ﴿٢٩﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ أول ما رأوها. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ طريق جنتنا وما هي بها. (بَلْ)؛ أي: بعد ما تأملوه وعرفوا أنها هي قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا. ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ رأياً، أو سناً. ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ لولا تذكرونه وتتوبون إليه من خبث نيتكم، وقد قاله حيثما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى. ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾؛ أي: لولا تستثنون فسمي الاستثناء تسبيحاً لتشاركهما في

[أو كالرمال] عطف على «كالبستان».

[كذب]؛ أي: آياتنا [قال]؛ أي: الشاعر:

[أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّه ... يَحْرُدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّة][1]

أي: يقصد قصد الجنة التي تغل الثمار وغيرها، وقيل: عَلَمٌ للجنة تفسير رابع للحرد؛ أي: غدوا على تلك الجنة[2] قادرين على صرامها عند أنفسهم، أو مقدّرين أن يتم مرادهم من الصرام والحرمان. [أو لا يستثنون] عطف على «تذكرونه» **قال**

---

(١) المقتضب، المبرد [١/١٠٨].

(٢) عبارة (تغل الثمار وغيرها، وقيل: علم للجنة تفسير رابع للجرد؛ أي: غدوا على تلك الجنة) من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

۞ ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

التعظيم، أو لأنه تنزيه على أن يجري في ملكه ما لا يريده.

﴿٣٠﴾ - ﴿٣٣﴾ ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾ يلوم بعضهم بعضاً فإن منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه، ومنهم من سكت راضياً، ومنهم من أنكره. ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ متجاوزين حدود الله تعالى. ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾ ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة. وقد روي أنهم أبدلوا خيراً منها، وقرئ (يُبْدِلْنا) بالتخفيف. ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ راجون العفو طالبون الخير، و(إلى) لانتهاء الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع. ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ مثل ذلك العذاب الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة العذاب في الدنيا. ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أعظم منه. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لاحترزوا عما يؤديهم إلى العذاب.

﴿٣٤﴾ - ﴿٣٦﴾ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: في الآخرة، أو في جوار القدس. ﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص. ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ إنكار لقول الكفرة، فإنهم كانوا يقولون: إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا! بل نكون أحسن حالاً منهم كما نحن عليه في الدنيا! ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له، وإشعار بأنه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأي.

﴿٣٧﴾ - ﴿٣٩﴾ ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾ من السماء. ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ تقرؤون. ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ إن لكم ما تختارونه وتشتهونه، وأصله (أن لكم) بالفتح لأنه المدروس فلما جيء باللام كسرت، ويجوز أن يكون حكاية للمدروس

۞ ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾
يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ
كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

أو استئنافاً، وتخير الشيء واختاره أخذ خيره. ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا﴾ عهود مؤكدة بالإيمان. ﴿بَالِغَةٌ﴾ متناهية في التوكيد، وقرئت بالنصب على الحال، والعامل فيها أحد الظرفين. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ متعلق بالمقدر في (لَكُمْ)؛ أي: ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم في ذلك اليوم؟ أو ببالِغَةٌ؛ أي: أيمان تبلغ ذلك اليوم. ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ جواب القسم؛ لأن معنى (أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا): أم أقسمنا لكم.

﴿٤٠﴾ ـ ﴿٤١﴾ ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه. ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ يشاركونهم في هذا القول. ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في دعواهم إذ لا أقل من التقليد، وقد نبّه تعالى في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن أن يتشبثوا به من عقل أو نقل يدل عليه الاستحقاق، أو وعد، أو محض تقليد، على الترتيب تنبيهاً على مراتب النظر وتزييفاً لما لا سند، وقيل المعنى: أَمْ لَهُمْ شُركاءُ يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة كأنه لما نفى أن تكون التسوية من الله تعالى نفى بهذا أن تكون مما يشاركون الله به.

﴿٤٢﴾ ـ ﴿٤٣﴾ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك، وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب. قال حاتم:

أخو الحَرْبِ إنْ عَضَّتْ بِهِ الحَرْبُ عَضَّهَا ... وَإنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّرَا

حاتم:

[أخا الحَرْب إنْ عضَّتْ بِهِ الحَرْبُ عَضَّهَا ... وَإنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّرَا]

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾.

أو يوم يكشف عن أصل الأمر وحقيقته بحيث يصير عياناً؛ مستعار من ساق الشجر وساق الإنسان، وتنكيره للتهويل أو للتعظيم. وقرئ (تُكْشَف) بالتاء على بناء المفعول والفاعل والفعل للساعة أو الحال. ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ توبيخاً على تركهم السجود إن كان اليوم يوم القيامة، أو يدعون إلى الصلوات لأوقاتها إن كان وقت النزع. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لذهاب وقته أو زوال القدرة عليه. ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ تلحقهم ذلة. ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ في الدنيا أو زمان الصحة. ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ متمكنون منه مزاحو العلل فيه.

﴿٤٤﴾ ـ ﴿٤٧﴾ ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ كله إليَّ فإني أكفيكه. ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ سندنيهم من العذاب درجة درجة بالإمهال وإدامة الصحة وازدياد النعمة. ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه استدراج وهو الإنعام عليهم لأنهم حسبوه تفضيلاً لهم على المؤمنين. ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ وأمهلهم. ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ لا يدفع بشيء، وإنما سمي إنعامه استدراجاً بالكيد لأنه في صورته. ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ على الإرشاد. ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ من غرامة. ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ بحملها فيعرضون عنك. ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ اللوح أو المغيبات. ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ منه ما يحكمون به ويستغنون به عن علمك.

﴿٤٨﴾ ـ ﴿٥٠﴾ ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم. ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ يونس عليه السلام. ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ في بطن الحوت. ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوء غيظاً من الضجرة فتبتلي ببلائه. ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؛ يعني: التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل، وقرئ

۞ ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

(تَدَارَكَتْهُ) و(تداركه)؛ أي: تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى: لولا أن كان يقال فيه تتداركه. ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾ بالأرض الخالية عن الأشجار. ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ مليم مطرود عن الرحمة والكرامة. وهو حال يعتمد عليها الجواب لأنها المنفية دون النبذ. ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ بأن رد الوحي إليه، أو استنبأه إن صح أنه لم يكن نبيّاً قبل هذه الواقعة. ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ من الكاملين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل ما تركه أولى، وفيه دليل على خلق الأفعال، والآية نزلت حين همَّ رسول الله ﷺ أن يدعو على ثقيف، وقيل: بأُحد حين حل به ما حل فأراد أن يدعو على المنهزمين.

﴿٥١﴾ - ﴿٥٢﴾ ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ إنْ هي المخففة واللام دليلها والمعنى: إنهم لشدة عداوتهم ينظرون إليك شزراً بحيث يكادون يزلون قدمك، أو يرمونك من قولهم: نظر إليَّ نظراً يكاد يصرعني؛ أي: لو أمكنه بنظره الصرع لفعله، أو أنهم يكادون يصيبونك بالعين. إذ روي أنه كان في بني أسد عيانون، فأراد بعضهم أن يعين رسول الله ﷺ فنزلت. وفي الحديث: «**إن العين لَتُدْخِلُ الرَّجُلَ القبر والجمل القدر**» ولعله يكون من خصائص بعض النفوس. وقرأ نافع (لَيُزْلِقُونَكَ) من زلقته فزلق كحزنته فحزن، وقرئ (ليزهقونك)؛ أي: ليهلكونك. ﴿لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ﴾؛

سمي أخا الحرب لمباشرته الحرب كثيراً، أو التشمير مثل لشدة الأمر وصعوبة الخطب [بمعنى: **لولا أن كان يقال فيه بتداركه**] زاد «الكشاف»[1]: كما يقال: كان زيد[2] سيقوم فمنعه فلان؛ أي: كان يقال فيه سيقوم، والمعنى: كان متوقعاً

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٦٠٠].

(٢) في نسخة [ج ـ ب]: (كأن زيداً).

أي: القرآن؛ أي: ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم. ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ حيرة في أمره وتنفيراً عنه. ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ لما جننوه لأجل القرآن بيَّن أنه ذِكْرٌ عَامٌّ لا يدركه ولا يتعاطاه إلا من كان أكمل الناس عقلاً وأمتنهم رأياً.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسَّن الله تعالى أخلاقهم**».

منه القيام [**وفي الحديث: «إن العين لتدخل الرجل القبر، والجمل القدر..»**] رواه أبو نعيم(١). [**«من قرأ سورة القلم..»**] إلى آخره، موضوع(٢).



(١) حلية الأولياء، أبو نعيم [٧/ ٩٠].

(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٧٩/ برقم: ١٣٩٥].

سُورَةُ الحَاقَّةِ

(٦٩) مكية، وآيها إحدى وخمسون آية

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٣) ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾؛ أي: الساعة أو الحالة التي يحق وقوعها، أو التي تحق فيها الأمور؛ أي: تعرف حقيقتها، أو يقع فيها حواق الأمور من الحساب والجزاء على الإسناد المجازي، وهي مبتدأ خبرها: ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ وأصله ما هي أي: أي شيء هي على التعظيم لشأنها والتهويل لها، فوضع الظاهر موضع الضمير لأنه أهول لها. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ وأي شيء أعلمك ما هي؛ أي: أنك لا تعلم كنهها فإنها أعظم من أن تبلغها دراية أحد، وما مبتدأ وأَدْراكَ خبره.

(٤) ـ (٨) ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ بالحالة التي تقرع فيها الناس بالإفزاع والأجرام بالانفطار والانتشار، وإنما وضعت موضع ضمير الْحَاقَّةُ زيادة في وصف شدتها. ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ بالواقعة المجاوزة للحدّ في الشدة وهي الصيحة، أو الرجفة لتكذيبهم بِالْقارِعَةِ، أو بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على أنها مصدر كالعاقبة وهو لا يطابق قوله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾؛ أي: شديدة الصوت أو البرد

[وهو لا يطابق]؛ أي: وتفسير الطاغية بالمصدر لا يطابق قوله: ﴿بِرِيحٍ

۞ ﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ٩ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ١١ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ١٢﴾.

من الصرّ أو الصرّ. ﴿عَاتِيَةٖ﴾ شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها، أو على عادٌ فلم يقدروا على ردّها. ﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ﴾ سلطها عليهم بقدرته، وهو استئناف أو صفة جيء به لنفي ما يتوهم من أنها كانت من اتصالات فلكية، إذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب. ﴿سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا﴾ متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة إذا تابعت بين كيها، أو نحسات حسمت كل خير واستأصلته، أو قاطعات قطعت دابرهم، ويجوز أن يكون مصدراً منتصباً على العلة بمعنى: قطعاً، أو المصدر لفعله المقدر حالاً؛ أي: تحسمهم حُسُوماً ويؤيده القراءة بالفتح، وهي كانت أيام العجوز من صبيحة أربعاء إلى غروب الأربعاء الآخر، وإنما سميت عجوزاً لأنها عجز الشتاء، أو لأن عجوزاً من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فأهلكتها. ﴿فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ﴾ إن كنت حاضرهم فِيها في مهابها أو في الليالي والأيام. ﴿فِيهَا صَرۡعَىٰ﴾ موتى جمع صريع. ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ﴾ أصول نخل. ﴿خَاوِيَةٖ﴾ متأكلة الأجواف. ﴿فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ﴾ من بقية أو نفس باقية، أو بقاء.

٩ - ١٢ ﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ﴾ ومن تقدمه، وقرأ البصريان والكسائي ﴿وَمَن قِبَلَهُۥ﴾؛ أي: ومن عنده من أتباعهِ، ويدل عليه أنه قرئ (وَمَنْ مَعَه). ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ﴾ قرى قوم لوط عليه السلام والمراد أهلها. ﴿بِٱلۡخَاطِئَةِ﴾

صَرۡصَرٍ﴾ [الحاقة: ٦]، [من الصَّرِّ] بالفتح، الصوت الشديد [أو الصِّر] بالكسر، هو بَردٌ يضر بالنبات والحرث يؤيده من قبله؛ أي: قراءة من قرأ قبَله بكسر القاف، وفتح الباء، ما يجب حفظها أنت الضمير باعتبار معنى ماء وإلّا لقال: حفظه وهو الأولى

۞ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾.

بالخطأ، أو بالفعلة أو الأفعال ذات الخطأ. ﴿فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ﴾؛ أي: فعصت كل أمة رسولها. ﴿فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً﴾ زائدة في الشدة زيادة أعمالهم في القبح. ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا﴾ الْماءُ جاوز حده المعتاد، أو طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يؤيد من قبله. ﴿حَمَلۡنَٰكُمۡ﴾؛ أي: آباءكم وأنتم في أصلابهم. ﴿فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾ في سفينة نوح عليه السلام. ﴿لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ﴾ لنجعل الفعلة وهي إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين. ﴿تَذۡكِرَةٗ﴾ عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته. ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ وتحفظها، وعن ابن كثير (تَعْيَها) بسكون العين تشبيهاً بكتف، والوعي: أن تحفظ الشيء في نفسك، والإيعاء: أن تحفظه في غيرك. ﴿أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾ من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه بتذكره وإشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه، والتنكير للدلالة على قلّتها، وأن من هذا شأنه مع قلّته تسبب لإنجاء الجم الغفير وإدامة نسلهم. وقرأ نافع (أُذْنُ) بالتخفيف.

﴿١٣﴾ ـ ﴿١٥﴾ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ لما بالغ في تهويل القيامة وذكر مآل المكذبين بها تفخيماً لشأنها وتنبيهاً على مكانها عاد إلى شرحها، وإنما حسن إسناد الفعل إلى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل، وقرئ (نَفْخَةً) بالنصب على إسناد الفعل إلى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الأولى التي عندها خراب العالم. ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ﴾ رفعت من أماكنها بمجرد القدرة الكاملة، أو بتوسط زلزلة أو ريح عاصفة. ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء، أو فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضاً لا عوج فيها ولا أمتاً لأن الدّك سبب للتسوية، ولذلك قيل: (ناقة دكاء) للتي لا سنام لها، و(أرض دكاء) للمتسعة المستوية. ﴿فَيَوۡمَئِذٖ﴾ فحينئذ. ﴿وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة.

۞ ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿١٦﴾ ـ ﴿١٧﴾ ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ لنزول الملائكة. ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ ضعيفة مسترخية. ﴿وَالْمَلَكُ﴾ والجنس المتعارف بالملك. ﴿عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ جوانبها جمع (رجا) بالقصر، ولعله تمثيل لخراب الدنيا بخراب البنيان وانضواء أهلها إلى أطرافها وحواليها، وإن كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة أثر ذلك. ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ فوق الملائكة الذين هم على الأرجاء، أو فوق الثمانية لأنها في نية التقديم. ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ ثمانية أملاك، لما روي مرفوعاً: «**أنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أُخْرَى**». وقيل: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله، ولعله أيضاً تمثيل لعظمته بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال:

﴿١٨﴾ ـ ﴿٢٠﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ تشبيهاً للمحاسبة بعرض السلطان العسكر لتعرف أحوالهم، وهذا وإن كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسماً لزمان متسع تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار صح جعله ظرفاً للكل. ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ سريرة على الله تعالى حتى يكون العرض للاطلاع عليها، وإنما المراد منه إفشاء الحال والمبالغة في العدل، أو على الناس، كما قال: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾

لمناسبة قوله: بتذكره وإشاعته إلى آخره[1] [**وانضواء أهلها إلى أطرافها**]؛ أي:

---

(١) عبارة (يؤيده من قبله؛ أي: قراءة من قرأ قِبَله بكسر القاف، وفتح الباء، ما يجب حفظها أنت الضمير باعتبار معنى ماء وإلّا لقال: حفظه وهو الأولى لمناسبة قوله: بتذكره وإشاعته إلى آخره) من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)﴾.

[الطارق: ٩] وقرأ حمزة والكسائي بالياء للفصل. ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ تفصيل للعرض. فَيَقُولُ تبجحاً: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ هاء اسم لـ(خذ)، وفيه لغات أجودها: هاء يا رجل، وهاء يا امرأة، وهاؤما يا رجلان أو امرأتان، وهاؤم يا رجال، وهاؤن يا نسوة، ومفعوله محذوف (وكِتابِيَهْ) مفعول (اقْرَؤُوا) لأنه أقرب العاملين، ولأنه لو كان مفعول (هاؤُمُ) لقيل: اقرأوه إذ الأولى إضماره حيث أمكن، والهاء فيه وفي ﴿حِسَابِيَهْ﴾ و﴿مَالِيَهْ﴾ و﴿سُلْطَانِيَهْ﴾ للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل، واستحب الوقف لثباتها في الإمام ولذلك قرئ بإثباتها في الوصل. ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾؛ أي: علمت، ولعله عبّر عنه بالظن إشعاراً بأنه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالباً.

(٢١) ـ (٢٤) ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ ذات رضا على النسبة بالصيغة. أو جعل الفعل لها مجازاً وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم. ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ مرتفعة المكان لأنها في السماء، أو الدرجات أو الأبنية والأشجار. ﴿قُطُوفُهَا﴾ جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر. ﴿دَانِيَةٌ﴾ يتناولها القاعد. ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ بإضمار القول وجمع الضمير للمعنى. ﴿هَنِيئًا﴾ أكلاً وشرباً هَنِيئاً أو هنئتم هَنِيئاً. ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ بما قدمتم من الأعمال الصالحة. ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الماضية من أيام الدنيا.

مضيهم إليها من نضى السهم؛ أي: مضى [ومفعوله محذوف]؛ أي: كتابي لدلالة كتابيه عليه.

[مفعول (اقرأوا)]؛ أي: عند البصريين، و«هاؤم» عند الكوفيين؛ ذكره

۞ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٧)﴾.

---

(٢٥) - (٢٩) ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ﴾ يقول لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة. ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦)﴾ (يَا لَيْتَهَا) يا ليت الموتة التي متها. ﴿كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ القاطعة لأمري فلم أبعث بعدها، أو: يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت عليّ كأنه صادفها أمر من الموت فتمناه عندها، أو: يا ليت حياة الدنيا كانت الموت ولم أخلق فيها حياً. ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾ مالي من المال والتبع و(ما) نفيٌ، والمفعول محذوف، أو استفهام إنكار مفعول لـ(أغنى). ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ ملكي وتسلطي على الناس، أو حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا.

(٣٠) - (٣٢) ﴿خُذُوهُ﴾ يقوله الله تعالى لخزنة النار. ﴿فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ ثم لا تصلوه إلا الجحيم، وهي النار العظمى لأنه كان يتعظم على الناس. ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾؛ أي: طويلة. ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ فأدخلوه فيها بأن تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة، وتقديم (السِّلْسِلَةِ) كتقديم (الْجَحِيمَ) للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر أنواع ما يعذب به، و(ثُمَّ) لتفاوت ما بينها في الشدة.

(٣٣) - (٣٧) ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ تعليل على طريقة الاستئناف

«الكشاف»[١] **[والمفعول محذوف]**؛ أي: شيئاً **[مرهق]**؛ أي: يغشى عليه بها من رهِقه بالكسر يرهِقه رهقاً؛ أي: غشيه.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/٦٠٦].

۞ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٣﴾.

للمبالغة، وذكر (الْعَظِيم) للإشعار بأنه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك. ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ ولا يحث على بذل طعامه أو على إطعامه فضلاً عن أن يبذل من ماله، ويجوز أن يكون ذكر الحض للإشعار بأن تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل. وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع، ولعل تخصيص الأمرين بالذكر لأن أقبح العقائد الكفر بالله تعالى وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب. ﴿فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ﴾ قريب يحميه. ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ﴾ غسالة أهل النار وصديدهم، (فِعْلِين) من الغسل. ﴿لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ﴾ أصحاب الخطايا؛ من خطئ الرجل إذا تعمد الذنب لا من الخطأ المضاد للصواب، وقرئ (الخاطيون) بقلب الهمزة ياء، و«الخاطون» بطرحها.

٣٨ ـ ٤٠ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ لظهور الأمر واستغنائه عن التحقيق بالقسم، أو (فأُقْسِمُ) و(لا) مزيدة، أو فلا ردّ لإنكارهم البعث و(أُقْسِمُ) مستأنف. ﴿بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ بالمشاهدات والمغيبات، وذلك يتناول الخالق والمخلوقات بأسرها. ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن القرآن. ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ﴾ يبلغه عن الله فإن الرسول لا يقول عن نفسه. ﴿كَرِيمٖ﴾ على الله تعالى؛ وهو محمد أو جبريل عليهما السلام.

٤١ ـ ٤٣ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ﴾ كما تزعمون تارة. ﴿قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾ تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقاً قليلاً لفرط عنادكم. ﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ﴾

[﴿قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤١] **يصدقون ما ظهر لكم صدقه**] إلى آخره، عبارة «الكشاف»: والقلة في معنى العدم؛ أي: لا يؤمنون ولا يذكرون البتة، والمعنى: ما أكفركم وما أغفلكم[١]. انتهى.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/٦٠٩].

۞ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)﴾.

كما تدعون أخرى. ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ تذكرون تذكراً قليلاً، فلذلك يلتبس الأمر عليكم، وذكر الإيمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع الكاهنية؛ لأن عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بيِّن لا ينكره إلا معاند بخلاف مباينته للكهانة، فإنها تتوقف على تذكر أحوال الرسول ﷺ ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني أقوالهم. وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء فيهما. ﴿تَنزِيلٌ﴾ هو تنزيل. ﴿مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نزله على لسان جبريل.

(٤٤) ـ (٤٧) ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ سمي الافتراء تقولاً؛ لأنه قول متكلف، والأقوال المفتراة أقاويل تحقيراً لها، كأنه جمع أفعولة من القول كالأضاحيك. ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ بيمينه. ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾؛ أي: نياط قلبه بضرب عنقه، وهو تصوير لإهلاكه بأفظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه، وهو أن يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب به جيده، وقيل: اليمين بمعنى القوة. ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ﴾ عن القتل أو المقتول. ﴿حَاجِزِينَ﴾ دافعين وصف لأحد فإنه عام والخطاب للناس.

(٤٨) ـ (٥٢) ﴿وَإِنَّهُ﴾ وإن القرآن. ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ لأنهم المنتفعون به. ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ فنجازيهم على تكذيبهم. ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى

وقال ابن عادل ﴿قَلِيلًا﴾ [الحاقة: ٤١] انتصب في الموضعين نعتاً لمصدر، أو زمان محذوف؛ أي: إيماناً قليلاً، أو زماناً قليلاً، والناصب ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ و﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤٢] و﴿مَا﴾ مزِّيده للتوكيد قال: وقال ابن عطية: ونصب قليلاً بفعل مضمر يدل عليه ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ و﴿مَا﴾ يحتمل أن تكون نافية، فتنفي إيمانهم البتة، ويحتمل أن تكون مصدرية وتوصف بالقلة، فهو الإيمان اللغوي؛ لأنهم قد صدَّقوا بأشياء يسيرة

﴿ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ إذا رأوا ثواب المؤمنين به. ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ لليقين الذي لا ريب فيه. ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيهاً له عن الرضى بالتقول عليه، وشكراً على ما أوحى إليك.

عن النبي عليه الصلاة والسلام «**من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله تعالى حساباً يسيراً**».

لا تغني عنهم شيئا[1]. [«من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حساباً يسيراً..»] موضوع[2].



---

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية [٥/ ٣٣٥].

(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٨٥/ برقم: ١٣٩٩].

سورة المعارج

(٧٠) مكية، وآيها أربع وأربعون

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - ٢ ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾؛ أي: دعا داع به؛ بمعنى: استدعاه، ولذلك عدّى الفعل بالباء، والسائل هو نضر بن الحارث فإنه قال: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الأنفال: ٣٢] أو أبو جهل فإنه قال: ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ سأله استهزاء أو الرسول ﷺ استعجل بعذابهم، وقرأ نافع وابن عامر (سَالَ) وهو إما من السؤال على لغة قريش قال:

سالت هذيل رسول اللّه فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

أو من السيلان ويؤيده أنه قرئ (سال سيل) على أن (السّيل) مصدر بمعنى: السائل كالغور، والمعنى: سال واد بعذاب، ومضى الفعل لتحقق وقوعه إما في الدنيا - وهو قتل بدر - أو في الآخرة - وهو عذاب النار -. ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ صفة أخرى لِـ(عذاب)، أو صلة لِـ(واقِع)، وإن صح أن السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جواباً والباء على هذا لتضمن (سَأَلَ) معنى اهتم. ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ﴾ يرده.

[ولذلك عدّى الفعل بالباء]؛ أي: لا بنفسه [قال:

سَالَتْ هُذَيْلُ رَسولَ اللَّهِ فاحِشَةً ضلت هُذَيْلُ بِما سالت ولم تُصِبِ][١]

قال حسان بن ثابت: لما التمست هذيلُ من النبي ﷺ أن يبيح لهم الزنا

---

(١) الكتاب، سيبويه [٣/٤٦٨].

۞ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾.

﴿٣﴾ - ﴿٤﴾ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى﴾ من جهته لتعلق إرادته ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح، أو يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم، أو في دار ثوابهم، أو مراتب الملائكة، أو في السمٰوات؛ فإن الملائكة يعرجون فيها. ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخيل والمعنى: أنها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين ألف سنة من سني الدنيا، وقيل معناه: تعرج الملائكة والروح إلى عرشه ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ﴾ كمقدار خمسين ألف سنة من حيث إنهم يقطعون فيه ما يقطع الإنسان فيها لو فرض؛ لا أن ما بين أسفل العالم وأعلى شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنة! لأن ما بين مركز الأرض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام! وثخن كل واحدة من السمٰوات السبع والكرسي والعرش كذلك! وحيث قال: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يريد زمان عروجهم من الأرض إلى محدب السماء الدنيا، وقيل: ﴿فِى يَوْمٍ﴾ متعلق بـ﴿وَاقِعٍ﴾ أو بـ﴿سَأَلَ﴾ إذا جعل من السيلان، والمراد به: يوم القيامة واستطالته؛ إما لشدته على الكفار، أو لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات، أو لأنه على الحقيقة كذلك، والروح جبريل وإفراده لفضله أو خلق أعظم من الملائكة.

﴿٥﴾ - ﴿٩﴾ ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بـ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج: ١] لأن السؤال كان عن استهزاء أو تعنت،

[﴿وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]]؛ أي: إلى عرشه [**متعلق بسأل**]؛ أي: على قرأته بالهمز

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾.

وذلك مما يضجره أو عن تضجر واستبطاء للنصر، أو بـ﴿سَأَلَ﴾ لأن المعنى: قرب وقوع العذاب ﴿فَاصْبِرْ﴾ فقد شارفت الانتقام. ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ الضمير للعذاب أو يوم القيامة ﴿بَعِيدًا﴾ من الإمكان. ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ منه، أو من الوقوع. ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ ظرف لـ﴿قَرِيبًا﴾؛ أي: يمكن ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ﴾ أو لمضمر دل عليه ﴿وَاقِعٍ﴾ أو بدل من ﴿يَوْمٍ﴾ إن علق به، والمهل المذاب في (مهل) كالفلزات أو درديّ الزيت. ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ كالصوف المصبوغ ألواناً لأن الجبال مختلفة الألوان، فإذا بست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح.

﴿١٠﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ ولا يسأل قريب قريباً عن حاله، وعن ابن كثير: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ﴾ على بناء المفعول؛ أي: لا يطلب من حميم حميم، أو لا يسأل منه حاله. ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ استئناف أو حال تدل على أن المانع من هذا السؤال هو التشاغل دون الخفاء، أو ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده، وجمع الضميرين لعموم الحميم. ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾ حال من أحد الضميرين، أو استئناف يدل على أن اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى أن يفتدي بأقرب الناس إليه وأعلقهم بقلبه فضلاً أن يهتم بحاله ويسأل عنها. وقرئ بتنوين ﴿عَذَابِ﴾ ونصب ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ به لأنه بمعنى تعذيب. ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾

لفظاً أو تقديراً **[أو يسأل]** عطف على «يسال» بلا همز من السيلان **[والمهل المذاب في مهل كالفلزات]**، «الفِلزّ»: بكسر الفاء، وتشديد الزاي: ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الأرض؛ قاله الجوهري(١). **[أو دردري الزيت]** عطف على «المذاب».

(١) الصحاح، الجوهري [٥/ ٣٠].

۞ ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾
إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾.

وعشيرته الذين فصل عنهم ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾ تضمه في النسب، أو عند الشدائد. ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الثقلين أو الخلائق ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ عطف على ﴿يَفْتَدِى﴾؛ أي: ثم ينجيه الافتداء و﴿ثُمَّ﴾ للاستبعاد.

﴿١٥﴾ ـ ﴿١٨﴾ ﴿كَلَّآ﴾ ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على أن الافتداء لا ينجيه ﴿إِنَّهَا﴾ الضمير للنار أو مبهم يفسره ﴿لَظَىٰ﴾ وهو خبر أو بدل أو للقصة و﴿لَظَىٰ﴾ مبتدأ خبره. ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ وهو اللهب الخالص، وقيل: علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب، وقرأ حفص عن عاصم (نَزَّاعَةً) بالنصب على الاختصاص، أو الحال المؤكدة، أو المتنقلة على أن لَظى بمعنى متلظية، والشوى الأطراف، أو جمع شواة وهي جلدة الرأس. ﴿تَدْعُواْ﴾ تجذب وتحضر كقول ذي الرمة: (تدعو أنفه الريب). مجاز عن جذبها وإحضارها لمن فرَّ عنها، وقيل: تدعو زبانيتها، وقيل: تدعو تهلك من قولهم: دعاه الله إذا أهلكه ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الحق ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الطاعة. ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصاً وتأميلاً.

﴿١٩﴾ ـ ﴿٢١﴾ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ شديد الحرص قليل الصبر. ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الضر جَزُوعاً يكثر الجزع. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ﴾ السعة ﴿مَنُوعًا﴾ يبالغ بالإمساك، والأوصاف الثلاثة أحوال مقدرة أو محققة لأنها طبائع جبل

قال الجوهري: المهل النحاس المذاب(١)، وقال أبو عمر: المهل دردري الزيت، والمهل أيضاً القيح والصديد.

[أو بدل]؛ أي: والخبر «نزاعة» **[أو للقصة]** عطف على «للنار» **[وهو]**؛ أي: لظى **[اللهب الخالص]**؛ أي: من الدخان وغيره.

---

(١) الصحاح، الجوهري [٧/ ١٢٣].

۞ ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ
﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ
﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ
لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

الإنسان عليها، وإذا الأولى ظرف لجَزُوعاً، والأخرى لمَنُوعاً.

﴿٢٢﴾ - ﴿٢٦﴾ ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الأحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث إنها دالة على الاستغراق في طاعة الحق، والإشفاق على الخلق، والإيمان بالجزاء، والخوف من العقوبة، وكسر الشهوة، وإيثار الآجل على العاجل، وتلك ناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها. ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ لا يشغلهم عنها شاغل. ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ كالزكوات والصدقات الموظفة. ﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ الذي يسأل ﴿وَٱلْمَحْرُومِ﴾ الذي لا يسأل فيحسب نفسه غنياً فيحرم. ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ تصديقاً بأعمالهم وهو أن يتعب نفسه ويصرف ماله طمعاً في المثوبة الأخروية ولذلك ذكر الدِّينِ.

﴿٢٧﴾ - ﴿٣١﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ خائفون على أنفسهم. ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ اعتراض يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يأمن عذاب الله وإن بالغ في طاعته. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ سبق تفسيره في سورة (المؤمنين).

﴿٣٢﴾ - ﴿٣٥﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ حافظون وقرأ ابن كثير (لأمانتهم) ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ ولا ينكرون ولا يخفون ما علموه من

۞ ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾.

حقوق الله وحقوق العباد. وقرأ يعقوب وحفص (بِشَهاداتِهِمْ) لاختلاف الأنواع. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولاً وآخراً باعتبارين للدلالة على فضلها وإنافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلاة مبالغات لا تخفى. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾

﴿٣٦﴾ ـ ﴿٣٨﴾ ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ﴾ حولك ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين. ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ فرقاً شتى، جمع عزة، وأصلها عزوة من العزو، وكأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى. كان المشركون يحلقون حول رسول الله ﷺ حلقاً حلقاً ويستهزؤن بكلامه. ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ بلا إيمان وهو إنكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكون فيها أفضل حظاً منهم كما في الدنيا.

﴿٣٩﴾ ـ ﴿٤١﴾ ﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن هذا الطمع ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ تعليل له، والمعنى: أنهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس، فمن لم يستكمل بالإيمان والطاعة ولم يتخلق بالأخلاق الملكية لم يستعدّ دخولها، أو إنكم مخلوقون من أجل ما تعلمون، وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ في منازل الكاملين، أو الاستدلال بالنشأة الأولى على إمكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضاً مستحيلاً عندهم بعد ردعهم عنه. ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾؛ أي: نهلكهم ونأتي بخلق أمثل منهم، أو نعطي محمداً ﷺ بدلكم

[وإنافتها]؛ أي: زيادتها [أو استدلال] العطف على «تعليل».

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

من هو خير منكم وهم الأنصار. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ إن أردنا ذلك.

﴿٤٢﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ مر في آخر سورة (الطور). ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ مسرعين جمع سريع ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ﴾ منصوب للعبادة أو علم ﴿يُوفِضُونَ﴾ يسرعون، وقرأ ابن عامر وحفص (نُصُبٍ) بالضم على أنه تخفيف نُصُبٍ أو جمع. ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ مرَّ تفسيره ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ في الدنيا.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة سَأَلَ سائِلٌ أعطاه الله ثواب الذين هم لِأَماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُونَ**».

[«**من قرأ سورة سأل سائل..**»] إلى آخره، موضوع[1].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٩٠/ برقم: ١٤٠٣].

سُورَةُ نُوحٍ

(٧١) مكية، وآيها تسع أو ثمان وعشرون

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾
قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن
ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ـ ﴿٤﴾ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ﴾ بأن انذاري بالإنذار، أو بأن قلنا له: أَنْذِرْ، ويجوز أن تكون مفسرة لتضمن الإرسال معنى القول، وقرئ بغيرها على إرادة القول. ﴿قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ عذاب الآخرة أو الطوفان. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ مر نظيره في (الشعراء) وفي ﴿أَنِ﴾ يحتمل الوجهان. ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ بعض ذنوبكم، وهو ما سبق فإن الإسلام يجبه فلا يؤاخذكم به في الآخرة ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ هو أقصى ما قُدِّر لكم بشرط الإيمان والطاعة. ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ إن الأجل الذي قدره. ﴿إِذَا جَآءَ﴾ على الوجه

[إن الأجل الذي قدره] إلى آخره. قال «الكشاف»[1]: فإن قلت: كيف قال تعالى: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ [نوح: ٤] مع أخباره بامتناع تأخر الأجل، وهل هذا إلا تناقض؟ قلت: قضى الله مثلاً أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة، وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمئة، فقيل لهم: آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى؛ أي: إلى وقت سماه الله وضربه أمداً ينتهون إليه لا يتجاوزنه، وهو الوقت الأطول، تمام الألف ثم أخبر أنه إذا جاء ذلك الأجل الأمد لا يؤخر كما يؤخر

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/٦١٨].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾.

المقدر به آجلاً وقيل: إذا جاء الأجل الأطول. ﴿لَا يُؤَخَّرُ﴾ فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير. ﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لو كنتم من أهل العلم والنظر لعلمتم ذلك، وفيه أنهم لانهماكهم في حب العاجل كأنهم شاكون في الموت.

۝٥ - ۝٩ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ﴾ قَوْمِي ﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾؛ أي: دائماً. ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ عن الإيمان والطاعة، وإسناد الزيادة إلى الدعاء على السببية كقوله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التبة: ١٢٤] ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى الإيمان. ﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ بسببه. ﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة. ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾ تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر إلي من فرط كراهة دعوتي أو لئلا أعرفهم فأدعوهم، والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة. ﴿وَأَصَرُّوا۟﴾ وأكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من أصر الحمار على العانة إذا صرّ أذنيه وأقبل عليها. ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن اتّباعي. ﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾ عظيماً. ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾؛ أي: دعوتهم مرة بعد أخرى وكرة بعد أولى على أي وجه أمكنني، وثُمَّ لتفاوت الوجوه فإن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بينهما أغلظ من الإفراد لتراخي بعضها عن بعض، و(جِهاراً) نصب على المصدر لأنه أحد نوعي

هذا الوقت، ولم تكن لكم حيلة، فبادروا في وقت الإمهال والتأخير.

[من أَصرّ الحمار على العانة][1] هي القطيع من حمر الوحش **[إذا صَرّ أذنيه وأقبل عليها]** زاد «الكشاف»: يكدمها ويطردها.

(١) أساس البلاغة، الزمخشري [٢/ ١٠].

۞ ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾
وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا
﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾.

الدعاء، أو صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء ﴿جِهَارًا﴾؛ أي: مجاهراً به، أو الحال فيكون بمعنى مجاهراً.

﴿١٠﴾ ـ ﴿١٢﴾ ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ بالتوبة عن الكفر. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ للتائبين، وكأنهم لما أمرهم بالعبادة قالوا: إن كنا على حق فلا نتركه، وإن كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه؟ فأمرهم بما يجب معاصيهم ويجلب إليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو أوقع في قلوبهم. وقيل: لما طالت دعوتهم وتمادى إصرارهم حبس الله عنهم القطر أربعين سنة، وأعقم أرحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء. والسَّماءَ تحتمل المظلة والسحاب، والمدرار كثير الدرور، ويستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث، والمراد بـ(الجَنَّاتِ) البساتين.

﴿١٣﴾ ـ ﴿١٤﴾ ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ لا تأملون له توقيراً؛ أي: تعظيماً لمن عبده وأطاعه فتكونوا على حال تأملون فيها تعظيمها إياكم، ولِلَّهِ بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار، أو لا تَعتقدون له عظمة فتخافون عصيانه، وإنما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لأدنى الظن مبالغة. ﴿وَقَدْ

[ما هو أوقع في قلوبهم]؛ أي: من أنه يغفر لهم، وعبارة «الكشاف»: أمرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي، وقدم إليهم الموعد بما هو أوقع في نفوسهم، وأحبّ إليهم المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة وترغيباً[(١)]،

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٦١٩].

۞ ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾.

خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ حال مقررة للإنكار من حيث إنها موجبة للرجاء بإن خلقهم أَطْواراً؛ أي: تارات، إذ خلقهم أولاً عناصر، ثم مركبات تغذى بها الإنسان، ثم أخلاطاً، ثم نطفاً، ثم علقاً، ثم مضغاً، ثم عظاماً ولحوماً، ثم أنشأهم خلقاً آخر، فإنه يدل على أنه يمكن أن يعيدهم تارة أُخرَى فيعظمهم بالثواب وعلى أنه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة، ثم أتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال.

﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾ ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾؛ أي: في السمٰوات وهو في السماء الدنيا وإنما نسب إليهن لما بينهن من الملابسة. ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ مثلها به لأنها تزيل ظلمة الليل عن وجه الأرض كما يزيلها السراج عما حوله.

﴿١٧﴾ - ﴿٢٠﴾ ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ أنشأكم منها فاستعير الإنبات للإنشاء لأنه أدل على الحدوث والتكون من الأرض، وأصله ﴿أَنۢبَتَكُم﴾ إنباتاً فنبتم نباتاً، فاختصره اكتفاء بالدلالة الالتزامية. ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ مقبورين. ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ بالحشر، وأكده بالمصدر كما أكد به الأول دلالة على أن الإعادة محققة كالبدء، وأنها تكون لا محالة. ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ تتقلبون عليها. ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ واسعة جمع فَجّ، ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ.

﴿٢١﴾ ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾ فيما أمرتهم به. ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾ واتبعوا رؤساءهم البطرين بأموالهم المغترين بأولادهم، بحيث صار ذلك سبباً لزيادة خسارهم في الآخرة، وفيه: أنهم

۞ ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾﴾.

إنما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم بالأموال والأولاد وأدت بهم إلى الخسار، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان (وَوُلْدُهُ) بالضم والسكون على أنه لغة كالحزن والحزن أو جمع كالأسد.

﴿٢٢﴾ ـ ﴿٢٣﴾ ﴿وَمَكَرُواْ﴾ عطف على ﴿لَّمۡ يَزِدۡهُ﴾ والضمير لمن وجمعه للمعنى. ﴿مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ كبيراً في الغاية فإنه أبلغ من (كبار) وهو من كبير، وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على أذى نوح. ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ﴾؛ أي: عبادتها. ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾: ﴿تَذَرُنَّ﴾ هؤلاء خصوصاً، قيل: هي أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح عليه السلام فلما ماتوا صوروا تبركاً بهم، فلما طال الزمان عبدوا. وقد انتقلت إلى العرب فكان وَدٌّ لِكَلْب، وسُواعٌ لهَمَدَان، ويَغُوثُ لمِذْحِج، ويَعُوقُ لمرَادٍ، ونَسْرُ لِحِمْيَر. وقرأ نافع ﴿وَدّٗا﴾ بالضم، وقرئ (يغوثاً) و(يعوقاً) للتناسب، ومنع صرفهما للعلمية والعجمة.

﴿٢٤﴾ ـ ﴿٢٥﴾ ﴿وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ﴾ الضمير للرؤساء أو للأصنام كقوله: ﴿إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا﴾ [إبراهيم: ٣٦]. ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا﴾ عطف على ﴿رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي﴾ [نوح: ٢١]، ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في أمر دينهم، أو الضياع والهلاك كقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ﴾ [القمر: ٤٧]. ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ﴾ من أجل خطيئاتهم، و(ما) مزيدة للتأكيد والتفخيم، وقرأ أبو عمرو (مما خطاياهم). ﴿أُغۡرِقُواْ﴾ بالطوفان. ﴿فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ المراد عذاب القبر أو عذاب الآخرة، والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الإغراق والإدخال، أو لأن المسبب كالمتعقب للسبب وإن تراخى عنه لفقد شرط أو وجود مانع، وتنكير النار للتعظيم أو لأن

۞ ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾.

المراد نوع من النيران أعدهم. ﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ تعريض لهم باتخاذ آلهة مِن دُونِ الله لَا تقدر على نصرهم.

﴿٢٦﴾ - ﴿٢٨﴾ ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾؛ أي: أحداً وهو مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار، أو الدور وأصله ديوار ففعل به ما فعل بأصل سيد الأفعال وإلا لكان دواراً. ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ قال ذلك لما جربهم واستقرى أحوالهم أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً فعرف شيمهم وطباعهم. ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ لملك بن متوشلح وشمخا بنت أنوش وكانا مؤمنين. ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ﴾ منزلي أو مسجدي أو سفينتي. ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى يوم القيامة. ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ هلاكاً.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام**».

[**من الدار أو الدور**] قال أبو حيان: الدر[1] من الدور، وألفها منقلبة عن واو. [«**عن النبي ﷺ: من قرأ سورة نوح..**»] إلى آخره، موضوع[2].



(١) في نسخة [ج]: (الدار).
(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٩٥/ برقم: ١٤٠٨].

سُورَةُ الجِنّ

(٧٢) مكية، وآيها ثمان وعشرون

۞ ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) - (٢) ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ وقرئ (أحي) وأصله (وحى) من (وحى إليه) فقلبت الواو همزة لضمتها و﴿أُوحِىَ﴾ على الأصل وفاعله ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ والنفر ما بين الثلاثة إلى العشرة، ﴿ٱلْجِنِّ﴾ أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أو الهوائية. وقيل: نوع من الأرواح المجردة، وقيل: نفوس بشرية مفارقة عن أبدانها، وفيه دلالة على أنه عليه الصّلاة والسلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم؛ وإنما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبر الله به رسوله. ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ لما رجعوا إلى قومهم. ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ بديعاً مبايناً لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه. وهو مصدر وصف به للمبالغة. ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ إلى الحق والصواب. ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ بالقرآن. ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد.

[فقلبت الواو همزة لضمتها] أشار به إلى أنه جائز في كل واو مضمومة كـ«أعد» و«اقتت»(١) في «وعد» و«وقتت» قال الزمخشري: أطلقه المازني في المكسورة أيضاً كإشاح وإسادة **[وفاعله]**؛ أي: نائب فاعله.

---

(١) كما في نسخة [ز ـ ج] وفي نسخة [الأصل ـ ج]: (كاعدوا قتت).

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾.

---

(٣) - (٥) ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ قرأه ابن كثير والبصريان بالكسر على أنه من جملة المحكي بعد القول، وكذا ما بعده إلا قوله: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [الجن: ١٦] ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ [الجن: ١٨]، ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾ [الجن: ١٩] فإنها من جملة الموحى به، ووافقهم نافع وأبو بكر إلا في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾ على أنه استئناف أو مقول، وفتح الباقون الكل إلا ما صدر بالفاء على أن ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في (بِهِ) كأنه قيل: صدّقناه وصدقنا ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾؛ أي: عظمته من جد فلان في عيني إذا عظم، أو سلطانه، أو غناه مستعار من الجد الذي هو البخت، والمعنى: وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه أو لغناه، وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ بيان لذلك، وقرئ (جداً) بالتمييز (جِدُّ) بالكسر؛ أي: صدق ربوبيته، كأنهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد. ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ إبليس أو مردّة الجن. ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ قولاً ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحدّ، أو هو شطط لفرط ما أشط فيه، وهو نسبة الصاحبة والولد إلى الله تعالى. ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ اعتذار عن اتباعهم السفيه في ذلك بظنهم أن أحداً لا يكذب على الله، و﴿كَذِبًا﴾ نصب على المصدر لأنه نوع من القول أو الوصف المحذوف؛ أي: قولاً مكذوباً فيه، ومن قرأ (أَنْ لَنْ تَقَوَّلَ) كيعقوب جعله مصدراً لأن التقوّل لا يكون إلا كَذِباً.

(٦) - (٧) ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ فإن الرجل

[**إلّا في قوله تعالى**: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾ [الجن: ١٩]]؛ أي: فقراءة نافع وابن عامر بالكسر، لما ذكره بقوله: [**على أنه**] إلى آخره [**الذي هو البَخْت**] بخاء معجمة؛ أي:

۞ ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا
مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى
ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ .

كان إذا أمسى بقفر قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه. ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ فزادوا الجن باستعاذتهم بهم. ﴿رَهَقًا﴾ كبراً وعتواً، أو فزاد الجن الإنس غياً بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم، والرهق في الأصل غشيان الشيء. ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ وأن الإنس. ﴿ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ أيها الجن أو بالعكس، والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض أو استئناف كلام من الله تعالى، ومن فتح أن فيهما جعلهما من الموحى به. ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ سادّ مسدّ مفعولي ظَنُّوا.

﴿٨﴾ ـ ﴿٩﴾ ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ طَلَبنا بلوغ السماء أو خبرها، واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال: لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه. ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ حراساً اسم جمع كالخدم. ﴿شَدِيدًا﴾ قوياً وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها. ﴿وَشُهُبًا﴾ جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار. ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ مقاعد خالية عن الحرس والشهب، أو صالحة للترصد والاستماع، ولِلسَّمْعِ صلة لنَقْعُدُ أو صفة لمَقاعِدَ. ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾؛ أي: شهاباً راصداً له ولأجله يمنعه عن الاستماع بالرجم، أو ذوي شهاب راصدين على أنه اسم جمع للراصد، وقد مر بيان ذلك في (الصافات).

﴿١٠﴾ ـ ﴿١١﴾ ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بحراسة السماء. ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ خيراً. ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ المؤمنون الأبرار. ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون. ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ﴾ ذوي طرائق؛ أي: مذاهب، أو مثل طرائق في اختلاف الأحوال أو كانت طرائقنا طرائق. ﴿قِدَدًا﴾ متفرقة مختلفة؛ جمع قدّة من قد إذا قطع.

۞ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴿١٦﴾ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ﴿١٧﴾﴾.

﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ علمنا. ﴿أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ كائنين في الأرض أينما كنا فيها. ﴿وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا﴾ هاربين منها إلى السماء، أو لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمراً ولن نعجزه هرباً إن طلبنا. ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ﴾؛ أي: القرآن. ﴿ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ فهو لا يخاف، وقرئ (فلا يخف) والأول أدل على تحقيق نجاة المؤمنين واختصاصها به. ﴿بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا﴾ نقصاً في الجزاء، ولا أن يرهقه ذلة، أو جزاء بخس ولا رهق لأنه لم يبخس لأحد حقاً ولم يرهق ظلماً؛ لأن من حق المؤمن بالقرآن أن تجتنب ذلك.

﴿١٤﴾ - ﴿١٥﴾ ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ﴾ الجائرون عن طريق الحق وهو الإيمان والطاعة. ﴿فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا﴾ توخوا رشداً عظيماً يبلغهم إلى دار الثواب. ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾ توقد بهم كما توقد بكفار الإنس.

﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾ ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾؛ أي: أن الشأن لو استقام الجن أو الإنس أو كلاهما. ﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ المثلى. ﴿لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾ لوسعنا عليهم الرزق، وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لأنه أصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب. ﴿لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ لنختبرهم كيف يشكرونه، وقيل معناه: أن لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانهم. ﴿وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ﴾ عن عبادته أو موعظته أو وحيه.

۞ ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾.

﴿يَسْلُكْهُ﴾ يدخله. ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ شاقاً يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به.

﴿١٨﴾ ـ ﴿١٩﴾ ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ مختصة به. ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ فلا تعبدوا فيها غيره، ومن جعل أَنَّ مقدرة باللام علة للنهي ألغا فائدة الفاء، وقيل المراد بالْمَساجِدَ: الأرض كلها؛ لأنها جعلت للنبي عليه ﷺ مسجداً. وقيل: المسجد الحرام لأنه قبلة المساجد ومواضع السجود على أن المراد النهي عن السجود لغير الله، وآرابه السبعة أو السجدات على أنه جمع مسجد. ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: النبي وإنما ذكر لفظ العبد للتواضع فإنه واقع موقع كلامه عن نفسه، والإشعار بما هو المقتضى لقيامه. ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعبده ﴿كَادُواْ﴾ كاد الجن. ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ متراكمين من ازدحامهم عليه تعجباً مما رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته، أو كاد الإنس والجن يكونون عليه مجتمعين لإبطال أمره، وهو جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الأسد، وعن ابن عامر (لُبَداً) بضم اللام جمع لبدة

الحظ [وأراد به السبعة] وقيل: المراد بالمساجد: أعضاء السجود السبعة كما عبر به «الكشاف»(١)، والسجدات؛ أي: وقيل المراد بالمساجد: السجدات(٢) ولا يخفى ما في عبارته من القلاقة.

[والإشعار بما هو المقتضى لقيامه] عبارة «الكشاف»(٣): أو لأن المعنى أن عبادة عبد الله ليست بأمر مستبعد عن العقل، ولا مستنكر حتى يكون عليه لِبداً [كلبدة الأسد] هي الشعر المتراكب بين كتفيه؛ قاله الجوهري(٤).

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٦٣١].

(٢) عبارة (كما عبر به الكشاف، والسجدات؛ أي: وقيل: المراد بالمساجد: السجدات) من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

(٣) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٦٣٢].

(٤) الصحاح، الجوهري [٣/ ٢١٢].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا
رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ
ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾.

وهي لغة. وقرئ (لُبَّدا) كـ(سُجَّدا) جمع لابِد (ولِبَدًا) كصبر جمع لبود.

﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم أو إطباقكم على مقتي، وقرأ عاصم وحمزة ﴿قُلْ﴾ على الأمر للنبي ﷺ ليوافق ما بعده. ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ولا نفعاً أو غياً، ولا رشداً عبّر عن أحدهما باسمه، وعن الآخر باسم سببه أو مسببه إشعاراً بالمعنيين.

﴿٢٢﴾ - ﴿٢٤﴾ ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ إن أراد بي سوءاً. ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ منحرفاً أو ملتجأ ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ استثناء من قوله: ﴿لَآ أَمْلِكُ﴾ فإن التبليغ إرشاد وإنفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة، أو من ملتحداً، أو معناه: أن لا أبلغ بلاغاً وما قبله دليل الجواب. ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ﴾ عطف على ﴿بَلَٰغًا﴾ و﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ صفته فإن صلته عن كقوله: «**بلغوا عني ولو آية**». ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في الأمر بالتوحيد إذ الكلام فيه. ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وقرئ (فَانٍ) على فجزاؤه أن. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ جمعه للمعنى. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ في الدنيا كوقعة بدر، أو في الآخرة والغاية لقوله: ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩] بالمعنى الثاني، أو لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له. ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ هو أم هم.

[عن أحدهما]؛ أي: الضرر، والرشد **[ومن الله صفته]**؛ أي: صفته بلاغاً لا صلته **[فإن صلته «عن»]** لا «من» **[«بلغوا عني ولو آية..»]** رواه البخاري[1]

(١) صحيح البخاري [٣/ ١٢٧٥/ برقم: ٣٢٧٤].

۞ ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾.

﴿٢٥﴾ ـ ﴿٢٧﴾ ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ غاية تطول مدتها كأنه لما سمع المشركون حَتَّى إذا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ قالوا: متى يكون إنكاراً، فقيل: قل: إنه كائن لا محالة! ولكن لا أدري ما وقته؟ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ هو عالم الغيب. ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ فلا يطلع. ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾؛ أي: على الغيب المخصوص به علمه. ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ لعلم بعضه حتى يكون له معجزة. ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ بيان لمَنِ، واستدل به على إبطال الكرامات، وجوابه تخصيص الرسول بالملك والإظهار بما يكون بغير وسطة، وكرامات الأولياء على المغيبات إنما تكون تلقياً عن الملائكة كاطلاعنا على أحوال الآخرة بتوسط الأنبياء. ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ من بين يدي المرتضى ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ حرساً من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم.

﴿٢٨﴾ ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟﴾؛ أي: ليعلم النبي الموحى إليه أن قد أبلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحي، أو ليعلم الله تعالى أن قد أبلغ الأنبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجوداً. ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ كما هي محروسة من التغيير. ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ بما عند الرسل. ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ حتى القطر والرمل.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدَّق محمداً أو كذَّب به عتق رقبة**».

[والإظهار] بالجر **[بما يكون بغير وسط]** كالأحاديث القدسية [﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ﴾ [الجن: ٣٧]]؛ أي: فإنه تعالى يجعل ويُيَسّر. [«**من قرأ سورة الجن..**»] إلى آخره، موضوع(١).

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ١٠٤/ برقم: ١٤١٥].

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

(٧٣) مكية، وآيها تسع عشرة أو عشرون

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) - (٢) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ أصله المتزمل من تزمل بثيابه إذا تلفف بها؛ فأدغم التاء في الزاي، وقد قرئ به، وبـ(المُزمّل) مفتوحة الميم ومكسورتها؛ أي: الذي زمله غيره، أو زمل نفسه، سمي به النبي ﷺ تهجيناً لما كان عليه فإنه كان نائماً، أو مرتعداً مما دهشه من بدأ الوحي متزملاً في قطيفة أو تحسيناً له. إذ روي: أنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي متلففاً بمرط مفروش على عائشة، فنزلت. أو تشبيهاً له في تثاقله بالمتزمل لأنه لم يتمرن بعد في قيام الليل، أو من تزمل الزمل إذا تحمل الحمل؛ أي: الذي تحمل أعباء النبوة. ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾؛ أي: قم إلى الصلاة، أو داوم عليها فيه، وقرئ بضم الميم وفتحها للإتباع أو التخفيف. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.

(٣) - (٤) ﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ الاستثناء من ﴿ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ﴾ [المزمل: ١٠] بدل من ﴿قَلِيلًا﴾ وقلّته بالنسبة إلى الكل، والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث،

[تهجيناً] تبع فيه «الكشاف»، وانتقد بأن فيه سوء أدب؛ لأن العلماء جعلوا نداءه بالمزمل وغير ذلك من صفاته تشريفاً [أو من تزمّل الزُّمَل(١)] عطف من «تزمّل

---

(١) في نسخة [ج]: (المزمل).

۞ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾.

أو ﴿نِّصْفَهُۥ﴾ بدل من ﴿ٱلَّيْلَ﴾ [المزمل: ٢] والاستثناء منه والضمير في مِنْهُ وعَلَيْهِ للأقل من النصف كالثلث؛ فيكون التخيير بينه وبين الأقل منه كالربع، والأكثر منه كالنصف أو للنصف، والتخيير بين أن يقوم أقل منه على البت وأن يختار أحد الأمرين من الأقل والأكثر، أو الاستثناء من إعداد الليل فإنه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه. ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ اقرأه على تؤدة وتبيين حروف؛ بحيث يتمكن السامع من عدها، من قوله: ثغر رتل ورتل؛ إذا كان مفلجاً.

۝٥ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾؛ يعني: القرآن؛ فإنه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول ﷺ إذ كان عليه أن يتحملها ويحملها أمته، والجملة اعتراض يسهل التكليف عليه بالتهجد، ويدل على أنه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس، أو رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه، أو ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره إلى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر، أو ثقيل في الميزان أو على الكفار والفجار، أو ثقيل تلقيه لقوله عائشة ﵂: (رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرقاً). وعلى هذا يجوز أن يكون صفة للمصدر، والجملة على هذه الأوجه للتعليل مستأنف، فإن التهجد يعد للنفس ما به تعالج ثقله.

بثيابه» **[أو نصفه بدل من الليل]** عطف على «ونصفه بدل من قليل» **[والاستثناء منه]**؛ أي: من النصف، **[أو للنصف]** عطف على الأقل **[أو رصين]** هو مع ما بعده عطف على «ثقيل على المكلفين».

[لقول عائشة ﵂: «رأيته ينزل عليه الوحي..»] إلى آخره، رواه البخاري(١)

---

(١) صحيح البخاري [١/ ٤/ برقم: ٢].

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا ۝٧﴾.

---

٦ ـ ٧ ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ إن النفس التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة؛ من نشأ من مكانه إذا نهض:

نشأنا إلى خوص بَرَى نَيَّها السُّرَى وَأَلْصَقَ مِنهَا مُشْرِفَاتِ القَمْاحِدِ

أو قيام الليل على أن الناشِئَةَ له، أو العبادة التي تنشأ بالليل؛ أي: تحدث، أو ساعات الليل لأنها تحدث واحدة بعد أخرى، أو ساعاتها الأول من نشأت إذا ابتدأت. ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا﴾؛ أي: كلفة أو ثبات قدم، وقرأ أبو عمرو وابن عامر (وِطْاء)؛ أي: مواطأة القلب اللسان لها، أو فيها أو موافقة لما يراد منها من الخضوع والإخلاص. ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾؛ أي: وأسدّ مقالاً أو أثبت قراءة لحضور القلب وهدوء الأصوات.

بلفظ: ليتفصد **[نَشَأْنَا]**؛ أي: «نهضنا» من نشأ من مكانه إذا نهض:

[إلَى خُوْص بَرَى نَيَّهَا السُّرَى وَأَلْصَقَ مِنْهَا مُشْرِفَاتِ القَمَاحِدِ][١]

«الخُوص»: بخاء معجمة مضمومة، وصاد مهملة جمع خوصاته: وهي الناقة المرهقة الأعلى الضخمة الأسفل، و«بري»: من برت البعير إذا حرّته[٢] وأذهبت لحمه، ومنها مفعول بري من نوت الناقة نيّاً سمنت، و«ألصق»: أي: طأطأ ونَكس، و«القماحد»: جمع القمحدة بزيادة الميم ما خلف الرأس، يقول: قصدنا إلى ناقة مهزولة من السّري ورحلنا.

[أو قيام الليل] هو مع ما بعده عطف على «النفس التي تنشأ» **[على أن الناشئة له]**؛ أي: لقيام الليل عبارة «الكشاف»[٣]: على أن الناشئة مصدر من نشأ إذا نهض

---

(١) وكأن البيت: (مشرفات الدماحق) بدل (مشرفات القماحد) لأن (القمحودة) هي القذال خلف الأذنين أما (الدمحوق) هو عظيم البطن. ويكون معنى البيت: نهضنا إلى نياق هي من الرواحل الجيدة التي جربت في السفر حتى أن السير قد برى شحمها فألصق بطن السمين منها بظهره. والله أعلم.

(٢) انظر: المحيط في اللغة، ابن عباد [٢/ ٣٧٤].

(٣) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٦٣٩].

۞ ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾.

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ تقلباً في مهامك واشتغالاً بها فعليك بالتهجد، فإن مناجاة الحق تستدعي فراغاً. وقرئ (سبخاً)؛ أي: تفرق قلب بالشواغل؛ مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه.

﴿٨﴾ ـ ﴿٩﴾ ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ ودم على ذكره ليلاً ونهاراً، وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح، وتهليل، وتمجيد، وتحميد، وصلاة، وقراءة قرآن، ودراسة علم. ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ وانقطع إليه بالعبادة وجرّد نفسك عما سواه، ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلاً. ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ خبر محذوف، أو مبتدأ خبره: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من (ربك)، وقيل: بإضمار حرف القسم وجوابه ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ مسبب عن التهليلة، فإن توحده بالألوهية يقتضي أن توكل إليه الأمور.

﴿١٠﴾ ـ ﴿١١﴾ ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من الخرافات. ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ بأن تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل أمرهم إلى الله كما قال: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ دعني وإياهم وكل أمرهم فإن بي غنية عنك في مجازاتهم. ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾ أرباب التنعم، يريد صناديد قريش. ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ زماناً أو إمهالاً.

﴿١٢﴾ ـ ﴿١٤﴾ ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا﴾ تعليل للأمر، والنكل القيد الثقيل. ﴿وَجَحِيمًا﴾. ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ طعاماً ينشب في الحلق كالضريع والزقوم. ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ ونوعاً آخر من العذاب مؤلماً لا يعرف كنهه إلا الله تعالى، ولما كانت العقوبات الأربع مما تشترك فيها الأشباح والأرواح فإن النفوس

۞ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ
ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ
مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾.

العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها، عن التخلص إلى عالم المجردات؛ متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران، معذبة بالحرمان عن تجلي أنوار القدس، فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله تعالى. ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ تضطرب وتتزلزل ظرف لما في ﴿لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾من معنى الفعل. ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا﴾ رملاً مجتمعاً؛ كأنه (فعيل) بمعنى (مفعول) من كثبت الشيء إذا جمعته. ﴿مَّهِيلًا﴾ منثوراً؛ من هيل هيلاً إذا نثر.

﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ يا أهل مكة! ﴿رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يشهد عليكم يوم القيامة بالإجابة والامتناع. ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾؛ يعني: موسى عليه الصلاة والسلام ولم يعينه لأن المقصود لم يتعلق به. ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ عرفه لسبق ذكره. ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ ثقيلاً؛ من قولهم: طعام وبيل لا يُسْتَمْرَئُ لِثِقَلِهِ، ومنه الوابل للمطر العظيم.

﴿١٧﴾ - ﴿١٩﴾ ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾ تقون أنفسكم. ﴿إِن كَفَرْتُمْ﴾ بقيتم على الكفر. ﴿يَوْمًا﴾ عذاب يوم ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ من شدة هوله؛ وهذا على الفرض أو التمثيل، وأصله أن الهموم تضعف القوى وتسرع الشيب، ويجوز أن يكون وصفاً لليوم بالطول. ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ﴾ مُنْشَقٌّ، والتذكير على تأويل السقف أو إضمار شيء. ﴿بِهِۦ﴾ بشدة ذلك اليوم على عظمها وأحكامها

وقام [﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾ [المزمل: ١٧] أنفسكم] بيان للمعنى لا للإعراب من أن أنفسكم مفعول ﴿تَتَّقُونَ﴾؛ لأن مفعوله مذكور وهو قوله: ﴿يَوْمًا﴾، و﴿تَتَّقُونَ﴾ لا يتعدى إلى مفعولين، بخلاف وقى قال تعالى: ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥٦].

۞ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾.

فضلاً عن غيرها، والباء للآلة. ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ الضمير لله ﷻ أو لليوم على إضافة المصدر إلى المفعول. ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾؛ أي: الآيات الموعدة. ﴿تَذْكِرَةٌۖ﴾ عظة. ﴿فَمَن شَآءَ﴾ أن يتعظ. ﴿ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾؛ أي: يتقرب إليه بسلوك التقوى.

﴿٢٠﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ استعار الأدنى للأقل؛ لأن الأقرب إلى الشيء أقل بعداً منه، وقرأ ابن كثير والكوفيون (وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ) بالنصب عطفاً على ﴿أَدْنَىٰ﴾. ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾ ويقوم ذلك جماعة من أصحابك. ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي إلا الله، فإن تقديم اسمه مبتدأ مبنياً عليه (يُقَدِّرُ) يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾؛ أي: لن تحصوا تقدير الأوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ﴾ بالترخص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ﴾ فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل، عبر عن الصلاة بالقراءة كما عبّر عنها بسائر أركانها، قيل: كان التهجد واجباً على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به، ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس، أو: فاقرؤوا القرآن بعينه كيفما تيسر عليكم. ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ استئناف يبين حكمة أخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتباً عليه وقال: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ﴾ والضرب في الأرض ابتغاء للفضل: المسافرة للتجارة وتحصيل العلم

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضة. ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الواجبة. ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يريد به الأمر بسائر الانفاقات في سبيل الخير، أو بأداء الزكاة على أحسن وجه، والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به في قوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ من الذي تؤخرونه إلى الوصية عند الموت أو من متاع الدنيا، و(خَيْراً) ثاني مفعولي (تَجِدُوهُ) وهو تأكيد أو فصل؛ لأن أفعل من كالمعرفة؛ ولذلك يمتنع من حرف التعريف، وقرئ (هو خير) على الابتداء والخبر. ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في مجامع أحوالكم فإن الإنسان لا يخلو من تفريط. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

عن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة المُزَّمِّل رفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة»**.

[**«من قرأ سورة المُزَّمِّل..»**] إلى آخره، موضوع[1].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ١١٢/ برقم: ١٤٢٧].

سورة المدثر

(٧٤) مكية، وآيها ست وخمسون

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١ قُمْ فَأَنذِرْ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾؛ أي: المتدثر وهو لابس الدثار. روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**كنت بِحِراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم أر شيئاً، فنظرت فوقي فإذا هو على العرش بين السماء والأرض** ـ يعني: الملك الذي ناداه ـ فرعبت فرجعت إلى خديجة فقلت: دثروني، فنزل جبريل وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾». ولذلك قيل: هي أول سورة نزلت. وقيل: تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكراً، أو كان نائماً متدثراً، فنزلت، وقيل: المراد بالمدثر المدثر بالنبوة والكمالات النفسانية، أو المختفي فإنه كان بحراء كالمختفي فيه على سبيل الاستعارة، وقرئ (المُدَثِّر)؛ أي: الذي دثر هذا الأمر وعصب به. ﴿قُمْ﴾ من مضجعك أو قم قيام عزم وجد. ﴿فَأَنذِرْ﴾ مطلق للتعميم أو مقدّر بمفعول دل عليه قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] أو قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

٣ ـ ٤ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقداً وقولاً، روي: أنه لما نزل كبر رسول الله ﷺ وأيقن أنه الوحي، وذلك لأن الشيطان لا يأمر بذلك. والفاء فيه وفيما بعده لإفادة معنى الشرط،

[**«كنت بحراء فنوديت..»**] إلى آخره، رواه الشيخان[1] [**وقرئ: المُدَثِّر**]؛ أي:

---

(١) صحيح البخاري [٤/ ١٨٧٤/ برقم: ٤٦٣٨]، صحيح مسلم [١/ ١٤٣/ برقم: ١٦١].

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾.

وكأنه قال: وما يكن فكبر ربك، أو الدلالة على أن المقصود الأول من الأمر بالقيام أن يكبر ربه عن الشرك والتشبيه، فإن أوّل ما يجب معرفة الصانع، وأول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه، والقوم كانوا مقرّين به. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ من النجاسات فإن التطهير واجب في الصلاة محبوب في غيرها، وذلك بغسلها أو بحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها، وهو أوّل ما أمر به مِنْ رفض العادات المذمومة، أو طهر نفسك من الأخلاق الذميمة والأفعال الدميمة، فيكون أمراً باستكمال القوة العملية بعد أمره باستكمال القوّة النظرية والدعاء إليه، أو فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر.

(٥) - (٧) ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ فاهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي إليه من الشرك وغيره من القبائح، وقرأ يعقوب وحفص (وَالرُّجْزَ) بالضم وهو لغة كالذكر. ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾؛ أي: لا تعط مستكثراً، نهى عن الاستفزار وهو أن يهب شيئاً طامعاً في عوض أكثر، نهي تنزيه أو نهياً خاصاً به لقوله عليه السلام: «**المستفزر يثاب من هبته**» والموجب له ما فيه من الحرص والضنة، أو (لا تَمْنُنْ) على الله تعالى بعبادتك مستكثراً إياها، أو على الناس بالتبليغ مستكثراً به الأجر منهم أو مستكثرا إياه، وقرئ (تَسْتَكْثِرْ) بالسكون للوقف أو الإبدال من تمنن على أنه من مَنَّ بكذا، و﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ بمعنى: تجده كثيراً، وبالنصب على إضمار (أَنْ)، وقد قرئ بها، وعلى هذا يجوز أن يكون الرفع بحذفها وإبطال عملها، كما روي: (أحضرُ الوغى). بالرفع. في قول الشاعر:

ألا أيُّهذا الزاجري أحضرُ الوغى وأَنْ أشهدَ اللذاتِ هل أنت مُخْلدي

﴿وَلِرَبِّكَ﴾ لوجهه أو أمره. ﴿فَاصْبِرْ﴾ فاستعمل الصبر، أو فاصبر على مشاق التكاليف وأذى المشركين.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾.

﴿٨﴾ ـ ﴿١٠﴾ ﴿فَإِذَا نُقِرَ﴾ نفخ. ﴿فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت، وأصله القرع الذي هو سبب الصوت، والفاء للسببية؛ كأنه قال: اصبر على أذاهم فبين أيديهم زمان صعب تلقى فيه عاقبةَ صبرك وأعداؤك عاقبةَ ضرّهم، و(إذا) ظرف لما دل عليه قوله: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لأن معناه: عسر الأمر على الكافرين، وذلك إشارة إلى وقت النقر، وهو مبتدأ خبره (يَوْمٌ عَسِيرٌ) و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل أو ظرف لخبره؛ إذ التقدير: فذلك الوقت وقت وقوع يَوْمٌ عَسِيرٌ. ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ تأكيد بمنع أن يكون عسيراً عليهم من وجه دون وجه، ويشعر بيسره على المؤمنين.

﴿١١﴾ ـ ﴿١٣﴾ ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ نزلت في الوليد بن المغيرة، و(وَحِيداً) حال من الياء؛ أي: ذرني وحدي معه فإني أكفيكه، أو من التاء؛ أي: ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد، أو من العائد المحذوف؛ أي: من خلقته فريداً لا مال له ولا ولد، أو ذم فإنه كان ملقباً به فسماه الله به تهكماً، أو إرادة أنه وحيد ولكن في الشرارة أو عن أبيه فإنه كان زنيماً. ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ مبسوطاً كثيراً أو ممداً بالنماء، وكان له الزرع والضرع والتجارة. ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ حضوراً معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون إلى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته، ولا يحتاج إلى أن يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه، أو في المحافل والأندية لوجاهتهم واعتبارهم. قيل: كان له عشرة بنين أو أكثر كلهم رجال، فأسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام.

البناء للمفعول [أو يومئذ بدله]؛ أي: بدل من ذلك [أو ذم] عطف على «حال» فيكون وحيداً منصوب بأذم مقدراً [أو عن أبيه] عطف على «في الشرارة»؛ أي: وحيد في الشرارة، أو عن أبيه؛ [لأنه]؛ أي: الوليد [كان زنيماً]؛ أي: دَعِيّاً كما مرّ

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿١٤﴾ - ﴿١٥﴾ ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾ وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب: (ريحانة قريش) و(الوحيد)؛ أي: باستحقاق الرياسة والتقدّم. ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ على ما أوتيه وهو استبعاد لطمعه؛ إما لأنه لا مزيد على ما أوتي، أو لأنه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال:

﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾ ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا﴾ فإنه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لإزالة النعمة المانعة عن الزيادة، قيل: ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان حاله حتى هلك. ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ سأغشيه عقبة شاقة المصعد، وهو مثل لما يلقى من الشدائد. وعنه عليه الصلاة والسلام: «**الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي فيه كذلك أبداً**».

﴿١٨﴾ - ﴿٢٠﴾ ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ تعليل للوعيد أو بيان للعناد، والمعنى: فكر فيما يخيل طعناً في القرآن، وقدر في نفسه ما يقول فيه. ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تعجب من تقديره استهزاء به، أو لأنه أصاب أقصى ما يمكن أن يقال عليه من قولهم: قتله الله ما أشجعه؛ أي: بلغ في الشجاعة مبلغاً يحق أن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك. روي أنه مر بالنبي ﷺ وهو يقرأ (حم السجدة)، فأتى قومه وقال: (لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من

[**المناسبة**] صفة؛ أي: لمعاندة آيات المنعم [«**الصُّعُود جبل من نار يصعد فيه..**»] إلى آخره، رواه الترمذي[1]، وغيره [**فيما يخيل**] بالخاء المعجمة.

---

(١) سنن الترمذي [٤/٧٠٣/برقم: ٢٥٧٦].

۞ ﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾.

كلام الإنس والجن، إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى. فقالت قريش: صبأ الوليد! فقال ابن أخيه أبو جهل: أنا أكفيكموه، فقعد إليه حزيناً وكلمه بما أحماه، فناداهم فقال: تزعمون أن محمداً مجنون! فهل رأيتموه يخنق؟! وتقولون: إنه كاهن! فهل رأيتموه يتكهن؟! وتزعمون: أنه شاعر! فهل رأيتموه يتعاطى شعراً؟! فقالوا: لا، فقال: ما هو إلا ساحر! أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه، ففرحوا بقوله وتفرقوا عنه متعجبين منه). ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تكرير للمبالغة وثم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الأولى وفيما بعد على أصلها.

﴿٢١﴾ ـ ﴿٢٥﴾ ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾؛ أي: في أمر القرآن مرة بعد أخرى. ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعناً ولم يدر ما يقول، أو نظر إلى رسول الله ﷺ وقطب في وجهه. ﴿وَبَسَرَ﴾ اتباع لعبس. ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الحق أو الرسول. ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ عن اتباعه. ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ يروى ويتعلم، والفاء للدلالة على أنه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر. ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ كالتأكيد للجملة الأولى ولذلك لم يعطف عليها.

﴿٢٦﴾ ـ ﴿٣٠﴾ ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ بدل من ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧]: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ تفخيم لشأنها تعالى وقوله: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ بيان لذلك أو حال من سقر، والعامل فيها معنى التعظيم، والمعنى: لا تبقي على شيء

[أو نظر إلى رسول الله] عطف على «في القرآن».

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾.

يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه. ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾؛ أي: مسودة لأعالي الجلد، أو لائحة للناس، وقرئت بالنصب على الاختصاص. ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ملكاً أو صنفاً من الملائكة يلون أمرها، والمخصص لهذا العدد؛ أن اختلال النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنتي عشرة والطبيعة السبع، أو أن لجهنم سبع دركات؛ ست منها لأصناف الكفار، وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والإقرار والعمل أنواعاً من العذاب يناسبها؛ على كل نوع ملك أو صنف يتولاه، وواحدة لعصاة الأمة يعذبون فيها بترك العمل نوعاً يناسبه ويتولاه ملك أو صنف، أو أن الساعات أربع وعشرون؛ خمس منها مصروفة في الصلاة، فيبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به بأنواع من العذاب يتولاها الزبانية، وقرئ (تِسْعَةَ عْشَرَ) بسكون العين كراهة توالي حركات فيما هو كاسم واحد، و(تسعة أعشر) جمع عشير كيمين وأيمن؛ أي: تسعة كل عشير جمع؛ يعني: نقيبهم، أو جمع عشر فيكون تسعين.

﴿٣١﴾ ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقون لهم ولا يستروحون إليهم، ولأنهم أقوى الخلق بأساً وأشدهم غضباً لله تعالى.

روي: أن أبا جهل لما سمع: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال لقريش: أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم؟! فنزلت: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وما جعلنا عددهم إلا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر،

[أو جمع عشر فيكون تسعين]؛ أي: حاصلة من ضرب تسعة في عشر [وما جعلنا عدّتهم إلا العدد الذي اقتضى فتنتهم، وهو التسعة عشر] تبع فيه

۞ ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾﴾.

فعبر بالأثر عن المؤثر؛ تنبيهاً على أنه لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم واستهزاؤهم به واستبعادهم أن يتولى هذا العدد القليل تعذيب أكثر الثقلين، ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد ﷺ وصدق القرآن؛ لما رأوا ذلك موافقاً لما في كتابهم. ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ بالإيمان به وبتصديق أهل الكتاب له. ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: في ذلك وهو تأكيد للاستيقان، وزيادة الإيمان، ونفي لما يعرض للمتيقن حيثما عراه شبهة. ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك أو نفاق، فتكون الآية إخباراً بمكة عما سيكون في المدينة بعد الهجرة. ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ الجازمون في التكذيب. ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾؛ أي شيء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل؟ وقيل: لما استبعدوه حسبوا أنه مثل مضروب.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ جموع خلقه على ما هم عليه. ﴿إِلَّا هُوَ﴾ إذ لا سبيل لأحد إلى حصر الممكنات، والاطلاع على حقائقها، وصفاتها، وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه؛ من كم، وكيف، واعتبار، ونسبة. ﴿وَمَا هِىَ﴾ وما سقر، أو عدة الخزنة، أو السورة. ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ إلا تذكرة لهم.

﴿٣٢﴾ ـ ﴿٣٥﴾ ﴿كَلَّا﴾ ردع لمن أنكرها، أو إنكار لأن يتذكروا بها. ﴿وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾؛ أي: (أدبر) كـ(قَبُل) بمعنى: أقبل، وقرأ نافع

«الكشاف»(١)، وقد قال أبو حيان: إنه تحريف لكتاب الله إذ زعم أن معنى ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المدثر: ٣١]: إلا تسعة عشر، وهذا لا يذهب إليه عاقل ولا من له أدنى ذكاء [**فعبر بالأثر**]؛ أي: وهو الفتنة [**عن المؤثر**]؛ أي: وهو العدد المذكور.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/٦٥٨].

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

وحمزة ويعقوب وحفص (إذا أدبر) على المضي. ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ أضاء.
﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾؛ أي: لإحدى البلايا الكبر؛ أي: البلايا الكبر كثيرة، وسَقَرَ واحدة منها، وإنما جمع كبرى على (كبر) إلحاقاً لها بفعله، تنزيلاً للألف منزلة التاء؛ كما ألحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت على قواصع، والجملة جواب القسم أو تعليل لِـ﴿كَلَّآ﴾، والقسم معترض للتأكيد.

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ تمييز؛ أي: (لَإِحْدَى الْكُبَرِ) إنذاراً، أو حال عما دلت عليه الجملة؛ أي: كبرت منذرة، وقرئ بالرفع خبراً ثانياً، أو خبراً لمحذوف. ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ بدل من ﴿نَذِيرًا﴾؛ أي: نذيراً للمتمكنين من السبق إلى الخير والتخلف عنه، أو (لِمَنْ شاءَ) خبر (لأَنْ يَتَقَدَّمَ) فيكون في معنى قوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

﴿٣٨﴾ - ﴿٤٢﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ مرهونة عند الله مصدر كالشيمة أطلقت للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين. ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ فإنهم فكوا رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم، وقيل: هم الملائكة أو الأطفال. ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ لا يكتنه وصفها، وهي حال من (أَصْحابَ الْيَمِينِ)، أو ضميرهم في قوله: ﴿يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: يسأل بعضهم بعضاً أو يسألون غيرهم عن حالهم كقولك: تداعيناه؛ أي: دعوناه، وقوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤولين والمجرمين أجابوا بها.

﴿٤٣﴾ - ﴿٤٨﴾ ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ الصلاة الواجبة. ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾؛ أي: ما يجب إعطاؤه، وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع. ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ نشرع في الباطل مع الشارعين فيه. و﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أخره لتعظيمه؛ أي: وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة. ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا

۞ ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ
يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ
﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾.

ٱلْيَقِينُ﴾ الموت ومقدّماته. ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ لو شفعوا لهم جميعاً.

﴿٤٩﴾ ـ ﴿٥١﴾ ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾؛ أي: معرضين عن التذكرة؛ يعني: القرآن، أو ما يعمه و(مُعْرِضِينَ) حال. ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾ شبههم في إعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة؛ أي: أسد ـ فعولة من القسر وهو القهر ـ. وقرأ نافع وابن عامر (مستنفَرَة) بفتح الفاء.

﴿٥٢﴾ ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ قراطيس تنشر وتقرأ؛ وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ: (لن نتبعك حتى تأتي كلامنا بكتاب من السماء فيه من الله إلى فلان اتبع محمداً).

﴿٥٣﴾ ـ ﴿٥٦﴾ ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن اقتراحهم الآيات. ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف. ﴿كَلَّآ﴾ ردع عن إعراضهم. ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ وأي تذكرة! ﴿فَمَن شَآءَ﴾ أن يذكره ﴿ذَكَرَهُۥ﴾. ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ذكرهم أو مشيئتهم؛ كقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] وهو تصريح بأن فعل العبد بمشيئة الله تعالى، وقرأ نافع (تَذَكَّرُونَ) بالتاء وقرئ بهما مشدداً. ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ حقيق بأن يتقى عقابه. ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ حقيق بأن يغفر لعباده سيما المتقين منهم.

وعن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة»**.

[**«من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات..»**] إلى آخره، موضوع(١).

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/١٢٢/برقم: ١٤٣٦].

سُورَةُ القِيَامَةِ

(٧٥) مكية، وآيها تسع وثلاثون آية [أربعون]

۞ ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ (٣) ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ إدخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد شائع في كلامهم قال امرؤ القيس:

لَا وَأَبِيكِ ابْنَةَ العَامِرِي ... لَا يَدَّعِي القَوْمُ أَنِّي أَفِرْ

وقد مر الكلام فيه في قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥] وقرأ قنبل (لأقسم) بغير ألف بعد اللام، وكذا روي عن البزي. ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ بالنفس المتقية التي تلوم النفوس المقصرة في التقوى يوم القيامة على تقصيرها، أو التي تلوم نفسها أبداً وإن اجتهدت في الطاعة، أو النفس المطمئنة اللائمة للنفس الأمارة، أو بالجنس. لما روي: أنه عليه الصلاة

[﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ١]] جواب القسم محذوف وتقديره: لنجمعن العظام للبعث،

[لَا وأبيك ابْنَةَ العَامِرِيِّ ... لايَدّعى القَوْمُ أَنّي أفِرّ]

بعده:

تميمُ ابنُ مُرٍّ وأشياعها ... وكندةُ حولي جميعًا صُبر[1]

«تميم» بدل من «القوم»؛ أي: لا يدّعي القوم أني أفرّ، وكندة حولي والواو للحال [أو النفس المطمئنة] هو لازم للقول الأول، أو ملزوم له.

---

(١) انظر: الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس [ص٦١].

۞ ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ (٤) بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ (٥) يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ (٦)
فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ (٩) يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ (١٠)﴾.

والسلام قال: «**ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وتلوم نفسها يوم القيامة، إن عملت خيراً قالت: كيف لم أزدد؟! وإن عملت شراً قالت: يا ليتني ما كنت قصرت؟!**». أو نفس آدم فإنها لم تزل تتلوم على ما خرجت به من الجنة، وضمها إلى يوم القيامة لأن المقصود من إقامتها مجازاتها. ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾؛ يعني: الجنس وإسناد الفعل إليه لأن منهم من يحسب، أو الذي نزل فيه وهو عدي بن أبي ربيعة سأل رسول الله ﷺ عن أمر القيامة، فأخبره به فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك! أو يجمع الله هذه العظام. ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ بعد تفرقها، وقرئ (أن لن يُجمع) على البناء للمفعول.

(٤) ـ (٦) ﴿بَلَىٰ﴾ نجمعها. ﴿قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ بجمع سلامياته ونضم بعضها إلى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام، أو ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ الذي هو أطرافه فكيف بغيرها، وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد (بلى)، وقرئ بالرفع؛ أي: نحن قادرون. ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ عطف على ﴿أَيَحْسَبُ﴾ فيجوز أن يكون استفهاماً وأن يكون إيجاباً لجواز أن يكون الإضراب عن المستفهم وعن الاستفهام. ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان. ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ متى يكون يوم القيامة استبعاداً له أو استهزاء.

(٧) ـ (١٠) ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ تحير فزعاً من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره، وقرأ نافع بالفتح وهو لغة، أو من البريق بمعنى: لمع من شدة شخوصه، وقرئ (بلق) من بلق الباب إذا انفتح. ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ ذهب ضوؤه وقرئ على بناء للمفعول. ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ في ذهاب الضوء أو الطلوع من المغرب، ولا ينافيه الخسوف فإنه مستعار للمحاق، ولمن حمل ذلك على

[ليتني كنت قصرت]؛ أي: عن الشر.

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣
بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦
إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾.

أمارات الموت أن يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة في الذهاب، أو بوصوله إلى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس، وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف. ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾؛ أي: الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني، وقرئ بالكسر وهو المكان.

(١١) - (١٣) ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب المفر. ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ إليه وحده استقرار العباد، أو إلى حكمه استقرار أمرهم، أو إلى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار. ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ بما قدم من عمل عمله وبما أخر منه لم يعمله، أو بما قدم من عمل عمله وبما أخر من سُنَّة حسنة أو سيئة عمل بها بعده، أو بما قدّم من مال تصدق به وبما أخر فخلفه، أو بأوّل عمله وآخره.

(١٤) - (١٩) ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ حجة بيّنة على أعمالها لأنه شاهد بها، وصفها بالبصارة على المجاز، أو عين بصيرة فلا يحتاج إلى الإنباء. ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به جمع معذار وهو العذر، أو جمع معذرة على غير قياس كالمناكير في المنكر فإن قياسه معاذر وذلك أولى وفيه نظر. ﴿لَا تُحَرِّكْ﴾ يا محمد، ﴿بِهِۦ﴾ بالقرآن. ﴿لِسَانَكَ﴾ قبل أن يتم وحيه. ﴿لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك. ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صدرك. ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ وإثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ بلسان جبريل عليك. ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ قراءته وكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ **بيان ما أشكل عليك من معانيه، وهو**

[وقرئ بالكسر]؛ أي: كسر الميم.

۞ ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ .

دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب، وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لأن العجلة إذا كانت مذمومة فيما هو أهم الأمور وأصل الدين فكيف بها في غيره، أو بذكر ما اتفق في أثناء نزول هذه الآيات. وقيل: الخطاب مع الإنسان المذكور والمعنى: أنه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفاً، فيقال له: لا تحرك به لسانك لتعجل به؛ فإن علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من أعمالك وقراءته، فإذا قرأناه فاتبع قراءته بالإقرار أو التأمل فيه، ثم إن علينا بيان أمره بالجزاء عليه.

﴿٢٠﴾ ـ ﴿٢٣﴾ ﴿كَلَّا﴾ ردع للرسول ﷺ عن عادة العجلة أو للإنسان عن الاغترار بالعاجل. ﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ تعميم للخطاب إشعاراً بأن بني آدم مطبوعون على الاستعجال وإن كان الخطاب والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى، ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ بهية متهللة. ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول، وليس هذا في كل الأحوال حتى ينافيه نظرها إلى غيره، وقيل: منتظرة إنعامه وردّ بأن الانتظار لا يسند إلى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر، وأن المستعمل بمعناه لا يتعدّى بـ(إلى) وقول الشاعر:

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِن مَلِكٍ   وَالبَحْرُ دُونَك زِدْتَني نِعَماً

[أو بذكر] عطف على «بيان ما أشكل» [وتفسيره]؛ أي: الوجه [بالجملة]؛ أي: بجملة البدن:

[وإذا نَظَرْتُ إِلَيْك مِن ملِكٍ ....]

من تجريدية [وَالبَحْرُ دُونَك]؛ أي: بيني وبينك جملة معترضة [زِدْتني نِعَماً][1]

---

(١) البيت لجميل بن معمر. انظر: التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي [١٨٧/٤].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾
وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ
﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾.

بمعنى السؤال فإن الانتظار لا يستعقب العطاء.

﴿٢٤﴾ - ﴿٢٥﴾ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ شديدة العبوس والباسل أبلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع إذا اشتد كلوحه. ﴿تَظُنُّ﴾ تتوقع أربابها. ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ داهية تكسر الفقار.

﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾ ﴿كَلَّآ﴾ ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ إذا بلغت النفس أعالي الصدر وإضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها. ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ وقال حاضر وصاحبها من يرقيه مما به من الرقية، أو قال ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب من الرقي.

﴿٢٨﴾ - ﴿٣٠﴾ ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ وظنّ المحتضر أن الذي نزل به فراق الدنيا ومحابها. ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ وَالتَوَت ساقه بساقه فلا يقدر على تحريكهما، أو شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ سوقه إلى الله تعالى وحكمه.

﴿٣١﴾ - ﴿٣٣﴾ ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ ما يجب تصديقه، أو: فلا صدق ماله؛ أي: فلا زكاة. ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ ما فرض عليه والضمير فيهما للإنسان المذكور في ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾. ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الطاعة. ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ يتبختر افتخاراً بذلك من المط، فإن المتبختر يمدّ خطاه فيكون أصله يتمطط، أو من المطا وهو الظَّهر فإنه يلويه.

جواب إذا قيل: ولا حجة في البيت؛ لأنَ النظر بمعنى التأمل لا يطلع عليه مخلوق، ولذلك قال: زدتني نعماً **[إذ اشتد كلوحه]** هو بضم الكاف: تَكشُّرٌ في عبوس،

۞ ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ (٣٥) أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ (٤٠)﴾.

---

(٣٤) ـ (٣٥) ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ ويل لك من الولي، وأصله أولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ أو أَوْلى لَكَ الهلاك. وقيل: أفعل من الويل بعد القلب كأدنى من دون، أو فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار. ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾؛ أي: يتكرر ذلك عليه مرة بعد أخرى.

(٣٦) ـ (٤٠) ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ مهملاً لا يكلف ولا يجازى، وهو يتضمن تكرير إنكاره للحشر والدلالة عليه من حيث إن الحكمة تقتضي الأمر بالمحاسن والنهي عن القبائح، والتكليف لا يتحقق إلا بالمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة. ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ وقرأ حفص بالياء ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ فقدره فعدّله. ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ الصنفين ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ وهو استدلال آخر بالإبداء على الإعادة على ما مرّ تقريره مراراً ولذلك رتب عليه قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

عن النبي ﷺ: **«أنه كان إذا قرأها قال: سبحانك بلى»**.

وعنه ﷺ: **«من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمناً به»**.

يقال: كلح الرجل كلوحاً وكلاحاً؛ قاله الجوهري[١]. [وعن النبي ﷺ: **«أنه كان إذا قرأها قال: سبحانك بلى»**] رواه أبو داود[٢]، والحاكم[٣]. [**«من قرأ سورة القيامة..»**] إلى آخره، موضوع[٤].

---

(١) الصحاح، الجوهري [٢/ ١٢١].
(٢) سنن أبي داود [١/ ٢٩٦/ برقم: ٨٨٤].
(٣) مستدرك الحاكم [٢/ ٥٥٤/ برقم: ٣٨٨٢].
(٤) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٤١١/ برقم: ١٢٩٥].

سورة الإنسان

(٧٦) مكية، وآيها إحدى وثلاثون آية

۞ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - (٢) ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾ استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد وأصله أهل كقوله: (أهل رَأَوْنا بِسَفْحِ القَاعِ ذِي الأكم). ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود. ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ بل كان شيئاً منسياً غير مذكور بالإنسانية كالعنصر والنطفة، والجملة حال من (الْإِنْسانِ) أو وصف لـ(حِينٌ) بحذف الراجع والمراد بالإنسان الجنس لقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أو آدم عليه السلام بيّن أولاً خلقه، ثم

[كقوله:

.... أهلُ رأونا بسفحِ القاعِ ذي الأكمِ]

صدره:

سائل فوارسَ يَربوعٍ بشَدَّتِنا[1] ....

سأل بشي وعن شيء بمعنى، و«يربوع» أبو حي من تميم و«بشدتنا» بفتح الشين المعجمة؛ أي: بحملتنا، وبكسرها؛ أي: بقوتنا و«سفح» الشيء أسفله و«القاع» المستوي من الأرض، و«الأكم» جمع أكمة وهي التل، يقول سائل؛ أي: سل هذه القبيلة حيث حَرْبُنا بجانب القاع ذي الروابي أهل رأوا منا جبناً وضعفاً.

[كالعنصر والنطفة] مثالان لغير [بحذف الراجع]؛ أي: لم يكن الإنسان فيه [أو آدم]

---

(١) المفصل في صناعة الإعراب، الزمخشري [ص٤٣٧].

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾.

ذكر خلقه بنيه. ﴿أَمْشَاجٍ﴾ أخلاط جمع مشج أو مشج أو مشيج من مشجت الشيء إذا خلطته، ووصف النطفة به لأن المراد بها مجموع منيّ الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الأجزاء في الرقة والقوام والخواص، ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو. وقيل: مفرد كأعشار وأكياش. وقيل: ألوان فإن ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اختلطا اخضرّا، أو أطوار فإن النطفة تصير علقة ثم مضغة إلى تمام الخلقة. ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ في موضع الحال؛ أي: مبتلين له بمعنى: مريدين اختباره، أو ناقلين له من حال إلى حال فاستعير له الابتلاء. ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات، فهو كالمسبب عن الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله:

﴿٣﴾ - ﴿٤﴾ ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾؛ أي: بنصب الدلائل وإنزال الآيات. ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ حالان من الهاء، وإمَّا للتفصيل أو التقسيم؛ أي: (هَدَيْناهُ) في حاليه جميعاً أو مقسوماً إليهما بعضهم شاكِراً بالاهتداء والأخذ فيه، وبعضهم كفور بالإعراض عنه، أو من السَّبِيلَ ووصفه بالشكر والكفر مجاز. وقرئ (أَمَّا) بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافراً ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل، وإشعاراً بأن الإنسان لا يخلو

عطف على «الجنس» [جمع مَشَج] بوزن قهر [كأعشار] يقال: بُرْمَة أعشار. قال الجوهري: «البُرمة»: القدر، وبرمة أعشار إذا انكسرت قطعاً[1] [وأكباش] هو بمعجمة: ثوب يغزل غزله مرتين وهو من برود اليمن. يقال: عليك بثوب الأكباش فإنه من ثياب الأكباش.

[أو من السبيل] عطف على «من الهاء» [وقرئ أما بالفتح على حذف الجواب]

---

(١) الصحاح، الجوهري [١/ ٤٧١].

۞ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾.

عن كفران غالباً؛ وإنما المؤاخذ به التوغل فيه. ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟﴾ بها يقادون. ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ بها يقيدون. ﴿وَسَعِيرًا﴾ بها يحرقون، وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لأن الإنذار أهم وأنفع، وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن، وقرأ نافع وهشام والكسائي وأبو بكر (سلاسلاً) للمناسبة.

﴿٥﴾ - ﴿٦﴾ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ جمع بَرّ كأرباب أو بارّ كأشهاد. ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ من خمر وهي في الأصل القدح تكون فيه. ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما يمزج بها. ﴿كَافُورًا﴾ لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل: اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في رائحته وبياضه. وقيل: يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به. ﴿عَيْنًا﴾ بدل من (كافُوراً) إن جعل اسم ماء، أو من محل (مِنْ كَأْسٍ) على تقدير مضاف؛ أي: ماء عين أو خمرها، أو نصب على الاختصاص، أو بفعل يفسره ما بعدها. ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ملتذاً بها أو ممزوجاً بها، وقيل: الباء مزيدة أو بمعنى من لأن الشرب يبتدأ منها كما هو. ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ يجرونها حيث شاؤوا إجراء سهلاً.

﴿٧﴾ - ﴿٨﴾ ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ استئناف ببيان ما رزقوه لأجله؛ كأنه سئل

تقديره: إمّا شاكراً فبتوفيقنا، وإما كفوراً فبسوء اختياره [وتقديم وعيدهم]؛ أي: على وعد المؤمنين [وقد تأخر ذكرهم]؛ أي: ذكر الكفار في قوله: ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] عن ذكر المؤمنين في قوله: ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ [وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين]؛ أي: تصديره بذكرهم بقوله: ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ وختمه به بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ [الإنسان: ٥] [مبتدأ منها]؛ أي: من العين بدون كأس كما أشار إليه بقوله: [كما هو] ولو قال:

۞ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢﴾.

عنه فأجيب بذلك، وهو أبلغ في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات؛ لأن من وفى بما أوَجَبه على نفسه لله كان أوفى بما أوجبه الله عليه. ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ﴾ شدائده. ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ فاشياً منتشراً غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر، وهو أبلغ من طار، وفيه إشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي. ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ حب الله تعالى أو الطعام أو الإطعام. ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾؛ يعني: أسراء الكفار فإنه عليه الصلاة والسلام كان يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: «**أحسن إليه**»، أو الأسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون، وفي الحديث: «**غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك**».

۝٩ ـ ۝١٠ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ على إرادة القول بلسان الحال أو المقال؛ إزاحة لتوهم المن وتوقع المكافأة المنقصة للأجر. وعن عائشة ﵂: أنها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا؟ فإن ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصاً عند الله. ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾؛ أي: شكراً. ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾ فلذلك نحسن إليكم أو لا نطلب المكافأة منكم. ﴿يَوْمًا﴾ عذاب يوم. ﴿عَبُوسًا﴾ تعبس فيه الوجوه أو يشبه الأسد العبوس في ضراوته. ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه من اقمطرّت الناقة؛ إذا رفعت ذنبها وجمعت قريطها، أو مشتق من القطر والميم مزيدة.

۝١١ ـ ۝١٢ ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ بسبب خوفهم وتحفظهم عنه. ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ بدل عبوس الفجار وحزنهم. ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بصبرهم على أداء الواجبات واجتناب المحرمات وإيثار الأموال. ﴿جَنَّةً﴾

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾.

بستاناً يأكلون منه. ﴿وَحَرِيرًا﴾ يلبسونه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في أناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك، فنذر علي وفاطمة وفضة - جارية لهما رضي الله عنهم - صوم ثلاث إن برئا، فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض علي كرم الله وجهه من شمعون الخيبري ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا ولم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياماً، فلما أمسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه، ثم وقف عليهم في الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك، فنزل جبريل بهذه السورة، وقال: خذها يا محمد هنّاك الله في أهل بيتك).

﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ حال من (هم) في (جَزاهُمْ) أو صفة لِـ(جَنَّةً). ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ يحتملهما وأن يكون حالاً من المستكن في (مُتَّكِئِينَ)، والمعنى: أنه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حارٌّ مُحِمّ ولا بارد مؤذٍ، وقيل: الزمهرير القمر في لغة طيئ، قال الشاعر:

وَلَيْلَةٌ ظَلَامُهَا قَدِ اعْتَكَر قَطَعْتُهَا وَالزَّمْهَرِيرُ مَا زَهَرْ

كما هي كان أقرب. [«وعن ابن عباس: **أن الحسن والحسين مرضا..**»] إلى آخره، موضوع(١).

[وليلة ظَلَامُهَا قَدِ اعْتَكَر قَطَعْتُهَا وَالزَّمْهَرِيرُ مَا زَهَرْ](٢)

«اعتكر الظلام»: اختلط كأنه تراكم بعضه على بعض من بطئ انجلائه، وزهر أضاء. يقول: رب ليلة شديد الظلمة قطعتها بالسري، والحال أن القمر ما طلع وما

(١) انظر: أسد الغابة [١/١٤٠٣].

(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٧/٣١٨].

۞ ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾.

والمعنى: أن هواءها مضيء بذاته لا يحتاج إلى شمس وقمر. ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا﴾ حال أو صفة أخرى معطوفة على ما قبلها، أو عطف على (جَنَّةً)؛ أي: وجنة أخرى دانية، على أنهم وعدوا جنتين؛ كقوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ وقرئت بالرفع على أنها خبر (ظِلالُها) والجملة حال أو صفة. ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ معطوف على ما قبله، أو حال من (دانية)، وتذليل القطوف أن تجعل سهلة التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا.

﴿١٥﴾ ـ ﴿١٨﴾ ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ وأباريق لا عروة لها. ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ﴾؛ أي: تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها، وقد نَوَّنَ (قوارِيرَ) من نَوَّنَ (سلاسلاً) وابن كثير الأولى لأنها رأس الآية، والباقون لم ينونوا أصلاً وقرئ (قَوارِيرَ مِن فِضَّةٍ) على (هي قَوارِيرَ). ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾؛ أي: قدروها في أنفسهم فجاءت مقاديرها وأشكالها كما تمنوه، أو قدروها بأعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها، أو قدّر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله: يطاف شرابها على قدر اشتهائهم، وقرئ (قَدَّرُوهَا)؛ أي: جعلوا قادرين لها كما شاؤوا من قدّر منقولاً من قدرت الشيء. ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها، يقال: شراب سلسل وسلسال وسلسبيل، ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به أن ينفي عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه، وقيل: أصله (سل سبيلا) فسميت به كـ(تأبط شراً) لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلاً بالعمل الصالح.

﴿١٩﴾ ـ ﴿٢٠﴾ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ دائمون. ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا

۞ ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾.

مَّنثُورًا﴾ من صفاء ألوانهم، وانبثاثهم في مجالسهم، وانعكاس شعاع بعضهم إلى بعض. ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾ ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدّر لأنه عام معناه: أن بصرك أينما وقع. ﴿ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾، وفي الحديث: «**أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه**» هذا وللعارف أكبر من ذلك؛ وهو أن تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت، فيستضيء بأنوار قدس الجبروت.

﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾ ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رَقَّ منها وما غلظ، ونصبه على الحال من (هم) في (عليهم) أو (حَسِبْتَهُمْ)، أو (مُلْكاً) على تقدير مضاف؛ أي: وأهل ملك كبير عاليهم، وقرأ نافع وحمزة بالرفع على أنه خبر (ثِيابُ). وقرأ ابن كثير وأبو بكر (خُضْرٌ) بالجر حملاً على (سُنْدُسٍ) بالمعنى فإنه اسم جنس، (وَإِسْتَبْرَقٌ) بالرفع عطفاً على (ثِيابُ)، وقرأ أبو عمرو وابن عامر بالعكس، وقرأهما نافع حفص بالرفع وحمزة والكسائي بالجر، وقرئ (وَاسْتَبْرَقٌ) بوصل الهمزة والفتح على أنه استفعل من البريق جعل علماً لهذا النوع من الثياب.

﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ عطف على ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ [الطور: ١٩] ولا يخالفه قوله: ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ لإمكان الجمع والمعاقبة والتبعيض، فإن حلي أهل الجنة تختلف باختلاف أعمالهم، فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بأيديهم حلياً وأنوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة، أو حال من الضمير في (عالِيَهُمْ) بإضمار قد، وعلى هذا يجوز أن يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين. ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ يريد به نوعاً آخر يفوق على النوعين المتقدّمين؛ ولذلك أسند سقيه إلى الله تعالى، ووصفه بالطهورية فإنه يطهر شاربه عن الميل إلى اللذات الحسية والركون إلى ما سوى الحق،

۞ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ الَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾.

فيتجرّد لمطالعة جماله ملتذاً بلقائه باقياً ببقائه، وهي منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم بها ثواب الأبرار. ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ على إضمار القول والإشارة إلى ما عد من ثوابهم. و﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ مجازى عليه غير مضيع.

﴿٢٣﴾ ـ ﴿٢٤﴾ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ مفرقاً منجماً لحكمةٍ اقتضته، وتكرير الضمير مع أن مزيد لاختصاص التنزيل به. ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم. ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾؛ أي: كل واحدُ من مرتكب الإثم الداعي لك إليه، ومن الغالي في الكفر الداعي لك إليه، و(أو) للدلالة على أنهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه إليه، فإن ترتب النهي على الوصفين مشعر بأنه لهما؛ وذلك يستدعي أن تكون المطاوعة في الإثم والكفر محظوراً، فإن مطاوعتهما فيما ليس بإثم ولا كفر غير محظور.

﴿٢٥﴾ ـ ﴿٢٦﴾ ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ودَاوم على ذكره، أو دُمْ على صلاتَي الفجر والظهر أو العصر فإن الأصيل يتناول وقتيهما. ﴿وَمِنَ الَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُۥ﴾ وبعض الليل فَصَلِّ له، ولعل المراد به صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيدا الكلفة والخلوص. ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ وتهجد له طائفة طويلة من الليل.

﴿٢٧﴾ ـ ﴿٢٨﴾ ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾ أمامهم أو خلف ظهورهم. ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ شديداً مستعار من الثقل الباهظ للحامل، وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه. ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ وأحكمنا ربط

۞ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾.

مفاصلهم بالأعصاب. ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ وإذا شئنا أهلكناهم ﴿بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ في الخلقة، وشدة الأسر؛ يعني: النشأة الثانية؛ ولذلك جيء بـ(إذا)، أو بدلنا غيرهم ممن يطيع و(إذا) لتحقق القدرة وقوة الداعية.

﴿٢٩﴾ ـ ﴿٣١﴾ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌۖ﴾ الإشارة إلى السورة أو الآيات القريبة، ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ تقرب إليه بالطاعة. ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ وما تشاؤون ذلك إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (يشاؤن) بالياء. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ بما يستأهل كل أحد. ﴿حَكِيمًا﴾ لا يشاء إلا ما تقتضيه حكمته. ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦۚ﴾ بالهداية والتوفيق للطاعة. ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ نصب (الظَّالِمِينَ) بفعل يفسره ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾ مثل أوعد وكافأ ليطابق الجملة المعطوف عليها، وقرئ بالرفع على الابتداء.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (هل أتى) كان جزاؤه على الله جنة وحريراً**».

أضاء [شرابها] مفعول قدروا. [«من قرأ سورة هل آتى..»] إلى آخره، موضوع[1].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/١٣٦/ برقم: ١٤٤٥].

سُورَةُ المُرْسَلَاتِ

(٧٧) مكية، وآيها خمسون آية

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ (٥) ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ إقسام بطوائف من الملائكة أرسلهن الله تعالى بأوامره متتابعة. فعصفن عصف الرياح في امتثال أمره، ونشرن الشرائع في الأرض، أو نشرن النفوس الموتى بالجهل بما أوحين من العلم، ففرقن بين الحق والباطل، فألقين إلى الأنبياء ذكراً (عذراً) للمحقين (ونذراً) للمبطلين، أو بآيات القرآن المرسلة بكل عرف إلى محمد عليه الصلاة والسلام، فعصفن سائر الكتب والأديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب، وفرّقن بين الحق والباطل فألقين ذكر الحق فيما بين العالمين. أو بالنفوس الكاملة المرسلة إلى الأبدان لاستكمالها؛ فعصفن ما سوى الحق ونشرن أثر ذلك في جميع الأعضاء، ففرّقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه؛ فيرون كل شيء هالكاً إلا وجهه، فألقين ذكراً بحيث لا يكون في القلوب والألسنة إلا ذكر الله. أو برياح عذاب أرسلن فعصفن، ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو؛ ففرّقن فألقين ذكراً؛ أي: تسببن له، فإن العاقل إذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته، (وعُرْفاً) إما نقيض النكر وانتصابه على العلة؛ أي: أرسلن للإحسان

[متتابعة] تفسيراً لـ﴿عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١] في الآية كما ذكره بعد [أو بآيات القرآن]

۞ ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾.

والمعروف، أو بمعنى المتابعة من (عرف الفرس) وانتصابه على الحال.

﴿٦﴾ - ﴿١٠﴾ ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ مصدران لـ(عذر) إذا محا الإساءة وأنذر إذا خوف، أو جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الإنذار، أو بمعنى العاذر والمنذر، ونصبهما على الأوّلين بالعلية؛ أي: (عُذْراً) للمحقين أَوْ (نُذْراً) للمبطلين، أو البدل من (ذِكْراً) على أن المراد به الوحي، أو ما يعم التوحيد والشرك والإيمان والكفر وعلى الثالث بالحالية، وقرأهما أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بالتخفيف. ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ جواب القسم ومعناه: أن الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة. ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ محقت أو أذهب نورها. ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ صدعت. ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ كالحب ينسف بالمنسف.

﴿١١﴾ - ﴿١٥﴾ ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الأمم بحصوله، فإنه لا يتعين لهم قبله، أو بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره، وقرأ أبو عمرو (وقتت) على الأصل. ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾؛ أي: يقال: لأي يوم أخرت، وضرب الأجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله، ويجوز أن يكون ثاني مفعولي (أُقِّتَتْ) على أنه بمعنى أعلمت.

هو مع تاليه عطف على «بطوائف الملائكة» [﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ [المرسلات: ١٢]] الجار متعلق بـ﴿أُجِّلَتْ﴾، والجملة معموله لقوله مضمر كما بيّنه بقوله: [أي: يقال..] إلى آخره، والمقول المضمر وجواب «إذا»، أو حال من مرفوع «أقتت»؛ قاله ابن عادل[1] [للجمع]؛ أي: لجمع الخلق.

---

(١) اللباب، ابن عادل [٢٠/٦٨].

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ
﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً
وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ بيان ليوم التأجيل. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ ومن أين تعلم كنهه ولم تر مثله. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: بذلك، و(وَيْلٌ) في الأصل مصدر منصوب بإضمار فعله عدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات الهلك للمدعو عليه، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرفه أو صفته.

﴿١٦﴾ ـ ﴿١٩﴾ ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ كقوم نوح وعاد وثمود، وقرئ (نَهْلِكِ) من هلكه بمعنى: أهلكه. ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾؛ أي: ثُمَّ نحن نُتْبِعُهُم نظراءهم ككفار مكة، وقرئ بالجزم عطفاً على (نهْلِكِ) فيكون (الآخِرِينَ) المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الفعل. ﴿نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ بكل من أجرم. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بآيات الله وأنبيائه فليس تكريراً، وكذا إن أطلق التكذيب أو علق في الموضعين بواحد؛ لأن الوَيْلُ الأول لعذاب الآخرة وهذا للإهلاك في الدنيا، مع أن التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب.

﴿٢٠﴾ ـ ﴿٢٤﴾ ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ نطفة مذرة ذليلة. ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ هو الرحم. ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ إلى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة. ﴿فَقَدَرْنَا﴾ على ذلك، أو فقدرناه، ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد. ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ نحن. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بقدرتنا على ذلك أو على الإعادة.

﴿٢٥﴾ ـ ﴿٢٨﴾ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ كافتة اسم لما يكفت؛ أي: يضم ويجمع كالضمام والجماع اسم لما يضم ويجمع، أو مصدر نعت به أو جمع كافت كصائم وصيام، أو كفت وهو الوعاء أجرى على الأرض باعتبار

۞ ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾.

أقطارها. ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم، أو لأن أحياء الإنس وأمواتهم بعض الأحياء والأموات، أو الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو (الإنس)، أو بنجعل على المفعولية و(كِفاتاً) حال أو الحالية فيكون المعنى بالأحياء ما ينبت وبالأموات ما لا ينبت. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ﴾ جبالاً ثوابت طوالاً، والتنكير للتفخيم أو الإشعار بأن فيها ما لم يعرف ولم يُرَ ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ بخلق الأنهار والمنابع فيها. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بأمثال هذه النعم.

﴿٢٩﴾ - ﴿٣١﴾ ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾؛ أي: يقال لهم: انطلقوا. ﴿إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ من العذاب. ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ خصوصاً، وعن يعقوب (انْطَلَقُوا) على الإخبار عن امتثالهم للأمر اضطراراً. ﴿إِلَىٰ ظِلٍّ﴾؛ يعني: ظل دخان جهنم؛ كقوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٣]. ﴿ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق تفرق الذوائب، وخصوصية الثلاث إما لأن حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم، أو لأن المؤدّي إلى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالية في الدماغ، والغضبية التي في يمين القلب، والشهوية التي في يساره، ولذلك قيل: شعبة تقف فوق

[أو الحالية] عطف على «المفعولية» **[من مفعوله المحذوف]**؛ أي: مفعولاً «كفاتاً»[(١)]، والتقدير؛ أي: يكفتكم، أو يكفت الإنس أحياء وأمواتاً، وعلى الثاني: اقتصر المصنف حيث قال: **[وهو الإنس]**؛ أي: لا الجن **[﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾** [المرسلات: ٢٩] **خصوصاً]** أشار بـ«خصوصاً» إلى أن الانطلاق هنا خاص بالظل المذكور بخلافه في الأول، فإنه عام في جميع ما كذّبوا به **[على الإخبار من امتثالهم للأمر اضطراراً]**

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٧/ ٣٤٥].

۞ ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

الكافر، وشعبة عن يمينه، وشعبة عن يساره. ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ تهكم بهم وَرَدّ لما أوهم لفظ الظل. ﴿وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئاً.

﴿٣٢﴾ - ﴿٣٣﴾ ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾؛ أي: كل شرارة كَالْقَصْرِ في عظمها، ويؤيده أنه قرئ (بشرار)، وقيل: هو جمع قصرة وهي الشجرة الغليظة، وقرئ (كالقُصُر) بمعنى: القصور كـ(رهن) و(رهن) و(كالقَصَر) جمع قُصْرَة كحاجة وحُوَج، والهاء للشعب. ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ﴾ جمع جمال أو جمالة جمع جمل. ﴿صُفْرٌ﴾ فإن الشرار بما فيه من النارية يكون أصفر، وقيل: سود لأن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة، والأول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة، وقرأ حمزة والكسائي وحفص (جِمالَة) وعن يعقوب (جُمَالَاتٌ) بالضم جمع جمالة، وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها في امتداده والتفافه.

﴿٣٤﴾ - ﴿٣٦﴾ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾؛ أي: بما يستحق فإن النطق بما لا ينفع كلا نطق، أو بشيء من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف، وقرئ بنصب اليَوْمُ؛ أي: هذا الذي ذكر واقع يومئذ. ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ عطف (فَيَعْتَذِرُونَ) على (يُؤْذَنُ) لدل على نفي

عبارة «الكشاف»(١): وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي إخباراً بعد الأمر عن عملهم بموجبه؛ لأنهم مضطرون إليه لا يستطيعون امتناعاً منه.

[جمع قَصْره] بسكون الصاد [وكالقَصَر] بفتحتين [وهي: أصل العنق] عبارة «الكشاف»(٢): وهي أعناق الإبل، أو أعناق النخل [شبهه بها]؛ أي: شبه الشرر

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٦٨١]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٦٨١].

۞ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ
فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ
﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ
ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

الإذن والاعتذار عقيبه مطلقاً، ولو جعله جواباً لدل على أن عدم اعتذارهم لعدم الإذن فأوهم ذلك أن لهم عذراً لكن لا يؤذن لهم فيه.

﴿٣٧﴾ - ﴿٤٠﴾ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ بين المحق والمبطل. ﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ تقرير وبيان للفصل. ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا وإظهار لعجزهم. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ إذ لا حيلة لهم في التخلص من العذاب.

﴿٤١﴾ - ﴿٤٥﴾ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ من الشرك لأنهم في مقابلة المكذبين. ﴿فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ مستقرون في أنواع الترفه. ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: مقولاً لهم ذلك. ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ في العقيدة. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد.

﴿٤٦﴾ - ﴿٤٧﴾ ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ حال من المكذبين؛ أي: الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك، تذكيراً لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم المقيم. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل.

﴿٤٨﴾ - ﴿٥٠﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾ أطيعوا واخضعوا، أو: صلُّوا، أو اركعوا في الصلاة. إذ روي: أنه نزل حين أمر رسول الله ﷺ ثقيفاً بالصلاة،

بالجبال [روي: «أنه نزل حين أمر رسول الله ﷺ ثقيفاً بالصلاة..»]. إلى آخره، رواه

فقالوا: لا نحني فإنها مسته. وقيل: هو يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون. ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ لا يمتثلون واستدل به على أن الأمر للايجاب وأن الكفار مخاطبون بالفروع. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ﴾ بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة.

قال عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة (والمرسلات) كتب له أنه ليس من المشركين**».

أبو داود[1]، وقوله: «لا نجبي» من التجبية. قال الطيبي نقلاً عن النهاية: أصل التجبية أن يقوم الإنسان قيام الراكع، وقيل: هو أن يضع يديه على ركبتيه، وهو قائم. انتهى. ولم أره في النهاية. [«**من قرأ سورة والمرسلات..**»] إلى آخره، موضوع[2].



---

(١) انظر: الفتح السماوي، المناوي [٣/١٠٧٣/ برقم: ٩٧٤].

(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/١٣٨/ برقم: ١٤٤٧].

سُورَةُ النَّبَإِ

(٧٨)، مكية، وآيها إحدى وأربعون آية

۞ ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - (٣) ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أصله عما فحذف الألف لما مرّ، ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كأنه لفخامته خفي جنسه فسئل عنه، والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم، أو يسألون الرسول ﷺ والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم: يتداعونهم ويتراءونهم؛ أي: يدعونهم ويرونهم، أو للناس. ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ بيان لشأن المفخم أو صلة (يَتَساءَلُونَ) و(عَمَّ) متعلق بمضمر مفسر به، ويدل عليه قراءة يعقوب: (عَمّه). ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ بجزم النفي والشك فيه، أو بالإقرار والإنكار.

[أو الناس] عطف على «لأهل مكة» **[ويدل عليه قراءة يعقوب]**؛ أي: والبزي، ووجه الدلالة أن هاء السكت يوقف عليها، فلا يعمل فما دخل عليها ما بعدها مع اشتغاله بغيره **[مفسر به]**؛ أي: ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ [عم: ١] **[بجزم النفي]**؛ أي: نفي البعث **[والشك فيه]** عطف على «جزم النفي»، والمعنى: أن بعضهم جزم بعدم البعث، وبعضهم شك فيه، كما أن معنى قوله: **[أو بالإقرار والإنكار]** أن بعضهم أقرَ بالبعث، وبعضهم أنكره، وعبارة «الكشاف»(١): فإن قلت: قد زعمت أن الضمير في ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ للكفار فما تصنع بقوله: ﴿هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ: ٣]؟ قلت: كان فيهم من يقطع القول بإنكار البعث، ومنهم من يشك، وقيل: الضمير للمسلمين والكافرين، وكانوا جميعاً يسألون عنه، أما المسلم فليزداد خشية واستعداداً، وأما الكافر فليزداد استهزاء.

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٦٨٥].

۞ ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ
أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا
ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ
ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾.

۝٤ ـ ۝٥ ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ردع عن التساؤل ووعيد عليه. ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ تكرير للمبالغة و(ثُمَّ) للإشعار بأن الوعيد الثاني أشدّ، وقيل: الأوّل عند النزع والثاني في القيامة، أو الأول للبعث والثاني للجزاء. وعن ابن عامر (ستعلمون) بالتاء على تقدير قل: لهم ستعلمون.

۝٦ ـ ۝٨ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مرّ تقريره مراراً، وقرئ: (مهداً)؛ أي: أنها لهم كالمهد للصبي؛ مصدر سمي به ما يمهد لينوم عليه. ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ ذكراً وأنثى.

۝٩ ـ ۝١٣ ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ قطعاً عن الإحساس والحركة؛ استراحة للقوى الحيوانية وإزاحة لكلالها، أو موتاً لأنه أحد التوفيين ومنه المسبوت للميت، وأصله القطع أيضاً. ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ غطاء يستتر بظلمته من أراد الاختفاء. ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به، أو حياة تنبعثون فيه عن نومكم. ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ سبع سمٰوات أقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور. ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ متلألئاً وقّاداً؛ من وهجت النار إذا أضاءت، أو بالغاً في الحرارة؛ من الوهج وهو الحر والمراد الشمس.

۝١٤ ـ ۝١٦ ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ السحائب إذا أعصرت؛ أي: شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كقولك: احصد الزرع إذا حان له أن يحصد، ومنه أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض، أو من الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب، أو الرياح ذوات الأعاصير، وإنما جعلت مبدأ

۞ ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾.

للإنزال لأنها تنشئ السحاب وتدرأ خلافه، ويؤيده أنه قرئ (بالمعصرات). ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾ منصباً بكثرة يقال: ثجه وثج بنفسه. وفي الحديث: «**أفضَلَ الحَجِّ العَجُّ والثَّجُّ**»؛ أي: رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي، وقرئ (ثجاجاً) ومثاجِجُ الماءِ مَصَابُه. ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش. ﴿وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا﴾ ملتفة بعضها ببعض جمع لِفٍّ كَجِذْعٍ. قال: (جَنَّةٌ لِفٌّ وَعَيْشٌ مُغْدق) أو لفيف كشريف، أو (لُفٌّ) جمع (لَفَّاء) كخضراء وخضر وأخضار، أو ملتفَّة بحذف الزوائد.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ﴾ في علم الله تعالى أو في حكمه. ﴿مِيقَـٰتًا﴾ حداً تؤقت به الدنيا وتنتهي عنده، أو حداً للخلائق ينتهون إليه. ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ بدل، أو بيان ليوم الفصل. ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ جماعات من القبور إلى المحشر. روي: أنه ﷺ سئل عنه فقال: «**يحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير،**

[**أنه قرئ «بالمَعْصَرات»**]؛ أي: بفتح الميم.

[**جَـنَّـة لِـفٌّ وَعَـيْـشٌ مُـغْـدِقٌ** ....]

تمامه:

.... **وَنَـدَامـى كُـلـهُـمْ بـيـضٌ زُهُـر**[١].

اللِّفُ: واحد الألفاف، وعيش مغدق؛ أي: ناعم، والندامى: جمع الندمان. يقال: نادمني فلان، فهو نديمي وندماني، وبيض حسان، ورجلُ أزهر؛ أي: أبيض مشرق الوجه، يصف طيب الزمان والمكان[٢] وكرم الإخوان [**أو لفيف**] هو مع تاليه عطف على «لِفّ».

---

(١) البيت لأبي علي الطوسي. انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٧/ ٣٥٧].

(٢) في نسخة [ج]: (المكارم).

۞ ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾.

وبعضهم منكسون يسحبون على وجوههم، وبعضهم عُمْيٌ، وبعضُهُم صُمٌّ بُكْمٌ، وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مُدَلَّاة على صدورهم فيسيل القيح من أفواههم يَتَقَذَّرُهُم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلوبون على جذوع من نار، وبعضهم أشد نَتَناً مِنَ الجِيَف، وبعضهم ملبسون جِبِاباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم» ثم فسرهم بالقتات، وأهل السحت، وأكلة الربا، والجائرين في الحكم، والمعجبين بأعمالهم، والعلماء الذين خالف قولهم فعلهم، والمؤذين جيرانهم، والساعين بالناس إلى السلطان، والتابعين للشهوات المانعين حق الله، والمتكبرين الخيلاء.

﴿١٩﴾ ـ ﴿٢٠﴾ ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ وشققت، وقرأ الكوفيون بالتخفيف. ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل أبواب، أو فصارت ذات أبواب. ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾؛ أي: في الهواء كالهباء. ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ مثل سراب إذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت أجزائها وانبثاثها.

﴿٢١﴾ ـ ﴿٢٣﴾ ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار، أو خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها كالمضمار؛ فإنه الموضع الذي يضمر فيه الخيل، أو مجدة في ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان، وقرئ (إِنَّ) بالفتح على التعليل لقيام الساعة. ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ مرجعاً ومأوى. ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ﴾ وقرأ حمزة وروح (لَبِثِيْنَ) وهو أبلغ. ﴿أَحْقَابًا﴾ دهوراً متتابعة، وليس فيها ما يدل على خروجهم منها؛ إذ لو صح أن الحقب ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الأحقاب لجواز أن يكون المراد أحقاباً مترادفة كلما مضى حقب تبعه آخر، وإن كان فمن قبيل المفهوم فلا

۞ ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾.

يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار، ولو جعل قوله تعالى:

﴿٢٤﴾ - ﴿٢٦﴾ ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ حالاً من المستكن في لابِثِينَ أو نصب (أَحْقاباً) بلَا يَذُوقُونَ احتمل أن يلبثوا فيها أحقاباً غير ذائقين إلا حميماً وغساقاً، ثم يبدلون جنساً آخر من العذاب، ويجوز أن يكون جمعُ (حِقْبٍ)؛ من: حَقِبَ الرَّجُلُ إذا أخطأَهُ الرزق، وحَقِبَ العَامُ إذا قَلَّ مَطَرُهُ وخَيرُهُ فيكون حالاً بمعنى لابثين فيها حقبين، وقوله: ﴿لَّا يَذُوقُونَ﴾ تفسير له، والمراد بالبرد ما يروّحهم وينفس عنهم حر النار، أو النوم، وبالغساق ما يغسق؛ أي: يسيل من صديدهم، وقيل: الزمهرير وهو مستثنى من البرد إلا أنه أُخِّرَ ليتوافق رؤوس الآي، وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد. ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾؛ أي: جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لأعمالهم، أو موافقاً لها، أو وافقها وفاقاً، وقرئ (وفاقاً) فعال من وفقه كذا.

﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ بيان لما وافقه هذا الجزاء. ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾ تكذيباً، وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع في كلام الفصحاء. وقرئ بالتخفيف؛ وهو بمعنى الكذب كقوله:

فَصَدَقْتُهَا وَكَذَبْتُهَا ... وَالمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهْ

وإنما أقيم مقام التكذيب للدلالة على أنهم كذبوا في تكذيبهم، أو المكاذبة؛ فإنهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم،

[فَصَدَقْتُهَا وَكَذَبْتُهَا ... وَالمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذابُهُ][1]

---

(١) المخصص، ابن سيده [٤/ ٢٧٩].

۞ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ
لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا
لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾.

فكان بينهم مكاذبة، أو كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه، وعلى المعنيين يجوز أن يكون حالاً بمعنى كاذبين أو مكاذبين، ويؤيده أنه قرئ (كُذَّاباً) وهو جمع كاذب، ويجوز أن يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر؛ أي: تكذيباً مفرطاً كذبه.

﴿٢٩﴾ - ﴿٣٠﴾ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ﴾ وقرئ بالرفع على الابتداء. ﴿كِتَٰبًا﴾ مصدر لـ(أحصيناه) فإن الأحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط أو لفعله المقدر، أو حال بمعنى: مكتوباً في اللوح، أو صحف الحفظة والجملة اعتراض، وقوله: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات، ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة. وفي الحديث: «**هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار**».

﴿٣١﴾ - ﴿٣٥﴾ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ فوزاً أو موضع فوز. ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا﴾ بساتين فيها أنواع الأشجار المثمرة بدل من مَفازاً بدل الاشتمال أو البعض. ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ نساء فلكت ثديهن ﴿أَتْرَابًا﴾ لدات. ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ ملآنا وأدهق الحوض ملآه. ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾ وقرأ الكسائي بالتخفيف؛ أي: كَذِباً أو مكاذبةٍ، إذ لا يكذب بعضهم بعضاً.

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾ بمقتضى وعده. ﴿عَطَآءً﴾ تفضلاً منه إذ لا يجب عليه شيء، وهو بدل من (جَزاءً)، وقيل: منتصب به نصب المفعول به. ﴿حِسَابًا﴾ كافياً من أحسبه الشيء إذا كفاه حتى قال: حسبي، أو على

هو للأعشى [فُلِّكَتْ ثُدِيُّهُنَّ] بضم الفاء، وتشديد اللام من فُلِّكَ ثدي الجارية

۞ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾.

حسب أعمالهم، وقرئ (حَسَّاباً)؛ أي: محسباً كالدَّرَاك بمعنى المدرك. ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ بالجر بدل (من ربك) وقد رفعه الحجازيان وأبو عمرو على الابتداء. ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بالجر صفة له، وكذا في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب، وبالرفع في قراءة أبي عمرو، وفي قراءة حمزة والكسائي بجر الأول ورفع الثاني؛ على أنه خبر محذوف أو مبتدأ خبره: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ و(الواو) لأهل السمٰوات والأرض؛ أي: لا يملكون خطابه، والاعتراض عليه في ثواب أو عقاب لأنهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضاً وذلك لا ينافي الشفاعة بإذنه.

﴿٣٨﴾ - ﴿٣٩﴾ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ تقرير وتوكيد لقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ [النبأ: ٣٧]، فإن هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله إذا لم يقدروا أن يتكلموا بما يكون صواباً كالشفاعة لمن ارتضى إلا بإذنه، فكيف يملكه غيرهم و(يَوْمَ) ظرف لِـ(لَّا يَمْلِكُونَ) أو لِـ(يَتَكَلَّمُونَ)، (والرُّوحُ) ملك موكل على الأرواح أو جنسها، أو جبريل، أو خلق أعظم من الملائكة. ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ الكائن لا محالة. ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ إلى ثوابه. مَآباً بالإيمان والطاعة.

﴿٤٠﴾ ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾؛ يعني: عذاب الآخرة، وقربه لتحققه فإن كل ما هو آت قريب؛ ولأن مبدأه الموت. ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ

تفليكاً، وتفلك: استدار [﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ صفة له] انتقد بأن المضاف إلى المعرف بأل لا يوصف بالمعرف بها [وكذا في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب]؛ أي: بجرِّ «ربّ»، و«الرحمٰن» [ووافقهم حمزه] إلى آخره. النسخ هنا مختلفة، وكلها مخالفه للمنقول،

يَدَاهُ﴾ يرى ما قدمه من خير أو شر، و(المَرْءُ) عام. وقيل: هو الكافر لقوله: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ﴾ فيكون الكافر ظاهراً وضع موضع الضمير لزيادة الذم، و(ما) موصولة منصوبة بينظر، أو استفهامية منصوبة بـ(قدَّمَتْ)؛ أي: ينظر أي شيء قدمت يداه. ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف، أو في هذا اليوم فلم أبعث، وقيل: يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم تُرَدُّ تُرَاباً فيَوَدُّ الكافرُ حَالَهَا.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (عم) سقاه الله برد الشراب يوم القيامة**».

إذ المنقول أن «رب السمٰوات» يقرأه ابن عامر، ويعقوب، والكوفيين بالجر، والباقون بالرفع. [«**من قرأ سورة عم**..»] إلى آخره، موضوع[(١)].



(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ١٤٥/ برقم: ١٤٥١].

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

(٧٩) مكية، وآيها خمس أو ست وأربعون آية

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝٥﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

۝١ - ۝٥ ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ هذه صفات ملائكة الموت فإنهم ينزعون أرواح الكفار من أبدانهم غرقاً؛ أي: إغراقاً في النزع، فإنهم ينزعونها من أقاصي الأبدان، أو نفوساً غرقة في الأجساد، وينشطون؛ أي: يخرجون أرواح المؤمنين برفق؛ مِنْ نَشَطَ الدلوَ مِنَ البئرِ إذا أخرجها، ويسبحون في إخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشيء من أعماق البحر، فيسبقون بأرواح الكفار إلى النار وبأرواح المؤمنين إلى الجنة، فيدبرون أمر عقابها وثوابها بأن يهيئوها لإدراك ما أعدّ لها من الآلام واللذات، أو الأوليان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون في مضيها؛ أي: يسرعون فيه فيسبقون إلى ما أمروا به فيدبرون أمره، أو صفات النجوم فإنها تنزع من المشرق إلى المغرب غرقاً في النزع بأن تقطع الفلك حتى تنحط في أقصى الغرب، وتنشط من برج إلى برج؛ أي: تخرج من نشط الثور إذا خرج من

[أو نفوساً] عطف على «أرواح الكفار»، لهم؛ أي: لملائكة الموت [أو الأوليان[1]]؛ أي: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ [النازعات: ١]، ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ [النازعات: ٢] [أو صفات النجوم] هو مع تالياته عطف على «صفات ملائكة» إلا قوله: أو حال

(١) في نسخة [ب]: (الأوليات).

۞ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾.

بلد إلى بلد، وتسبح في الفلك فيسبق بعضها في السير لكونه أسرع حركة فيدبر أمراً أنيط بها؛ كاختلاف الفصول وتقدير الأزمنة وظهور مواقيت العبادات، ولما كانت حركاتها من المشرق إلى المغرب قسرية وحركاتها من برج إلى برج ملائمة؛ سمى الأولى نزعاً والثانية نشطاً، أو صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فإنها تنزع عن الأبدان غرقاً؛ أي: نزعاً شديداً من إغراق النازع في القوس، وتنشط إلى عالم الملكوت وتسبح فيها فتسبق إلى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات، أو حال سلوكها فإنها تنزع عن الشهوات فتنشط إلى عالم القدس، فتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق إلى الكمالات حتى تصير من المكملات، أو صفات أنفس الغزاة، أو أيديهم تنزع القسي بإغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون إلى حرب العدو فيدبرون أمرها، أو صفات خيلهم فإنها تنزع في أعنتها نزعاً تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها وتخرج من دار الإسلام إلى دار الكفر، وتسبح في حربها فتسبق إلى العدو فتدبر أمر الظفر. أقسم الله تعالى بها على قيام الساعة وإنما حذف لدلالة ما بعده عليه.

﴿٦﴾ ـ ﴿٩﴾ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ وهو منصوب به والمراد بالرَّاجِفَةُ الأجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالأرض والجبال لقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٤] أو الواقعة التي ترجف الأجرام عندها وهي النفخة الأولى. ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتشر، أو النفخة الثانية. والجملة في موقع الحال. ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾

سلكوها فعطفت على حال المفارقة [وهو]؛ أي: يوم [منصوب به]؛ أي: المحذوف [**أو النفخة الثانية**] عطف على «السماء، والكواكب».

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾.

شديدة الاضطراب من الوجيف وهي صفة القلوب والخبر: ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾؛ أي: أبصار أصحابها ذليلة من الخوف؛ ولذلك أضافها إلى القلوب.

﴿١٠﴾ - ﴿١٢﴾ ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ في الحالة الأولى يعنون الحياة بعد الموت من قولهم رجع فلان في حافرته؛ أي: طريقه التي جاء فيها، فحفرها؛ أي: أثر فيها بمشيه على النسبة؛ كقوله: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٧]، أو تشبيه القابل بالفاعل، وقرئ (في الحفرة) بمعنى: المحفورة يقال: حفرت أسنانه فحفرت حفراً، وهي حفرة. ﴿أَءِذَا كُنَّا﴾ وقرأ نافع وابن عامر والكسائي (إذا كُنَّا) على الخبر. ﴿عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ بالية، وقرأ الحجازيان وأبو عمرو والشامي وحفص وروح (نَخِرَةً) وهي أبلغ. ﴿قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ ذات خسران أو خاسر أصحابها، والمعنى: أنها إن صحت فنحن إذاً خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم.

﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: لا يستصعبوها فما هي إلا صيحة واحدة؛ يعني: النفخة الثانية. ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتاً في بطنها، والساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن السراب يجري فيها من قولهم: عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة، أو لأن سالكها يسهر خوفاً وقيل: اسم لجهنم.

[أو على النسبة] عطف على «في الحالة الأولى»، وعبارة «الكشاف»[1]: وقيل: «حافره»، كما قيل: عيشة راضية؛ أي: منسوبة إلى الحفر والرضا **[أو تشبيه القائل]**

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٦٩٤].

۞ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿١٥﴾ ـ ﴿١٩﴾ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ أليس قد أتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك وتهددهم عليه بأن يصيبهم مثل ما أصاب من هو أعظم منهم. ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ قد مرَّ بيانه في سورة (طه). ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ على إرادة القول، وقرئ (أن اذهب) لما في النداء من معنى القول. ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ هل لك ميل إلى أن تتطهر من الكفر والطغيان، وقرأ الحجازيان ويعقوب (تَزَّكّى) بالتشديد. ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وأرشدك إلى معرفته. ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ بأداء الواجبات وترك المحرمات، إذ الخشية إنما تكون بعد المعرفة؛ وهذا كالتفصيل لقوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤].

﴿٢٠﴾ ـ ﴿٢٢﴾ ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾؛ أي: فذهب وبلغ فأراه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية فإنه كان المقدّم والأصل، أو مجموع معجزاته فإنها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة. ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الأمر. ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الطاعة. ﴿يَسْعَىٰ﴾ ساعياً في إبطال أمره، أو أدبر بعد ما رأى الثعبان مرعوباً مسرعاً في مشيه.

﴿٢٣﴾ ـ ﴿٢٦﴾ ﴿فَحَشَرَ﴾ فجمع السحرة أو جنوده. ﴿فَنَادَىٰ﴾ في المجمع بنفسه أو بمناد. ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أعلى كل من يلي أمركم. ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ أخذاً منكلاً لمن رآه، أو سمعه في الآخرة بالإحراق وفي الدنيا بالإغراق، أو على كلمته الآخِرَةِ؛ وهي هذه وكلمته الأولى وهو قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ أو للتنكيل فيهما، أو لهما، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً مقدراً بفعله. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ لمن كان من شأنه الخشية.

۞ ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿٢٧﴾ - ﴿٢٩﴾ ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ أصعب خلقاً. ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ ثم بيَّن كيف خلقها فقال: ﴿بَنَىٰهَا﴾ ثم بيَّن البناء فقال: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾؛ أي: جعل مقدار ارتفاعها من الأرض أو ثخنها الذاهب في العلو رفيعاً. ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ فعدلها أو فجعلها مستوية، أو فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والدوائر وغيرها من قولهم: سوى فلان أمره إذا أصلحه. ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه منقول من غطش الليل إذا أظلم، وإنما أضافه إليها لأنه يحدث بحركتها. ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ وأبرز ضوء شمسها. كقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: ١] يريد النهار.

﴿٣٠﴾ - ﴿٣٣﴾ ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ بسطها ومهدها للسكنى. ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا﴾ بتفجير العيون. ﴿وَمَرْعَىٰهَا﴾ ورعيها وهو في الأصل لموضع الرعي، وتجريد الجملة عن العاطف لأنها حال بإضمار (قد) أو بيان للدحو. ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ أثبتها، وقرئ (والأرضُ) و(الجبالُ) بالرفع على الابتداء، وهو مرجوح لأن العطف على فعلية. ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ تمتيعاً لكم ولمواشيكم.

﴿٣٤﴾ - ﴿٣٩﴾ ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ﴾ الداهية التي تطم؛ أي: تعلو على سائر الدواهي. ﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾ التي هي أكبر الطامات وهي القيامة، أو النفخة الثانية، أو الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار. ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ **بأن يراه مدوناً في صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة أو طول المدة، وهو بدل من (إذا جاءت) و(ما) موصولة أو مصدرية،** ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ وأظهرت. ﴿لِمَن يَرَىٰ﴾ **لكل راء بحيث لا تخفى على أحد،**

۞ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾
يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ
أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾.

وقرئ (وَبَرَزْتُ) و(لمن رأى) و(لمن ترى) على أن فيه ضمير الجحيم؛ كقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [الفرقان: ١٢]. أو أنه خطاب للرسول ﷺ؛ أي: لمن تراه من الكفار، وجواب (فَإِذا جاءَتِ) محذوف دل عليه (يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإنسان) أو ما بعده من التفصيل. ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ حتى كفر. ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ فانهمك فيها ولم يستعدّ للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس. ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ هي مأواه، واللام فيه سادّة مسد الإضافة للعلم بأن صاحب المأوى هو الطاغي، وهي فصل أو مبتدأ.

﴿٤٠﴾ ـ ﴿٤١﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد. ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ لعلمه بأنه مرد. ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ ليس له سواها مأوى.

﴿٤٢﴾ ـ ﴿٤٤﴾ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ متى إرسَاؤهَا؛ أي: إقامتها وإثباتها، أو منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة؛ وهو حيث تنتهي إليه وتستقر فيه. ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ في أي شيء أنت من أن تذكر وقتها لهم؛ أي: ما أنت من ذكرها لهم، وتبيين وقتها في شيء فإن ذكرها لا يزيدهم إلا غياً. ووقتها مما استأثره الله تعالى بعلمه. وقيل: (فِيمَ) إنكار لسؤالهم و(أَنْتَ مِنْ ذِكْراها) مستأنف، ومعناه: أنت ذِكْرٌ مِنْ ذِكْرِها؛ أي: علامة من أشراطها، فإن إرساله خاتماً للأنبياء أمارة من أماراتها، وقيل: إنه متصل بسؤالهم والجواب. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ علمها.

﴿٤٥﴾ ـ ﴿٤٦﴾ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ إنما بعثت لإنذار من يخاف

عطف على «النسبة» [بأنه مرد]؛ أي: يهلك من أراد؛ أي: أهلك

هولها، وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لأنه المنتفع به، وعن أبي عمرو ومنذر بالتنوين والإعمال على الأصل؛ لأنه بمعنى الحال. ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ في الدنيا أو في القبور. ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾؛ أي: عشية يوم أو ضحاه؛ كقوله تعالى: ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ [يونس: ٤٥] ولذلك أضاف الضحى إلى العَشِيَّةَ لأنهما من يوم واحد.

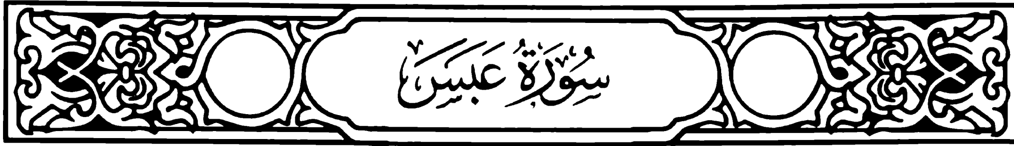
عن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة (النازعات) كان ممن حبسه الله في القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة»**.

[عن أبي جعفر] وفي نسخة: عن أبي عمرو هو سبق قلم **[ولذلك أضاف الضحى إلى العشية]** كأنه قال: إلا عَشِيَّة يوم، أو ضحى عشيته. **[«من قرأ سورة النازعات..»]** إلى آخره، موضوع[1].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ١٥١/ برقم: ١٤٥٥].



(٨٠) مكية، وآيها ثنتان وأربعون آية

۞ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٤) ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ روي: أن ابن أم مكتوم أتى رسول الله ﷺ وعنده صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام، فقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله، وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم، فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه، فنزلت، فكان رسول الله ﷺ يكرمه ويقول إذا رآه: «**مرحباً بمن عاتبني فيه ربي**»، واستخلفه على المدينة مرتين. وقرئ (عَبَّس) بالتشديد للمبالغة، و(أَنْ جاءَهُ) علة لِـ(تَوَلَّى) أو (عَبَسَ) على اختلاف المذهبين، وقرئ (أأن) بهمزتين وبألف بينهما بمعنى: (ألأن جاءه الأعمى) فعل ذلك رسول الله ﷺ، وذكر الأعمى للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلام رسول الله ﷺ بالقوم والدلالة على أنه أحق بالرأفة والرفق، أو لزيادة الإنكار؛ كأنه قال: تولى لكونه أعمى، كالالتفات في قوله: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾؛

[روي: «**أن ابن مكتوم..**»] إلى آخره، رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس[١] [«**واستخلفه على المدينة مرتين..**»] رواه الترمذي، والحاكم[٢] [**فعل ذلك**]؛ أي: التعبيس، والتولي [**كالالتفات**] يعني: فإن فيه زيادة إنكار، حيث التفت من الغيبة في قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس: ١] إلى الخطاب في قوله: [﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس: ٣]]،

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم [٢/٢٦١].

(٢) انظر: تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/١٥٦/برقم: ١٤٥٦].

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۝١٢ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾.

أي: وأي شيء يجعلك دارياً بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك. وفيه إيماء بأن إعراضه كان لتزكية غيره. ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ أو يتعظ فتنفعه موعظتك، وقيل: الضمير في (لَعَلَّهُ) للكافر؛ أي: أنك طمعت في تزكيه بالإسلام، وتذكره بالموعظة، ولذلك أعرضت عن غيره، فما يدريك أن ما طمعت فيه كائن، وقرأ عاصم (فَتَنْفَعَه) بالنصب جواباً لِـ(لعل).

٥ - ٧ ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ﴾ تتعرض له بالإقبال عليه وأصله تتصدى، وقرأ ابن كثير ونافع (تَصَّدَّى) بالإدغام، وقرئ: (تُصَدَّى)؛ أي: تعرض وتدعى إلى التصدي. ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالإسلام حتى يبعثك الحرص على إسلامه إلى الإعراض عمن أسلم ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾.

٨ - ١٠ ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ﴾ يسرع طالباً للخير. ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ الله أو أذية الكفار في إتيانك، أو كبوة الطريق لأنه أعمى لا قائد له. ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ تتشاغل، يقال: لها عنه، والتهى، وتَلَهَّى، ولعل ذكر التصدي والتلهي للإشعار بأن العتاب على اهتمام قلبه بالغني وتلهيه عن الفقير، ومثله لا ينبغي له ذلك.

١١ - ١٦ ﴿كَلَّا﴾ ردع عن المعاتب عليه أو عن معاودة مثله. ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ حفظه أو اتعظ به والضميران للقرآن، أو العتاب المذكور وتأنيث الأول لتأنيث خبره. ﴿فِي صُحُفٍ﴾ مثبتة فيها صفة لِـ(تذكرة)، أو خبر ثان أو خبر لمحذوف. ﴿مُّكَرَّمَةٍ﴾ عند الله. ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ القدر.

لكن انتقد تعبيره تبعاً للكشاف بزيادة الإنكار [**وقرأ عاصم بالنصب**]؛ أي: بنصب «فتنفعَه».

۞ ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾
ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ منزهة عن أيدي الشياطين: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ كَتَبَة من الملائكة، أو الأنبياء ينسخون الكتب من اللوح، أو الوحي، أو سفراء يسفرون بالوحي بين الله تعالى ورسله، أو الأمة جمع سافر من السفر، أو السفارة، والتركيب للكشف يقال: سفرت المرأة إذا كشفت وجهها. ﴿كِرَامٍ﴾ أعزاء على الله تعالى أو متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم. ﴿بَرَرَةٍ﴾ أتقياء.

﴿١٧﴾ ـ ﴿١٩﴾ ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ دعاه عليه بأشنع الدعوات وتعجب من إفراطه في الكفران، وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ. ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ بيان لما أنعم عليه خصوصاً من مبدأ حدوثه، والاستفهام للتحقير ولذلك أجاب عنه بقوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ فهيأه لما يصلح له من الأعضاء والأشكال، أو فَقَدَّرَهُ أطواراً إلى أن تم خلقته.

﴿٢٠﴾ ـ ﴿٢٢﴾ ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ ثم سهل مخرجه من بطن أمه بأن فتح فويهة الرحم وألهمه أن ينتكس، أو ذلل له سبيل الخير والشر، ونصب (السبيل) بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير، وتعريفه باللام دون الإضافة للإشعار بأنه سبيل عام، وفيه على المعنى الأخير إيماء بأن الدنيا طريق والمقصد غيرها؛ ولذلك عقبه بقوله: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ وعد الإماتة والإقبار في النعم لأن الإماتة وصلة في الجملة إلى الحياة الأبدية واللذات الخالصة، والأمر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع، وفي (إذا شاءَ) إشعار بأن وقت النشور غير متعين في نفسه، وإنما هو موكول إلى مشيئته تعالى.

[أو سفراء] عطف على «كَتَبة» [أو الأمة] عطف على «رسله» [جمع سافر]؛

۞ ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿٢٣﴾ - ﴿٢٥﴾ ﴿كَلَّا﴾ ردع للإنسان بما هو عليه. ﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ لم يقض بعد من لدن آدم إلى هذه الغاية ما أمره الله بأسره، إذ لا يخلو أحد من تقصير ما. ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ إتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية. ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ استئناف مبين لكيفية إحداث الطعام، وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال.

﴿٢٦﴾ - ﴿٢٨﴾ ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾؛ أي: بالنبات أو بالكراب، وأسند الشق إلى نفسه إسناد الفعل إلى السبب. ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ كالحنطة والشعير. ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾؛ يعني: الرطبة، سميت بمصدر قضبه إذا قطعه؛ لأنها تقضب مرة بعد أخرى.

﴿٢٩﴾ - ﴿٣٢﴾ ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ عظاماً، وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة أشجارها أو لأنها ذات أشجار غلاظ؛ مستعار من وصف الرقاب. ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ ومرعى مِنْ: أبَّ إذا أَمَّ؛ لأنه يؤم وينتجع، أو مِنْ: أبَّ لكذا إذا تهيأ له؛ لأنه متهيئ للرعي، أو فاكهة يابسة تؤوب للشتاء. ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ فإن الأنواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف.

أي: «سفراء»: جمع سافر [على البدل منه]؛ أي: من «طعامه» [أو بالكِرْاب] بكسر الكاف وضمها وتخفيف الراء: من كَرْبتُ الأرض إذا قلبتها للحرث، وفي المثل: الكراب على البقرة؛ قاله الجوهري(١) **[وأسند الشق إلى نفسه إسناد الفعل إلى السبب]** ظاهره أن الإسناد مجاز، ولا يخفى أنه حقيقة قطعاً؛ **[لأنه يوم]**. عبارة

---

(١) الصحاح، الجوهري [٢/ ٣٧].

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ
وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ
(٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)﴾.

---

(٣٣) ـ (٣٧) ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾؛ أي: النفخة، وصفت بها مجازاً لأن الناس يصخون لها. ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ لاشتغاله بشأنه وعلمه بأنهم لا ينفعونه، أو للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتأخير الأحب فالأحب للمبالغة؛ كأنه قيل: (يفر من أخيه؛ بل من أبويه؛ بل من صاحبته وبنيه). ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ يكفيه في الاهتمام به، وقرئ (يَعْنيه)؛ أي: يهمه.

(٣٨) ـ (٤٢) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ مضيئة من إسفار الصبح إذا أضاء. ﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ بما ترى من النعيم. ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ غبار وكدورة. ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ يَغشاها سواد وظلمة. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ الذين جمعوا إلى الكفر الفجور، فلذلك يجمع إلى سواد وجوههم الغبرة.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: **«من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر»**.

«الكشاف»[(١)]: لأنه يؤبّ؛ أي: يؤم. [قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة عبس..»]. إلى آخره، موضوع[(٢)]. وكان حقه أن لا يعبس، يقال: بل بـ«عن» أو نحوها ويأتي مثله في نظائره.



(١) الكشاف، الزمخشري [٤/٧٠٥].
(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/١٥٩/ برقم: ١٤٦٠].

سورة التكوير

(٨١) مكية، وآيها تسع وعشرون آية

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ - ﴿٣﴾ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ لُفَّتْ؛ من كورت العمامة إذا لففتها بمعنى: رفعت لأن الثوب إذا أريد رفعه لُفَّ، أو لُفَّ ضوؤها فذهب انبساطه في الآفاق وزال أثره، أو ألقيت عن فلكها؛ من طعنه فكوره إذا ألقاه مجتمعاً، والتركيب للإدارة والجمع، وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها أولى؛ لأن (إذا) الشرطية تطلب الفعل. ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ انقضت، قال: (أَبْصَرَ خِرْبَانَ فَضَاءٍ فانْكَدَرت) [أصل الشاهد ليس فيه تاء]. أو

[وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها] كما هو مذهب البصريين [أولى]؛ أي: من ارتفاعها بالابتداء على مذهب الكوفيين وما ذكر في ارتفاع الشمس يأتي في ارتفاع النجوم وما بعدها [قال]؛ أي: العجاج في مدحه لعمرو بن معديَ كرب:

[أَبْصَرَ خِرْبَانَ فَضَاءٍ فانكدرَ ....]

قبله:

.... إذا الكرامُ ابْتَدَروا الباعِ بَدَر
تَقَضِّي البَازِي إذا البَازِي كَسَر دَانى جناحيهِ مِنَ الطُّورِ فَمَرّ[1].

---

(١) هما بيتان وشطر البيت:

إذا الكرامُ ابتدروا الباعَ ابْتَدَر دانَى جناحيهِ مِنَ الطُّورِ فَمَرّ
تَقَضِّيَ البازِي إذا البازِي كَسَر أَبْصَرَ خِرْبَان فَضَاءٍ فانْكَدَر
شَاكي الكلاليبِ إذا أَهْوَى اظَّفَر

=

۞ ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾.

أظلمت من كدرت الماء فانكدرت. ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ عن وجه الأرض أو في الجو.

۝٤ ـ ۝٧ ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾ النوق اللواتي أتى على حملهن عشرة أشهر جمع عشراء. ﴿عُطِّلَتْ﴾ تركت مهملة، أو السحائب عطلت عن المطر، وقرئ بالتخفيف. ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ جمعت من كل جانب، أو بعثت للقصاص ثم ردت تراباً، أو أميتت؛ من قولهم: إذا أجحفت السنة بالناس حشرتهم، وقرئ بالتشديد. ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أحميت أو ملئت بتفجير بعضها إلى بعض حتى تعود بحراً واحداً؛ من سجر التنور إذا ملأه بالحطب ليحميه، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح بالتخفيف. ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قرنت بالأبدان، أو كل منها بشكلها، أو بكتابها وعملها، أو نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين.

۝٨ ـ ۝١٠ ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ المدفونة حية، وكانت العرب تئد البنات مخافة الإملاق أو لحوق العار بهم من أجلهن. ﴿سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾

«الباع»: يستعمل في الكرم، يقال: فلان كريم الباع، والطور، والقرب، يقال: لا أطور به؛ أي: لا أقربه، وخِرْبَان جمع خَرَب[1] وهو ذكر الحباري فانكدر؛ أي: فانقض وسقط، تقول: إذا الكرام ابتدروا فعل المكارم بدرهم عمر؛ أي: أسرع كانقضاض البازي على الحبارى.

[أي: **على حملهن عشرة أشهر**] زاد «الكشاف»[2]: ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة. وهي أنفس ما تكون عند أهلها وأعزها عليهم [**تركه مهملة**]؛ أي:

= انظر: سمط اللآلي، ابن الميمني [ص٢٢٧] لسان العرب، ابن منظور [٥١٧/٤]، تاج العروس، الزبيدي [٤٧٦/١٢/مادة: ظفر].

(١) انظر: تاج العروس [٣٤٣/٢/مادة: خرب]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٧٠٨/٤].

۞ ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٌ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾.

تبكيتاً لوائدها؛ كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي﴾ [المائدة: ١١٦]، وقرئ (سَأَلَت)؛ أي: خاصمت عن نفسها، وإنما قيل: (قُتِلَتْ) على الإخبار عنها، وقرئ (قُتِلَتُ) على الحكاية. ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾؛ يعني: صحف الأعمال؛ فإنها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب. وقيل: (نُشِرَتْ) فرقت بين أصحابها. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر، أو لكثرة الصحف أو شدة التطاير.

﴿١١﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾ قلعت وأزيلت؛ كما يكشط الإهاب عن الذبيحة، وقرئ (قُشِطَت) واعتقاب القاف والكاف كثير. ﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ﴾ أوقدت إيقاداً شديداً، وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد. ﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ﴾ قرِّبت من المؤمنين. ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٌ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ جواب (إِذَا) وإنما صح والمذكور في سياقها اثنتا عشرة خصلة؛ ست منها في مبادئ قيام الساعة قبل فناء الدنيا، وست بعده؛ لأن المراد زمان متسع شامل لها، ولمجازاة النفوس على أعمالها، و(نَفْسٌ) في معنى العموم كقولهم: تمرة خير من جرادة.

﴿١٥﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾ بالكواكب الرواجع؛ من خنس إذا

مسيبة لا يُلتفت إليها، أو أهمل أهلها حلبها لاشتغالهم بأنفسهم، **[وسئلت عن الإخبار عنها]** في نسخة: «أو سئلت عن الإخبار عنها»، وعبارة «الكشاف»[1]: وسئلت الله أو قاتلها **[وقرئ «قتلت» على الحكاية]** في نسخة: على الإخبار، وقرأ

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/٧٠٨].

۞ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾
وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا
هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

تأخر، وهي ما سوى النَّيِّرين من الكواكب السيارات، ولذلك وصفها بقوله: ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾؛ أي: السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس؛ من كنس الوحش إذا دخل كناسه ـ وهو بيته ـ المتخذ من أغصان الشجر. ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أقبل ظلامه أو أدبر، وهو من الأضداد، يقال: (عسعس) الليل وسعسع إذا أدبر. ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾؛ أي: أضاء غبرته عند إقبال روح ونسيم.

﴿١٩﴾ ـ ﴿٢٢﴾ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾؛ يعني: جبريل عليه السلام؛ فإنه قاله عن الله تعالى. ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ كقوله تعالى: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]. ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ عند الله ذي مكانة. ﴿مُّطَاعٍ﴾ في ملائكته. ﴿ثَمَّ أَمِينٍ﴾ على الوحي، وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده، وقرئ (ثُمَّ) تعظيماً للأمانة وتفضيلاً لها على سائر الصفات. ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ كما تبهته الكفرة، واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام؛ حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفي الجنون عن النبي ﷺ، وهو ضعيف إذ المقصود منه نفي قولهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ [سبأ: ٨]؛ لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما.

﴿٢٣﴾ ـ ﴿٢٥﴾ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ ولقد رأى رسول الله جبريل عليه السلام. ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ بمطلع الشمس الأعلى. ﴿وَمَا هُوَ﴾ وما محمد. ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ على ما يخبره من الموحى إليه وغيره من الغيوب. ﴿بِضَنِينٍ﴾ بمتهم من الظنة، وهي التهمة، وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر (بِضَنِينٍ) بالضاد من الضن وهو البخل؛ أي: لا يبخل بالتعليم والتبليغ، والضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره، والظاء من طرف اللسان

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

وأصول الثنايا العليا. ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ بقول بعض المسترقة للسمع، وهو نفي لقولهم: إنه لكهانة وسحر.

﴿٢٦﴾ - ﴿٢٩﴾ ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر الرسول والقرآن؛ كقولك لتارك الجادة: أين تذهب؟! ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ تذكير لمن يعلم. ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ بتحري الحق وملازمة الصواب وإبداله من العالمين لأنهم المنتفعون بالتذكير. ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ الاستقامة يا من يشاؤها. ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم؛ فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم. ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ مالك الخلق كله.

قال عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة التكوير أعاذه الله أن يفضحه حين تنتشر صحيفته**».

يعقوب «قتِّلَتْ» بالتشديد [لتارك الجادة] وهي معظم الطريق. [«من قرأ سورة التكوير..»] إلى آخره موضوع[1].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ١٦٤/ برقم: ١٤٦٢].

سورة الانفطار

(٨٢) مكية، وآيها تسع عشرة آية

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ (١) وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ (٦)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٤) ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ انشقت. ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ تساقطت متفرقة. ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ فتح بعضها إلى بعض فصار الكل بحراً واحداً. ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ قلب ترابها وأخرج موتاها. وقيل: إنه مركب من بعث، وراء الإثارة، كـ(بسمل)، ونظيره بحثر لفظاً ومعنى.

(٥) ـ (٦) ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ﴾ من عمل أو صدقة. ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ من سنة أو تركة [في الألفية: من سيئة أو تركت]، ويجوز أن يراد بالتأخير التضييع وهو جواب (إذا). ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾؛ أي: شيء خدعك وجرّأك على عصيانه، وذكر ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾ للمبالغة في المنع عن الاغترار؛ فإن محض الكرم لا يقتضي إهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي، فكيف إذا انضم إليه صفة القهر والانتقام والإشعار بما به يُغْرِهِ الشيطان، فإنه يقول له: افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب أحداً ولا يعاجل بالعقوبة! والدلالة على أن كثرة كرمه تستدعي الجدّ في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه.

وعبارة غيره: سورة الانفطار وهي الأنسب بعبارته في نظيرتها [مركب من «بعث» و«راء الإثارة»]؛ أي: والراء التي في الإثارة [ونظيره]؛ أي: نظير «بعثر»، [أو تركه]؛ أي: ترك العمل [والإشعار] هو مع ما بعده عطف على «المبالغة»

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾.

---

(٧) - (٨) ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ صفة ثانية مقررة للربوبية، مبينة للكرم، منبهة على أن من قدر على ذلك أولاً قدر عليه ثانياً، والتسوية جعل الأعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها، والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الأعضاء، أو معدّلة بما تسعدها من القوى. وقرأ الكوفيون (فَعَدَلَكَ) بالتخفيف؛ أي: عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت، أو فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات. ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾؛ أي: ركبك في أي صورة شاءها، وما مزيدة وقيل: شرطية، ﴿رَكَّبَكَ﴾ جوابها والظرف صلة ﴿فَعَدَلَكَ﴾، وإنما لم يعطف الجملة على ما قبلها لأنها بيان لـ(عدلك).

(٩) - (١٢) ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الاغترار بكرم الله وقوله: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ إضراب إلى بيان ما هو السبب الأصلي في اغترارهم، والمراد بالدِّينِ الجزاء أو الإسلام. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ تحقيق لما يكذبون به، وردٌّ لما يتوقعون من التسامح والإهمال، وتعظيم الكتبة بكونهم كراماً عند الله لتعظيم الجزاء.

(١٣) - (١٦) ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ بيان لما يكتبون لأجله. ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يقاسون حرها. ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾. لخلودهم فيها. وقيل معناه: وما يغيبون عنها قبل ذلك إذ كانوا يجدون سمومها في القبور.

(١٧) - (١٩) ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾

[أي: عدل] راجع إلى قراءة التشديد [أو فصرفك] راجع إلى قراءة التخفيف، ففي

تعجيب وتفخيم لشأن (اليَوْمُ)؛ أي: كنه أمره بحيث لا تدركه دراية دار.

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ تقرير لشدة هوله وفخامة أمره إجمالاً، ورفع ابن كثير والبصريان ﴿يَوْمَ﴾ على البدل من ﴿يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾، أو الخبر المحذوف.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة، وبعدد كل قبر حسنة**».

كلامه لف ونشر مرتب. [«**من قرأ سورة انفطرت..**»] إلى آخره، موضوع(١).



(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/١٦٨/ برقم: ١٤٦٥].

سورة المطففين

(٨٣) التطفيف، مختلف فيها، وآيها ست وثلاثون

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ التطفيف البخس في الكيل والوزن؛ لأن ما يبخس طفيف؛ أي: حقير. روي: أن أهل المدينة كانوا أخبث الناس كيلاً، فنزلت، فأحسنوه، وفي الحديث: «**خمس بخمس: ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر**».

(٢) ـ (٣) ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾؛ أي: إذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية، وإنما أبدل (عَلَى) بـ(من) للدلالة على أن اكتيالهم لما لهم على الناس، أو اكتيال يتحامل فيه عليهم. ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾؛ أي: إذا كالوا الناس أو وزنوا لهم. ﴿يُخْسِرُونَ﴾ فحذف الجار وأوصل الفعل؛ كقوله:

[روي: «**أن أهل المدينة كانوا أخبث الناس كيلاً..**»] إلى آخره، رواه النسائي[١]، وابن حبان[٢]، وغيرهما [**وفي الحديث: «خمس بخمس..»**] إلى آخره، رواه الحاكم[٣]، وغيره [**كقوله**:

---

(١) السنن الكبرى، النسائي [٦/٥٠٨/برقم: ١١٦٥٤].

(٢) صحيح ابن حبان [١١/٢٨٦/برقم: ٤٩٩]. (٣) مستدرك الحاكم [٢/١٣٦/برقم: ٢٥٧٧].

۞ ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾.

(وَلَقَد جَنَيْتُكَ أَكمؤاً وَعَسَاقلاً). بمعنى: جنيت لك، أو كالوا مكيلهم فحذف المضاف وأقيم المضاف مقامه، ولا يحسن جعل المنفصل تأكيداً للمتصل؛ فإنه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله، إذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الأخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها، ويستدعي إثبات الألف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظائره.

(٤) ـ (٦) ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ فإن من ظن ذلك لم يتجاسر على أمثال هذه القبائح، فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجيب من حالهم. ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ عظمه لعظم ما يكون فيه ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ نصب بمبعوثون أو بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر.

﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لحكمه. وفي هذا الإنكار والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم، وقيام الناس فيه لله، والتعبير عنه برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم إثمه.

(٧) ـ (٩) ﴿كَلَّآ﴾ ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب. ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ ما يكتب من أعمالهم أو كتابة أعمالهم. ﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾

وَلَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُؤاً وَعَسَاقِلاً ....]

أي: جنيت لك. تمامه:

.... وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ بَنَاتِ الأَوْبَرِ

الأكمؤ: جمع كمأة، والعساقل: ضرب منها، وأصله عساقيل؛ لأن واحدها عسقولك «عصفور»، فحذف الياء للضرورة، وبنات أوبر: ضرب من الكماة رديء(١).

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو بكر ابن الأنباري [٢/ ٧٢٦].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧)﴾.

كتاب جامع لأعمال الفجرة من الثقلين كما قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾؛ أي: مسطور بين الكتابة أو معلم بعلم من رآه أنه لا خير فيه. (فعيل) من السجن لقب به الكتاب لأنه سبب الحبس، أو لأنه مطروح كما قيل: تحت الأرضين في مكان وحش، وقيل: هو اسم مكان، والتقدير: ما كتاب السجين، أو محل (كتاب مرقوم) فحذف المضاف.

(١٠) - (١٣) ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالحق أو بذلك. ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ صفة مخصصة أو موضحة أو ذامة. ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه فاستحال منه الإعادة. ﴿أَثِيمٍ﴾ منهمك في الشهوات المخدجة؛ بحيث أشغلته عما وراءها وحملته على الإنكار لما عداها. ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ من فرط جهله وإعراضه عن الحق؛ فلا تنفعه شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل العقل.

(١٤) - (١٧) ﴿كَلَّا﴾ ردع عن هذا القول. ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ رد لما قالوه وبيان لما أدى بهم إلى هذا القول، بأن غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك فيها حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم؛ فعمي عليهم معرفة الحق والباطل، فإن كثرة الأفعال سبب لحصول الملكات

[أو مُعَلَّم] بسكون العين اسم مفعول من اعلم [يعلم] بفتح الياء من علم [من رآه] فاعل يعلم [من ورائه]؛ أي: من خلفه متعلق بـ«رأى» وهذا ساقط من نسخة [أنه لا خير فيه] مفعول «يعلم».

۞ ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِى وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٌۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنًا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

كما قال ﷺ: «**إن العبد كلما أذنب ذنباً حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه**» والرين الصدأ، وقرأ حفص: (بَلْ رانَ) بإظهار اللام. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (بل رين) بالإمالة. ﴿خِتَٰمُهُۥ﴾ ردع عن الكسب الرائن. ﴿إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٍ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ فلا يرونه بخلاف المؤمنين، ومن أنكر الرؤية جعله تمثيلاً لإهانتهم بإهانة من يمنع عن الدخول على الملوك، أو قدر مضافاً مثل رحمة ربهم، أو قرب ربهم. ﴿ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ﴾ ليدخلون النار ويصلون بها. ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ تقوله لهم الزبانية.

﴿١٨﴾ ـ ﴿٢٣﴾ ﴿كَلَّآ﴾ تكرير للأول ليعقب بوعد الأبرار كما عقب بوعيد الفجار؛ إشعاراً بأن التطفيف فجور والإيفاء برّ، أو ردع عن التكذيب. ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ الكلام فيه ما مرّ في نظيره. ﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ يحضرونه فيحفظونه، أو يشهدون على ما فيه يوم القيامة. ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ على الأسرة في الحجال. ﴿يَنظُرُونَ﴾ إلى ما يسرهم من النعم والمتفرجات.

﴿٢٤﴾ ـ ﴿٢٨﴾ ﴿تَعۡرِفُ فِى وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ بهجة التنعم وبريقه، وقرأ

[«**إن العبد إذا أذنب ذنباً حصل في قلبه نكتة سوداء..**»] إلى آخره، رواه الترمذي(١)، وصححه النسائي(٢)، وابن حبان، وغيرهما [**في الحِجال**] هو بكسر

(١) سنن الترمذي [٥/ ٤٣٤/ برقم: ٣٣٣٤].
(٢) السنن الكبرى، النسائي [٦/ ٥٠٩/ برقم: ١١٦٥٨].

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

يعقوب (تُعْرَفُ) على البناء للمفعول و(نَضْرَةُ) بالرفع. ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ شراب خالص. ﴿مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ﴾؛ أي: مختوم أوانيه بالمسك مكان الطين، ولعله تمثيل لنفاسته، أو الذي له ختام؛ أي: مقطع هو رائحة المسك، وقرأ الكسائي (خَاتَمَه) بفتح التاء؛ أي: ما يختم به ويقطع. ﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾؛ يعني: الرحيق أو النعيم. ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ فليرتغب المرتغبون. ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ علم لعين بعينها سميت تسنيماً لارتفاع مكانها أو رفعة شرابها. ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ فإنهم يشربونها صرفاً لأنهم لم يشتغلوا بغير الله، وتمزج لسائر أهل الجنة وانتصاب عَيْناً على المدح أو الحال مِنْ تَسْنِيمٍ والكلام في الباء كما في ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦].

﴿٢٩﴾ - ﴿٣٣﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾؛ يعني: رؤساء قريش. ﴿كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ﴾ كانوا يستهزئون بفقراء المؤمنين. ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون بأعينهم. ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ متلذذين بالسخرية منهم، وقرأ حفص (فَكِهِينَ). ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ وإذا رأوا المؤمنين نسبوهم إلى الضلال. ﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين. ﴿حَٰفِظِينَ﴾ يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم.

﴿٣٤﴾ - ﴿٣٦﴾ ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ حين يرونهم أذلاء مغلوبين في النار. وقيل: يفتح لهم باب إلى الجنة فيقال لهم: اخرجوا إليها، فَإِذَا وصلوا أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم. ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ

يَنظُرُونَ﴾ حال من (يَضْحَكُونَ). ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ﴾؛ أي: هل أثيبوا. ﴿مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ وقرأ حمزة والكسائي بادغام اللام في الثاء.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة (المطففين) سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة**».

الحاء جمع حجلة وهو بيت يُزين بالثياب والستور والأسرّة؛ قاله الجوهري(١). [«من قرأ سورة المطففين..»] إلى آخره، موضوع(٢).



---

(١) الصحاح، الجوهري [١/١١٦].

(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/١٧٤/برقم: ١٤٦٨].

سورة الانشقاق

(٨٤) مكية، وآيها خمس وعشرون آية

۞ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا
وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا
مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ - ﴿٥﴾ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ بالغمام؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥]، وعن علي رضي الله تعالى عنه: (تنشق من المجرة). ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ واستمعت له؛ أي: انقادت لتأثير قدرته حين أراد انشقاقها انقياد المطواع الذي يأذن للآمر ويذعن له. ﴿وَحُقَّتْ﴾ وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد، يقال: حق بكذا فهو محقوق وحقيق. ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ بسطت بأن تزال جبالها وآكامها. ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ ما في جوفها من الكنوز والأموات ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ وتكلفت في الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها. ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ في الإلقاء والتخلي. ﴿وَحُقَّتْ﴾ للإذن وتكرير إذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة، وجوابه محذوف للتهويل بالإبهام أو الاكتفاء بما مرّ في سورتي (التكوير) و(الانفطار) أو بدلالة قوله:

﴿٦﴾ - ﴿٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ عليه وتقديره

[تنشق من المجرة] قال ابن الأثير: المجرة هي البياض المعترض في السماء، والنسران من جانبيها[1] [الذي يأذن]؛ أي: يستمع [أو بدلالة قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الانشقاق: ٦]] عطف على ما في سورتي «التكوير»[2] [﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ عليه]؛ أي: ملاقي

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [١/ ٢٨٨]. (٢) لعلها: (وسورة الانفطار) ساقطة من النسخ.

۞ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾.

لاقى الإنسان كدحه؛ أي: جهداً يؤثر فيه من كدحه إذا خدشه، أو فَمُلاقِيهِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ اعتراض، والكدح إليه السعي إلى لقاء جزائه. ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ سهلاً لا يناقش فيه. ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ إلى عشيرته المؤمنين، أو فريق المؤمنين، أو أَهْلِهِ في الجنة من الحور.

﴿١٠﴾ ـ ﴿١٢﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾؛ أي: يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره. قيل: تغل يمناه إلى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره. ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾ يتمنى الثبور ويقول: يا ثبوراه؛ وهو الهلاك. ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ وقرأ الحجازيان والشامي والكسائي (وَيُصَلَّى) كقوله تعالى: ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٩٤] وقرئ (ويُصْلَى) كقوله: ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١١٥].

﴿١٣﴾ ـ ﴿١٥﴾ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ بطراً بالمال والجاه فارغاً عن الآخرة. ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ لن يرجع إلى الله تعالى. ﴿بَلَىٰٓ﴾ إيجاب لما بعد ﴿لَن﴾. ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ عالماً بأعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه.

﴿١٦﴾ ـ ﴿١٩﴾ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ الحمرة التي ترى في أفق المغرب بعد الغروب. وعن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه: (أنه البياض الذي يليها)، سمي به لرقته من الشفقة. ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال: وسقه فاتسق واستوسق، قال: (مُسْتَوْسِقَاتٍ لَوْ يَجِدْنَ سَائِقاً).

ربك على الكدح [أو فملاقيه] عطف على قوله: «محذوف» [قال:

.... مُسْتَوسِقَاتٌ لَوْ يَجِدْنَ سائِقا]

۞ ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾﴾.

أو طرده إلى أماكنه من الوسيقة. ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ اجتمع وتم بدراً. ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حالاً بعد حال مطابقة لأختها في الشدة، وهو لما يطابق غيره فقيل للحال المطابقة، أو مراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت ومواطن القيامة وأهوالها، أو هي وما قبلها من الدواهي على أنه جمع طبقة. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (لَتَرْكَبَنَّ) بالفتح على خطاب الإنسان باعتبار اللفظ، أو الرسول ﷺ على معنى (لَتَرْكَبَنَّ) حالاً شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة، أو طَبَقاً من أطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج، وقرئ بالكسر على خطاب النفس، وبالياء على الغيبة، و﴿عَن طَبَقٍ﴾ صفة لـ(طَبَقاً) أو حال من الضمير بمعنى مجاوز الطَبَقِ أو مجاوزين له.

﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾ ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بيوم القيامة. ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ لا يخضعون أو لَا يَسْجُدُونَ لتلاوته. لما روي: (أنه عليه الصلاة والسلام قرأ ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩] فسجد بمن معه من المؤمنين، وقريش تصفق فوق رؤوسهم)، فنزلت. واحتج به أبو حنيفة رضي الله عنه

صدره:

إنَّ لـنَـا قَـلائـصـاً نـقَـانـقـا[١] ....

«القلائص»: جمع قلوص وهي الناقة الشابة، و«النقانق»: جمع نقيق بالكسر الظليم وهو ذكر النعام، وروي بدل نقانقاً حقائقاً والحائق جمع حقاق جمع حقه **[أو طرده]** عطف على «جمعه» **[وهو؛ أي: الطبق، فقيل: للحال المطابقة]**؛ أي: قيل لها طبق، وعبارة «الكشاف»[٢]: و«الطبق»: ما طابق غيره. يقال: ما هذا بطبق كذا؛ أي: لا يطابقه **[أو مراتب]** عطف على «حالاً بعد حال».

---

(١) البيت لابن الأعرابي. انظر: لسان العرب، ابن منظور [١٠/٣٧٨].

(٢) الكشاف، الزمخشري [٤/٧٢٨].

۞ ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾.

على وجوب السجود؛ فإنه ذم لمن سمعه ولم يسجد. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سجد فيها وقال: «والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها».

﴿٢٢﴾ ـ ﴿٢٥﴾ ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ﴾؛ أي: بالقرآن. ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة. ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ استهزاء بهم. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ استثناء منقطع أو متصل، والمراد: من تاب وآمن منهم. ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾ مقطوع أو مَمْنُونٍ به عليهم.

وعن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة الانشقاق أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره»**.

[**وعن أبي هريرة: «أنه سجد فيها..»**] إلى آخره، رواه الشيخان(١). [**«من سورة قرأ: إذا السماء انشقت..»**] إلى آخره، موضوع(٢).



(١) صحيح البخاري [١/٢٦٦/برقم: ٧٣٤]، صحيح مسلم [١/٤٠٦/برقم: ٥٧٨].
(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/١٧٨/برقم: ١٤٧٢].

سورة البروج

(٨٥) مكية، وآيها ثنتان وعشرون آية

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشْهُودٖ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) - (٣) ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾؛ يعني: البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لأنها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت، أو منازل القمر، أو عظام الكواكب سميت بروجاً لظهورها، أو أبواب السماء فإن النوازل تخرج منها، وأصل التركيب للظهور. ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ يوم القيامة. ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشْهُودٖ﴾ ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما أحضر فيه من العجائب، وتنكيرهما للإبهام في الوصف؛ أي: ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشْهُودٖ﴾ لا يكتنه وصفهما، أو المبالغة في الكثرة، كأنه قيل: ما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود، أو النبي وأمته، أو أمته وسائر الأمم، أو كل نبي وأمته، أو الخالق والخلق، أو عكسه فإن الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده، أو الملك الحفيظ والمكلف، أو يوم النحر، أو عرفة والحجيج، أو يوم الجمعة والجمع فإنه يشهد له، أو كل يوم وأهله.

(٤) ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ قيل: إنه جواب القسم على تقدير: لقد قُتِلَ، والأظهر أنه دليل جواب محذوف كأنه قيل: إنهم ملعونون؛ يعني: كفار مكة كما لعن أصحاب الأخدود، فإن السورة وردت لتثبيت المؤمنين

[أو منازل القمر] هو ما تالييه عطف على «البروج» [أو المبالغة] عطف على «الإبهام» [أو النبي ﷺ وأمته] هو مع تالياته عطف على «من شهد في ذلك اليوم..»

۞ ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾.

على أذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم، و(الأخدود): الخد؛ وهو الشق في الأرض ونحوهما بناء ومعنى الخقّ والأُخْقوق.

روي مرفوعاً: «**أن ملكاً كان له ساحر فلما كبر ضَمَّ إليه غلاماً لِيُعَلِّمَه، وكان في طريقه راهب فمال قلبه إليه، فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فأخذ حجراً وقال: اللَّهُمَّ إن كان الراهب أحب إليه من الساحر فاقتلها فقتلها، وكان الغلام بعد يبرئ الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء، وعمي جليس الملك فأبرأه، فسأله الملك عمن أبرأه؟ فقال: ربي! فغضب؛ فعذبه فدل على الغلام، فعذبه، فدل على الراهب، فقدّه بالمنشار، وأرسل الغلام إلى جبل لِيُطْرَح من ذروته، فدعا فرجف بالقوم فهلكوا ونجا، وأجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا، فقال للملك: لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهماً من كنانتي وتقول: بسم الله رب هذا الغلام، ثم ترميني به! فرماه، فوقع في صدغه فمات؛ فآمن الناس، فأمر بأخاديد وأوقدت فيها النيران، فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست، فقال الصبي: يا أماه اصبري فإنك على الحق! فاقتحمت**».

وعن علي رضي الله عنه: «كان بعض ملوك المجوس خطب الناس وقال: إن الله أحل نكاح الأخوات! فلم يقبلوه، فأمر بأخاديد النار فطرح فيها من أبى»، وقيل: لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فأحرق في الأخاديد من لم يرتد.

﴿٥﴾ ـ ﴿٧﴾ ﴿ٱلنَّارِ﴾ بدل من (الْأُخْدُودِ) بدل الاشتمال. ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾

إلى آخره [**ونحوهما**]؛ أي: نحو الخد، والأخدود مبتدأ [بنا ومعنى] تمييز [الحق والأحقوق] خبر المبتدأ [روي مرفوعاً: «**أن مَلِكاً كان له ساحراً..**»] إلى آخره، رواه

۞ ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾.

صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها، واللام في (الْوَقُودِ) للجنس. ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ على حافة النار. ﴿قُعُودٌ﴾ قاعدون. ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنهم لم يقصروا فيما أمروا به، أو يشهدون على ما يفعلون يوم القيامة حين تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم.

﴿٨﴾ - ﴿٩﴾ ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ وما أنكروا ﴿مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ استثناء على طريقة قوله:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُم ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ

ووصفه بكونه عزيزاً غالباً يخشى عقابه، حميداً منعماً يرجى ثوابه، وقرر ذلك بقوله: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ للإشعار بما يستحق أن يؤمن به ويعبد.

﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ بلوهم بالأذى. ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم. ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ العذاب الزائد في الإحراق بفتنتهم. وقيل: المراد بـ(الَّذِينَ فَتَنُوا أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) وبـ﴿عَذَابُ

بمعناه مسلم(١) **[عند الملك]**؛ أي: الأمر بالأخدود **[أو يشهدون على ما يفعلون يوم القيامة]**؛ أي: يشهدون به يوم القيامة **[على طريقة قوله: غير ولا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْر أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولُ]**؛ أي: كسور في حدِّهِنَّ **[مِنْ قراعِ الكتائبِ]**؛ أي: من ضرابها،

(١) صحيح مسلم [٤/٢٢٩٩/ برقم: ٣٠٠٥].

۞ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾
ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ
﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ
﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿ٱلْحَرِيقِ﴾ ما روي: أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ إذ الدنيا وما فيها تصغر دونه.

﴿١٢﴾ ـ ﴿١٦﴾ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ مضاعف عنفه، فإن البطش أخذ بعنف. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ يُبْدِئُ الخلق ويعيده، أو يُبْدِئُ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة. ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لمن تاب. ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ المحب لمن أطاع. ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ خالقه، وقيل: المراد بالْعَرْشِ الملك، وقرئ: (ذي العرش) صفة لِـ﴿رَبِّكَ﴾. ﴿مَّجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١] العظيم في ذاته وصفاته، فإنه واجب الوجود تام القدرة والحكمة، وجره حمزة والكسائي صفة لـ﴿رَبِّكَ﴾، أو للْعَرْشِ ومجده علوه وعظمته. ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ لا يمتنع عليه مراد من أفعاله وأفعال غيره.

﴿١٧﴾ ـ ﴿٢٠﴾ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ أبدلهما من (الجنود) لأن المراد بـ﴿فِرْعَوْنَ﴾ هو وقومه، والمعنى: قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم؛ فتسل واصبر على تكذيب قومك، وحذرهم مثل ما أصابهم. ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ﴾ لا يرعوون عنه، ومعنى الإضراب: أن حالهم أعجب من حال هؤلاء فإنهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا أشد من تكذيبهم. ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط.

﴿٢١﴾ ـ ﴿٢٢﴾ ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ بل هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى، وقرئ: (قرآنُ مجيدٍ) بالإضافة؛ أي: قرآن رب

مجيد. ﴿فِى لَوۡحٍ مَّحۡفُوظِۭ﴾ من التحريف، وقرأ نافع (مَحْفُوظٌ) بالرفع صفة للقُرْآن، وقرئ: (في لُوح): وهو الهواء؛ يعني: ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح.

عن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة (البروج) أعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات»**.

والكتائب بالمثناة جمع كتيبة، وهي الجيش. [«من قرأ سورة البروج..»] إلى آخره، موضوع[1].



(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/١٨٦/برقم: ١٤٧٧].

سُورَةُ الطَّارِقِ

(٨٦) مكية، وآيها سبع عشرة آية

۞ ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧)﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) ـ (٣) ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ والكوكب البادي بالليل وهو في الأصل لسالك الطريق، واختص عرفاً بالآتي ليلاً ثم استعمل للبادي فيه. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه، أو الأفلاك والمراد الجنس أو معهود بالثقب وهو زحل، عبّر عنه أولاً بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيماً لشأنه.

(٤) ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا﴾؛ أي: إن الشان كل نفس لعليها ﴿حَافِظٌ﴾ رقيب، فـ(إنْ) هي المخففة، و(اللام) الفاصلة و(ما) مزيدة. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة (لما على) أنها بمعنى (إلا) و(أن) نافية، والجملة على الوجهين جواب القسم.

(٥) ـ (٧) ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ لما ذكر أن كل نفس عليها حافظ اتبعه توصية الإنسان بالنظر في مبدئه ليعلم صحة إعادته فلا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته. ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ جواب الاستفهام، و(ماءِ دافق) بمعنى: ذي دفق، وهو صب فيه دفع، والمراد: الممتزج من الماءين في الرحم لقوله: ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ من بين صلب الرجل وترائب المرأة؛ وهي عظام صدرها، ولو صح أن النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الأعضاء حتى تستعد لأن يتولد منها مثل تلك

۞ ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ﴿١٠﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾﴾.

الأعضاء، ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين، فالدماغ أعظم الأعضاء معونة في توليدها؛ ولذلك تشبهه، ويسرع الإفراط في الجماع بالضعف فيه، وله خليفة وهو النخاع؛ وهو في الصلب، وشعب كثيرة نازلة إلى الترائب، وهما أقرب إلى أوعية المني فلذلك خصّا بالذكر. وقرئ: (الصَّلَب) بفتحتين و(الصُّلُب) بضمتين، وفيه لغة رابعة وهي (صالب).

﴿٨﴾ - ﴿١٠﴾ ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾ والضمير للخالق، ويدل عليه ﴿خُلِقَ﴾ [الطارق: ٦]. ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ تتعرف، ويميز بين ما طاب من الضمائر وما خفي من الأعمال وما خبث منها، وهو ظرف لـرَجْعِهِ. ﴿فَمَا لَهُۥ﴾ فما للإنسان. ﴿مِن قُوَّةٖ﴾ من منعة في نفسه يمتنع بها. ﴿وَلَا نَاصِرٖ﴾ يمنعه.

﴿١١﴾ - ﴿١٢﴾ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ ترجع في كل دورة إلى الموضع الذي تتحرك منه، وقيل: الرجع المطر سمي به كما سمي أوباً؛ لأن الله تعالى يرجعه إلى الأرض وقتاً فوقتاً، أو لما قيل من أن السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه إلى الأرض، وعلى هذا يجوز أن يراد بـالسَّماءِ السحاب. ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ ما تتصدع عنه الأرض من النبات، أو الشق بالنبات والعيون.

﴿١٣﴾ - ﴿١٧﴾ ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن القرآن. ﴿لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ فاصل بين الحق والباطل. ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾ فإنه جد كله. ﴿إِنَّهُمۡ﴾؛ يعني: أهل مكة. ﴿يَكِيدُونَ

[فالدماغ أعظم الأعضاء] جواب «لو»، وفي نسخة: فلا شك أن الدماغ [يشْبِهه]؛ أي: يشبه النطفة الدماغ قوةً وضعفاً [وشعب] عطف على «خليفة» [وهما]؛

كَيْدًا﴾ في إبطاله وإطفاء نوره. ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ وأقابلهم بكيدي في استدراجي لهم وانتقامي منهم من حيث لا يحتسبون. ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فلا تشتغل بالانتقام منهم، أو لا تستعجل بإهلاكهم. ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ إمهالاً يسيراً والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين. عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (الطارق) أعطاه الله بعدد بكل نجم في السماء عشر حسنات**».

أي: الصلب، والترائب. [«**من قرأ سورة الطارق..**»] إلى آخره، موضوع[1].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ١٩٠/ برقم: ١٤٨١].

سورة الأعلى

(٨٧) مكية، وآيها تسع عشرة آية

۞ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٢) ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ نزّه اسمه عن الإلحاد فيه بالتأويلات الزائغة وإطلاقه على غيره زاعماً أنهما فيه سواء، وذكره لا على وجه التعظيم، وقرئ: (سبحان ربي الأعلى). وفي الحديث: «**لما نزلت**: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]»، قال عليه الصلاة والسلام: «**اجعلوها في ركوعكم**»، فلما نزلت: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال عليه الصلاة والسلام: «**اجعلوها في سجودكم**»، وكانوا يقولون في الركوع: «اللَّهُمَّ لك ركعت» وفي السجود: «اللَّهُمَّ لك سجدت». ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ خلق كل شيء فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه.

(٣) ـ (٥) ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾؛ أي: قدر أجناس الأشياء وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها. ﴿فَهَدَىٰ﴾ فوجهه إلى أفعاله طبعاً واختياراً بخلق الميول والإلهامات، ونصب الدلائل، وإنزال الآيات. ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾ أنبت ما يرعاه الدّواب. ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد خضرته. ﴿غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ يابساً أسود. وقيل: (أَحْوى) حال من المرعى؛ أي: أخرجه أَحْوى؛ أي: أسود من شدة خضرته.

[وإطلاقه] مع ما بعده عطف على «الإلحاد» **[وفي الحديث: «لما نزلت** ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٥٢]..»] إلى آخره، رواه أبو داود[1]، وغيره

---

(١) مسند أبي داود الطيالسي [١/ ١٣٥/ برقم: ١٠٠٠].

۞ ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾.

۝٦ - ۝٧ ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ على لسان جبريل عليه السلام، أو سنجعلك قارئاً بإلهام القراءة. ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ أصلاً من قوة الحفظ مع أنك أمّي ليكون ذلك آية أخرى لك مع أن الإخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك أيضاً من الآيات، وقيل: نهي والألف للفاصلة كقوله السَّبِيلَا. ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ نسيانه بأن نسخ تلاوته، وقيل: أراد به القلة والندرة. لما روي أنه عليه الصلاة والسلام: «أسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب أُبيّ أنها نسخت فسأله فقال: «**نسيتها**». أو نفى النسيان رأساً فإن القلة تستعمل للنفي. ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ ما ظهر من أحوالكم وما بطن، أو جهرك بالقراءة مع جبريل وما دعاك إليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من إبقاء وإنساء.

۝٨ - ۝١٠ ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ ونعدّك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي، أو التدين ونوفقك لها، ولهذه النكتة قال تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ﴾ لا نيسر لك عطف على ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾، وإِنَّهُ يَعْلَمُ اعتراض. ﴿فَذَكِّرْ﴾ بعد ما استتب لك الأمر. ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ لعل هذه الشرطية إنما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس من البعض؛ لئلا يتعب نفسه، ويتلهف عليهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ﴾ الآية [ق: ٤٥]، أو لذم

[**وقيل: نهي**]؛ أي: وقيل قوله: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦] نهي لا إخبار [**روي: «أنه عليه الصلاة والسلام أسقط آية في قراءته في الصلاة..»**] إلى آخره، رواه النسائي[١]، وغيره.

[**إنما جاءت بعد تكرير التذكير**]؛ أي: تكريره المعلوم من قوله: ﴿فَذَكِّرْ﴾

---

(١) السنن الكبرى، النسائي [٥/ ٦٧/ برقم: ٨٢٤٠].

۞ ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم، أو للإشعار بأن التذكير إنما يجب إذا ظن نفعه ولذلك أمر بالإعراض عمن تولى. ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله تعالى فأنه يتفكر فيها فيعلم حقيقتها، وهو يتناول العارف والمتردد.

﴿١١﴾ - ﴿١٣﴾ ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ ويتجنب الذِّكْرى. ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ الكافر فإنه أشقى من الفاسق، أوْ الأشْقَى من الكفرة لتوغله في الكفر. ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ نار جهنم فإنه ﷺ قال: «**ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم**»، أو ما في الدرك الأسفل منها. ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح. ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياة تنفعه.

﴿١٤﴾ - ﴿١٧﴾ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الكفر والمعصية، أو تكثر من التقوى من الزكاء، أو تطهر للصلاة أو أدى الزكاة. ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ بقلبه ولسانه ﴿فَصَلَّىٰ﴾ لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤] ويجوز أن يراد بالذكر تكبيرة التحريم، وقيل ﴿تَزَكَّىٰ﴾ تصدق للفطر ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ كبّره يوم العيد فَصَلّى صلاته. ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ فلا تفعلون ما يسعدكم في الآخرة، والخطاب للأشقين على الالتفات أو على إضمار قل، أو للكل فإن السعي للدنيا أكثر في الجملة، وقرأ أبو عمرو بالياء. ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ فإن نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له.

﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ الإشارة إلى ما سبق من قَدْ

[الأعلى: ٣] هنا، وفي قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥] فذكر **[أو ما في الدرك الأسفل منها]** عطف على «نار جهنم» **[تلذذ باللذات]**؛ أي: أفضل، وأنعم، وأدوم

أَفْلَحَ فإنه جامع أمر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة. ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ بدل من (الصحف الأولى).

قال ﷺ: **«من قرأ سورة (الأعلى) أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله على إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام»**.

من سائر اللذات. [«من قرأ سورة الأعلى..»] إلى آخره، موضوع[1].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/١٩٧/ برقم: ١٤٨٥].

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

(٨٨) مكية، وآيها ست وعشرون

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - (٥) ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ الداهية التي تغشى الناس بشدائدها؛ يعني: يوم القيامة، أو النار من قوله تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ ذليلة. ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الإبل في الوحل، والصعود والهبوط في تلالها ووهادها، أو عملت ونصبت في أعمال لا تنفعها يومئذ. ﴿تَصْلَىٰ نَارًا﴾ تدخلها، وقرأ أبو عمرو ويعقوب وأبو بكر: (تُصْلى) من أصلاه الله، وقرئ (تُصَلَّى) بالتشديد للمبالغة. ﴿حَامِيَةً﴾ متناهية في الحر. ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ بلغت أناها في الحر.

(٦) - (٧) ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ يبيس الشبرق؛ وهو شوك ترعاه الإبل ما دام رطباً، وقيل: شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء، والزقوم والغسلين طعام غيرهم، أو المراد طعامهم ما تتحاماه الإبل وتعافه لضره وعدم نفعه كما قال: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ والمقصود من الطعام أحد الأمرين.

(٨) - (١١) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ ذات بهجة أو متنعمة. ﴿لِسَعْيِهَا

[بلغت أناها] بمده بعد الهمزة المفتوحة؛ أي: غايتها.

۞ ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾.

رَاضِيَةٌ﴾ رضيت بعملها لما رأت ثوابه. ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ علية المحل أو القدر. ﴿لَّا تَسْمَعُ﴾ يا مخاطب أو الوجوه، وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وأبو عمرو ورويس، وبالتاء نافع. ﴿فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ لغواً أو كلمة ذات لغو أو نفساً تلغو، فإن كلام أهل الجنة الذكر والحكم.

﴿١٢﴾ ـ ﴿١٦﴾ ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ يجري ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم. ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ رفيعة السمك أو القدر. ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ جمع كوب وهي آنية لا عروة لها. ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾ بين أيديهم. ﴿وَنَمَارِقُ﴾ وسائد؛ جمع نمرقة بالفتح والضم. ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها إلى بعض. ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ بسط فاخرة جمع زربي. ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مبسوطة.

﴿١٧﴾ ـ ﴿١٨﴾ ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ نظر اعتبار. ﴿إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ خلقاً دالّاً على كمال قدرته وحسن تدبيره؛ حيث خلقها لجر الأثقال إلى البلاد النائية، فجعلها عظيمة، باركة للحمل، ناهضة بالحمل، منقادة لمن اقتادها، طوال الأعناق لينوء بالأوقار، ترعى كل نابت، وتحتمل العطش إلى عشر فصاعداً ليتأتى لها قطع البراري والمفاوز، مع ما لها من منافع أخرى، ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة في الحيوانات التي هي أشرف المركبات وأكثرها صنعاً، ولأنها أعجب ما عند العرب من هذا النوع. وقيل: المراد بها السحاب على الاستعارة. ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ بلا عمد.

﴿١٩﴾ ـ ﴿٢٠﴾ ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ فهي راسخة لا تميل. ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ بسطت حتى صارت مهاداً، وقرئ الأفعال الأربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب، والمعنى ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ إلى

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾.

أنواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق، فلا ينكروا اقتداره على البعث؛ ولذلك عقب به أمر المعاد ورتب عليه الأمر بالتذكير فقال:

﴿٢١﴾ - ﴿٢٤﴾ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ فلا عليك إن لم ينظروا ولم يذكروا إذ ما عليك إلا البلاغ. ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ بمتسلط، وعن الكسائي بالسين على الأصل، وحمزة بالإشمام. ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ لكن من تولى وكفر. ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾؛ يعني: عذاب الآخرة. وقيل: متصل، فإن جهاد الكفار وقتلهم تسلط، وكأنه أوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الآخرة، وقيل: هو استثناء من قوله: ﴿فَذَكِّرْ﴾؛ أي: فذكر إلا من تولى وأصر فاستحق العذاب الأكبر، وما بينهما اعتراض ويؤيد الأول أنه قرئ (ألا) على التنبيه.

﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾ ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ رجوعهم، وقرئ بالتشديد على أنه فيعال مصدر فيعل من الإياب، أو فعال من الأوب، قلبت واوه الأولى قَلْبَها في (ديوانْ) ثم الثانية للإدغام. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ في المحشر، وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة (الغاشية) حاسبه الله حساباً يسيراً**».

[وقرأ هشام بالسين] في نسخة: وعن الكسائي بالسين وهو سهو، وتبع هشاماً قنبل، وابن ذكوان، وحفص بخلاف عنهم. [«**من قرأ سورة الغاشية..**»] إلى آخره، موضوع(١).

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/٢٠١/ برقم: ١٤٨٦].

سُورَةُ الفَجْرِ

(٨٩) مكية، وآيها تسع وعشرون [ثلاثون] آية

۞ ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ (٣) ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ أقسم بالصبح أو فلقه؛ كقوله: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨] أو بصلاته. ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ عشر ذي الحجة؛ ولذلك فسر (الْفَجْرِ) بفجر عرفة، أو النحر، أو عشر رمضان الأخير، وتنكيرها للتعظيم، وقرئ (وَلَيالِ عَشْرٍ) بالإضافة على أن المراد بالعشر الأيام. ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ والأشياء كلها شفعها ووترها، أو الخلق لقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] والخالق لأنه فرد، ومن فسرهما بالعناصر والأفلاك، أو البروج والسيارات، أو شفع الصلوات ووترها، أو بيومي النحر وعرفة ـ وقد روي مرفوعاً ـ، أو بغيرها فلعله أفرد بالذكر من أنواع المدلول ما رأه أظهر دلالة على التوحيد، أو مدخلاً في الدين، أو مناسبة لما قبلهما، أو أكثر منفعة موجبة للشكر، وقرأ حمزة والكسائي (والوَتر) بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر.

[أو: والخلق] إلى آخره، عطف على «الأشياء» **[أو: بيوم النحر وعرفة]** في نسخة: أو يومي النحر وعرفة وإيضاح ذلك قول «الكشاف»(١): ويجوز أن يكون شفعها يوم النحر، ووترها يوم عرفة؛ لأنه تاسع أيامها، وذلك عاشرها **[وقد روي مرفوعاً..]** رواه النسائي(٢)، والحاكم(٣) **[أو مدخلاً، أو مناسبة]** معطوف على «دلالة»

(١) الكشاف، الزمخشري [٧٤٩/٤].

(٢) السنن الكبرى، النسائي [٤٤٥/٢/برقم: ٤١٠١].

(٣) مستدرك الحاكم [٢٤٥/٤/برقم: ٧٥١٧].

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴿٤﴾ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ﴿٥﴾ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٨﴾﴾.

﴿٤﴾ - ﴿٥﴾ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ إذا يمضي؛ كقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ [المدثر: ٣٣] والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة، أو يسرى فيه من قولهم: صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفاً، وقد خصه نافع وأبو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل، ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب أصلاً، وقرئ (يَسْرٍ) بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق. ﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ﴾ أو المقسم به (قَسَمٌ) حلف أو محلوف به. ﴿لِّذِي حِجۡرٍ﴾ يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه، و(الحِجْرِ): العقل؛ سمي به لأنه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلاً، ونهية، وحصاة من الإحصاء، وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله:

﴿٦﴾ - ﴿٨﴾ ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾؛ يعني: أولاد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح؛ قوم هود، سموا باسم أبيهم كما سمي بنو هاشم باسمه. ﴿إِرَمَ﴾ عطف بيان لعاد على تقدير مضاف؛ أي: سَبْطُ (إِرَمَ)، أو أَهْلُ (إِرَمَ) إن صح أنه اسم بلدتهم. وقيل: سمي أوائلهم وهم (عاد الأولى) باسم جدّهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث. ﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾ ذات البناء الرفيع أو القدود الطوال، أو الرفعة والثبات. وقيل: كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا، ثم مات شديد فخلص الأمر لشداد؛ وملك المعمورة ودانت له ملوكها، فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحاري عدن جنة وسماها إرم، فلما تمت سار إليها بأهله، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا. وعن

[أو يسري فيه] أشار إلى أن الإسناد في ﴿يَسۡرِ﴾ [الفجر: ٤] مجاز، كما يقال: «في الليل قائم، ونهار صائم» [﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الفجر: ٥]] الاستفهام للتقرير، كقوله: ألم أنعم عليك إذا كنت قد أنعمت؟ أو للتأكيد لما أقسم به، وأقسم عليه، والمعنى: بل في

۞ ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾.

عبد الله بن قلابة: أنه خرج في طلب إبله فوقع عليها. ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ صفة أخرى لإرَم، والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة أو البلدة.

﴿٩﴾ ـ ﴿١٢﴾ ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ﴾ قطعوه واتخذوه منازل؛ لقوله: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [الشعراء: ١٤٩]. ﴿بِٱلْوَادِ﴾ وادي القرى. ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا، أو لتعذيبه بالأوتاد. ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ صفة للمذكورين (عاد) وَ(ثَمُودَ) وَ(فِرْعَوْنَ)، أو ذمّ منصوب أو مرفوع. ﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾ بالكفر والظلم.

﴿١٣﴾ ـ ﴿١٤﴾ ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ ما خلط لهم من أنواع العذاب، وأصله الخلط؛ وإنما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض، وقيل: شبه بالسَوْط ما أحل بهم في الدنيا إشعاراً بأنه القياس إلى ما أعد لهم في الآخرة من العذاب كالسوط إذا قيس إلى السيف. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ المكان الذي يترقب فيه الرصد، مفعال من رصده كالميقات من وقته، وهو تمثيل لإرصاده العصاة بالعقاب.

﴿١٥﴾ ـ ﴿١٦﴾ ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ متصل بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ كأنه قيل: إنه لَبِالْمِرْصادِ من الآخرة فلا يريد إلا السعي لها فأما الإنسان فلا يهمه إلا الدنيا ولذاتها. ﴿إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ اختبره بالغنى واليسر. ﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ بالجاه والمال. ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ فضلني بما أعطاني، وهو خبر المبتدأ الذي هو (الْإِنْسانُ)، والفاء لما في (أما) من معنى الشرط، والظرف المتوسط في تقدير التأخير كأنه قيل: فأما الإنسان فقائل: ربي أكرمني وقت ابتلائه بالإنعام، وكذا قوله: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ إذ التقدير:

۞ ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾
وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ
الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ
يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾.

وأما الإنسان إذا ما ابتليه؛ أي: بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه. ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ لقصور نظره وسوء فكره، فإن التقتير قد يؤدي إلى كرامة الدارين، والتوسعة قد تفضي إلى قصد الأعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله:

﴿١٧﴾ - ﴿٢٠﴾ ﴿كَلَّا﴾ مع أن قوله الأول مطابق لأكرمه، ولم يقل فأهانه وقدر عليه كما قال: ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ لأن التوسعة تفضل والإخلال به لا يكون إهانة، وقرأ ابن عامر والكوفيون (أكرمن) و(أهانن) بغير ياء في الوصل والوقف. وعن أبي عمرو مثله ووافقهم نافع في الوقف وقرأ ابن عامر: (فَقَدَّرَ) بالتشديد. ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾؛ أي: بل فعلهم أسوأ من قولهم وأدل على تهالكهم بالمال؛ وهو أنهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة، ولا يحثون أهلهم على طعام المسكين فضلاً عن غيرهم، وقرأ الكوفيون: (وَلا تَحاضُّونَ). ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ الميراث وأصله وراث. ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ ذا لَمّ؛ أي: جمع بين الحلال والحرام فإنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم، أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك. ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ كثيراً مع حرص وشره، وقرأ أبو عمرو وسهل ويعقوب: (لا يكرمون) إلى (ويحبون) بالياء والباقون بالتاء.

﴿٢١﴾ - ﴿٢٣﴾ ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم وما بعده وعيد

ذلك مقنع ﴿لِّذِي حِجْرٍ﴾ [على قوليه] هما: أكرمني، وأهنني، وفي نسخة: «على قوله».

[وردعه عنه]؛ أي: عن كل منهما على النسخة الأولى؛ **[لأن التوسعة تفضل]**

﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾﴾.

عليه. ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا﴾ دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال، أو ﴿هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا﴾ [الواقعة: ٦]. ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾؛ أي: ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته. ﴿وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ بحسب منازلهم ومراتبهم. ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾؛ كقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ﴾ [الشعراء: ٩١] وفي الحديث: «**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**».
﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ بدل من إذا دكت الأرض والعامل فيهما. ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾؛ أي: يتذكر معاصيه أو يتعظ لأنه يعلم قبحها فيندم عليها. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾؛ أي: منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله، واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة، فإن هذا التذكر توبة غير مقبولة.

﴿٢٤﴾ ـ ﴿٢٦﴾ ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾؛ أي: لحياتي هذه، أو وقت حياتي في الدنيا أعمالاً صالحة، وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله فإن المحجور عن شيء قد يتمنى أن كان ممكناً منه. ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾ الهاء لله تعالى؛ أي: لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه إذ الأمر كله له، أو للإنسان؛ أي: لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه، وقرأهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول.

عطف على «فإن التقتير» [**وفي الحديث: «يؤتى بجهنم..»**] إلى آخره، رواه مسلم[1]
[**قد يتمنى أن كان ممكناً منه**]؛ أي: قد يتمنى أن لو مكنه الله تعالى منه ورزقه

---

(١) صحيح مسلم [٤/ ٢١٨٤/ برقم: ٢٨٤٢].

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾.

﴿٢٧﴾ - ﴿٣٠﴾ ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ على إرادة القول وهي التي اطمأنت بذكر الله، فإن النفس تترقى في سلسلة الأسباب والمسببات إلى الواجب لذاته؛ فتستقر دون معرفته وتستغني به عن غيره، أو إلى الحق بحيث لا يريبها شك، أو الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن، وقد قرئ بهما. ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ إلى أمره أو موعده بالموت، ويشعر ذلك بقول من قال: كانت النفوس قبل الأبدان موجودة في عالم القدس أو البعث، ﴿رَاضِيَةً﴾ بما أوتيت. ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ عند الله تعالى. ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ في جملة عبادي الصالحين. ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ معهم، أو في زمرة المقربين فتستضيء بنورهم؛ فإن الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة، أو ادخلي في أجساد عبادي التي فارقت عنها، وادخلي دار ثوابي التي أعدت لك.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (الفجر) في الليالي العشر غفر له، ومن قرأها في سائر الأيام كانت له نوراً يوم القيامة**».

[**على إرادة القول**]؛ أي: يقول الله للمؤمن: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ﴾ [الفجر: ٢٧] [**أو بالبعث**] عطف على «بالموت». [«**من قرأ سورة الفجر..**»] إلى آخره، موضوع(١).



(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ١٠٩٧/ برقم: ١٠٠٤].

سُورَةُ البَلَدِ

(٩٠) مكية، وآيها عشرون آية

۞ ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ (٣) ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ أقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول ﷺ فيه إظهاراً لمزيد فضله، وإشعاراً بأن شرف المكان بشرف أهله. وقيل: (حِلٌّ) مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره، أو حلال لك أن تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما أحل له عام الفتح. ﴿وَوَالِدٖ﴾ عطف على (بِهذَا الْبَلَدِ) والوالد آدم أو إبراهيم. ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ ذريته أو محمد ﷺ، والتنكير للتعظيم، وإيثار (ما) على (من) لمعنى التعجب كما في قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾ [آل عمران: ٣٦].

(٤) ـ (٦) ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ تعب ومشقة من كبد الرجل كبداً إذا وجعت كبده، ومنه المكابدة، والإنسان لا يزال في شدائد مبدأها ظلمة الرحم ومضيقه، ومنتهاها الموت وما بعده، وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش والضمير في: ﴿أَيَحۡسَبُ﴾ لبعضهم الذي كان يكابد منه أكثر، أو يغتر بقوته كأبي الأشدّ بن كلدة؛ فإنه كان يبسط تحت قدمه أديم عكاظي ويجذبه عشرة فيتقطع ولا تزال قدماه، أو لكل أحد منهم، أو للإنسان. ﴿أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ﴾ فينتقم منه. ﴿يَقُولُ﴾؛ أي: في ذلك الوقت ﴿أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾ كثيراً، من تلبد الشيء إذا اجتمع، والمراد ما أنفقه سمعة ومفاخرة، أو معاداة للرسول.

۞ ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦﴾.

---

(٧) ـ (١٠) ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ حين كان ينفق أو بعد ذلك فيسأله عنه؛ يعني: أن الله يراه فيجازيه، أو يجده فيحاسبه عليه، ثم قرر ذلك بقوله. ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ يبصر بهما. ﴿وَلِسَانًا﴾ يترجم به عن ضميره. ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستر بهما فاه، ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب وغيرها. ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ طريقي الخير والشر، أو الثديين، وأصله المكان المرتفع.

(١١) ـ (١٦) ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾؛ أي: فلم يشكر تلك الأيادي باقتحام العقبة وهو الدخول في أمر شديد، و(الْعَقَبَةَ) الطريق في الجبل استعارها بما فسرها به من الفك والإطعام ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ لما فيهما من مجاهدة النفس، ولتعدد المراد بها حسن وقوع (لا) موقع (لم)؛ فإنها لا تكاد تقع إلا مكررة، إذ المعنى: (فَلَا فَكَ رَقَبةً ولا أَطْعَمَ يَتيماً أو مسكيناً). و(المسغبة والمقربة والمتربة) مفعلات من سغب إذا جاع، وقرب في

[وأصله]؛ أي: النَّجد **[لما فيها]**؛ أي: في العقبة **[لا يكاد يقع إلا مكرر]** إلى آخره، إيضاحه قول «الكشاف»[(١)]: فإن قلت: قل ما تقع لا الداخلة على الماضي إلا مكررة، ولم يكرر هنا، قلت: هي مكررة في المعنى؛ لأن معنى ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١]: فلا فك رقبة، ولا أطعم مسكيناً، ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك، وما ذكراه جاز على قراءتي من قرأ «فكّ» فعلاً ماضياً، واسماً، وإن كان إلى الأول أقرب لفظاً؛ وذلك؛ لأن التفسير قد يكون من اللفظ، وقد يكون من المعنى.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/٧٥٩].

۞ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾.

النسب، وترب إذا افتقر، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (فَكَّ رَقَبَةٍ أو أطعم) على الإبدال من (اقْتَحَمَ) وقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ اعتراض معناه: إنك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها.

﴿١٧﴾ ـ ﴿١٨﴾ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ عطفه على (اقْتَحَمَ)، أو (فَكَّ) بـ(ثُمَّ) لتباعد الإيمان عن العتق والإطعام في الرتبة لاستقلاله، واشتراط سائر الطاعات به. ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ وأوصى بعضهم بعضاً بِالصَّبْر على طاعة الله. ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ بالرحمة على عباده، أو بموجبات رحمة الله. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ اليمين أو اليمن.

﴿١٩﴾ ـ ﴿٢٠﴾ ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ بما نصبناه دليلاً على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن. ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ الشمال أو الشؤم، ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الإشارة والكفار بالضمير شأن لا يخفى. ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ مطبقة من أوصدت الباب إذا أطبقته وأغلقته. وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ:** ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ **أعطاه الله تعالى الأمان من غضبه يوم القيامة**».

[«من قرأ سورة لا أقسم بهذا البلد..»] إلى آخره، موضوع[1].



(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٢١٥/ ١٤٩٦].

سورة الشمس

(٩١) مكية، وآيها خمس عشرة

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - (٣) ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ وضوئها إذا أشرقت، وقيل: الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك، والضحاء بالفتح والمدّ إذا امتد النهار وكاد ينتصف. ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ تلا طلوعه طلوع الشمس أول الشهر أو غروبها ليلة البدر، أو في الاستدارة وكمال النور. ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ جلى الشمس فإنها تتجلى إذا انبسط النهار، أو الظلمة، أو الدنيا، أو الأرض؛ وإن لم يجر ذكرها للعلم بها.

(٤) - (٦) ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ يغشى الشمس فيغطي ضوءها، أو الآفاق، أو الأرض. ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الأولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها، ربطن المجرورات والظرف بالمجرور والظرف المتقدّمين ربط الواو لما

[وإنما أديرت[١] على «من» لإرادة الوصفية]؛ أي: الوصفية بما ضمنا وإن لم يوصف بلفظها إذ المراد أنها تقع على نوع من يفعل وعلى صفته ولذلك مثلوا بقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء: ٣] وقدروه: بانكحوا الطَّيِّب وهذ ينفرد به ما دون من [**من حيث استلزمت طرحه**]؛ أي: طرح فعل القسم [**ونظن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف**] إلى آخره، إيضاحه قول الزمخشري: «فإن قلت: الأمر

---

(١) في أنوار التنزيل: «أوثرت». انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي [٥/٤٩٦].

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)﴾.

بعدها في قولك: (ضرب زيد عمراً وبكر خالداً) على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين. ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ ومن بناها؛ وإنما أوثرت على (من) لإرادة معنى الوصفية؛ كأنه قيل: والشيء القادر الذي بناها، ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها، ولذلك أفرد ذكره، وكذا الكلام في قوله: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾.

(٧) ـ (٨) ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ وجعل (المآت) مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ بقوله: (وَما سَوَّيها) إلا أن يضمر فيه اسم الله للعلم به، وتنكير (نَفْسٍ) للتكثير كما في قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [التكوير: ١٤]، أو للتعظيم، والمراد نفس آدم، وإلهام الفجور والتقوى إفهامهما وتعريف حالهما، أو التمكين من الإتيان بهما.

(٩) ـ (١٠) ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ أنماها بالعلم والعمل جواب القسم،

في نصب «إذا» مفصل؛ لأنك لا تخلو إما أن تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر، فتقع في العطف على عاملين في نحو قولك: «مررت أمس بزيد واليوم عمرو»، وإما أن تجعلهن للقسم، فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه. قلت: الجواب فيه: أن واو القسم مطرح معها إبراز القسم اطراحاً كلياً، فكان لها شأن خلاف شأن الباء. حيث أبرز معها الفعل وأضمر، فكانت الواو قائمة مقام الفعل، والباء سادّة مسدهما معاً، والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو، فحققن أن يكن عوامل عمل الفعل والجار جميعاً، يقول: ضرب زيد عمرواً، وبكر خالداً، فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملها»[(١)].

[**بقوله: وما سَوَّاها**] متعلق بنظم قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ [الشمس: ٨]، ووجه الإخلال

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٧٦٢].

۞ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾﴾.

وحذف اللام للطول كأنه لما أراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه، أقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو أقصى درجات القوة النظرية، ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية. وقيل: هو استطراد بذكر بعض أحوال النفس، والجواب محذوف تقديره: (لَيُدَمْدِمَنَّ الله على كفار مكة) لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحاً. ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق، وأصل دسى دسس كتقضي وتقضض.

﴿١١﴾ - ﴿١٣﴾ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ بسبب طغيانها، أو بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله: ﴿فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥] وأصله طغياها؛ وإنما قلبت ياؤه واواً تفرقة بين الاسم والصفة، وقرئ بالضم كالرُّجْعى. ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾ حين قام ظرف لـ(كَذَّبَتْ) أو (طغوى). ﴿أَشْقَىٰهَا﴾ أشقى ثمود؛ وهو قدار بن سالف، أو هو ومن مالأه على قتل الناقة؛ فإن أفعل التفضيل إذا أضفته صلح للواحد والجمع، وفضل شقاوتهم لتوليهم

خلو ﴿وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧] ظاهر حيث جعل «ما» مصدريه عن ما يعود عليه ضمير الفاعل في ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ **[وكأنه لما أراد به]**؛ أي: فـ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [الشمس: ٩] إلى آخره **[أقسم عليه]**؛ أي: على تكميل النفس **[ويُذَكِّرُهُم]** عطف على «يَدُلُّهُم» **[وقيل: استطرد]** عطف على «جواب القسم»، وعليه اقتصر «الكشاف»(١): مانعاً لكون ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ جواباً.

[فإن أفعل التفضيل إذا أضفته صلح للواحد والجمع]؛ أي: إذا أضيف إلى

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٧٦٤].

۞ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾.

العقر. ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ذروا ناقة الله واحذروا عقرها. ﴿وَسُقْيَٰهَا﴾ وسقيها فلا تذودوها عنها.

﴿١٤﴾ - ﴿١٥﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما حذرهم منه من حلول العذاب إن فعلوا. ﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة إذا ألبسها الشحم. ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ بسببه. ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ فسوى الدمدمة بينهم أو عليهم؛ فلم يفلت منهم صغير ولا كبير، أو ثمود بالإهلاك. ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾؛ أي: عاقبة الدمدمة أو عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقي بعض الإبقاء، و(الواو) للحال، وقرأ نافع وابن عامر (فَلا) على العطف.

عن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة (والشمس) فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر»**.

معرفة كما هنا، فإنه إن أضيف إلى نكرة لم يجز ذلك إلا أن يكون مفرداً مذكر كحاله إذا كان بـ«من» **[فلا تذودها]**؛ أي: الناقة **[عنها]**؛ أي: عن السقيا. [**«من قرأ والشمس وضحاها..»**] إلى آخره، موضوع[1].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/٢١٩/برقم: ١٤٩٧].

سُورَةُ اللَّيْلِ

(٩٢) مكية، وآيها إحدى وعشرون

۞ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) - (٤) ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾؛ أي: يغشى الشمس أو النهار أو كل ما يواريه بظلامه. ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ ظهر بزوال ظلمة الليل، أو تبين بطلوع الشمس. ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ والقادر الذي خلق صنفي الذكر والأنثى من كل نوع له توالد، أو آدم وحواء، وقيل: (مَا) مصدرية. ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ إن مساعيكم لأشتات مختلفة؛ جمع شتيت.

(٥) - (٧) ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ تفصيل مبين لتشتت المساعي. والمعنى: من أعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى؛ وهي ما دلت على حق كلمة التوحيد. ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ فسنهيئه للخلة التي تؤدي إلى يسر وراحة؛ كدخول الجنة، من يسر الفرس إذا هيأه للركوب بالسرج واللجام.

(٨) - (١٠) ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بما أمر به. ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى. ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ بإنكار مدلولها. ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ للخلة المؤدية إلى العسر والشدة؛ كدخول النار.

[﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٣]] جواب القسم.

۞ ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

﴿١١﴾ ـ ﴿١٣﴾ ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ﴾ نفي أو استفهام إنكار. ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ هلك، تفعل من الردى، أو تردّى في حفرة القبر، أو قعر جهنم. ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ للإرشاد إلى الحق بموجب قضائنا أو بمقتضى حكمتنا، أو إنَّ عَلَيْنا طريقة الهدى؛ كقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾. فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء، أو ثواب الهداية للمهتدين، أو فلا يضرنا ترككم الاهتداء.

﴿١٤﴾ ـ ﴿١٨﴾ ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ تتلهب. ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾ لا يلزمها مقاسياً شدتها. ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ إلا الكافر فإن الفاسق وإن دخلها لا يلزمها؛ ولذلك سماه أشقى ووصفه بقوله: ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾؛ أي: كذب الحق وأعرض عن الطاعة. ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ الذى اتقى الشرك والمعاصي؛ فإنه لا يدخلها فضلاً عن أن يدخلها ويصلاها، ومفهوم ذلك أن من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها، ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق. ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ﴾ يصرفه في مصارف الخير لقوله: ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ فإنه بدل من (يُؤْتِي) أو حال من فاعله.

﴿١٩﴾ ـ ﴿٢١﴾ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ فيقصد بإيتائه مجازاتها. ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ استثناء منقطع أو متصل عن محذوف؛ مثل: لا يؤتى إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة. ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ وعد بالثواب الذي يرضيه. والآيات نزلت في أبي بكر حين اشترى بلالاً في جماعة تولاهم

[للإرشاد إلى الحق بموجب قضائنا] إلى آخره، عدل إليه عن قول

المشركون فأعتقهم، ولذلك قيل: المراد بالأشقى أبو جهل أو أمية بن خلف.

قال ﷺ: **«من قرأ سورة (والليل) أعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر»**.

«الكشاف»[1]: إن الإرشاد إلى الحق واجب علينا لما لا يخفى. [«من قرأ سورة الليل..»] إلى آخره، موضوع[2].



---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٧٦٧].

(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٢٢٣/ برقم: ١٤٩٩].

سُورَةُ الضُّحَىٰ

(٩٣) مكية، وآيها إحدى عشرة

۞ ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ـ ﴿٣﴾ ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لأن النهار يقوى فيه، أو لأن فيه كلَّم موسى ربه وألقى السحرة سجداً، أو النهار ويؤيده قوله: ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾ [الأعراف: ٩٨] في مقابلة (بَياتاً). ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ سكن أهله أو ركد ظلامه؛ من سجى البحر سجواً إذا سكنت أمواجه، وتقديم اللَّيْلِ في السورة المتقدمة باعتبار الأصل، وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف. ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ ما قطعك قطع المودّع، وقرئ بالتخفيف بمعنى: ما تركك وهو جواب القسم. ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ وما أبغضك، وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل، ومراعاة للفواصل. روي: أن الوحي تأخر عنه أياماً لتركه الاستثناء كما مر في سورة (الكهف)، أو لزجره سائلاً مُلِحّاً، أو لأن جرواً ميتاً كان تحت سريره، أو لغيره؛ فقال المشركون: إن محمداً وَدَعَهُ رَبُّهُ وقَلاهُ، فنزلت ردّاً عليهم.

﴿٤﴾ ـ ﴿٥﴾ ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ فإنها باقية خالصة عن

[وألقي السّحرة] عطف على «كلم» **[أو النهار]** عطف على «وقت» **[أو لأن جرواً ميتاً]** الجرو: بتثليث الجيم، ولد الكلب والسباع؛ قاله الجوهري[١]

(١) الصحاح، الجوهري [٨/ ١٩٤].

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾.

الشوائب، وهذه فانية مشوبة بالمضار، كأنه لما بيَّن أنه تعالى لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا وعد له ما هو أعلى وأجل من ذلك في الآخرة، أو لنهاية أمرك خير من بدايته، فإنه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال. ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ وعد شامل لما أعطاه من كمال النفس وظهور الأمر وإعلاء الدين، ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه، واللام للابتلاء دخل الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير: ولأنت سوف يعطيك لا للقسم فإنها لا تدخل على المضارع إلا مع النون المؤكدة، وجمعها مع سوف للدلالة على أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر لحكمة.

٦ - ٨ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ تعديد لما أنعم عليه تنبيهاً على أنه كما أحسن إليه فيما مضى يحسن إليه فيما يستقبل. (ويَجِدْكَ) من الوجود بمعنى العلم و(يَتِيماً) مفعوله الثاني أو المصادفة و(يَتِيماً) حال. ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ عن علم الحكم والأحكام. ﴿فَهَدَىٰ﴾ فعلمك بالوحي والإلهام والتوفيق للنظر. وقيل: وجدك ضالاً في الطريق حين خرج بك أبو طالب إلى الشام، أو حين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك إلى جدك، فأزال ضلالك عن عمك أو جدّك. ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ فقيراً ذا عيال. ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ بما حصل لك من ربح التجارة.

[واللام للابتداء] إلى آخره، اعتراض بأنها «لام التأكيد»، لا «لام الابتداء»؛ لأن اللام مع المبتدأ كـ«قد» مع الفعل، و«أن» مع الاسم، فكما لا يحذف الفعل والاسم وتبقى «قد» و«أن»، كذلك لا تبقى اللام بعد حذف الاسم، وردَ بأن اللام خالصه للتأكيد، ولا بأس بحذف المبتدأ، والفرق بين هذه اللام و«قد» و«أن» أنهما مؤثران في الدخول عليه مع التوكيد بخلاف هذه اللام؛ لأن مقتضاها أن تؤكد مضمون الجملة، وهو باقٍ وإن حُذف المبتدأ.

[أو المصادفة] عطف على «العلم» [فأزال ضلالك عن عمك أو جدك] عن صلة

۞ ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾.

﴿٩﴾ ـ ﴿١١﴾ ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ فلا تغلبه على ماله لضعفه، وقرئ: (فلا تكهر)؛ أي: فلا تعبس في وجهه. ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ فلا تزجره. ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فإن التحدث بها شكرها، وقيل: المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها.

قال عليه السلام: **«من قرأ سورة (والضحى) جعله الله سبحانه وتعالى فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له، وكتب له عشر حسنات بعدد كل يتيم وسائل».**

لضلالك لا لأزال. [«من قرأ سورة والضحى..»] إلى آخره، موضوع[1].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٢٣١/ برقم: ١٥٠٥].

سورة ألم نشرح

(٩٤) مكية، وآيها ثمان

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - (٣) ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ألم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائباً حاضراً، أو ألم نفسحه بما أودعنا فيه من الحكم وأزلنا عنه ضيق الجهل، أو بما يسرنا لك تلقي الوحي بعد ما كان يشق عليك، وقيل: إنه إشارة إلى ما روي: «أن جبريل أتى رسول الله ﷺ في صباه أو يوم الميثاق، فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه إيماناً وعلماً». ولعله إشارة إلى نحو ما سبق، ومعنى الاستفهام إنكار نفي الانشراح مبالغة في إثباته؛ ولذلك عطف عليه ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ عبأك الثقيل. ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ الذي حمله على النقيض؛ وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل، وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة، أو جهله بالحكم والأحكام، أو حيرته، أو تلقي الوحي، أو ما كان يرى من ضلال قومه من

[فكان غائباً حاضراً]؛ أي: غائباً عن الخلق بالنسبة إلى المناجاة، لكونها لا تكون إلا سرّاً حاضراً عندهم بالنسبة لدعوتهم؛ لكونها لا تكون إلا جهراً **[روي: «أن جبريل آتى رسول الله ﷺ في صباه..»]** إلى آخره، رواه البيهقي[1] **[عِبأك]** بكسر العين؛ أي: حملك **[عند الانتقاض]** في نسخة: عند الانقضاض؛ أي: الانفصال **[أو جهله]** هو مع ما تالياته عطف على «ما ثقل عليه»[2].

(١) السنن الكبرى، البيهقي [١/١٣٨/ برقم: ٣١٣].

(٢) في نسخة [ز - ج - ب]: (نقل عليه).

۞ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾.

العجز عن إرشادهم، أو من إصرارهم وتعديهم في إيذائه حين دعاهم إلى الإيمان.

﴿٤﴾ ـ ﴿٦﴾ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ بالنبوة وغيرها، وأي رفع مثل أن قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة، وجعل طاعته طاعته، وصلى عليه في ملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه، وخاطبه بالألقاب، وإنما زاد (لَكَ) ليكون إبهاماً قبل إيضاح فيفيد المبالغة. ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾ كضيق الصدر، والوزر المنقض للظهر، وضلال القوم وإيذائهم. ﴿يُسْرًا﴾ كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة، فلا تيأس من روح الله إذا عراك ما يغمك، وتنكيره للتعظيم، والمعنى بما في (إن مع) من المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر، واتصاله به اتصال المتقاربين. ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ تكرير للتأكيد أو استئناف، وعده بأن الْعُسْرِ متبوع بيسر آخر كثواب الآخرة؛ كقولك: «**إن للصائم فرحة، إن للصائم فرحة؛ أي: فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء الرب**». وعليه قوله ﷺ: «**لن يغلب عسر يسرين**» فإن (العسر) معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد أو للجنس، و(اليسر) منكر فيحتمل أن يراد بالثاني فرد يغاير ما أريد بالأوّل.

﴿٧﴾ ـ ﴿٨﴾ ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من التبيلغ. ﴿فَٱنصَبْ﴾ فاتعب في العبادة شكراً لما عددّنا عليك من النعم السالفة ووعدناك من النعم الآتية. وقيل: إذا فرغت من الغزو فانصب في العبادة، أو فَإِذا فَرَغْتَ من الصلاة فانصب بالدعاء. ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ بالسؤال، ولا تسأل غيره فإنه القادر وحده

[والمعنى بكسر] النون، وتشديد الياء، مبتدأ [بما في (إنَّ مَعَ) من المصاحبة] متعلق به [المبالغة] خبر المبتدأ [ولا تسأل غيره] التخصيص مفاد من تقديم الجار

على إسعافه، وقرئ: (فَرَغِّبْ)؛ أي: فرغب الناس إلى طلب ثوابه.

عن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة (ألم نشرح) فكأنما جاءني وأنا مغتم فَفَرَّجَ عني»**.

والمجرور على الفعل. [«من قرأ سورة ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم فَفَرَّجَ عني..»] موضوع[1].



(١) انظر: الفتح السماوي، المناوي [٣/١١٠٧/ برقم: ١٠١٢].

سُورَةُ التِّينِ

(٩٥) مختلف فيها، وآيها ثمان آيات

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ (٣) ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ خصهما من الثمار بالقسم؛ لأن التين فاكهة طيبة لا فضل له، وغذاء لطيف سريع الهضم، ودواء كثير النفع؛ فإنه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين، ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال، ويسمن البدن، وفي الحديث: «**أنه يقطع البواسير وينفع من النقرس**». والزيتون فاكهة وإدام ودواء، وله دهن لطيف كثير المنافع، مع أنه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال، وقيل: المراد بهما جبلان من الأرض المقدسة أو مسجدا دمشق وبيت المقدس، أو البلدان. ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾؛ يعني: الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه الصلاة والسلام ربه و(سِينِينَ وسَيْنَاءَ) اسمان للموضع الذي هو فيه. ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾؛ أي: الآمن؛ من أمن الرجل أمانة فهو أمين، أو المأمون فيه؛ يأمن فيه من دخله والمراد به مكة.

(٤) ـ (٦) ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يريد به الجنس. ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ تعديل بأن خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات. ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ بأن جعلناه من أهل النار، أو إلى أسفل سافلين وهو النار، وقيل: هو أرذل العمر؛ فيكون ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ منقطعاً. ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ لا ينقطع أو لا يمن به عليهم، وهو على الأول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾.

---

٧ - ٨ ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾؛ أي: فأي شيء يكذبك يا محمد دلالة أو نطقاً. ﴿بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل، وقيل (ما) بمعنى (من)، وقيل الخطاب للإنسان على الالتفات، والمعنى: فما الذي يحملك على هذا الكذب. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ تحقيق لما سبق. والمعنى: أليس الذي فعل ذلك من الخلق والرد بِأَحْكَمِ الْحاكِمِينَ صنعاً وتدبيراً، ومن كان كذلك كان قادراً على الإعادة والجزاء - على ما مرّ مراراً -.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (والتين) أعطاه الله العافية واليقين ما دام حياً، فإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة**».

[**وقيل: الخطاب للإنسان على الالتفات**]؛ أي: من الغيبة إلى الحضور، وقيل: الخِطاب للنبي ﷺ، فعليه الالتفات؛ كما قاله الطيبي. [«**من قرأ سورة والتين..**»] إلى آخره، موضوع[١].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٢٤٣/ برقم: ١٥١٢].

سُورَةُ العَلَق

(٩٦) مكية، وآيها تسع عشرة

۞ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣)
الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٢) ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾؛ أي: اقرأ القرآن مفتتحاً باسمه أو مستعيناً به. ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾؛ أي: الذي له الخلق، أو الذي خلق كل شيء، ثم أفرد ما هو أشرف وأظهر صنعاً وتدبيراً، وأدل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾، أو الذي خَلَقَ الْإِنْسانَ؛ فأبهم أولاً ثم فسر تفخيماً لخلقه، ودلالة على عجيب فطرته. ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ جمعه على الْإِنْسانَ في معنى الجمع، ولما كان أول الواجبات معرفة الله تعالى نزل أولاً ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته.

(٣) ـ (٥) ﴿اقْرَأْ﴾ تكرير للمبالغة، أو الأول مطلق والثاني للتبليغ، أو في الصلاة ولعله لما قيل له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ فقال: «**ما أنا بقارئ**»، فقيل له اقرأ: ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الزائد في الكرم على كل كريم؛ ينعم بلا غرض، ويحلم من غير تخوف؛ بل هو الكريم وحده على الحقيقة. ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾؛ أي: الخط بالقلم، وقد قرئ به لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد. ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ بخلق القوى ونصب الدلائل وإنزال الآيات؛ فيعلمك القراءة وإن لم تكن قارئاً، وقد عدد سبحانه مبدأ أمر الإنسان ومنتهاه إظهاراً لما أنعم عليه، من أن نقله من أخس المراتب إلى أعلاها تقريراً لربوبيته وتحقيقاً لأكرميته، وأشار أولاً إلى ما يدل على معرفته عقلاً ثم نبّه على ما يدل سمعاً.

۞ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ﴿٩﴾ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾.

﴿٦﴾ ـ ﴿٨﴾ ﴿كَلَّآ﴾ ردع لمن كفر بنعمة الله بطغيانه، وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه. ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ أن رأى نفسه، واستغنى مفعوله الثاني لأنه بمعنى علم، ولذلك جاز أن يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد. ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾ الخطاب للإنسان على الالتفات تهديداً وتحذيراً من عاقبة الطغيان، (والرُّجْعى) مصدر كالبشرى.

﴿٩﴾ ـ ﴿١٢﴾ ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ﴿٩﴾ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ نزلت في أبي جهل قال: لو رأيت محمداً ساجداً لوطئت عنقه، فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له: ما لك؟! فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة. فنزلت، ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية المنهي. ﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ﴾ أرأيت تكرير للأول وكذا الذي في قوله:

﴿١٣﴾ ـ ﴿١٤﴾ ﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ والشرطية مفعوله الثاني، وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع

[**الخطاب للإنسان على الالتفات**]؛ أي: من الغيبة إلى الحضور [**«نزلت في أبي جهل..»**] إلى آخره، رواه مسلم[1]، والشرطية وهي: ﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [العلق: ١١] مع جوابه المقدر [**مفعوله**]؛ أي: مفعول رأى من قوله: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ﴾ [العلق: ٩] [**وجواب الشرط**]؛ أي: الأول [**محذوف**] تقديره: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] وإنما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني كما ذكره بقوله: [**دل عليه جواب الشرط الثاني**] إلى آخره، قال «الكشاف»[2]: فإن قلت: فكيف صح

---

(١) صحيح مسلم [٤/ ٢١٥٤/برقم: ٢٧٩٧]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٧٨٣].

۞ ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾.

موقع القسيم له. والمعنى أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته، إن كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه، أو آمراً بِتَّقى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقده، أو إن كان على التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما تقول: أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله. وقيل المعنى: أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهى عَبْداً يصلي؛ والمنهي على الهدى آمر بالتقوى، والناهي مكذب متولى فما أعجب من ذا؟! وقيل: الخطاب في الثانية مع الكافر؛ فإنه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان، يخاطب هذا مرّة والآخر أخرى، وكأنه قال: يا كافر أخبرني إن كان صلاته هدى، ودعاؤه إلى الله أمراً بالتقوى، أتنهاه؟! ولعله ذكر الأمر بالتقوى في التعجب والتوبيخ، ولم يتعرض له في النهي؛ لأن النهي كان عن الصلاة والأمر، فاقتصر على ذكر الصلاة؛ لأنه دعوة بالفعل، أو لأن نهي العبد إذا صلى يحتمل أن يكون لها ولغيرها، وعامة أحوالها محصورة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة.

﴿١٥﴾ ـ ﴿١٦﴾ ﴿كَلَّا﴾ ردع للناهي. ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ عما هو فيه. ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار، و(السفع): القبض على الشيء وجذبه بشدة، وقرئ (لَنَسْفَعَنَّ) بنون مشددة، و(لأسفعن)، وكتابته في

أن يكون ﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾ جواب للشرط؟ قلت: كما صح في قولك: «إن أكرمتك أتكرمني؟ وإن أحسن إليك زيد هل تحسن إليه؟».

[أو إن كان على التكذيب] عطف على قوله: «إن كان ذاك الناهي» [وقيل: الخطاب في الثانية]؛ أي: في الشرطية الثانية [ولعله ذكر الأمر بالتقوى في التعجب والتوبيخ]؛ أي: في قوله: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ [العلق: ١١، ١٢] [ولم يتعرض له في النهي]؛ أي: في قوله: ﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ﴾.

۞ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾.

المصحف بالألف على حكم الوقف، والاكتفاء باللام عن الإضافة؛ للعلم بأن المراد ناصية المذكور. ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ بدل من (الناصية) وإنما جاز لوصفها، وقرئت بالرفع على هي ناصية، والنصب على الذم، ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها؛ على الإسناد المجازي للمبالغة.

﴿١٧﴾ - ﴿١٩﴾ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾؛ أي: أهل ناديه ليعينوه؛ وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم. روي: «أن أبا جهل لعنه الله مرّ برسول الله ﷺ وهو يصلي فقال: ألم أنهك! فاغلظ له رسول الله ﷺ، فقال: أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً»، فنزلت. ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ ليجروه إلى النار، وهو في الأصل الشُرَط؛ واحدها زبنية كَعِفْرِيَة؛ مِنَ: الزَّبْن وهو الدفع، أو زبني على النسب وأصلها زباني والتاء معوضة عن الياء. ﴿كَلَّا﴾ ردع أيضاً للناهي. ﴿لَا تُطِعْهُ﴾؛ أي: أثبت أنت على طاعتك. ﴿وَٱسْجُدْ﴾ ودم على سجودك. ﴿وَٱقْتَرِب﴾ وتقرب إلى ربك. وفي الحديث: «**أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد**».

عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (العلق) أعطي من الأجر كأنما قرأ المُفَصَّلَ كُلَّه**».

[روي: «**أن أبا جهل مرَّ برسول الله ﷺ..**»] إلى آخره، رواه الترمذي(١) وغيره وأصله في «الصحيحين» [**والاكتفاء باللام**]؛ أي: في الناصية [**كعِفْرِيَة**] هي: الداهية [«**أقرب ما يكون العبد من ربه إذا سجد..**»] رواه مسلم بلفظ: «... وهو ساجد»(٢). [«**من قرأ سورة العلق..**»] إلى آخره، موضوع(٣).

---

(١) سنن الترمذي [٥/ ٤٤٤/ برقم: ٣٣٤٩].
(٢) صحيح مسلم [١/ ٣٥٠/ برقم: ٤٨٢].
(٣) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٢٤٩/ برقم: ١٥١٨].

سُورَةُ القَدْرِ

(٩٧) مختلف فيها، وآيها خمس

۞ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٣) ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ الضمير للقرآن فخمه بإضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح؛ كما عظمه بأن أسند نزله إليه، وعظم الوقت الذي أنزل فيه بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ وإنزاله فيها بأن ابتدأ بإنزاله فيها، أو أنزله جملة من اللوح إلى السماء الدنيا على السَفَرَة، ثم كان جبريل ينزله على رسول الله ﷺ نجوماً في ثلاث وعشرين سنة. وقيل المعنى: (أَنْزَلْناهُ) في فضلها؛ وهي في أوتار العشر الأخير من رمضان، ولعلها السابعة منها. والداعي إلى إخفائها أن يُحيي من يريدها ليالي كثيرة، وتسميتها بذلك لشرفها أو لتقدير الأمور فيها لقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ وذكر (الألف) إما للتكثير، أو لما روي: أنه عليه الصلاة والسلام ذكر إسرائيلياً يلبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب المؤمنون وتقاصرت إليهم أعمالهم، فأعطوا ليلة القدر هي خير من مدة ذلك الغازي.

(٤) ـ (٥) ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ بيان لما له فضّلت على ألف شهر وتنزلهم إلى الأرض، أو إلى السماء الدنيا، أو تقربهم إلى المؤمنين. ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ من أجل كل أمر قدر في تلك السنة، وقرئ (من

كل امرئ)؛ أي: من أجل كل إنسان. ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ ما هي إلا سلامة؛ أي: لا يقدِّرُ الله فيها إلا السلامة، ويقضي في غيرها السلامة والبلاء، أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين. ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾؛ أي: وقت مطلعه؛ أي: طلوعه. وقرأ الكسائي بالكسر على أنه كالمرجع، أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة (القدر) أعطي من الأجر كمن صام رمضان، وأحيا ليلة القدر**».

[**ما هي إلّا سلامة**] الحصر مفاد من تقديم الخبر وهو: ﴿سَلَٰمٌ﴾ [القدر: ٥] على المبتدأ وهو: ﴿هِيَ﴾؛ أي: ﴿لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]. [«**من قرأ سورة القدر..**»] إلى آخره، موضوع[1].



(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٢٥٣/ برقم: ١٥٢٠].

سُورَةُ البَيِّنَةِ

(٩٨) مختلف فيها، وآيها ثمان

۞ ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ
﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ
حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ اليهود والنصارى فإنهم كفروا بالإلحاد في صفات الله، و(مِنْ) للتبيين. ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وعبدة الأصنام. ﴿مُنفَكِّينَ﴾ عما كانوا عليه من دينهم، أو الوعد باتباع الحق إذا جاءهم الرسول. ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ الرسول أو القرآن، فإنه مبين للحق، أو معجزة الرسول بأخلاقه والقرآن بإفحامه من تحدى به.

﴿٢﴾ ـ ﴿٣﴾ ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بدل من الْبَيِّنَةُ بنفسه، أو بتقدير مضاف، أو مبتدأ. ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ صفته أو خبره، والرسول وإن كان أُمّياً لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها. وقيل: المراد جبريل، وكون الصحف مُطَهَّرَةً؛ أن الباطل لا يأتي ما فيها، أو أنها لا يمسها إلا المطهرون. ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق.

﴿٤﴾ ـ ﴿٥﴾ ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ عما كانوا عليه بأن آمن بعضهم، أو تردد في دينه، أو عن وعدهم بالإصرار على الكفر. ﴿إِلَّا مِنۢ

[**أو الوعد باتباع الحق**] عطف على «ما كانوا عليه»، أو على دينهم، ووعدهم كان كاذباً [**أو بتقدير مضاف**]؛ أي: بينة رسول.

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾.

بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ فيكون كقوله: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩] وإفراد أهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم، وأنهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك أولى. ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾؛ أي: في كتبهم بما فيها. ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ لا يشركون به. ﴿حُنَفَآءَ﴾ مائلين عن العقائد الزائغة. ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ولكنهم حرفوا وعصوا. ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ دين الملة القيمة.

﴿٦﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾؛ أي: يوم القيامة، أو في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك، واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾؛ أي: الخليقة. وقرأ نافع وابن ذكوان بالبريئة بالهمز على الأصل في الموضعين.

﴿٧﴾ - ﴿٨﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ فيه مبالغات تقديم المدح، وذكر الجزاء المُؤْذِن بأن ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به، والحكم عليه بأنه مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، وجمع جَنَّاتُ وتقييدها؛ إضافة ووصفاً بما يزداد لها نعيماً، وتأكيد الخلود بالتأبيد.

﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ استئناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم. ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ لأنه بلّغهم أقصى أمانيهم. ﴿لِمَنْ﴾؛ أي: المذكور من الجزاء

والرضوان. ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ فإن الخشية ملاك الأمر والباعث على كل خير.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة (لَمْ يَكُنِ) كان يوم القيامة مع خير البرية مبيتاً ومقيلاً**».

[«من قرأ سورة لم يكن، كان يوم القيامة مع خير البرية مساءً ومقيلاً..»] موضوع[1].



(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/٢٥٧/ برقم: ١٥٢١].

سُورَةُ الزَّلزَلَة

(٩٩) مختلف فيها، وآيها تسع [ثمان]

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - (٣) ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ اضطرابها المقدر لها عند النفخة الأولى، أو الثانية أو الممكن لها، أو اللائق بها في الحكمة، وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس في الأبنية (فعلال) إلا في المضاعف. ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ما في جوفها من الدفائن أو الأموات؛ جمع ثقل وهو متاع البيت. ﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ لما يبهرهم من الأمر الفظيع، وقيل: المراد بـ﴿الْإِنسَانُ﴾ الكافر فإن المؤمن يعلم ما لها.

(٤) - (٥) ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤)﴾ تحدث الخلق بلسان الحال ﴿أَخْبَارَهَا﴾ ما لأجله زلزالها وإخراجها. وقيل: ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من (إذا) وناصبهما ﴿تُحَدِّثُ﴾ أو أصل و(إذا) منتصب بمضمر. ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾؛ أي: تحدث بسبب إيحاء ربك لها بأن أحدث فيها ما دلت على الأخبار، أو أنطقها بها، ويجوز أن يكون بدلاً من

[وقرئ بالفتح]؛ أي: بفتح زلزالها [﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ [الزلزلة: ٣]]؛ أي: ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة، ولفظت ما في بطنها **[لما يبهرهم]**؛ أي: يغلبهم، من بهره بهراً؛ أي: غلبه **[أو أصل]** عطف على «بدل» **[وإذا منتصب بمضمر]** يفسر ﴿تُحَدِّثُ﴾ [الزلزلة: ٤]؛ أي: ويتحدث وناصب يومئذٍ مضمر يفسره ﴿تُحَدِّثُ﴾ **[ويجوز أن يكون]**؛ أي: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥].

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾.

(أخبارها) إذ يقال: حدثته كذا وبكذا، و(اللام) بمعنى (إلى)، أو على أصلها إذ لها في ذلك تشفي من العصاة.

﴿٦﴾ ـ ﴿٨﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ من مخارجهم من القبور إلى الموقف. ﴿أَشْتَاتًا﴾ متفرقين بحسب مراتبهم. ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ جزاء أعمالهم، وقرئ بفتح الياء. ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ تفصيل لِيُرَوْا ولذلك قرئ (يُرَهُ) بالضم، ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثّران في نقص الثواب والعقاب. وقيل: الآية مشروطة بعدم الإحباط والمغفرة، أو (مَن) الأولى مخصوصة بالسّعداء والثانية بالأشقياء؛ لقوله: (أَشْتاتاً)، و(الذَرَّةِ) النملة الصغيرة أو الهباء.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة (إذا زلزلت الأرض) أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله**».

[**وليس إلا في المضاعف**]؛ أي: غالباً، وإلا فقد ورد ناقة خزعال[(١)] [**وقرأ هشام بإسكان الهاء**] ساقط من نسخ. [«**من قرأ إذا زلزلة أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله..**»] رواه الثعلبي بسند ضعيف[(٢)] لكن يشهد له ما رواه ابن أبي شيبة مرفوعاً: «**إذا زلزلت تعدل ربع القرآن**»[(٣)].



---

(١) المزهر في علوم اللغة، السيوطي [١/ ٤٣٧].
(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٢٦٢/ برقم: ١٥٢٣].
(٣) انظر: الفتح السماوي، المناوي [٣/ ١١١٥/ برقم: ١٠٢٠].

سورة العاديات

(١٠٠) مختلف فيها، وآيها إحدى عشرة

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا
﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾
وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ - ﴿٥﴾ ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحاً، وهو صوت أنفاسها عند العدو، ونصبه بفعله المحذوف، أو بالْعادِياتِ فإنها تدل بالالتزام على الضابحات، أو (ضبحاً) حال بمعنى: ضابحة. ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ فالتي توري النار، و(الإيراء): إخراج النار؛ يقال: قدح الزند فأورى. ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾ يغير أهلها على العدو. ﴿صُبْحًا﴾؛ أي: في وقته. ﴿فَأَثَرْنَ﴾ فهيجن. ﴿بِهِۦ﴾ بذلك الوقت. ﴿نَقْعًا﴾ غباراً أو صياحاً. ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ فتوسطن بذلك الوقت، أو بالعدو، أو بالنقع؛ أي: ملتبسات به. ﴿جَمْعًا﴾ من جموع الأعداء، روي: «أنه عليه الصلاة والسلام بعث خيلاً فمضت أشهر لم يأته منهم خبر، فنزلت». ويحتمل أن يكون القسم بالنفوس العادية أثر كمالهنّ الموريات بأفكارهن أنوار المعارف، والمغيرات على الهوى والعادات إذا ظهر لهن مبدأ أنوار القدس، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ﴾ شوقاً ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ من جموع العليين.

﴿٦﴾ - ﴿٨﴾ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ لكفور مِنْ كَنَدَ النعمة كنوداً، أو

[روي: أنه عليه الصلاة السلام بعث خيلاً...»] إلى آخره، رواه الدارقطني، وغيره[1] [من جموع العليين] راجع إلى النفوس.

(١) أسباب النزول، الواحدي [ص٢٧٢].

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

لعاص بلغة كندة، أو لبخيل بلغة بني مالك؛ وهو جواب القسم. ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ وإن الإنسان على كنوده ﴿لَشَهِيدٌ﴾ يشهد على نفسه لظهور أثره عليه، أو أن الله على كنوده لشهيد؛ فيكون وعيداً. ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ المال من قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]؛ أي: مالاً. ﴿لَشَدِيدٌ﴾ لبخيل، أو لقوي مبالغ فيه.

﴿٩﴾ ـ ﴿١١﴾ ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾ من الموتى، وقرئ: (بحثر) و(بحث). ﴿وَحُصِّلَ﴾ جمع محصلاً في الصحف أو ميز. ﴿مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ من خير أو شر، وتخصيصه لأنه الأصل. ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ وهو يوم القيامة. ﴿لَّخَبِيرٌ﴾ عالم بما أعلنوا وما أسروا فيجازيهم عليه، وإنما قال: (مَا) ثم قال: (بِهِمْ) لاختلاف شأنهم في الحالين، وقرئ (أَنَّ) و(خبير) بلا لام.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة (والعاديات) أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جَمْعاً**».

[وتخصيصه]؛ أي: الصدر؛ لأنه واحد ﴿ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات: ١٠] **[لاختلاف شأنهم في الحالين]**؛ أي: حال البعث، والجمع **[وقرئ أن]**؛ أي: بالفتح. **[«من قرأ سورة العاديات..»]** إلى آخره موضوع[1].



(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٢٦٧/ برقم: ١٥٢٦].

سورة القارعة

(١٠١) مكية، وآيها عشر

﴿ٱلْقَارِعَةُ (١) مَا ٱلْقَارِعَةُ (٢) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ
ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ (٥) فَأَمَّا
مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ (٦) فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ
(٨) فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌۢ (١١)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٥) ﴿ٱلْقَارِعَةُ (١) مَا ٱلْقَارِعَةُ (٢) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ سبق بيانه في (الحاقة). ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم، وانتصاب ﴿يَوْمَ﴾ بمضمر دلت عليه (الْقَارِعَةُ). ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ كالصوف ذي الألوان. ﴿ٱلْمَنفُوشِ﴾ المندوف لتفرق أجزائها وتطايرها في الجو.

(٦) ـ (١١) ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بأن ترجحت مقادير أنواع حسناته. ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ﴾ في عيش ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ ذات رضى أو مرضية. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بأن لم يكن له حسنة يعبأ بها، أو ترجحت سيئاته على حسناته. ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ فمأواه النار المحرقة والهاوية من أسمائها ولذلك قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ ذات حمى.

عن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة (القارعة) ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة»**.

[﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]] الفراش: الطير التي تراها تتهافت في النار، والمبثوث: المتفرق. [**«عن النبي ﷺ: من قرأ سورة القارعة..»**] إلى آخره، موضوع[1].

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٢٧٣/ برقم: ١٥٢٩].

سُورَةُ التَّكَاثُر

(١٠٢) مختلف فيها، وآيها ثمان آيات

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٣) ﴿أَلْهَاكُمُ﴾ شغلكم؛ وأصله الصرف إلى اللهو منقول من لهى إذا غفل. ﴿التَّكَاثُرُ﴾ التباهي بالكثرة. ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ إذا استوعبتم عدد الأحياء صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات، عبّر عن انتقالهم إلى ذكر الموتى بزيارة المقابر.

روي: أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف، فقال بنو سهم: إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعادونا بالأحياء والأموات فكثرهم بنواسهم، وإنما حذف الملهى عنه؛ وهو ما يعنيهم من أمر الدين للتعظيم والمبالغة. وقيل معناه: أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ بالأموال والأولاد إلى أن مُتُّم وقبرتم مضيعين أعماركم في طلب الدنيا عما هو أهمُّ لكم؛ وهو السعي لأُخْرَاكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت. ﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغي له أن لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فإن عاقبة ذلك وبال وحسرة. ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ خطأ رأيكم إذا عاينتم ما وراءكم؛ وهو إنذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم.

(٤) ـ (٦) ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تكرير للتأكيد وفي (ثُمَّ) دلالة على أن الثاني أبلغ من الأول، أو الأول: عند الموت، أو في القبر والثاني: عند النشور. ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾؛ أي: لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين؛ أي: كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره، أو

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾.

لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه، فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز أن يكون قوله: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ جواباً له لأنه محقق الوقوع؛ بل هو جواب قسم محذوف أكد به الوعيد وأوضح به ما أنذرهم منه بعد إبهامه تفخيماً.

٧ - ٨ ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ تكرير للتأكيد، أو الأولى: إذا رأيتهم من مكان بعيد، والثانية: إذا وردوها، أو المراد بالأولى: المعرفة، وبالثانية: الإبصار. ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾؛ أي: الرؤية التي هي نفس اليقين، فإن علم المشاهدة أعلى مراتب اليقين. ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ الذي ألهاكم، والخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن دينه، و(النَّعِيم) مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٣٢]، ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٦٠] وقيل: يعمان إذ كل يسأل عن شكره. وقيل: الآية مخصوصة بالكفار.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا، وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية**».

[**وقيل: يعمان**]؛ أي: الخطاب، والنعيم [**إذ كل**] من المخاطبين [**يسأل عن شكره**]؛ أي: شكر النعيم. [«**من قرأ سورة ألهكم..**»] إلى آخره، موضوع[1]. إلا آخره فرواه الحاكم[2] والبيهقي بلفظ: «**ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم!** قالوا: ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية؟ قال: **أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر؟..**»[3].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٢٧٧/ برقم: ١٥٣١].
(٢) مستدرك الحاكم [١/ ٧٥٥/ برقم: ٢٠٨١].
(٣) شعب الإيمان، البيهقي [٢/ ٤٩٨/ برقم: ٢٥١٨].

سورة العصر

(١٠٣) مكية، وآيها ثلاث آيات

۞ ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٢) ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ أقسم بصلاة العصر لفضلها، أو بعصر النبوة، أو بالدهر لاشتماله على الأعاجيب والتعريض بنفي ما يضاف إليه من الخسران. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ إن الناس لفي خسران في مساعيهم وصرف أعمارهم في مطالبهم، والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم.

(٣) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ فإنهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية. ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ الثابت الذي لا يصح إنكاره من اعتقاد أو عمل. ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ عن المعاصي أو على الحق، أو ما يبلو الله به عباده. وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة إلا أن يخص العمل بما يكون مقصوراً على كماله، ولعله سبحانه إنما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود، وإشعاراً بأن ما عدا ما عد يؤدي إلى خسر ونقص حظ، أو تكرماً فإن الإبهام في جانب الخسر كَرَم.

[أو بالدهر] فالعصر يقال: للدهر، ويقال: العصران: الليل والنهار، وللغداة والعشي، ومنه سميت صلاة العصر **[والتعريف]**؛ أي: في ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ [العصر: ٢] **[والتنكير]**؛ أي: ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾ **[إلا أن يخص العمل بما يكون مقصوراً على كماله]**؛ أي: فلا يكون العطف للمبالغة **[أو تكرماً]** عطف على «اكتفاء».

عن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ غفر الله له وكان ممن تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر»**.

[«من قرأ سورة (والعصر) غفر الله تعالى له..»] إلى آخره، موضوع[1].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٢٨١/ برقم: ١٥٣٣].

سُورَةُ الهُمَزَةِ

(١٠٤) مكية، وآيها تسع آيات

۞ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٣) ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الكسر كالهزم، واللمز الطعن كالهزم؛ فشاعا في الكسر من أَعْراض الناس والطعن فيهم، وبناء فعله يدل على الاعتياد؛ فلا يقال: ضُحَكَة ولُعَنَة إلا للمكثر المتعود، وقرئ: (همزة لمزة) بالسكون على بناء المفعول؛ وهو المسخرة الذي يأتي بالأضاحيك فيضحك منه ويشتم. ونزولها في الأخنس بن شريق فإنه كان مغتاباً، أو في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله ﷺ. ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾ بدل من كل، أو ذم منصوب أو مرفوع، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير، ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ وجعله عدّة للنوازل، أو عده مرة بعد أخرى، ويؤيده أنه قرئ (وَعَدَدَهُ) على فك الإدغام. ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ تركه خالداً في الدنيا فأحبه كما يحب الخلود، أو حب المال أغفله عن الموت، أو طول أمله حتى حسب أنه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت، وفيه تعريض بأن المخلد هو السعي للآخرة.

(٤) ـ (٧) ﴿كَلَّا﴾ ردع له عن حسبانه. ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ ليطرحن. ﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ في النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يطرح فيها. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ ما النار التي لها هذه الخاصية. ﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ تفسير لها. ﴿ٱلْمُوقَدَةُ﴾ التي أوقدها الله وما أوقده لا يقدر غيره أن يطفئه. ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾.

تعلو أوساط القلوب وتشتمل عليها، وتخصيصها بالذكر لأن الفؤاد ألطف ما في البطن وأشده تألماً، أو لأنه محل العقائد الزائفة ومنشأ الأعمال القبيحة.

(٨) - (٩) ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ مطبقة من أوصدت الباب إذا أطبقته، قال:

تَحِنُّ إلى أجبالِ مَكَّةَ ناقتي ... وَمِنْ دُونِهَا أبوابُ صنعاءَ مُوصَدَة

وقرأ حفص وأبو عمرو وحمزة بالهمزة. ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾؛ أي: موثقين في أعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص، وقرأ أبو بكر وحمزة الكسائي بضمتين، وقرئ: (عُمْدٍ) بسكون الميم مع ضم العين.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (الهمزة) أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه**».

[أي: **موثقين في أعمدة**] أشار كـ«الكشاف»[(١)]: إلى أن «في عمد» حال من ضمير «عليهم»، وجوز غيرهما أن يكون خبر المبتدأ مضمر؛ أي: هم في عمد، أو أن يكون صفة لمؤصدة. [«**من قرأ سورة الهمزة..**»] إلى آخره، موضوع[(٢)].



---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٨٠٣].

(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٢٨٥/ برقم: ١٥٣٤].

سُورَةُ الفِيلِ

(١٠٥) مكية، وهي خمس آيات

۞ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - (٢) ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ الخطاب للرسول، وهو وإن لم يشهد تلك الوقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر أخبارها فكأنه رآها، وإنما قال: (كَيْفَ) ولم يقل: (ما) لأن المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله، وقدرته، وعزة بيته، وشرف رسوله ﷺ فإنها من الإرهاصات.

إذ روي أنها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول عليه الصلاة والسلام. قصتها: «أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى بيعة بصنعاء وسماها القليس، وأراد أن يصرف الحاج إليها، فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلاً فأغضبه ذلك، فحلف ليهدمنّ الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود، وفيلة أخرى؛ فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه قدّم الفيل، وكان كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح، وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى جهة أخرى هرول، فأرسل الله طيراً، كل طير في منقاره حجر وفي رجليه حجران، أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة، فرمتهم فيقع الحجر في رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعاً».

وقرئ: (أَلَمْ تَرْ) جداً في إظهار أثر الجازم، وكيف نصب بـ(فَعَلَ)

[الأشرم] سمي أشرماً؛ لأن أباه ضربه بحربة شرم أنفه وجبينه [وكيف نصب بفَعَلَ]؛

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾.

لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام. ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ في تعطيل الكعبة وتخريبها. ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ في تضييع وإبطال بأن دمرهم وعظم شأنها.

﴿٣﴾ - ﴿٥﴾ ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ جماعات؛ جمع إبالة وهي الحزمة الكبيرة، شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها. وقيل: لا واحد لها كعباديد وشماطيط. ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ﴾ وقرئ بالياء على تذكير الطير لأنه اسم جمع، أو إسناده إلى ضمير (ربِّك). ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ من طين متحجر؛ معرب: (سنك كل)، وقيل: من السجل؛ وهو الدلو الكبير، أو الإسجال؛ وهو الارسال، أو من السِّجِلّ؛ ومعناه: من جملة العذاب المكتوب المدون. ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ كورق زرع وقع فيه الأُكَال؛ وهو أن يأكله الدود، أو أُكِلَ حَبُّه فبقي صفراً منه، أو كَتِبْنٍ أكلته الدواب ورَاثَته.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة (الفيل) عافاه الله أيام حياته من الخسف والمسخ**».

أي: في فَعَلَ ﴿رَبُّكَ﴾ [الفيل: ١] [**الأبتر لما فيه**]؛ أي: فكيف؟. [«**من قرأ سورة الفيل..**»] إلى آخره، موضوع[(١)].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٢٨٩/ برقم: ١٥٣٦].

سُورَةُ قُرَيْشٍ

(١٠٦) مكية، وآيها أربع آيات

۞ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ (٢) ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ والفاء لما في الكلام من معنى الشرط؛ إذ المعنى: أن نعم الله عليهم لا تحصى فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لأجل: ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾؛ أي: الرحلة في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيمتارون ويتجرون، أو بمحذوف مثل أعجبوا أو بما قبله كالتضمين في الشعر؛ أي: جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ لِإِيلافِ قُرَيْشٍ، ويؤيده أنهما في مصحف أُبيٍّ سورة واحدة، وقرئ: (ليألف قريش إلفهم رحلة الشتاء)، و(قريش): ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش؛ وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن فلا تطاق إلا بالنار، شبهوا بها لأنها تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلى، وصغر الاسم للتعظيم وإطلاق الإيلاف، ثم إبدال المقيد عنه للتفخيم.

(٣) ـ (٤) ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ بالرحلتين والتنكير للتعظيم، وقيل: المراد به شدة أكلوا فيها الجيف والعظام. ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ خوف أصحاب الفيل، أو التخطف في بلدهم ومسايرهم، أو الجذام فلا يصيبهم ببلدهم.

[أو بما قبله]؛ أي: وهو قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ [الفيل: ٥]، كما نبَّه بقوله [أي: ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾]

قال ﷺ: **«من قرأ سورة (لإيلاف قريش) أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها».**

إلى آخره. [«من قرأ سورة قريش..»] إلى آخره، موضوع[١].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٢٩٣/ برقم: ١٥٣٧].

سُورَةُ المَاعُون

(١٠٧) مختلف فيها، وآيها سبع

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ (١) فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ (٧)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٣) ﴿أَرَءَيْتَ﴾ استفهام معناه: التعجب، وقرئ: (أريت) بلا همز إلحاقاً بالمضارع، ولعل تصدّره بحرف الاستفهام سهل أمرها و(أرأيتك) بزيادة الكاف. ﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ بالجزاء أو الإسلام، والذي يحتمل الجنس والعهد، ويؤيد الثاني قوله: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ يدفعه دفعاً عنيفاً؛ وهو أبو جهل كان وصياً ليتيم فجاءه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه، أو أبو سفيان نحر جزوراً فسأله يتيم لحماً فقرعه بعصاه، أو الوليد بن المغيرة، أو منافق بخيل. وقرئ (يَدع)؛ أي: يترك. ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ أهله وغيرهم. ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على ﴿يُكَذِّبُ﴾ بالفاء.

(٤) ـ (٧) ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ غافلون غير مبالين بها. ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليهم. ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ الزكاة أو ما يتعاور في العادة والفاء جزائية. والمعنى: إذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من

[وقرئ بلا همزة]؛ أي: بعد الراء [إلحاقاً]؛ أي: إلحاقاً للماضي [بالمضارع]

الكفر، ومنع الزكاة التي هي قنطرة الإسلام أحق بذلك ولذلك رتب عليها الويل، أو للسببية على معنى: فَوَيْلٌ لهم، وإنما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق.

عن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة (أَرَأَيْتَ) غفر له إن كان للزكاة مؤدياً»**.

في حذفها منه؛ لأن حذفها مختص به [أو للسببية] عطف على «جزايته»؛ أي: الفاء للجزاء أو للسببية. [«من قرأ سورة أرأيت..»] إلى آخره، موضوع[1].



(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/٢٩٩/برقم: ١٥٤٢].

سُورَةُ الكَوْثَرِ

(١٠٨) مكية، وآيها ثلاث آيات

۞ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾ وقرئ: (أنطيناك). ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾ الخير المفرط الكثير من العلم والعمل وشرف الدارين. وروي عنه عليه السلام: **«أنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثيراً أحلى من العسل، وأبيض من اللبن، وأبرد من الثلج، وألين من الزبد؛ حافتاه الزبرجد، وأوانيه من فضة؛ لا يظمأ من شرب منه»**، وقيل: حوض فيها، وقيل: أولاده وأتباعه، أو علماء أمته، أو القرآن.

(٢) ـ (٣) ﴿فَصَلِّ﴾ فَدُمْ على الصلاة خالصاً لوجه الله خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكراً لإنعامه، فإن الصلاة جامعة لأقسام الشكر. ﴿وَٱنْحَرْ﴾ البدن التي هي خيار أموال العرب، وتصدق على المحاويج خلافاً لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون، فالسورة كالمقابلة للسورة

[روي عنه ﷺ: «أنه نهر في الجنة وَعَدَنِيه ربّي، فيه خير كثير..»]، رواه مسلم[1] **[«أحلى من العسل، وأبيض من اللبن، وأبرد من الثلج، وألين من الزبد، وأوانيه من فضة..»]** رواه الحاكم[2] **[«حافتاه من الزبرجد»]** رواه ابن مردويه في حديث مطوَّل[3] **[«لا يظمأ من شرب منه»]** رواه ابن ماجه **[وقيل: أولاده]**؛ أي:

---

(١) صحيح مسلم [١/ ٢٠٠/برقم: ٤٠٠]. (٢) مستدرك الحاكم [١/١٤٨/ برقم: ٢٥٥].
(٣) انظر: الفتح السماوي، المناوي [٣/١١٢٧/ برقم: ١٠٣٣].

المتقدمة؛ وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية. ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ إن من أبغضك لبغضه الله. ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ الذي لا عقب له؛ إذ لا يبقى له نسل ولا حُسْنُ ذِكْر، وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك إلى يوم القيامة، ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف.

عن النبي عليه السلام: **«من قرأ سورة (الكوثر) سقاه الله من كل نهر له في الجنة، ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر»**.

أولاد النبي ﷺ. [«من قرأ سورة الكوثر..»] إلى آخره، موضوع[1].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٣٠٥/ برقم: ١٥٤٧].

سُورَةُ الكَافِرُونَ

(١٠٩) مكية، وآيها ست

۞ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

۝١ ـ ۝٣ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾؛ يعني: كفرة مخصوصين قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون. روي: «أن رهطاً من قريش قالوا: يا محمد! تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلٰهك سنة، فنزلت». ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: فيما يستقبل؛ فأن (لا) لا تدخل إلا على مضارع بمعنى الاستقبال كما أن (مَا) لا تدخل إلا على مضارع بمعنى الحال. ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾؛ أي: فيما يستقبل لأنه في قرآن ﴿لَآ أَعْبُدُ﴾.

۝٤ ـ ۝٦ ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾؛ أي: في الحال أو فيما سلف. ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾؛ أي: وما عبدتم في وقت ما أنا عابده، ويجوز أن يكونا تأكيدين على طريقة أبلغ؛ وإنما لم يقل ما عبدت ليطابق ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾ لأنهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة الأصنام، وهو لم يكن حينئذ موسوماً بعبادة الله تعالى؛ وإنما قال: (مَا) دون (مَن) لأن المراد

[روي: «أن رهطاً من قريش، قالوا: يا محمد..»] إلى آخره، رواه الطبراني[1]، وغيره [فأن لا تدخل على المضارع بمعنى الاستقبال، كما أن ما لا تدخل إلا على المضارع بمعنى الحال]؛ أي: في الغالب فيهما.

---

(١) المعجم الأوسط، الطبراني [٢/ ٤٤/ برقم: ٧٥١].

الصفة، كأنه قال: لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق، أو للمطابقة. وقيل: (ما) مصدرية، وقيل: الأوليان بمعنى (الذي)، والآخريان مصدريتان. ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الذي أنتم عليه لا تتركونه. ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ ديني الذي أنا عليه لا أرفضه، فليس فيه إذن في الكفر، ولا منع عن الجهاد؛ ليكون منسوخاً بآية القتال، اللَّهُمَّ إلا إذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه، وقد فسر (الدِّينِ) بالحساب، والجزاء، والدعاء، والعبادة.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة (الكافرون) فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرىء من الشرك**».

[**لأنه في قران لا أعبد**] بكسر القاف، وفتح الراء؛ أي: صحبته. يقال: «قارنته قرآناً صاحبته»، و«قرنت الشيء بالشيء»: وصلته به. [«**من قرأ سورة الكافرون..**»] إلى آخره موضوع[1]. إلا الجملة الأولى منه فرواها الترمذي.



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/٣٠٩/برقم: ١٥٤٨].

سُورَةُ النَّصْرِ

(١١٠) مدينة، وآيها ثلاث آيات

۞ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ (٢) ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ إظهاره إياك على أعدائك. ﴿وَٱلۡفَتۡحُ﴾ وفتح مكة، وقيل: المراد جنس نصر الله المؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم، وإنما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزاً للإشعار بأن المقدّرات متوجهة من الأزل إلى أوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئاً فشيئاً، وقد قرب النصر من وقته فكن مترقباً لوروده مستعداً لشكره. ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ جماعات كثيفة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب، و(يَدْخُلُونَ) حال على أن (رَأَيْتَ) بمعنى: أبصرت، أو مفعول ثان على أنه بمعنى: علمت.

(٣) ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال أحد حامداً له عليه، أو فصلِّ له حامداً على نعمه. روي: «أنه لما دخل مكة بدأ بالمسجد؛ فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات»، أو فنزهه عما كانت الظلمة يقولون فيه؛ حامداً له على أن صدق وعده، أو فأَثْنِ على الله بصفات الجلال حامداً له على صفات الإكرام. ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾ هضماً لنفسك

وتسمى: سورة «التوديع» [روي: «أنه لما دخل بدأ بالمسجد، فدخل الكعبة، وصلى ثمان ركعات..»] رواه الشيخان[1]، بدون: فدخل الكعبة [أو فصل]

---

(١) صحيح البخاري [١/ ٣٧٢/ برقم: ١٠٥٣]، صحيح مسلم [١/ ٢٦٥/ برقم: ٣٣٦].

واستقصاراً لعملك واستدراكاً لما فرط منك من الالتفات إلى غيره. وعنه عليه الصلاة والسلام: «**إني لأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة**». وقيل: استغفره لأمتك؛ وتقديم التسبيح على الحمد، ثم الحمد على الاستغفار؛ على طريق النزول من الخالق إلى الخلق. كما قيل: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ لمن استغفره منذ خلق المكلفين، والأكثر على أن السورة نزلت قبل فتح مكة، وأنه نعي لرسول الله ﷺ لأنه لما قرأها بكى العباس، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ما يبكيك؟**»، فقال: نعيت إليك نفسك، فقال: «**إنها لَكَما تقول**»، ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال أمر الدين؛ فهي كقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، أو لأن الأمر بالاستغفار تنبيه على دنو الأجل، ولهذا سميت سورة التوديع.

وعنه عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة (إِذا جاءَ) أعطي من الأجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة**».

هو مع تالييه عطف على «فتعجب» [«**إني لأستغفر الله في اليوم والليلة مئة مرة**»] رواه مسلم(١) [«**وأنه نعي لرسول الله ﷺ..**»] النعي خبر الموت. يقال: نعاه له نعياً ونعياناً بالضم، والنعي على «فعيل»، يقال: «جاءني فلان»؛ قاله الجوهري(٢)، فقول المصنف: نعى يجوز قراءته بوزن فعل وبوزن فعيل. [«**من قرأ سورة إذا جاء..**»] إلى آخره، موضوع(٣).



---

(١) صحيح مسلم [٤/ ٢٠٧٥/ برقم: ٢٧٠٢].

(٢) الصحاح، الجوهري [٨/ ٤٥٠].

(٣) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٣٢٤/ برقم: ١٥٦٠].

سورة أبي لهب

(١١١) مكية، وآيها خمس

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿تَبَّتْ﴾ هَلَكت أو خسرت؛ والتباب خسران يؤدي إلى الهلاك. ﴿يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ نفسه كقوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] وقيل: إنما خصتا لأنه ﷺ لما نزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] جمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب: تبّاً لك ألهذا دعوتنا! وأخذ حجراً ليرميه به، فنزلت. وقيل: المراد بهما دنياه وأخراه؛ وإنما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولأن اسمه عبد العزى فاستكره ذكره، ولأنه لما كان من أصحاب النار كانت الكنية أوفق بحاله، أو ليجانس قوله: ذاتَ لَهَبٍ، وقرأ ابن كثير: (أبي لهْب) بسكون الهاء، وقرئ (أبو لهب) كما قيل علي بن أبو طالب. ﴿وَتَبَّ﴾ إخبار بعد دعاء، والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله:

جَزَانِي جَزَاهُ اللَّه شَرَّ جَزائِه جَزاءَ الكِلَابِ العَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَل

ويدل عليه أنه قرئ: (وَقَد تَبَّ) أو الأول إخبار عما كسبت يداه والثاني عن نفسه.

(٢) ـ (٣) ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ﴾ نفي لإغناء المال عنه حين نزل به التباب، أو استفهام إنكار له؛ ومحلها النصب. ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ وكسبه أو مكسوبه بماله من النتائج والأرباح والوجاهة والأتباع، أو عمله الذي ظن أنه

[«لما نزلت عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]»]. . إلى آخره، رواه

۞ ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥﴾.

ينفعه، أو ولده عتبة، وقد افترسه أسد في طريق الشام وقد أحدق به العير ومات أبو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بأيام معدودة، وتُرِكَ ثلاثاً حتى أَنْتَنَ ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه، فهو إخبار عن الغيب طابقه وقوعه. ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾ اشتعال؛ يريد نار جهنم، وليس فيه ما يدل على أنه لا يؤمن لجواز أن يكون صليها للفسق، وقرئ: (سيُصْلَى) بالضم مخففاً ومشدّداً.

۝٤ - ۝٥ ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ عطف على المستكن في (سَيَصْلى) أو مبتدأ؛ وهي أم جميل أخت أبي سفيان. ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾؛ يعني: حطب جهنم فإنها كانت تحمل الأوزار بمعاداة الرسول عليه السلام وتحمل زوجها على إيذائه، أو النميمة فإنها كانت توقد نار الخصومة، أو حزمة الشوك أو الحسك، كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق رسول الله ﷺ، وقرأ عاصم بالنصب على الشتم. ﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾؛ أي: مِمَّا مُسِّدَ؛ أي: فَتِلَ، ومنه رجل ممسود الخلق؛ أي: مجدوله، وهو ترشيح للمجاز أو تصوير لها بصورة الحطّابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها؛ تحقيراً لشأنها، أو بياناً لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع، وفي جيدها سلسلة من النار، والظرف في موضع الحال، أو الخبر، وحبل مرتفع به.

عن النبي عليه السلام: **«من قرأ سورة (تبت) رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة»**.

الشيخان[1] **[وقد أحدق به العير]**؛ أي: أحاطت به **[أو النميمة]** هو مع ما بعده عطف على «حطب جهنم» **[والظرف في موضع الحال]**؛ أي: من (امرأته) على أنها معطوفة على «المستكن» **[أو الخبر]**؛ أي: لـ(امرأته) على أنه مبتدأ **[و(حَبْلٌ) مرتفع به]**؛ أي: بالظرف وهو راجع إلى كونه الخبر. **[«من قرأ سورة «تبت..»»]** إلى آخره، موضوع[2].

---

(١) صحيح البخاري [٣/١٠١١/برقم: ٢٦٠١]، صحيح مسلم [١/١٩٢/برقم: ٢٠٤].

(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/٣٢٨/برقم: ١٥٦٣].

سُورَةُ الإخلاص

(١١٢) مختلف فيها، وآيها أربع

۞ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

۝١ - ۝٢ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الضمير للشأن كقولك: هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء، وخبره الجملة ولا حاجة إلى العائد لأنها هي (هو)، أو لِمَا سُئِلَ عنهُ؛ أي: الذي سألتم عنه هو الله، إذ روي: (أن قريشاً قالوا: يا محمد! صِفْ لنا ربك الذي تدعونا إليه، فنزلت). و(أحد) بدل أو خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال؛ إذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد، وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة، وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للألوهية، وقرئ: (هو الله) بلا (قُلْ) مع الاتفاق على أنه لا بد منه في ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، ولا يجوز في (تبت)، ولعل ذاك لأن سورة (الكافرون) مشاقة الرسول ﷺ أو موادعته لهم، و(تبت) معاتبة عمه؛ فلا يناسب أن تكون منه، وأما هذا فتوحيد يقول به تارة؛ ويؤمر بأن يدعو إليه أخرى. ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ السيد المصمود إليه في الحوائج من صمد إليه إذا

[**أو لما سئل عنه**] عطف على «الشأن» [**روي: «أن قريشاً..»**] إلى آخره، رواه ابن جرير[1] [**وخواصها**] عطف على «صفات الكمال» [**ولا يجوز في تبت**]؛ أي: ولا يجوز أن يقال، قل في «تبت» [**فلا يناسب أن تكون**]؛ أي: المعاتبة [**منه**]؛ أي:

---

(١) جامع البيان، الطبري [٢١/ برقم: ٣٢٨].

۞ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

قصد، وهو الموصوف به على الإطلاق؛ فإنه يستغني عن غيره مطلقاً، وكل ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته، وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته، وتكرير لفظة الله للإشعار بأن من لم يتصف به لم يستحق الألوهية، وإخلاء الجملة عن العاطف؛ لأنها كالنتيجة للأولى أو الدليل عليها.

۝٣ - ۝٤ ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأنه لم يجانس ولم يفتقر إلى ما يعينه، أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه؛ ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده رداً على من قال: الملائكة بنات الله، أو المسيح ابن الله، أو ليطابق قوله: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ وذلك لأنه لا يفتقر إلى شيء ولا يسبقه عدم. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾؛ أي: ولم يكن أحد يكافئه، أو يماثله؛ من صاحبة أو غيرها، وكان أصله أن يؤخر الظرف لأنه صلة (كُفُواً)؛ لكن لما كان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديماً للأهم، ويجوز أن يكون حالاً من المستكن في (كُفُواً)، أو خبراً ويكون (كُفُواً) حالاً من (أَحَدٌ)، ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف؛ لأن المراد منها نفي أقسام الأمثال فهي كجملة واحدة منبهة عليها بالجمل، وقرأ حمزة ويعقوب ونافع في رواية: (كفؤاً) بالتخفيف، مهموزاً وحفص (كُفُواً) بالحركة وقلب الهمزة واواً، والباقون بالحركة مهموزاً، ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الإلٰهية والرد على من الحد فيها، جاء في الحديث: «**أنها تعدل ثلث القرآن**». فإن مقاصده محصورة في بيان

من النبي ﷺ، وإنما يناسب أن تكون من الله [**جاء في الحديث**: «**أنها تعدل ثلث القرآن**»] رواه البخاري[1].

---

(١) صحيح البخاري [٤/١٩١٥/برقم: ٤٧٢٦].

العقائد والأحكام والقصص، ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك.

وعنه ﷺ أنه سمع رجلاً يقرؤها فقال: «**وجبت**» قيل: يا رسول الله، وما وجبت؟! قال: «**وجبت له الجنة**».

وعن النبي ﷺ: [«**أنه سمع رجلاً يقرأها..**»] إلى آخره، رواه الترمذي[1] والنسائي[2]، وغيرهما.



(١) سنن الترمذي [٥/١٦٧/برقم: ٢٨٩٧].

(٢) سنن النسائي [٢/١٧١/برقم: ٩٩٤].

سورة الفلق

(١١٣) مختلف فيها، وآيها خمس

۞ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا
وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - (٢) ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ ما يفلق عنه؛ أي: يفرق كالفرق فعل بمعنى مفعول، وهو يعم جميع الممكنات، فإنه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الإيجاد عنها، سيما ما يخرج من أصل كالعيون والأمطار والنبات والأولاد، ويختص عرفاً بالصبح ولذلك فسر به. وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة، والإشعار بأن من قدر أن يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ به ما يخافه، ولفظ الرب هنا أوقع من سائر أسمائه تعالى لأن الإعاذة من المضار تربية. ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ خص عالم الخلق بالإستعاذة عنه لانحصار الشر فيه، فإن عالم الأمر خير كله، وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم، وطبيعي كإحراق النار وإهلاك السموم.

(٣) - (٤) ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ ليل عظيم ظلامه؛ من قوله: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] وأصله الامتلاء يقال: غسقت العين؛ إذا امتلأت دمعاً. وقيل: السيلان، وغَسَق اللَّيْلِ: انصباب ظلامه، وغسق العين: سيلان دمعه. ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ دخل ظلامه في كل شيء، وتخصيصه لأن المضار فيه

[فإن عالم الأمر]؛ أي: وهو عالم الأرواح، والمغيبات [وشره]؛ أي: عالم

۞ ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

تكثر ويعسر الدفع، ولذلك قيل: الليل أخفى للويل. وقيل: المراد به القمر؛ فإنه يكسف فيغسق، ووقوبه دخوله في الكسوف.

(٤) ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ ومن شر النفوس، أو النساء السواحر اللاتي يعقدن عقداً في خيوط وينفثن عليها، و(النفث): النفخ مع ريق، وتخصيصه؛ لما روي: «أن يهوديّاً سحر النبي عليه الصلاة والسلام في إحدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر، فمرض النبي عليه الصلاة والسلام ونزلت المعوّذتان، وأخبره جبريل بموضع السحر؛ فأرسل علياً كرم الله وجهه عنه فجاء به فقرأهما عليه، فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة». ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في أنه مسحور؛ لأنهم أرادوا به أنه مجنون بواسطة السحر. وقيل: المراد بالنفث في العقد إبطال عزائم الرجال بالحيل؛ مستعار من تليين العقد بنفث الريق ليسهل حلها، وإفرادها بالتعريف؛ لأن كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد.

(٥) ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه؛ فإنه لا يعود ضرر منه قبل ذلك إلى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره، وتخصيصه؛ لأنه العمدة في إضرار الإنسان بل الحيوان غيره، ويجوز أن يراد بالغاسِقِ ما يخلو عن النور وما يضاهيه؛ كالقوى، وبالنَّفَّاثاتِ النباتات، فإن قواها النباتية من حيث أنها تزيد في طولها وعرضها وعمقها؛ كأنها تنفث في العقد الثلاثة، وبالحاسِدِ الحيوان؛ فإنه إنما يقصد غيره غالباً

الخلق [وقيل: «**المراد به القمر**»] ورد مرفوعاً، رواه الترمذي[١]، والنسائي[٢]، وغيرهما [**يختص به**]؛ أي: بالحاسد [**لاغتمامه بسروره**]؛ أي: سرور المحسود [**في العقد الثلاثة**]؛

---

(١) سنن الترمذي [٥/ ٤٥٢/ برقم: ٣٣٦٦]. (٢) سنن النسائي [٦/ ٨٣/ برقم: ١٠٣٧].

طمعاً فيما عنده، ولعل إفرادها من عالم الخلق؛ لأنها الأسباب القريبة للمضرة.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: **«لقد أنزلت عليَّ سورتان ما أنزل مثلهما وإنك لن تقرأ سورتين أَحَبَّ ولا أرضى عند الله منهما؛ يعني: المعوذتين»**.

أي: الطول، والعرض، والعمق [**ولعل إفرادها**]؛ أي: إفراد غاسق، والنفاثات، وحاسد بالذكر [**«لقد أنزلت عليّ سورتان ما أنزل مثلهما..»**] رواه مسلم[١] [**«وإنك لن تقرأ سورتين أحبَّ ولا أرضى عند الله منهما..»**] رواه بمعناه ابن حبان في «صحيحه»[٢].



---

(١) صحيح مسلم [١/٥٥٨/برقم: ٨١٤].

(٢) صحيح ابن حبان [٥/١٥٠/برقم: ١٨٤٢].

سُورَةُ النَّاسِ

(١١٤) مختلف فيها، وآيها ست آيات

۞ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٣) ﴿قُلۡ أَعُوذُ﴾ وقرأ ورش في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتهما إلى اللام. ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية ـ وهي تعم الإنسان وغيره ـ والاستعاذة في هذه السورة من المضار التي تعرض للنفوس البشرية وتخصها، عمم الإضافة ثمَّة، وخصصها بالناس هاهنا؛ فكأنه قيل: أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك أمورهم ويستحق عبادتهم. ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ عطفاً بيان له؛ فإن الربّ قد لا يكون ملكاً، والملك قد لا يكون إلٰهاً. وفي هذا النظم دلالة على أنه حقيق بالإعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها، وإشعار على مراتب الناظر في المعارف؛ فإنه يعلم أولاً بما عليه من النعم الظاهرة والباطنة أن له ربّاً، ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق أنه غني عن الكل، وذات كل شيء له ومصارف أمره منه، فهو الملك الحق ثم يستدل به على أنه المستحق للعبادة لا غير، وتدرج وجوه الاستعاذة كما يتدرج في الاستعاذة المعتادة، تنزيلاً لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات

[وإشعار] عطف على «دلالة»، وفي نسخة: «والإشعار» **[واندرج في وجوه الاستعاذة]**؛ أي: وجوهها الثلاث **[المعتادة]** فاعل اندرج؛ أي: اندرج فيها الاستعاذة المعتادة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم **[تنزيلاً لاختلاف الصفات]**؛ أي: اختلاف صفات الله من الخالقية، والرازقية، وغيرهما **[منزلة اختلاف الذات]** مفهوماً الحاصل

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾.

إشعاراً بعظم الآفة المستعاذ منها، وتكرير النَّاسِ لما في الإظهار من مزيد البيان، والإشعار بشرف الإنسان.

﴿٤﴾ - ﴿٦﴾ ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾؛ أي: الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة، وأما المصدر فبالكسر كالزلزال، والمراد به الموسوس وسمي بفعله مبالغة. ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ الذي عادته أن يخنس؛ أي: يتأخر إذا ذكر الإنسان ربه. ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ إذا غفلوا عن ذكر ربهم، وذلك كالقوة الوهمية؛ فإنها تساعد العقل في المقدمات، فإذا آل الأمر إلى النتيجة خنست وأخذت توسوسه وتشككه، ومحل (الَّذِي) الجر على الصفة، أو النصب، أو الرفع على الذم. ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيان لـ(الْوَسْواسِ)، أو للذي، أو متعلق بيُوَسْوِسُ؛ أي: يوسوس في صدورهم من جهة الجِنَّةَ والناس. وقيل: بيان للنَّاسِ على أن المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف؛ إلا أن يراد به الناسي؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦]؛ فإن نسيان حق الله تعالى يعم الثقلين.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى**». والله تعالى أعلم.

من «ربّ»، و«مالك»، و«إِلٰه» [**إشعار بِعِظَمِ الآفة**] تعليل للتنزيل [أي: **يوسوس في صدور**] في نسخة: في صدورهم، الثقلين في نسخة: القبيلين. [«**من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى..**»]، موضوع(١). والله أعلم.



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٤/ ٣٣٧/ برقم: ١٥٦٩].

تم فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل والله تعالى ولي المعونة والتوفيق ومنه الهداية إلى سواء الطريق وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الباحث

السيد الشريف محمد فاضل جيلاني الحسني، وكانت ولادتي بقرية جِمزَرق، سنة [١٣٧٥هـ/١٩٥٤م] بمحافظة قُرتَلان، ولاية إسعِرد في منطقة شرق تركيا، والمقيم حاليّاً في إسطنبول العامرة المحروسة.

نشأت في تربية جدي العالم المقتدى به، والقطب الكامل الشيخ محمد صديق جيلاني الحسني، ووالدي السيد الشريف العالم العلامة والبحر الفهامة السيد الشريف الشيخ محمد فائق جيلاني الحسني.

وقد أخذني جدي إليه إلى قريته تيلان المعروفة والمشهورة بالسادات والأشراف الجيلانيين والعلماء حماها الله ورعاها وأنا في سن الثانية من عمري، وقد رباني إلى سن الثالثة عشرة، وبعد هٰذَا السن رجعت إلى والدي في قريته جِمزَرق منبع العلماء، وأكملت دراستي الشرعية والعلمية عنده، رحمة الله عليهم، وقدس الله أسرارهم العلية ونفعنا بأنفاسهم الطاهرة المرضية.

وبعد ذلك أمرني جدي بالسفر إلى المدينة المنورة وتشرفت بالإقامة فيها، حيث إني بدأت بالبحث عن كتب الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه، في عام ألف وتسعمئة وثمانية وسبعين بالمدينة المنورة وغيرها من المدن إلى سنة ألفين واثنتين ميلادية.

وبعد ذلك العام فرغت جميع أوقاتي للبحث عن كتب الشيخ رضي الله تعالى عنه وما زلت في البحث إلى يومنا هٰذَا.

ولقد زرت أكثر من أربعمئة مكتبة رسمية وخاصة في أكثر من خمسين دولة، وقد تكررت الزيارة إلى بعض هٰذِهِ البلاد أكثر من مئة مرة.

إلى أن حصلت على سبعة وعشرين كتاباً ورسالة ومن ضمنها (تفسير الجيلاني) المبارك الذي لا مثيل ولا نظير له في الدنيا عندي.

ومن تَطوَافي الكثير في المراكز العلمية المتعددة علمت أن أربعة عشر عنواناً من كتب الشيخ ﷺ مفقودة، وسأقوم بالبحث عنها في المكتبات العالمية حتى أصل إليها بإذن الله تعالى.

وفي النتيجة اغتبطت كثيراً، وشكرت الله ﷻ شكراً جزيلاً حينما تبين لي أن عدد الأوراق التي حصلت عليها من مؤلفات جدي الشيخ الجيلاني رضي الله تعالى عنه أكثر من عشرة آلاف ورقة، عدا التفسير والعناوين المفقودة.

كل هذَا أدى حتماً إلى إدخال السرور الكثير والاعتزاز غير المتناهي في نفسي بجدي القطب الجيلاني رضي الله تعالى عنه.

ومن العجيب أنني عندما ذهبت إلى الفاتيكان للبحث عن مؤلفات الشيخ في مكتبتها المشهورة، وأثناء دخولي لدولة الفاتيكان سألني موظف الجوازات عن سبب زيارتي للمكتبة فأجابه صديقي الإيطالي الذي كان يرافقني؛ إنني أبحث عن كتب جدي الجيلاني؛ فقام الموظف احتراماً وقال: نعم نعم، فيلسوف الإسلام: عبد القادر الجيلاني.

وبعد دخولنا للمكتبة وجدت مكتوباً في الفهارس وبعض الكتب باللغة الإيطالية: (فيلسوف الإسلام)، وباللغة العربية: (شيخ الإسلام، والمسلمين).

وهذَان اللقبان لم أجدهما في مكتبات القارات الثلاث إلا هنا، وكذلك وجدت عبارةً في مكتبة الفاتيكان مكتوباً فيها: (وكان الشيخ ﷺ يتكلم في ثلاثة عشر علماً).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة